

# التبيان

## الجزء: ٨

الشيخ الطوسي

الكتاب: التبيان  
المؤلف: الشيخ الطوسي  
الجزء: ٨  
الوفاة: ٤٦٠  
المجموعة: مصادر التفسير عند الشيعة  
تحقيق: تحقيق وتصحيح : أحمد حبيب قصير العاملي  
الطبعة: الأولى  
سنة الطبع: رمضان المبارك ١٤٠٩  
المطبعة:  
الناشر:  
ردمك:  
المصدر:  
ملاحظات:

## الفهرست

العنوان	الصفحة
فهرس المواضيع سورة الشعراء	٣
سورة النمل	٧٣
سورة القصص	١٢٧
سورة العنكبوت	١٨٥
سورة الروم	٢٢٧
سورة لقمان	٢٦٥
سورة ألم السجدة	٢٩١
سورة الأحزاب	٣١١
سورة سبأ	٣٧٤
سورة فاطر	٤١٠
سورة يس	٤٤٠
سورة الصافات	٤٨٠
سورة ص	٥٤٠

التبيان  
في تفسير القرآن  
تأليف  
شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي  
٣٨٥ - ٤٦٠ هـ  
تحقيق وتصحيح  
أحمد حبيب قصير العاملي  
المجلد الثامن

(١)

سورة الشعراء

قال قتادة هي مكية. وقيل أربع آيات منها مدنية من قوله  
" والشعراء إلى آخرها " وهي مئتان وسبع وعشرون آية في الكوفي  
والمدني الأول وست في البصري والمدني الآخر

بسم الله الرحمن الرحيم

\* (طسم (١) تلك آيات الكتاب المبين (٢) لعلك باخع

نفسك ألا يكونوا مؤمنين (٣).

ثلاث آيات في الكوفي خاصة. واثنان في الباقي. ولم يعد " طسم " آية إلا  
أهل الكوفة.

قرأ حمزة والكسائي وخلف ويحيى والعلمي " طسم، وطس " بإمالة الطاء  
فيهما. الباقون بالتفخيم، وأظهر - النون من هجاء سين عند الميم - حمزة وأبو  
جعفر إلا أن أبا جعفر يقطع الحروف. الباقون يخفونها قال أبوا علي الفارسي:  
تبيين النون من (طسم) على قراءة حمزة هو الوجه، لان حروف الهجاء في  
تقدير الانفصال والانقطاع مما بعدها، وإذا ثبت ذلك وجب أن تبيين النون

(٣)

لأنها تخفى إذا اتصلت بحرف من حروف الفم، فإذا لم يتصل بها، لم يكن هناك ما يوجب إخفاؤها. ووجه إخفائها مع هذه الحروف أن همزة الوصل قد وصلت ولم تقطع، وهمزة الوصل إنما تذهب في الدرج فكما سقطت همزة الوصل، وهي لا تسقط إلا في الدرج مع هذه الحروف في (الف لام ميم) الله، كذلك لا تبين النون، ويقدر فيها الاتصال بما قبلها، ولا يقدر الانفصال.

قليل إنما عد (طسم) آية، ولم يعد (طس) لان (طس) تشبه الاسم المنفرد، نحو (قابيل، وهابيل) وليس كذلك (طسم). ووجه الشبه بالزنة أن أوله لا يشبه حروف الزيادة التي هي حروف المد واللين، نحو (يس) وليس شيء على وزن المفرد يعد إلا (ياسين) لان الياء تشبه حروف الزيادة فقد رجع إلى أنه ليس على زنة المفرد. وقد بينا فيما مضى معاني هذه الحروف المقطعة في أول سورة البقرة، فلا نطول بإعادته. وقد بينا قول من قال. إنها أسماء السور. وقال قتادة والضحاك: ان (طسم، وطس) اسم من أسماء القرآن. وقوله " تلك آيات الكتاب المبين " إنما أشار ب (تلك) إلى ما ليس بحاضر لأنه متوقع، فهو كالحاضر بحضور المعنى للنفس، وتقديره: تلك الآيات آيات الكتاب. وقيل: تلك الآيات التي وعدتم بها هي القرآن. وقيل: ان " تلك " بمعنى (هذا) ومعنى (الكتاب) القرآن، ووصفه بأنه (المبين) لان به تتبين الاحكام، لان البيان اظهار المعنى للنفس بما يتميز به عن غيره، وهو مأخوذ من البينونة، وهي التفرقة بين الشيء وغيره. فالمبين الذي يبين الحق من الباطل. وسمي أيضا فرقانا، لأنه يفرق بين الحق والباطل. وقوله " لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين " قيل فيه قولاً: الأول - قال ابن عباس وقتادة: معناه لعلك قاتل نفسك. والثاني قال ابن زيد: مخرج

نفسك من جسدك. والبخع القتل، قال ذو الرمة:  
الا أيهذا الباخع الوجد نفسه \* لشيء نحتته عن يديه المقادر (١)  
وقال ابن عباس معنى " أن لا يكونوا مؤمنين " فيه أي في القرآن وقال  
الفراء موضع (أن) نصب ب (باخع)، لان (أن) جزاء، كأنه قال: ان لم  
يكونوا مؤمنين فأنت قاتل نفسك، فلما كان ماضيا نصب (ان) كما تقول:  
أتيك (أن) تأتيني، ولو لم يكن ماضيا لقلت: أتيك ان تأتني، ولو كانت مجزومة  
مع كسر (ان) كان جائزا، ومثله (لا يجر منكم شأن قوم أن) (٢) بالفتح  
والكسر.

قوله تعالى:

\* (إن نشأ نزل عليهم من السماء آية فضلت أعناقهم لها  
خاضعين (٤) وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا  
عنه معرضين) \* (٥) آيتان بلا خلاف.  
لما بين الله تعالى حرص النبي صلى الله عليه وآله على إيمان قومه، واجتهاده بهم حتى  
كاد أن يقتل نفسه تأسفا على تركهم الايمان، أخبره بأنه قادر على أن ينزل عليهم  
آية ودلالة من السماء تظل أعناقهم لها خاضعة بأن تلجئهم إلى الايمان،  
لكن ذلك نقيض الغرض بالتكليف، لأنه تعالى لو فعل ذلك، لما استحقوا ثوابا  
ولا مدحا، لان الملجأ لا يستحق الثواب والمدح على فعله، لأنه بحكم المفعول  
فيه. وقيل: المراد بالأعناق الرؤساء. وقال قتادة: المعنى لا يلوي أحد منهم

---

(١) شرح ألفية بن مالك (المنادى) ٢٢٤

(٢) سورة ٥ المائد آية ٣

عنقه إلى معصية. وقيل في وجه جمع " خاضعين " بالياء والنون وهو صفة (الأعناق) والأعناق لا تعقل، وهذا الجمع يختص بمن يعقل قيل فيه أربعة أقوال:

أحدهما - فظل أصحاب الأعناق لها خاضعين، وحذف المضاف، وأقام المضاف إليه مقامه لدلالة الكلام عليه.

الثاني - أنه أراد بالأعناق الرؤساء والجماعات، كما يقال جاءه عنق من الناس أي جماعة.

الثالث - أن يكون على الإقحام. قال أبو عبيدة، والمبرد " خاضعين " من صفة الهاء والميم، في قوله " أعناقهم " كما قال جرير:

أرى مر السنين أخذن مني \* كما أخذ السرار من الهلال (١)  
فعلى هذا يكون ترك الأعناق وأخبر عن الهاء والميم، وتقديره فظلوا خاضعين لها والأعناق مقحمة.

الرابع - أنها ذكرت بصفة من يعقل لما نسب إليها ما يكون من العقلاء كما قال الشاعر:

تمزرتها والديك يدعو صياحه \* إذا ما بنوا نعش دنوا فتصوبوا (٢)  
ويروي نادى صياحه. ثم أخبر تعالى عن هؤلاء الكفار الذين تأسف النبي صلى الله عليه وآله على عدولهم عن إيمانهم أنه ليس يأتيهم ذكر من الرحمن يعني القرآن. كما قال تعالى " انا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون " (٣) وقال " إن

---

(١) ديوانه " دار بيروت " ٣٤١

(٢) قائله النابغة الجعدي. اللسان (نعش)

(٣) سورة ١٥ الحجر آية ٩



هو إلا ذكر وقرآن مبين " (١) ووصفه بأنه محدث، ولذلك جره، لأنه صفة ل (ذكر). وقوله " إلا كانوا عنه معرضين " أي يتولون عنه ولا ينظرون فيه. قال الفراء: إنما قال " فظلت " ولم يقل " فتظل " لأنه يجوز أن يعطف على مجزوم الجزاء ب (فعل) لان الجزاء يصلح في موضع (فعل، يفعل) وفي موضع (يفعل، فعل) لأنك تقول: إن زرتني زرتك وإن تزرني أزرك، والمعنى واحد قوله تعالى:

\* (فقد كذبوا فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤون (٦) أو لم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم (٧) إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين (٨) وإن ربك لهو العزيز الرحيم (٩) أربع آيات بلا خلاف.

اخبر الله تعالى عن هؤلاء الكفار الذين وصفهم بأنهم كذبوا بآيات الله ووجدوا رسوله وأنه سيأتيهم فيما بعد، يعني يوم القيامة " اخبار ما كانوا به يستهزؤون " وإنما خص المكذب باتيان الانباء، مع أنها تأتي المصدق والمكذب، من حيث أن المكذب يعلم بها بعد أن كان جاهلا. والمصدق كان عالما بها، فلذلك حسن وعيد المكذب بها، لان حاله يتغير إلى الحسرة والندم. والاستهزاء السخرية، وهو طلب اللهو بما عند الطالب صغير القدر.

ثم قال " أو لم يروا " هؤلاء الكفار " إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم " من أنواع النبات، فيستدلوا على توحيده، بأن يعلموا أن ذلك

لا يقدر عليه غيره. ولا يتأتى من سواه، ممن هو قادر بقدره، لأنه لو تأتى من غيره لتأتى منا لأننا قادرون أيضا بقدره، فلما استحال منا علمنا استحالة ذلك ممن يجري مجرانا، فإذا الفاعل لذلك مخالف لنا، وانه قادر لنفسه.

ثم اخبر تعالى ان فيما ذكره من انبات النبات من كل زوج كريم، لدلالة لمن يستدل بها، ومن يتمكن من ذلك، وإن أكثر الكفار لا يصدقون بذلك، ولا يعترفون به عنادا وتقليدا لاسلافهم، وحبا للراحة، وهربا من مشقة التكليف ومعنى " كل زوج كريم " يعني مما يأكل الناس والانعام، في قول مجاهد. وقيل: من الشئ ومشاكله في الانتفاع به. وقيل: من كل زوج كريم من أنواع تكرم عند أهلها. وقيل: من كل نوع معه قرينه من أبيض وأحمر وأصفر. وحلو وحامض، وروائح وغير ذلك مختلفة. ثم قال " وإن ربك " يا محمد " لهو العزيز " الغني القادر الذي لا يعجز ولا يغلب " الرحيم " أي المنعم على عباده بأنواع النعم التي ذكرها.

قوله تعالى:

\* (وإذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين (١٠) قوم فرعون ألا يتقون (١١) قال رب إنني أخاف أن يكذبون (١٢) ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فأرسل إلى هارون (١٣) ولهم علي ذنب فأخاف أن يقتلون) \* (١٤) خمس آيات بلا خلاف. قرأ " ويضيق صدري، ولا ينطلق لساني " بالنصب يعقوب، عطفا على " ان يكذبون " الباقيون - بالرفع - عطفا على \* (أخاف) \* ويجوز أن يكون على

الاستئناف. والمعنى: واني يضيق صدري.  
يقول الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وآله واذكر يا محمد الوقت الذي نادى فيه ربك  
- الذي خلقتك - موسى، ومعناه قال له: يا موسى، بأن اتت القوم الذين  
ظلموا أنفسهم بارتكاب المعاصي. ثم بين: من القوم الموصوفون بهذه الصفة؟  
بان قال \* (قوم فرعون) \* وهو عطف بيان \* (ألا يتقون) \* وإنما قال بالياء،  
لأنه على الحكاية. وتقديره: فقل لهم: ألا تتقون، ومثله \* (قل للذين كفروا  
سيغلبون) \* (٥) بالياء والتاء. ولو قرى بالتاء كان جائزا، والتقوى مجانية  
القبائح بفعل المحاسن: اتقى الله يتقيه اتقاء أي اتقى عقابه بطاعته بدلا عن  
معصيته، واصله صرف الامر بحاجز بين الصارف وبينه.  
ثم حكى ما قال موسى وجوابه، فإنه قال يا \* (رب اني أخاف أن يكذبون) \*  
ولا يقبلون مني. والخوف انزعاج النفس بتوقع الضرر، ونقيضه الامن وهو  
سكون النفس إلى خلوص النفع، ونظير الخوف الفرع والذعر والجزع.  
والتكذيب تصيير المخبر كاذبا بإضافة الكذب إليه، كذبه تكذيبا وأكذبه إكذابا  
والكذب نقيض الصدق، والكذب كله قبيح، والتكذيب على وجهين: فتكذيب  
الصادق قبيح، وتكذيب الكاذب حسن.  
وقوله " ويضيق صدري ولا ينطلق لساني " حكاية أيضا عما قال موسى.  
وضيق الصدر غم يمنع من سلوك المعاني في النفس، لأنه يمنع منه كما يمنع ضيق  
الطريق من السلوك فيه. وقوله " ولا ينطلق لساني " أي لا ينبعث بالكلام.

---

(١) سورة ٣ آل عمران آية ١٢

وقد يتعذر ذلك لآفة في اللسان، وقد يتعذر لضيق الصدر، وغروب المعاني التي تطلب الكلام. وقوله " فأرسل إلى هارون " يعني لمعاونتي، كما يقال: إذا نزلت بنا نازلة أرسلنا إليك أي لتعيننا. وقيل: إنما طلب المعاونة حرصا على القيام بالطاعة. " ولا ينطلق لساني " للعقدة التي كانت فيه. قال الجبائي: لم يسأل موسى ذلك إلا بعد أن أذن الله تعالى له في ذلك، لأن الأنبياء لا يسألون الله إلا ما يؤذن لهم في مسألته.

وقوله " ولهم علي ذنب " يعني قتل القبطي الذي قتله موسى حين استصرخ به واحد من أصحابه من بني إسرائيل - ذكره مجاهد وقتادة - وقوله " فأخاف أن يقتلون " بدل ذلك المقتول. قوله تعالى:

\* (قال كلا فاذهبنا بآياتنا إنا معكم مستمعون (١٥) فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين (١٦) أن أرسل معنا بني إسرائيل (١٧) قال ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين (١٨) وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين (١٩) قال فعلتها إذا وأنا من الضالين) \* (٢٠) ست آيات. هذا خطاب من الله تعالى جوابا لموسى عماه حكاة؟؟ \* (قال كلا) \* لا يقتلونك \* (فاذهبنا) \* ومعنى (كلا) زجر أي لا يكون ذلك، ولا يقتلونك \* (فاذهبنا) \* أمر لموسى وهارون على ما اقترحه موسى فأجيب إليه \* (فاذهبنا بآياتنا) \* أي

بأدلتنا ومعجزاتنا التي خصكما الله بها، و \* (انا معكم مستمعون) \* أي نحن نحفظكم ونحن سامعون ما يجري بينكم، فهو (مستمع) في موضع (سامع) لان الاستماع طلب السمع بالاصغاء إليه، وذلك لا يجوز عليه تعالى، وإنما قال بهذا اللفظ، لأنه أبلغ في الصفة، وأشد في التعظيم - والله تعالى سامع بما يغني عن مذكر مستمع - لينبئ عن هذا المعنى، ووصفه بسامع يغني عن سماع الجماعة التي يقع سماعتهم معاونة وإنما قال (مستمعون) بلفظ الجمع بناء على قوله \* (إنا) \* وأمرهما بأن يأتيا فرعون وأن يقولوا له \* (إنا رسول رب العالمين) \* أرسلنا الله إليك لندعوك إلى عبادته، وترك الاشرار به، وإنما قال \* (رسول) \* على التوحيد، وهو للثنيين، لان المعنى ان كل واحد منا رسول رب العالمين، وقد يكون الرسول في معنى الجمع قال الهذلي:

الكني إليها وخير الرسو \* ل أعلمهم بنواحي الخبر (١)  
أي وخير الرسل: وقيل: إنه في موضع رسالة، فكما يقع المصدر موقع الصفة كذلك تقع الصفة موقع المصدر. والارسال جعل الشيء ماضيا في الامر، ومثله الاطلاق والبعث، وانشد في ذلك:

لقد كذب الواشون ما بحت عندهم \* بسر ولا أرسلتهم برسول (٢)  
أي برسالة، وقال الآخر:

ألا من مبلغ عني خفافا \* رسولا بيت أهلك منتهاها (٣)  
فأنثه تأنيث الرسالة. وقوله " أن ارسل معنا بني إسرائيل "  
أي أمرك الله بأن تطلق صراح بني إسرائيل ليجيئوا معنا، وفي الكلام حذف وتقديره: إنهما مضيا إلى فرعون، وقالوا له ما أمرهم الله به

(١) تفسير القرطبي ١٣ / ٩٣

(٢) مر هذا البيت في ١ / ٣٦٨

(٣) قائله عباس بن مرداس تفسير الطبري ١٩ / ٣٨ والقرطبي ١٣ / ٩٤

فقال فرعون لموسى " أَلَمْ نَرْبِكَ فِينَا وَلِيدَا " فالتربية تنشئة الشئ حالا بعد حال: رباه يربيه، ومثله نماء ينميه نماء. وقوله " وليدا " أي حين كنت طفلاً صغيراً " ولبثت فينا من عمرك سنين " أي أقمت سنين كثيرة عندنا، ومكثت. وفى (عمر) ثلاث لغات - ضم الميم وإسكانها مع ضم العين، وفتح العين وسكون الميم. ومنه قوله " لعمرك " (١)، وعمر الانسان بالفتح لا غير، وفى القسم أيضا بالفتح لا غير.

وقوله " وفعلت فعلتك التي فعلت " يعني قتلك القبطي. وقرأ الشعبي " فعلتك " بكسر الفاء مثل الجلسة والركبة، وهو شاذ لا يقرأ به. وقوله " وأنت من الكافرين " قيل في معناه قولان:

أحدهما - قال ابن زيد أنت من الجاحدين لنعمتنا.

الثاني - قال السدي أراد كنت على ديننا هذا الذي تعييه كافرا بالله. وقال الحسن: وأنت من الكافرين أي في أني إلهك. وقيل: من الكافرين لحق تربيتي، فقال له موسى (ع) في الجواب عن ذلك " فعلتها " يعني قتل القبطي " وأنا من الضالين " قال قوم: يعني من الضالين أي من الجاهلين بأنها تبلغ القتل. وقال الجبائي " وأنا من الضالين " عن العلم بان ذلك يؤدي إلى قتله. وقال قوم: معناه " وأنا من الضالين " عن طريق الصواب، لأنني ما تعمده. وإنما وقع مني خطأ، كما يرمي انسان طائرا فيصيب انسانا. قوله تعالى:

\* (ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما وجعلني

---

(١) سورة ١٥ الحجر آية ٧٢

من المرسلين (٢١) وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل (٢٢) قال فرعون وما رب العالمين (٢٣) قال رب السماوات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين (٢٤) قال لمن حوله ألا تستمعون\* (٢٥) خمس آيات بلا خلاف.

يقول الله تعالى حاكيا عن موسى أنه قال لفرعون: إني فررت منكم لما خفتكم، فالفار الذهاب على وجه التحرز من الإدراك، ومثله الهرب: فر يفر فرارا، ومنه يفتر أي يضحك، لأنه يباعد بين شفتيه مباعدة الفرار.

وقوله " فوهب لي ربي حكما " فالهبة الصلة بالنائل. وهب له يهب هبة فهو واهب، واستوهبه كذا إذا سأله هبته، وتواهبوا ما بينهم إذا أسقطوها عنهم على جهة الهبة. والحكم العلم بما تدعو إليه الحكمة، وهو الذي وهبه الله تعالى لموسى من التوراة. والعلم بالحلال والحرام وسائر الأحكام. والخبر عما يدعو إليه الحكم أيضا يسمى حكما. والحكم - ههنا - أراد به النبوة - في قول جماعة من المفسرين - وقوله " وجعلني من المرسلين " أي جعلني الله نبيا من جملة الأنبياء.

وقوله " وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل " قيل في معناه قولان:

أحدهما - ان اتخذك بني إسرائيل عبيدا قد أحبط ذلك، وإن كانت نعمة علي.

الثاني - إنك لما ظلمت بني إسرائيل ولم تظلمني عددتها نعمة علي؟!

وقيل قول ثالث - انه لا يوثق بأنها نعمة منك مع ظلمك بني إسرائيل في تعبيدهم، وفي كل ذلك دلالة وحجة عليه، وتقريع له. ويجوز في \* (أن) \* النصب بمعنى لتعبيدك بني إسرائيل، والرفع بالرد على النعمة أي على تعبيدك بني إسرائيل. والتعبيد اتخاذ الانسان أو غيره عبدا تقول عبده وأعبده بمعنى واحد، قال الشاعر:

علام يعبد في قومي وقد كثرت \* فيهم أباعر ما شاءوا وعبدان (١)

وقال الجبائي بين أنه ليس لفرعون عليه نعمة، لان الذي تولى تربيته أمه وغيرها من بني إسرائيل بأمر فرعون لما استعبدهم. وقال الحسن: أراد أخذت أموال بني إسرائيل، واتخذتهم عبيدا فأنفقت علي من أموالهم. فأراد أن لا يسوغه ما امتن به عليه. وقال قوم: أراد أو تلك نعمة؟! مستفهما واسقط حرف الاستفهام.

وقوله تعالى \* (قال فرعون وما رب العالمين) \* حكاية من الله أن فرعون قال لموسى أي شئ رب العالمين الذي تدعوني إلى عبادته، لان هذا القول من فرعون يدل على أن موسى كان دعاه إلى طاعة الله وعبادته. وقيل: ان فرعون عجب من حوله من جواب موسى، لأنه طلب منه أي أجناس الأجسام هو؟ جهلا منه بما ينبغي أن يسأل عنه، فقال موسى في جوابه " رب السماوات والأرض وما بينهما " أي رب العالمين هو الذي اخترع السماوات والأرض وخلقهما، وخلق ما بينهما من الحيوان والجماد والنبات " إن كنتم موقنين " بذلك مصدقين به فقال فرعون - عند ذلك - لمن حوله من أصحابه " ألا تستمعون " أي ألا تصغون إليه، وتفهمون ما يقول معجبا لهم من قوله، حين عجز عن محاورته ومجاوبته.

---

(١) تفسير القرطبي ١٣ / ٩٦ والطبري ١٩ / ٤٣



قوله تعالى:

\* (قال ربكم ورب آبائكم الأولين (٢٦) قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون (٢٧) قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون (٢٨) قال لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين (٢٩) قال أو لو جئتكم بشئ مبين) \* (٣٠) خمس آيات بلا خلاف.

قال لما قال فرعون لمن حوله " ألا تستمعون " إلى قول موسى فإنه يقول ربه رب العالمين الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما! معجبا لهم من قوله، قال موسى " ربكم " الذي خلقكم ويملك تدبيركم وخلق آباءكم الأولين، وملك تدبيرهم، وتدبير جميع الخلق. والأول الكائن قبل غيره والآخر الكائن بعد غيره، والكائن على صفة أول في كونه على تلك الصفة، نحو الأول في دخول الدار، فقال فرعون - عند ذلك حين لم يجد جوابا لكلام موسى - لقومه " إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون " يموه عليهم، اني أسأله عن ماهية رب العالمين فيجيبني عن غير ذلك، كما يفعل المجنون. والجنون ذاء يعتري النفس يغطي على العقل، وأصله الستر من قولهم: جنه الليل وأجنه إذا ستره بظلمته والجنة البستان الذي يحنه الشجر، فقال موسى عند ذلك ان الذي ذكرته انه " ربكم ورب آبائكم الأولين " ... " هو رب المشرق والمغرب " فالمشرق الموضع الذي تطلع منه الشمس، والمغرب الموضع الذي تغرب فيه الشمس يقال:

شرقت الشمس شروقا إذا طلعت، وأشرقت إشراقا إذا أضاءت وصفت.  
" وما بينهما إن كنتم تعقلون " ذلك وتدبرونه، فلما طال على فرعون الاحتجاج  
من موسى تهدده " قال لئن اتخذت إلها غيري " يعني معبودا سواي  
" لأجعلنك " من المسجونين أي محبوسا من جملة المحبسين، فقال له موسى  
" أولو جئتكم بشئ مبين " يعني بمعجزة تدل على صحة ما ادعيته تبينني من غيري  
والمعنى ان جئتكم بشئ يدل على صدقي تحبسني؟! قوله تعالى:

\* (قال فات به إن كنت من الصادقين (٣١) فألقى عصاه  
فإذا هي ثعبان مبين (٣٢) ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين (٣٣)  
قال للملا حوله إن هذا لساحر عليم (٣٤) يريد أن يخرجكم  
من أرضكم بسحره فماذا تأمرون (٣٥) قالوا أرجه وأخاه وابعث  
في المدائن حاشرين (٣٦) يأتوك بكل سحار عليم (٣٧) فجمع  
السحرة لميقات يوم معلوم (٣٨) وقيل للناس هل أنتم  
مجتمعون (٣٩) لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين) \* (٤٠)  
عشر آيات بلا خلاف.

لما قال موسى لفرعون " أو لو جئتكم بشئ مبين قال " فرعون " فات به  
إن كنت من الصادقين " أي هات ما ادعيته من المعجزة إن كنت صادقا

" فألقى عصاه " حينئذ موسى " فإذا هي ثعبان مبین " وهي الحية العظيمة، ومنه  
المتعب وهو المجرى الواسع، وانتعب الماء انتعابا إذا جرى باتساع، ومنه الثعبان  
لأنه يجري باتساع لعظمه. وفي قلب العصا حية دالتان:  
إحدهما - دلالة على الله تعالى، لأنه مما لا يقدر عليه إلا هو، وليس مما  
يلتبس بايجاب الطبائع، لأنه اختراع، للانقلاب في الحال.  
والثاني - دلالة على النبوة بموافقة الدعوة مع رجوعها إلى حالتها الأولى  
لما قبض عليها. وقيل: الثعبان الحية الذكر، ووصفه تعالى العصا - ههنا - بأنها  
صارت مثل الثعبان، لا ينافي قوله " كأنها جان " من وجوه:  
أحدها - انه تعالى لم يقل، فإذا هي جان، كما وصفها بأنها ثعبان، وإنما  
شبهها بالجان، ولا يجوز أن تكون مثله على كل حال.  
والثاني - انه وصفها بالثعبان في عظمها، وبالجان في سرعة حركتها، فكأنها  
مع كبرها في صفة الجان لسرعة الحركة، وذلك أبلغ في الاعجاز.  
وثالثها - انه أراد أنها صارت مثل الجان في أول حالها، ثم تدرجت إلى أن  
صارت مثل الثعبان، وذلك أيضا أبلغ في باب الاعجاز.  
ورابعها - ان الحاليين مختلفان، لان إحدهما كانت حين ألقى موسى  
فصارت العصا كالثعبان، والحالة الأخرى حين أوحى الله إليه وناداه من الشجرة.  
ومعنى (مبين) قال ابن عباس: انه ثعبان لا شبهة فيه. وقيل: معناه مبين وجه الحجة  
به. وروي أنها غرزت ذنبها في الأرض ورفعت رأسها نحو الميل إلى السماء، ثم  
انحطت فجعلت رأس فرعون بين ناييها، وجعلت تقول: مرني بما شئت،

فناداه فرعون أسألك بالذي أرسلك لما اخذتها، فاحذها، فعادت عصا، كما كانت - ذكره ابن عباس، والمنهال - .

وقوله " ونزع يده " أي أخرجها من جيبه أو من كفه على ما روي.

ويجوز أن يكون المراد حسر عن ذراعه. والمعنى أنه نزعها عن اللباس التي كان عليها. والنزع إخراج الشيء مما كان متصلا به، وملا بسا له.

وقوله " فإذا هي بيضاء " يعني بياضا نوريا كالشمس في إشراقها

\* (لناظرين) \* إليها من غير برص، فقال فرعون عند ذلك لأشراف قومه الذين حوله \* (إن هذا) \* يعني موسى \* (لساحر عليم) \* أي عالم بالسحر والحيل \* (يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره) \* قيل معناه يريد أن يخرج عبيدكم بني إسرائيل قهرا. ويحتمل أن يكون أراد يخرجكم من دياركم ويتغلب عليكم \* (فماذا تأمرون) \*

في تأديبه، وإنما شاور قومه في ذلك مع أنه كان يقول لهم: انه إله، لأنه يجوز أن يكون ذهب عليه وعلى قومه أن الاله لا يجوز أن يشاور غيره، كما ذهب عليهم أن الاله لا يكون جسما محتاجا، فاعتقدوا إلهيته لما دعاهم إليها مع ظهور حاجته التي لا اشكال فيها، فقال لفرعون اشراف قومه الذين استشارهم " أرجه واخاه " أي أخرهما، فالأرجاء التأخير، تقول: أرجأت الامر أرجئه إرجاء، وهم المرجئة، لأنهم قالوا بتأخير حكم الفساق في لزوم العقاب. وقيل: إنما أشاروا بتأخيره ولم يشيروا بقتله، لأنهم رأوا أن الناس يفتنون به ان قتل، وإن السحرة إذا قاومته زال ذلك الافتتان، وكان له حينئذ عذر في قتله أو حبسه بحسب ما يراه.

وقوله \* (وابعث في المداين حاشرين) \* أي ارسل حاشرين يحشرون الناس من جميع البلدان. فالحشر السوق من جهات مختلفة إلى مكان واحد،

حشره يحشره حشرا، فهو حاشر والشئ محشور، وانحشر الناس إلى مكان إذا  
اجتمعوا إليه. والسحر لطف الحيلة حتى يتوهم المموه عليه أنه حقيقة. وقوله \* (يأتوك) \*  
أي يجيئوك \* (بكل سحر) \* مبالغة فيمن يعمل بالسحر \* (عليم) \* أي عالم  
بالسحر، وفي الكلام حذف، لان تقديره إنه انفذ الحاشرين في المدائن وانهم  
حشروهم \* (فجمع السحرة) \* على ما قالوه \* (لميقات يوم معلوم) \* لوقت يوم  
بعينه اختاروه وعينوه \* (وقيل للناس هل أنتم مجتمعون لعلنا نتبع السحرة) \* ان  
غلبوا موسى، فالغلبة الاستعلاء بالقوة: غلبة يغلبه غلبة إذا قهره، وتغلب  
تغلبا وغالبه مغالبة وتغلبا تغلبا. وقد يوصف المستعلي على غيره بالحجة  
بأنه غلبه.

قوله تعالى:

\* (فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لأجرا إن كنا  
نحن الغالبين (٤١) قال نعم وإنكم إذا لمن المقربين (٤٢) قال  
لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون (٤٣) فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا  
بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون (٤٤) فألقى موسى عصاه فإذا  
هي تلقف ما يأفكون (٤٥) آيات بلا خلاف.  
قرأ حفص " تلقف " بتخفيف القاف، الباقون - بتشديد ها - إلا أن  
البري وابن فليح وقنبل شددوا التاء. قال أبو علي: من خفف القاف، فهو  
الوجه، لان من شدد ها يريد تتلقف، فادغم، وإنما أدغم، لأنه يلزمه إذا ابتداء

على هذه القراءة أن يجتلب همزة الوصل، وهمزة الوصل لا تدخل على الافعال المضارعة، كما لا تدخل على أسماء الفاعلين.

حكى الله تعالى أن السحرة لما حشروهم إلى فرعون وحضروا بين يديه قالوا له "أئن لنا لأجرا ان كنا نحن الغالبين" أي هل لنا أجر جزاء على غلبنا إياه ان غلبناه. ومن قرأ على الخبر "إن لنا" أراد انهم لتيقنهم بالاجر أخبروا بذلك. والأول أقوى لقوله "قال نعم" وذلك جواب الاستفهام. والاجر الجزاء على العمل بالخير. والجزاء على الشر يسمى عقابا، ولذلك إذا دعي لانسان قيل: أجرك الله. والمعنى أئن لنا لأجرا عند الملك؟ والغالب الذي يعلو على غيره الذي يمنع في نفسه بما يصير إليه في قبضة، فالله غالب كل شيء بمعنى أنه عال عليه لدخوله في مقدوره، لا يمكنه الخروج منه، فقال لهم فرعون في جواب ذلك: "نعم" لكم على ذلك الاجر الجزيل "وانكم" مع ما تعطون من الجزاء "إذا لمن المقربين". والمقرب المدني من مجلس الكرامة، واختصاصه بها. ثم حكى ما قال موسى للسحرة، فإنه قال لهم "ألقوا ما أنتم ملقون" وهذا بصورة الامر والمراد به التحدي، والمعنى اطرحوا ما أنتم ملاقوه "فالقوا حبالهم وعصيهم" أي طرحت السحرة ما كان معهم من السحر من الحبال والعصي التي سحروها وموهوا بأنها تسعى وتتحرك. وقيل: انهم جعلوا فيها زيقا، وطرحوها في الشمس، فلما حميت بالشمس تحرك الزيق، لأنه إذا حمي من شأنه أن يصعد فتحركت لذلك الحبال والعصي، فظن الناظرون أنها تتحرك. وقالوا حين طرحوها ما معهم "بعزة فرعون" والعزة القوة التي يمتنع بها من لحاق الضيم بعلو منزلتها، وهذا القول قسم منهم وإن كان غير مبرور "إنا لنحن الغالبون" لموسى فيما أتى به "فالقى" عند ذلك "موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون"

أي تناولت العصا ما موهوا به في أدنى مدة من الزمان، والتلقف تناول الشيء بالفم بسرعة، تقول: تلقف تلقفا والتقف التقافا واستلقف استلقافا. ومعنى (ما يَأْفُكُونَ) ما يوهمون الانقلاب زورا وبهتانا. وقيل كان عدد السحرة اثني عشر ألفا وكلهم أقر بالحق عند آية موسى. قوله تعالى:

\* (فالقي السحرة ساجدين (٤٦) قالوا آمنا برب العالمين (٤٧)

رب موسى وهارون (٤٨) قال أمنتكم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون (٤٩) لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين (٥٠) قالوا لا ضير إنا إلى ربنا منقلبون) \* (٥١) ست آيات.

قرأ أهل الكوفة إلا حفصا وروح " أأمنتكم " بهمزتين مخففتين على الاستفهام. وروى حفص وورش ورويس بهمزة واحدة على الخبر. الباكون بهمزتين الأولى مخففة والثانية ملينة. ولم يفصل أحد بين الهمزتين بألف. وقد بينا نظائره فيما تقدم في الأعراف. حكى الله تعالى أن السحرة لما بهرهم ما أظهره موسى (ع) من قلب العصا حية وتلقفها جميع ما أتعبوا نفوسهم فيه علموا أن ذلك من فعل الله، وأن أحدا من البشر لا يقدر عليه فآمنوا عند ذلك، وأذعنوا للحق وخروا ساجدين لله شكرا على ما أنعم به عليهم ووقفهم للايمان، وأنهم قالوا عند ذلك " آمنا " وصدقنا " برب العالمين " الذي خلق الخلق كلهم، الذي هو " رب موسى وهارون " وإنما

خص رب موسى وهارون بالذكر دون غيرهما، وإن كان رب كل شيء، للبيان عن المعنى الذي دعا إلى ربوبيته موسى وهارون، لأن الجهال كانوا يعتقدون ربوبية فرعون، فكان إخلاصهم على خلاف ما يقوله الأغبياء، والمعنى الذي ألقاهم ساجدين قيل فيه قولان:

أحدهما - إن الحق الذي عرفوه ألقاهم ساجدين.

الثاني - انهم ألقوا نفوسهم ساجدين لما عرفوا من صحة الدعاء إلى الدين. فقال عند ذلك فرعون مهتدا لهم " أأمنتكم له " أي صدقتم له فيما يدعو إليه منكرا عليهم " قبل أن آذن لكم " في تصديقكم. ثم قال " إنه لكبيركم " أي أستاذكم وعالمكم " الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون " فيما بعد ما فعله بكم جزاء على تصديقكم إياه، ودخلت اللام في الكلام تأكيداً، ثم فسر ذلك، فقال " لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف " يعني قطع اليد من جانب، والرجل من الجانب الآخر كقطع الرجل اليسرى واليد اليمنى " ولأصلبنكم " مع ذلك " أجمعين " على الجذوع، ولا أترك واحدا منكم، لا تناله عقوبتي، فقالوا له في الجواب عن ذلك " لا ضير " أي لا ضرر علينا بما تفعله يقال: ضره يضره ضرارا، وضاره يضير ضيرا، وضاره يضره ضورا لغة قليلة. وقوله " أنا إلى ربنا منقلبون " أي مصيرنا إلى ثواب الله لا يضرنا ما تفعله بنا. وقال الجبائي: في الآية دلالة على أن للإنسان أن يظهر الحق وإن خاف القتل. وقال الحسن: لم يصل فرعون إلى قتل أحد منهم ولا قطعه. وقال قوم: أول من قطع الأيدي والأرجل فرعون. قوله تعالى:

\* (إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا أول



المؤمنين (٥٢) وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي إنكم متبعون (٥٣)  
فأرسل فرعون في المدائن حاشرين (٥٤) إن هؤلاء لشردمة  
قليلون (٥٥) وإنهم لنا لغائظون (٥٦) وإنا لجميع حاذرون (٥٧)  
فأخرجناهم من جنات وعيون (٥٨) وكنوز ومقام كريم (٥٩)  
كذلك وأورثناها بني إسرائيل (٦٠) فأتبعوهم مشرقين\* (٦١)  
عشر آيات بلا خلاف.

قرأ أهل الكوفة وابن عامر إلا الحلواني " حاذورن " بألف، الباكون  
بغير ألف. من قرأ بالألف قال: هو مثل شرب، فهو شارب، وحذر فهو  
حاذر. وقيل: رجل حاذر فيما يستقبل، وليس حاذرا في الوقت، فإذا كان  
الحذر له لازما قيل رجل حذر مثل سؤال وسائل، وطمع وطامع، وكان يجوز  
ضم الذال لأنهم يقولون: حذر وحذر - بكسر الذال وضمها - مثل يقط ويقظ  
وفطن وفطن.

وقرأ عبد الله بن السائب " حادرون " بالذال - المهملة - بمعنى نحن أقوىاء  
غلاظ الأجسام، يقولون: رجل حادر أي سمين، وعين حدره بدره إذا كانت  
واسعة عظيمة المقلة، قال امرؤ القيس:  
وعين لها حدره بدره\* شقت مآقيهما من آخر (١)  
وقيل الفرق بين الحاذر والحذر أن الحاذر الفاعل للحذر، أن يناله مكروه والحذر.

---

(١) ديوانه ٩٩ وتفسير القرطبي ١٣ / ١٠٤

المطبوع على الحذر وقيل: " حاذرون " مؤدون في السلاح أي ذؤوا أداة من السلاح المستعدون للحروب من عدو، والحذر اجتنب الشئ خوفا منه، حذر حذرا، فهو حاذر وحذره تحذيرا، وتحذر تحذرا وحاذره محاذرة وحذارا. اخبر الله تعالى عن السحرة انهم حين آمنوا وقالوا لفرعون: لا ضرر علينا بما تفعل بنا، لأننا منقلبتنا إلى الله وثوابه، قالوا " إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا " أي ما فعلنا من السحر وغيره، لأننا كنا أول من صدق بموسى وأقر بنبوته، وبما دعا إليه من توحيد الله ونفي التشبيه عنه ممن كان يعمل بالسحر. وقيل: انهم أول من آمن عند تلك الآية. ومن قال: هم أول من آمن من قومه فقد غلط، لأن بني إسرائيل كانوا آمنوا به. ولو كسرت الهمزة من (إن) على الشرط كان جائزا. والطمع طلب النفس للخير الذي يقدر فيها أنه يكون. ومثله الامل والرجاء والخطايا جمع خطيئة، وهي الزوال عن الاستقامة المؤدية إلى الثواب.

ثم حكى تعالى انه أوحى إلى موسى، وأمره بأن يسري بعباد الله الذين آمنوا به، ويخرجوا من بلد فرعون، وهم بنوا إسرائيل المقرون بنبوته. يقال سرى وأسرى لغتان، فمن قطع الهمزة قال: هو من اسرى يسرى، ومن وصلها فمن سرى يسرى. واعلمهم أن فرعون وجنوده يتبعونهم، ويخرجون في طلبهم وتبع واتبع لغتان.

ثم حكى أيضا ان فرعون ارسل برسله في المدائن حاشرين يحشرون الناس إليه الذين هم جنوده، وقيل: انه حشر جنده من المدائن التي حوله ليقبضوا على موسى وقومه، لما ساروا بأمر الله (عز وجل) فلما حضروا عنده، قال لهم " إن هؤلاء " يعني أصحاب موسى " لشرذمة قليلون " والشرذمة العصابة

الباقية من عصب كثيرة، وشر ذمة كل شئ بقيته القليلة، ومنه قول الراجز:  
 جاء الشتاء وقميصي اخلاق \* شراذم يضحك منه التواق (١)  
 وقال عبد الله بن مسعود: الشر ذمة الذين قتلهم فرعون من بني إسرائيل  
 كانوا ستمائة ألف وسبعين ألفاً، وإنما استقلهم، لأنه كان على مقدمته سبعة  
 آلاف الف على ما قال بعض المفسرين. ثم قال "وانهم" مع قتلهم "لنا لغائظون"  
 أي يغيظوننا بمخالفتهم إيانا، ويقال: جمع قليل وقليلون، كما يقال حي  
 واحد، وواحدون.  
 ثم اخبر تعالى عن فرعون أنه قال لجنده "انا لجميع حذرون" منهم قد  
 استعدنا لقتالهم.  
 ثم اخبر تعالى عن كيفية إهلاكهم بأن قال "فأخرجناهم" يعني فرعون  
 وقومه "من جنات" وهي البساتين التي تجنحها الأشجار "وعيون" جارية فيها  
 "وكنوز" يعني أموال لهم مخبئة بعضها على بعض في مواضع غامضة من الأرض  
 ومنه كناز التمر وغيره مما يعبأ بعضه على بعض "ومقام كريم" فالمقام الموضع  
 الذي يقيمون فيه. ويجوز أن يكون مصدرا و "الكريم" هو الحقيق باعطاء  
 الخير الجزيل، لأنه أهل للكرم، وهي صفة تعظيم في المدح: كرم كرما واکرمه  
 إكراما، وتكرم تكرما. وقيل: المقام الكريم المنابر. وقيل مجالس الامراء  
 والرؤساء: التي كان يحف بها الاتباع.  
 ثم قال تعالى "كذلك" أي مثل ذلك أي كما وصفنا لك اخبارهم "وأورثناها  
 بني إسرائيل" أي نعم آل فرعون بأن أهلكنا آل فرعون وملكنا ديارهم وأملاكهم

(١) مر تخريجه في ٦ / ٣٢٨

لنبي إسرائيل. والإرث تركة الماضي ممن هلك لمن بقي. وقيل صار ذلك في أيدي بني إسرائيل في أيام داود وغيره. وقال الحسن: رجع بنو إسرائيل إلى مصر بعد اهلاك فرعون وقومه.

وقوله " فاتبعوهم مشرقين " معناه تبعوا أثرهم وقت اشراق الشمس وظهور ضوئها وصفائه. وقيل معناه مصبحين، ويقال: اتبع فلان فلانا وتبعه إذا اقتفى أثره - لغتان - .

قوله تعالى:

\* (فلما تراء الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون (٦٢)

قال كلا إن معي ربي سيهدين (٦٣) فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم (٦٤) وأزلفنا ثم الآخرين (٦٥) وأنجينا موسى ومن معه أجمعين (٦٦) ثم أغرقنا الآخرين (٦٧) إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين (٦٨) وإن ربك لهو العزيز الرحيم (٦٩) واتل عليهم نبأ إبراهيم (٧٠) إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون \* (٧١) عشر آيات بلا خلاف.

قرأ حفص " معي ربي " بفتح الياء، وكذلك في جميع القرآن. الباقيون بسكونها، فمن سكن ذهب إلى التخفيف، ومن فتح فعلى أصل الكلمة لان الاسم على حرف واحد، فقراءته - بالفتح - إن كان متصلا بكلمة على حرفين.

وكان أصحاب موسى فزعوا من فرعون أن يلحقهم وحذروا موسى، فقالوا " انا لمدركون " فقال لهم موسى (ع) - ثقة بالله - " كلا " ليس كما تقولون " ان معي ربي سيهدين " وقرأ الأعرج " لمدركون " مفتعلون، من الادراك وادغم التاء في الدال. قال الفراء: دركت دراكا وأدركت ادراكا بمعنى واحد، مثل حفرت واخفرت، بمعنى واحد.

وقرأ حمزة وحده " تراء الجمعان " بالإمالة. الباقون بالتفخيم على وزن (تراعى) لأنه تفاعل من الرؤية، وهو فعل ماضٍ موحد، وليس مثني، لأنه فعل متقدم على الاسم، ولو كان مثني لقال تراء ووقف حمزة " تراءى " بكسر الراء ممدود قليلا، لان من شرطه ترك الهمزة في الوقف، فترك الهمزة التي آخر الألف، كأنه يريد لها، فلذلك مد قليلا. ووقف الكسائي " تراءى " أي بالإمالة على وزن تراعى، وتنادى. الباقون وقفوا بألفين على الأصل. وكذلك جميع ما في القرآن مثل " أنشأناهن انشاء " (١) و \* (أنزل من السماء ماء) \* (٢) كل ذلك يقفون بالمد بألفين. وحمزة يقف على الف واحدة. وإذا كانت الهمزة للتأنيث أسقطت الهمزة في الوقف عند الجميع نحو \* (بيضاء) \* (٣)

---

(١) سورة ٥٦ الواقعة آية ٣٥

(٢) سورة ٢ البقرة آية ٢٢ وسورة ١٣ الرعد آية ١٩ وسورة ١٤ إبراهيم

آية ٣٢ وسورة ١٦ النحل آية ٦٥ وسورة ٢٠ طه آية ٥٣ وسورة ٢٢ الحج آية ٦٣

وسورة ٣٥ فاطر آية ٢٧ وسورة ٣٩ الزمر آية ٢١

(٣) سورة ٧ الأعراف آية ١٠٧ وسورة ٢٠ طه آية ٢٢ وسورة ٢٦ الشعراء

آية ٣٣ وسورة ٢٧ النمل آية ١٢ وسورة ٢٨ القصص آية ٣٢ وسورة ٣٧ الصافات آية ٤٦

و \* (انها بقرة صفراء) \* (١) و \* (الأحلاء) \* (٢) فيشم الضمة في موضع الرفع ولا يشم الفتحة في موضع النصب.

اخبر الله تعالى انه \* (لما تراء الجمعان) \* جمع فرعون وجمع موسى أي تقابلا بحيث يرى كل واحد منهما صاحبه. ويقال: تراءى نارهما أي تقابلا، وإنما جاز تشنية الجمع، لأنه يقع عليه صفة التوحيد، فتقول: هذا جمع واحد، ولا يجوز تشنية مسلمين، لأنه لا يقع عليه صفة التوحيد، لأنه على خلاف صفة التوحيد.

\* (قال أصحاب موسى انا لمدركون) \* أي لملحقون. فالادراك اللاحق، وأدركته ببصري إذا رأيته، وأدرك قتادة الحسن أي لحقه، وأدرك الزرع إذا لحق ببلوغه، وأدرك الغلام إذا بلغ، وأدركت القدر إذا نضجت، فقال لهم: موسى " كلا " ليس الامر على ذلك " إن معي ربي " بنصره إياي " سيهدين " أي سيدلني على طريق النجاة من فرعون وقومه كما وعدني، لان الأنبياء لا يخبرون بما لا دليل عليه من جهة العقل أو السمع.

وقوله " فأوحينا إليه أن اضرب بعصاك البحر " أي أمرناه بضرب البحر بعصاه، وقيل: هو بحر قلزم الذي يسلك الناس فيه من اليمن ومكة إلى مصر، وفيه حذف، لان تقديره فاضرب البحر " فانفلق " وقيل: انه صار فيه إثنا عشر طريقا لكل سبط طريق " فكان كل فرق كالطود العظيم " فالطود الجبل، قال الأسود بن يعفر النهشلي:

حلوا بأنقرة يحيس عليهم \* ماء الفرات يحى من أطواد (٣)

- 
- (١) سورة ٢ البقرة آية ٦٩  
(٢) سورة ٤٣ الزحرف آية ٦٧  
(٣) تفسير القرطبي ١٣ / ١٠٧ والطبري ١٩ / ٤٦ واللسان (نقر) وروايته نزلوا بأنقرة يسيل عليهم \* ماء الفرات يحى من أطواد

وقوله " وأزلفنا ثم الآخرين " قال ابن عباس وقتادة: معناه قربنا إلى البحر فرعون، ومنه قوله " وأزلفت الجنة للمتقين " (١) أي قربت وأدريت قال العجاج:

ناج طواه الأين مما وجفا \* طي الليالي زلفا فزلفا  
سمارة الهلال حتى احقوقفا (٢)

أي منزله يقرب من منزله، ومنه قيل ليلة المزدلفة. وقال أبو عبيدة: معنى أزلفنا جمعنا، وليلة مزدلفة ليلة جمع، والمعنى قربنا قوم فرعون إلى البحر كما يسرنا لبني إسرائيل سلوك البحر وكان ذلك سبب قربهم منهم حتى اقتحموه وقيل: معناه قربناهم إلى المنية لمجئ وقت هلاكهم قال الشاعر:  
وكل يوم مضى أو ليلة سلفت \* فيها النفوس إلى الأجل تزدلف (٣)  
وأنجينا موسى ومن معه يعني بني إسرائيل أنجيناهم جميعهم من الهلاك والغرق " ثم أغرقنا الباقين " من فرعون وأصحابه. وقال تعالى " إن في ذلك " يعني في فلق البحر فرقا، وإنجاء موسى من البحر، وإغراق قوم فرعون، لدلالة واضحة على توحيد الله وصفاته التي لا يشاركه فيها أحد.

ثم اخبر تعالى ان " أكثرهم لا يؤمنون " ولا يستدلون به بسوء اختيارهم كما يسبق في علمه. فالآخر - بفتح الخاء - الثاني من اثنين قسيم (أحد) كقولك نجا الله أحدهما، وغرق الآخر، والآخر - بكسر الخاء - هو الثاني قسيم الأول كقولك نجا الأول وهلك الآخر. وقيل: معنى " وما كان أكثرهم مؤمنين " ان الناس مع هذا البرهان الظاهر، والسلطان القاهر، بالامر المعجز

(١) سورة ٢٦ الشعراء آية ٩٠

(٢) مر تخريجه في ٦ / ٧٩

(٣) تفسير القرطبي ١٣ / ١٠٧

الذي لا يقدر عليه أحد غير الله، ما آمن أكثرهم، فلا تستنكر أيها المحق استنكار  
استيحاش من قعودهم عن الحق الذي تأتيهم به، وتدلهم عليه، فقد جروا على  
عادة اسلافهم، في انكار الحق وقبول الباطل.  
وقوله " وإن ربك لهو العزيز الرحيم " أي هو القادر الذي لا يمكن معارضته  
في أمره، وهو مع ذلك رحيم بخلقه. وفي ذلك غاية الحث على طلب الخير من  
جهة الموصوف بهما. ثم قال لنبيه صلى الله عليه وآله " واتل " يا محمد على قومك " نبأ  
إبراهيم " أي خبره، حين " قال لأبيه وقومه ما " الذي " تعبدون " من  
دون الله؟! يعني أي شيء معبودكم على وجه الانكار عليهم، لأنهم كانوا  
يعبدون الأصنام.

قوله تعالى:

\* (قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين (٧٢) قال هل يسمعونكم  
إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون (٧٣) قالوا بل وجدنا آباءنا  
كذلك يفعلون (٧٤) قال أفأرأيتم ما كنتم تعبدون (٧٥) أنتم  
وآبائكم الأقدمون (٧٦) فإنهم عدو لي إلا رب العالمين (٧٧) الذي  
خلقني فهو يهدين (٧٨) والذي هو يطعمني ويسقين (٧٩) وإذا مرضت  
فهو يشفين) \* (٨٠) تسع آيات بلا خلاف.  
حكى الله تعالى ما أجاب به قوم إبراهيم حين قال لهم إبراهيم " ما تعبدون ؟"  
فإنهم " قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين " أي مقيمين مداومين على عبادتنا



يقال: عكف عكوفاً، فهو عاكف، واعتكف اعتكافاً. قال ابن عباس: معناه فنظّل لها مصليين. وقيل: في وجه دخول الشبهة عليهم في عبادة الأصنام أشياء: أحدها - أنهم اعتقدوا أنها تقربهم إلى الله زلفى كما يتقرب بتقبيل بساط الملك إليه.

ومنها - أنهم اتخذوا هياكل النجوم ليحظوا بتوجه العبادة إلى هياكلها، كما يفعل بالهند.

ومنها - ارتباط عبادة الله بصورة يرى منها.

ومنها - أنهم توهموا خاصية في عبادة الصنم يحظى بها، كالخاصية في حجر المغناطيس.

والشبهة الكبرى العامة في ذلك تقليد الذين دخلت عليهم الشبهة، ولذلك " قالوا وجدنا آباءنا كذلك يفعلون " ولم يحتجوا بشئ سوى التقليد، الذي هو قبيح في العقول. والعبادة خضوع بالقلب في أعلى مراتب الخضوع، فلا تستحق إلا بأصول النعم وبما كان في أعلى المراتب من الانسان، فكل من عبد غير الله، فهو جاهل بموجب العبادة، كافر لنعم الله، لان من حقه إخلاص العبادة له.

فقال لهم إبراهيم (ع) " هل يسمعونكم " هذه الأصنام التي تعبدونها إذا دعوتموها! أي هل يسمعون أصواتكم، لان أجسامهم لا تسمع " أو ينفعونكم " بشئ من المنافع " أو يضررون " بشئ من المضار!. وإنما قال ذلك، لان من لا يملك النفع والضرر، لا تحسن عبادته، لأنها ضرب من الشكر، ولا يستحق الشكر إلا بالنعم، فمن لا يصح منه الانعام يقبح شكره، ومن قبح شكره قبحت عبادته. فقالوا عند ذلك " وجدنا آباءنا كذلك يفعلون " أحالوا على مجرد

التقليد. فقال لهم إبراهيم منكمرا عليهم التقليد " أفرايتم ما كنتم تعبدون " من الأصنام " أنتم " الآن " وآباؤكم الأقدمون " المتقدمون، فالأقدم الموجود قبل غيره، ومثله الأول والأسبق. والقدم وجود الشيء لا إلى أول ثم قال إبراهيم " فإنهم " عدو لي يعني الأصنام جمعها جمع العقلاء، لما وصفها بالعداوة التي تكون من العقلاء، لان الأصنام كالعدو في الصورة بعبادتها، ويجوز أن يكون، لأنه كان منهم من لا يعبد إلا الله مع عبادة الأصنام فغلب ما يعقل ولذلك استثناه، فقال " إلا رب العالمين " لأنه استثناء من جميع المعبودين، وعلى الوجه الأول يكون الاستثناء منقطعا وتكون (إلا) بمعنى لكن ثم وصف رب العالمين فقال: هو " الذي خلقتني " وأخرجني من العدم إلى الوجود " فهو يهدين " لان هداية الخلق إلى الرشاد أمر يجل، فلا يكون إلا ممن خلق الخلق كأنه قيل من يهديك؟ ومن يسد خللك بما يطعمك ويسقيك؟ ومن إذا مرضت يشفيك؟ فقال - دالا بالمعلوم على المجهول " الذي خلقتني، فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين " بمعنى أنه يرزقني ما يوصلني إلى ما فيه صلاح " وإذا مرضت فهو يشفين " بان يفعل ما يحفظ بدني ويصح جسمي ويرزقني ما يوصلني إليه. قوله تعالى

\* (والذي يمينني ثم يحيين (٨١) والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين (٨٢) رب هب لي حكما وألحقني بالصالحين (٨٣) واجعل لي لسان صدق في الآخرين (٨٤) واجعلني من ورثة جنة النعيم (٨٥) واغفر لأبي إنه كان من الضالين (٨٦) ولا تخزني

يوم يبعثون (٨٧) يوم لا ينفع مال ولا بنون (٨٨) إلا من أتى الله بقلب سليم (٨٩) تسع آيات بلا خلاف.

حكى الله تعالى عن إبراهيم (ع) أنه قال بعد قوله: إن الله الذي يشفيه إذا مرض " والذي يميّتي " بعد أن كنت حيا " ثم يحيين " أي يحييني بعد أن أكون ميتا يوم القيامة \* (والذي أطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين) \* أي يوم الجزاء وهذا انقطاع منه (ع) إلى الله دون أن يكون له خطيئة يحتاج ان تغفر له يوم القيامة، لان عندنا أن القبائح كلها لا تقع منهم (ع)، وعند المعتزلة الصغائر التي تقع منهم محبطة، فليس شئ منها بمغفور يحتاج ان يغفر لهم يوم القيامة. وقيل: إن الطمع - ههنا - بمعنى العلم دون الرجاء وكذلك في قوله \* (انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا) \* (١) كما أن الظن يكون بمعنى العلم. وقيل: ان ذلك خرج مخرج التلطف في الدعاء بذكر ما يتيقن انه كائن كما أنه إذا جاء العلم على المظاهرة في الحجاج وذكر بالظن. ثم حكى انه سأل الله تعالى فقال \* (رب هب لي حكما) \* والحكم بيان الشئ على ما تقتضيه الحكمة، فسأل ذلك إبراهيم، من حيث كان طريقا للعلم بالأمر. وقوله \* (والحقني بالصالحين) \* معناه افعّل بي من اللطف ما يؤديني إلى الصلاح. والاجتماع مع النبيين في الثواب. وفي ذلك دلالة على عظم شأن الصلاح وصلاح العبد هو الاستقامة على ما أمر الله به ودعا إليه. وقوله \* (واجعل لي لسان صدق في الآخرين) \* أي ثناء حسنا في آخر الأمم، فأجاب

---

(١) سورة ٢٦ الشعراء آية ٥٢

الله تعالى دعاءه، لان اليهود يقرون بنبوته، وكذلك النصارى، وأكثر الأمم.  
وقيل: معنى " واجعل لي لسان صدق في الآخرين " أي اجعل من ولدي من  
يقوم بالحق، ويدعو إلى الله، وهو محمد صلى الله عليه وآله ثم سأله أن يجعله " من ورثة  
جنة النعيم، بأن يفعل معه من الألطاف ما يختار عنده الطاعات، لان الجنة  
لا يثاب فيها إلا بالاستحقاق. ثم قال " ولا تخزني يوم يبعثون " أي لا تفضحني  
بذنب، ولا تعيرني يوم يحشر الخلائق. و (الخزي) الفضيحة والتعير بالذنب  
بما يردع النفس، يقال: خزي خزيا. وأخزاه الله إخزاء، وهذا موقف خزي.  
وهذا الدعاء منه (ع) انقطاع منه إلى الله تعالى، لأننا قد بينا أن القبائح لا تقع  
من الأنبياء على حال.

ثم وصف اليوم الذي يبعث فيه الخلائق بأنه " يوم لا ينفع " فيه " مال "   
فيفادي به الانسان نفسه من العقاب " ولا " ينفع " بنون " ينصرونه  
" إلا من أتى " أي وإنما ينفع من يأتي " الله بقلب سليم " أي سليم من  
الفساد والمعاصي، إنما خص القلب بالسلامة، لأنه إذا سلم القلب سلم سائر الجوارح  
من الفساد، من حيث أن الفساد بالجراحة لا يكون إلا عن قصد بالقلب الفاسد  
فان اجتمع مع ذلك جهل، فقد عدم السلامة من جهتين، وقيل: سلامة القلب  
سلامة الجوارح، لأنه يكون خاليا من الاصرار على الذنب.  
وحكى انه سأل الله تعالى أن يغفر لأبيه، وذكر انه من الضالين، قالوا:  
إنما سأل الله أن يغفر له يوم القيامة بشرط تقتضيه الحكمة. وهو أن يتوب قبل  
موته، فلما تبين انه عدو لله تبرأ منه، ووصفه بأنه ضال يدل على أنه كافر، كفر جهل  
لا كفر عناد. وقيل: انه إنما دعا لأبيه لموعدة وعده بها، لأنه كان يطمعه سرا في  
الايمان فوعده بالاستغفار، فلما تبين انه كان عن نفاق تبرأ منه. وقال الحسن: عاب الله

تعالى من فعل إبراهيم في قوله " إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك " بعد قوله " قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه " (١). وليس الامر على ما قاله. ونحن نبين الوجه في هذه الآية إذا انتهينا إليها إن شاء الله. وعند أصحابنا ان أباه الذي استغفر له، كان جده لأمه، لان آباء النبي صلى الله عليه وآله إلى آدم كلهم مؤمنون موحدون - بأدلة ليس هذا موضع ذكرها، والدلالة عليها. قوله تعالى:

\* (وأزلفت الجنة للمتقين (٩٠) وبرزت الجحيم للغاوين (٩١) وقيل لهم أينما كنتم تعبدون (٩٢) من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون (٩٣) فكذبوا فيها هم والغاون (٩٤) وجنود إبليس أجمعون (٩٥) ست آيات.

معنى " وأزلفت الجنة للمتقين " قربت لهم ليدخلوها " وبرزت الجحيم للغاوين " أي أظهرت الجحيم للعاملين بالغواية وتركهم الرشاد، يقال: برز يبرز بروزاً، وأبرزه إبرازاً، وبرزه تبريزاً، وبارزه مبارزة، وتبارزا تبارزاً. وفي رؤية الانسان آلات العذاب التي أعدت لهم عذاب عظيم، وألم جسيم للقلب فبروز الجحيم للغاوين بهذه الصفة. و (الغاوي) العامل بما يوجب الخيبة من الثواب: غوى الرجل يغوى غيا وغواية، وأغواه غيره إغواء، واستغواه استغواء واصله الخيبة قال الشاعر:

---

(١) سورة ٦٠ الممتحنة آية ٤

فمن يلق خيرا يحمد الناس أمره \* ومن يغو لا يعدم على الغي لائما (١)  
ثم اخبر أنه يقال لهم، يعني للغاوين على وجه التوبيخ لهم والتقريع " أين ما  
كنتم تعبدون من دون الله " وإنما وبخوا بلفظ الاستفهام، لأنه لا جواب لهم  
عن ذلك إلا بما فيه فضيحتهم، كقولك أينما كنت تعبد من دون الله؟! لا يخلصك  
من عقابه " هل ينصرونكم " ويدفعون عنكم العقاب في هذا اليوم " أو ينتصرون "   
لكم إذا عوقبتم!، فمن عبدها، فهو الغاوي في عبادته، لا يملك رفع الضرر عن  
نفسه، ولا عن عابده مع أنه لا حق به. ثم قال " فككبوا فيها " ومعناه كبوا  
إلا أنه ضوعف، كما قال " بريح صرصر " (٢) أي صر. وقيل: جمعوا بطرح بعضهم  
على بعض - عن ابن عباس - وقال مجاهد: هووا " هم والغاون " أي وكب  
الغاون معهم، وكب معهم " جنود إبليس " أي من اتبعه من ولده، وولد آدم.  
وقال أبو عبيدة (ككبوا) معناه طرحوا فيها بعضهم على بعض جماعة جماعة.  
وقال المبرد: نكسوا فيها من قولهم: كبه الله لوجهه.  
قوله تعالى:

\* (قالوا وهم فيها يختصمون (٩٦) تالله إن كنا لفي ضلال  
مبين (٩٧) إذ نسويكم برب العالمين (٩٨) وما أضلنا إلا  
المجرمون (٩٩) فما لنا من شافعين (١٠٠) ولا صديق حميم (١٠١)  
فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين (١٠٢) إن في ذلك لآية وما

---

(١) مر تخريجه في ٢ / ٣١٢ و ٤ / ٣٩١ و ٥ / ٥٤٨ و ٦ / ٣٦٦

(٢) سورة ٦٩ الحاقة آية ٦

كان أكثرهم مؤمنين (١٠٣) وإن ربك لهو العزيز الرحيم) \* (١٠٤) تسع آيات بلا خلاف.

يقول الله تعالى مخبرا عن هؤلاء الكفار أنهم إذا حصلوا في الجحيم " يختصمون " والاختصام منازعة كل واحد منهم صاحبه بما فيه إنكار عليه واغلاظ له: يقال: اختصما في الامر اختصاما. وتخاصما تخاصما، وخاصمه مخاصمة. ويقول بعضهم لبعض " تالله إن كنا لفي ضلال مبين " قال الزجاج: معناه ما كنا الا في ضلال مبين. وقال غيره: اللام لام الابتداء التي تدخل في خبر (ان) و (ان) هذه في الخفيفة من الثقيلة، ويلزمها اللام في خبرها، فرقا بينها، وبين (ان) التي للجحد، وتقديره تالله ان كنا لفي ضلال مبين في الحال التي سويناكم - يخاطبون كل معبود من دون الله - " برب العالمين " الذي خلق الخلق، في توجيه العبادة إليكم. والتسوية اعطاء أحد الشيئين مثل ما يعطى الآخر، ومثله المعادلة والموازنة. والمراد - ههنا - الشركة في العبادة.

ثم قال \* (وما أضلنا الا المجرمون) \* بأن دعونا إلى الضلال فتبعناهم، وقبلنا منهم. ثم يقولون \* (فما لنا من شافعين ولا صديق حميم) \* أي لو كان لنا شفيع لسأل في أمرنا أو صديق لدفع عنا، فقد آيس الكفار من شافع، وإنما يقولون ذلك إذا رأوا جماعة من فساق أهل الملة يشفع فيهم، ويسقط عنهم العقاب ويخرجون من النار، يتلهفون على مثل ذلك، ويتحسرون عليه. والصديق هو الصاحب الذي يصدق المودة وصدق المودة اخلاصها من شائب الفساد. و (الحميم) القريب الذي يحمي بغضب صاحبه، والحميم هو الحامي، ومنه الحمى. وأحم الله ذلك من لقائه: أي أدناه، بمعنى جعله كالذي بلغ بنصحه إياه، وحم

كذا أي قدر.

ثم اخبر تعالى أنهم يتمنون فيقولون " فلو أن لنا كرة " أي رجعة إلى دار التكليف " فنكون من المؤمنين " وإنما جاز التمني ب (لو)، لأنه التقدير، كما أن التمني ب (ليت) مثل ذلك لتقدير المعنى، إلا أن التقدير ب (لو) لموجب غيره والتقدير ب (ليت) للامتناع بالمقدر، وإنما جاز جواب التمني، لأن المعنى متصور بالتمني غير أنه إذا كان بالفاء، فهو نصب، فلذلك نصب (فنكون) لأن الفاء إذا صرفت عن العطف أضمر معها (ان) للاشعار بالصرف.

ثم قال تعالى " ان في ذلك لآية " أي ان فيما قصصناه، وذكرناه لدلالة لمن نظر فيها واعتبر بها، لكن أكثرهم لا يعتبرون بها، ولا يؤمنون بها، وأخبر " إن ربك " يا محمد " لهو العزيز الرحيم " وإنما جمع بين الصفتين: العزيز والرحيم، ليرغب في طلب ما عند الله أتم الترغيب من حيث هو عظيم الرحمة واسع المقدور، منيع من معاجزة غيره. وقيل في وجه اخبارهم بأنهم يكونون مؤمنين لو ردوا إلى دار التكليف قولان:

أحدهما - أنهم يخبرون عن عزمهم، لأن الله تعالى قد أخبر عنهم أنهم " لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه " (١) ولا يجوز - ان يكونوا مع رفع التكليف وكمال عقولهم وحصول المعارف الضرورية - ان يكذبوا، لأنهم ملجؤون إلى ترك القبيح بأن يخلق الله فيهم العلم الضروري، أنهم لو راموا القبيح لمنعوا من ذلك، ولولا ذلك لكانوا مغزين بالقبيح وذلك لا يجوز.

والثاني - أن يكون ذلك القول منهم قبل دخولهم النار، وقبل ان يصيروا ملجئين. والأول أقوى.

---

(١) سورة ٦ الانعام آية ٢٨



قوله تعالى:

\* (كذبت قوم نوح المرسلين (١٠٥) إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون (١٠٦) إني لكم رسول أمين (١٠٧) فاتقوا الله وأطيعون (١٠٨) وما أسئلكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين (١٠٩) فاتقوا الله وأطيعون) \* (١١٠) ست آيات بلا خلاف. يقول الله تعالى مخبرا عن قوم نوح أنهم كذبوا الذين أرسلهم الله بالنبوة. وإنما كذبوهم جميعهم، لأنهم كذبوا كل من دعا إلى توحيد الله، وخلع عبادة الأصنام ممن مضى من الرسل، وغيرهم ممن يأتي. وقال الحسن: لأنهم بتكذيبهم نوحا مكذبون من جاء بعده من المرسلين. ولو لم يكن قبله نبي مرسل. وقال الجبائي: كذبوا من أرسل قبله. وإنما قال " كذبت " بالتأنيث، والقوم مذكر لأنه بمعنى جماعة قوم نوح. ثم بين أنهم إنما كذبوه حين " قال لهم اني رسول " من قبل الله تعالى " أمين " على رسالته، والأمين الذي يؤدي الأمانة وضده الخائن، وقد أدى نوح الأمانة في أداء الرسالة، والنصيحة لهم، فلذلك وصفه الله بأنه (أمين). وإنما سماه بأنه (أخوهم) لأنه كان منهم في النسب، وذكر ذلك، لأنهم به آنس وإلى إجابته أقرب فيما ينبغي أن يكونوا عليه، وهم قد صدفوا عنه " ألا تتقون " الله باجتناّب معاصيه منكرًا بهذا القول عليهم، وإنما جاء الإنكار بحرف الاستفهام لأنهم لا جواب لهم عن ذلك إلا بما فيه فضيحتهم، لأنهم: ان قالوا لا نتقي ما يؤدينا إلى الهلاك هتكوا نفوسهم وخرجوا عن عداد العقلاء. وان قالوا: بل نتقيه

لزمهم ترك عبادة الأصنام.  
ثم قال لهم " فاتقوا الله " واجتنبوا معاصيه وافعلوا طاعاته " وأطيعون "   
فيما أمركم به، وأدعوكم إليه. ثم قال لهم \* (وما أسألكم عليه) \* على ما أدعوكم   
إليه. \* (من أجر) \* فيصرفكم ذلك عن الايمان، لأنه ليس أجري، وثوابي   
\* (الا على رب العالمين) \* الذي خلق جميع الخلائق، ثم كرر عليهم قوله \* (فاتقوا   
الله وأطيعون) \* لاختلاف المعنى فيه، لان التقدير، فاتقوا الله وأطيعوني لأنني   
رسول أمين، واتقوا الله وأطيعوني لأنني لا أسألكم أجرا عليه فتخافون ثلم أموالكم.   
والطاعة إجابة الداعي بموافقة ارادته مع كون الداعي فوقه، فالرتبة معتبرة.   
قوله تعالى:

\* (قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون (١١١) قال وما علمي   
بما كانوا يعملون (١١٢) إن حسابهم إلا على ربي لو تشعرون (١١٣)   
وما أنا بطارد المؤمنين (١١٤) إن أنا إلا نذير مبين (١١٥) قالوا   
لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين (١١٦) قال رب إن   
قومي كذبون (١١٧) فافتح بيني وبينهم فتحا ونجني ومن معي من   
المؤمنين (١١٨) فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون (١١٩) ثم   
أغرقنا بعد الباقيين (١٢٠) إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم   
مؤمنين (١٢١) وإن ربك لهو العزيز الرحيم) \* (١٢٢) اثنتا عشرة   
آية بلا خلاف.

قرأ يعقوب \* (واتباعك) \* على الجمع. الباقون \* (واتبعك) \* على الفعل الماضي  
قال الزجاج: من قرأ على الجمع فقراءته جيدة، لان الواو (واو) الحال، وأكثر  
ما يدخل على الأسماء. تقول جئتكَ وأصحابك بنو فلان، وقد يقولون:  
وصحبك بنو فلان، وأكثر ما يستعملونه مع (قد) في الفعل،  
حكى الله تعالى عن قوم نوح أنهم قالوا لنوح حين دعاهم إلى الله وخوفهم  
من معصيته: أنصدقك فيما تدعونا إليه وقد اتبعك الأرذلون؟! يعني السفلة  
وأوضاع الناس. والرذل الوضع، ونقيض الرذيلة الفضيلة وجمعه الرذائل.  
وقيل: أنهم نسبوهم إلى صناعات دنيئة، كالحياكة والحجامة. وانهم مع ذلك  
أهل نفاق ورذالة، فأنفوا من اتباعه لما اتبعوه هؤلاء، ولم يجز من نوح أن يقبل  
قول هؤلاء فيهم، لأنهم كفار يعادونهم، فلا تقبل شهادتهم. ويجوز أيضا ان  
يكونوا لما آمنوا تابوا من قبيح ما عملوا، لان الايمان يجب الخطايا، ويوجب  
الاقلاع عنها. ولم يجز استصلاح هؤلاء باقصاء من آمن، كما لا يجوز استصلاحهم  
بفعل الظلم، لان في ذلك اذلالا للمؤمنين، وذلك ظلم لهم، لا يجوز أن يفعل  
بأهل الايمان، لأنه قبيح.  
ومن قرأ - على الجمع - أراد ان الذين اتبعوك هم الأرذلون.  
ومن قرأ على الفعل أراد: تبعك من هذه صفته.  
فقال لهم نوح (ع): لم أطردهم " وما علمي بما كانوا يعملون " فيما مضى، لأنني  
ما كلفت ذلك، وإنما أمرت بأن ادعوهم إلى الله، وقد أجابوني إليه، وليس  
حسابهم الا على ربي الذي خلقتهم لو علمتم ذلك وشعرتموه، وليس أنا  
بطارد المؤمنين، لأنني لست الا نذيرا مخوفا من معصية الله مبين لطاعته،

داع إليه.

و (الطرد) ابعاد الشيء على وجه التنفير، طرده يطرده، واطرده جعله طريداً، واطرد في الباب استمر في الذهاب كالطريد، وطارده مطاردة وطرادا. فقال له قومه عند ذلك \* (لئن لم تنته) \* وترجع عما تقوله، وتدعو إليه \* (يا نوح لتكونن من المرجومين) \* بالحجارة، وقيل: من المرجومين بالشتم، فالرجم الرمي بالحجارة، ولا يقال للرمي بالقوس رجم، ويسمى الشتم مرجوماً لأنه يرمى بما يذم به. والانتهاه بلوغ الحد من غير مجاوزة إلى ما وقع عنه النهي. وأصل النهاية بلوغ الحد، والنهي الغدير، لانتهاه الماء إليه. فقال نوح عند ذلك يا رب \* (إن قومي كذبون) \* وإنما قال ذلك مع أن الله تعالى عالم بأنهم كذبوهم، لأنه كالعلة فيما جاء بعده، فكأنه قال \* (افتح بيني وبينهم فتحة) \* لأنهم كذبوني، إلا أنه جاء بصيغة الخبر دون صيغة العلة. وإذا كان على معنى العلة حسن أن يأتي بما يعلمه المتكلم والمخاطب. ومعنى \* (افتح بيني وبينهم فتحة) \* احكم بيننا بالفعل الذي فيه نجاتنا، وهلاك عدونا وعامل كل واحد منا بما يستحقه، يقال للحاكم: الفتح، لأنه يفتح وجه الأمر بالحكم الفصل، ويتقرر به الأمر على أداء الحق، فقال الله تعالى له مجيباً لدعائه "فأنجيناه ومن معه" من المؤمنين \* (في الفلك) \* يعني السفن، يقال شحنه يشحنه شحنا فهو شاحن إذا ملأه بما يسد خلأه، وشحن الثغر بالرجال. ومنه الشحنة، قال الشاعر، في الفتح بمعنى احكم: ألا أبلغ بني عصم رسولا \* فاني عن فتاحتكم غني (١) والفلك السفن يقع على الواحد والجمع. ثم اخبر تعالى انه لما أنجى نوحا

(١) مر تخريجه في ١ / ٣١٥، ٣٤٥ و ٤ / ٥٠٠

وأصحابه أغرق الباقين من الكفار بعد ذلك، وأهلكهم.  
ثم قال تعالى: إن فيما أخبرنا به من قصة نوح وإهلاك قومه لآية واضحة  
على توحيد الله، وإن كان أكثرهم لا يؤمنون، ولا يعتبرون به. وقيل: إن  
قوله \* (ان في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين) \* في عدة مواضع ليس بتكرير  
وإنما هو ذكر آية في قصة نوح، وما كان من شأنه مع قومه بعد ذكر آية فيما كان  
من قصة إبراهيم وقومه، وذكر قصة موسى وفرعون فيما مضى، فبين أنه إنما  
ذكر ذلك لما فيه من الآية الباهرة، وكرر \* (وإن ربك لهو العزيز الرحيم) \*  
لان المعنى انه \* (العزيز) \* في الانتقام من فرعون وقومه \* (الرحيم) \* في نجاة  
موسى ومن معه من بني إسرائيل، وذكر - ههنا - \* (العزيز) \* في إهلاك قوم  
نوح بالغرق الذي طبق الأرض \* (الرحيم) \* في إنجائه نوحا ومن معه في الفلك.  
والعزيز القادر الذي تتعذر مما نعتة لعظم مقدراته، فصفة (عزيز) وإن  
رجعت إلى معنى قادر، فمن هذا الوجه ترجع، ولا يوصف بالعزيز مطلقا إلا  
الله، لأنها تفيد معنى قادر، ولا يقدر أحد على ممانعته. والله تعالى قادر أن  
يمنع كل قادر سواه. ومعنى وصفه بأنه عزيز مبالغة من ثلاثة أوجه: أحدها -  
لأنه بزنة (فعيل). والثاني - انه لا يوصف به مطلقا سواه. والثالث - لما فيه  
من التعريف بالألف واللام.

قوله تعالى:

\* (كذبت عاد المرسلين (١٢٣) إذ قال لهم أخوهم هود  
ألا تتقون (١٢٤) إني لكم رسول أمين (١٢٥) فاتقوا الله

وأطيعون (١٢٦) وما أسئلكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين (١٢٧) أتبنون بكل ريع آية تعبثون (١٢٨) وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون (١٢٩) وإذا بطشتم بطشتم جبارين (١٣٠) فاتقوا الله وأطيعون (١٣١) \* تسع آيات بلا خلاف اخبر الله تعالى عن عاد - وقيل: هم قبيلة - انهم كذبوا من أرسلهم الله حين قال لهم أخوهم هود. قال الحسن: كان أخاهم من النسب دون الدين \* (ألا تتقون) \* الله باجتناوب معاصيه إلى قوله \* (رب العالمين) \* وقد فسرنا نظائره. وقوله " تبنون بكل ريع آية " فالبناء وضع ساف على ساف إلى حيث ينتهي. والريع الارتفاع من الأرض، وجمعه أرياع وريعة قال ذو الرمة: طراق الخوافي مشرق فوق ربيعة \* ندى ليلة في ريشه يترقوق (٢) ومنه الريع في الطعام، وهي الزيادة والنماء قال الأعشى: وبهما قفر تجاوزتها \* إذا خب في ريعها أألها وفيه لغتان - فتح الراء، وكسرهما - بمعنى المكان المرتفع، قال الفراء فيه لغتان \* (ريع، وراع) \* مثل زير، وزار قال أبو عبيدة هو الطريق بين الجبلين في ارتفاع. وقيل: هو الفج الواسع، وقال قتادة: معناه بكل آية طريق أي علامة " تعبثون " تلعبون، في قول ابن عباس. وقوله " وتتخذون " مصانع لعلكم تخلدون " قال المؤرج: لعلكم تخلدون: كأنكم تخلدون - بلغة قريش - وقال

---

(١) تفسير القرطبي ١٣ / ١٢٣ والطبري ١٩ / ٥٣

الفراء: معناه كيما تخلصون. قال مجاهد: المصانع أراد بها حصونا مشيدة. وقال قتادة: مآخذ للماء، وهو جمع مصنع، ويقال مصنعة لكل بناء. وقيل: إنهم كانوا يبنون بالمكان المرتفع البناء العالي، ليدلوا بذلك على أنفسهم، وزيادة قوتهم وليفاخروا بذلك غيرهم من الناس، وكانوا جاوزوا في إيجاد المصانع إلى الأسواق فنهوا عن ذلك، وقال الزجاج: المصانع المباني " لعلكم تخلصون " معناه تفعلون ذلك لكي تبقوا فيها مؤبدين " وإذا بطشتم بطشتم جبارين " فالبطش العسف قتلا بالسيف وضربا بالسوط - في قول ابن عباس - والجبار العالي على غيره بعظم سلطانه، وهو في صفة الله تعالى مدح، وفي صفة غيره ذم، فإذا قيل للعبد جبار فمعناه انه يتكلف الجبرية. والجبار في النحل ما فات اليد، وقال الحسن: بطش الجبرية هو المبارزة من غير ثبوت ولا توقف، فذمهم الله بذلك، ونهاهم هود فقال " اتقوا الله " باجتنب معاصيه و " أطيعوني " فيما أدعوكم إليه، ولم يكن هذا القول تكرارا من هود لأنه متعلق بغير ما تعلق به الأول، لان الأول معناه، فاتقوا الله في تكذيب الرسل، وأطيعوني فيما أدعوكم إليه من اخلاص عبادته، والثاني فاتقوا الله في ترك معاصيه في بطش الجبارين وعمل اللاهين وأطيعوني في ذلك الامر الذي دعوتكم إليه.

قوله تعالى:

\* (واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون (١٣٢) أمدكم بأنعام وبنين (١٣٣) وجنات وعيون (١٣٤) إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم (١٣٥) قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من

الواعظين (١٣٦) إن هذا إلا خلق الأولين (١٣٧) وما نحن  
بمعذبين (١٣٨) فكذبوه فأهلكناهم إن في ذلك لآية وما كان  
أكثرهم مؤمنين (١٣٩) وإن ربك لهو العزيز الرحيم \* (١٤٠)  
تسع آيات بلا خلاف.

قرأ " خلق الأولين " - بفتح الخاء - ابن كثير وأبو عمرو والكسائي وأبو  
جعفر. الباقون - بضم الخاء واللام - فمن قرأ - بفتح الخاء - أراد: ليس هذا إلا  
اختلاق الأولين - في قول ابن مسعود - ومن ضم الخاء واللام: أراد ليس  
هذا الإعادة الأولين، في أنهم كانوا يحيون ويموتون. وقال بعضهم: المعني في  
" خلق الأولين " خلق أجسامهم، وأنكروا أن يكون المعنى إلا كذب الأولين  
لأنهم يقولون " ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين " (١). وليس الأمر على ما ظنه  
لأنهم قد سمعوا بالدعاء إلى الدين، وكانوا عندهم كذا بين، فلذلك قال " كذبت  
عاد المرسلين " (٢) وقال " إن هذا إلا أساطير الأولين " (٣) وإنما قالوا  
" ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين " أي ما سمعنا أنهم صدقوا بشئ منه، أو  
ذكروا آية حق وصواب، بل قالوا باطل، وخطأ.  
حكى الله تعالى عن هود أنه قال لقومه واتقوا معاصي الله الذي أمدكم بالذي

---

(١) سورة ٢٣ المؤمنون آية ٢٤ وسورة ٢٨ القصص آية ٣٦

(٢) آية ١٢٣ من هذه السورة

(٣) سورة ٦ الانعام آية ٢٥ وسورة ٨ الأنفال آية ٣١ وسورة ٢٣

المؤمنون آية ٨٤ وسورة ٢٧ النمل آية ٦٨



تعلمون من أنواع نعمه، فالامداد اتباع الثاني ما قبله شيئاً بعد شيء، على انتظام  
فهؤلاء أمدّهم الله بالمال والبنين، يعني الذكور من الأولاد، وبالأنعام من الإبل  
والبقر والغنم والبساتين التي فيها شجر تحتها عيون جارية فيها، فأتاهم رزقهم  
على إدرار. فالعيون ينابيع ماء تخرج من باطن الأرض، ثم تجري على ظاهرها  
وعين الماء مشبه بعين الحيوان في استدارته وتردد الماء إلا أنه جامد في عيون  
الحيوان يتردد بالشعاع.

ثم قال لهم " اني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم " يعني يوم القيامة، والعظيم  
هو الموصوف بالعظم، وفيه مبالغة مثل ما أعظمه لعظم ما فيه من الأهوال.  
ثم حكى ما أجابه به قومه، فإنهم قالوا له " سواء علينا أوعظت أم لم  
تكن من الواعظين " وإنما لم يقل سواء علينا أوعظت أم لم تعظ، ليتشاكل  
رؤس الآي، ومعناه إنا لسنا نقبل منك ما تقوله: سواء علينا وعظك وارتفاعه  
والوعظ حث بما فيه تليين القلب، للانقياد إلى الحق، والوعظ زجر عما لا يجوز  
فعله. ومعنى " سواء " أي كل واحد من الامرين مثل الآخر، حصول  
الوعظ وارتفاعه.

ثم قالوا: ليس هذا الذي تدعوه " إلا خلق الأولين " أي كذبهم،  
فيمن فتح الخاء. والإعادة الأولين وخلقهم. والخلق المصدر من قولك: خلق  
الله العباد خلقاً. والخلق المخلوق من قولهم: يعلم هذا من خلق الناس. قال  
الفراء: يقولون هذه الأحاديث: خلق يعنون المختلفة. قال والقراءة بضم الخاء  
أحب إلي، لأنها تتضمن المعنيين. والخلق الاختلاق، وهو افتعال الكذب  
على التقدير الذي يوهم الحق.  
ثم أخبروا: إنا لسنا بمعذبين على خلاف ما تدعونا إليه، على ما تدعيه

" فكذبوه " يعني هودا " فأهلكناهم إن في ذلك لآية " إلى آخر القصة.  
وقد فسرناه.

قوله تعالى:

\* (كذبت ثمود المرسلين (١٤١) إذ قال لهم أخوهم صالح  
ألا تتقون (١٤٢) إني لكم رسول أمين (١٤٣) فاتقوا الله  
وأطيعون (١٤٤) وما أسئلكم عليه من أجر إن أجري إلا على  
رب العالمين (١٤٥) أتتركون في ما ههنا آمنين (١٤٦) في  
جنات وعيون (١٤٧) وزروع ونخل طلعها هضيم (١٤٨) وتنحتون  
من الجبال بيوتا فارهين (١٤٩) فاتقوا الله وأطيعون) \* (١٥٠)  
عشر آيات بلا خلاف.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو " فرهين " بغير الف. الباقون " فارهين " بألف.  
حكى الله تعالى عن قوم صالح، وهم (ثمود) أنهم كذبوا المرسلين، ولم  
يصدقوهم فيما دعوهم إليه من توحيد الله وخلع الأنداد وترك عبادة الأصنام، حتى قال  
لهم أخوهم في النسب صالح، وهو النبي المبعوث إليهم " ألا تتقون " الله باجتنب  
معصيته وترك عبادة من سواه " اني لكم رسول أمين " فالأمين هو الذي  
استودع الشيء على من أمن منه الخيانة، فالرسول بهذه الصفة، لأنه يؤدي  
الرسالة، كما حملها من غير تغيير لها، ولا زيادة، ولا نقصان.

ثم أمرهم فقال " فاتقوا " عقاب " الله " باجتنباب معاصيه " وأطيعون " فيما أدعوكم إليه، ولست أسألكم على ما أدعوكم إليه اجرا فيصرفكم عن القبول لأنه ليس أجري وثوابي في ذلك إلا على رب العالمين الذي خلق الخلق. ثم قال لهم يا قوم " أتركون فيما ههنا آمنين " منكرا عليهم، فان ما هم فيه من النعم لا تبقى عليهم، وانها تزول عنهم وأن أمنهم سيئول إلى الخوف. والامن سكون النفس إلى السلامة، وهو نفيض الخوف. وقد يكون أمانا مع العلم بالسلامة. ومع الظن القوي.

ثم عدد نعمهم التي كانوا فيها، فقال أنتم " في جنات " وهي البساتين التي يسترها الشجر " وعيون " جارية " وزروع " وهو جمع زرع وهو نبات من الحب الذي يبذر في الأرض: زرعه أي بذره في الأرض كما يزرع البذر فالبذر المبدد في الأرض على وجه مخصوص يسمى زرعاً " ونخل طلعتها هيضم " فالهضم اللطيف في جسمه، ومنه هضم الحشا أي لطيف الحشا، ومنه هضمه حقه: إذا ما نقصه، لأنه لطف جسمه ينقصه، ومنه هضم الطعام إذا لطف واستحال إلى مشاكلة البدن. وقال ابن عباس: معنى " هضم " أي قد بلغ وأينع. وقال الضحاك: ضمير يكون بعضه بعضا. وقال عكرمة: هو الرطب اللين، وقال مجاهد: هو الذي إذا مس تفتت. وقال أبو عبيدة والزجاج، والفراء: هو المتداخل بعضه في بعض.

وقوله " وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين " قال ابن عباس: معناه حاذقين وقال ابن عباس أيضا (فرهين) أشرين بطرين. وقال الضحاك: معناه عليين. وقال ابن زيد: الفره القوي. وقيل: هو الفرح المرح، كما قال الشاعر:

لا أستكين إذا ما أزمة أزمّت \* ولن تراني بخير فاره اللب (١)  
أي مرح اللب. وقيل: فاره وفره مثل حاذق وحذق. والفاره النافذ  
في الصنعة بين الفراهة كحاذق بين الحذق، وعبد فاره نافذ في الأمور.  
ثم قال لهم " اتقوا الله " في ترك عبادته والاشراك به واجتنبوا معاصيه  
" وأطيعون " فيما أدعوكم إليه.  
قوله تعالى:

\* (ولا تطيعوا أمر المسرفين (١٥١) الذين يفسدون في  
الأرض ولا يصلحون (١٥٢) قالوا إنما أنت من المسحرين (١٥٣)  
ما أنت إلا بشر مثلنا فأت بآية إن كنت من الصادقين (١٥٤) قال  
هذه ناقة لما شرب ولكم شرب يوم معلوم (١٥٥) ولا تمسوها بسوء  
فيأخذكم عذاب يوم عظم (١٥٦) فعقروها فأصبحوا  
نادمين (١٥٧) فأخذهم العذاب إن في ذلك لآية وما كان  
أكثرهم مؤمنين (١٥٨) وإن ربك لهو العزيز الرحيم) \* (١٥٩)  
تسع آيات بلا خلاف.  
حكى الله تعالى أن صالحا قال لقومه " لا تطيعوا أمر المسرفين " وهم الذين  
تجاوزوا الحد بالبعد من الحق. وقيل عنى بالمسرفين: تسعة رهط من ثمود، كانوا

---

(١) اللسان (فره) وروايته (الطلب) بدل (اللب)

يفسدون في الأرض ولا يصلحون، فنهاهم الله على لسان صالح عن اتباعهم. وقال "الذين يفسدون في الأرض" بأن يفعلوا فيها المعاصي، ويرتكبوا القبائح "ولا يصلحون" أي لا يفعلون شيئاً من الأفعال الحسنة.

فقالوا له في الجواب عن ذلك "إنما أنت من المسحurin" والمسحر: هو الذي قد سحر مرة بعد مرة، حتى يختل عقله ويضطرب رأيه. والسحر حيلة توهم قلب الحقيقة، وقال مجاهد: معناه من المسحورين. وقال ابن عباس: من المخلوقين، لأنه يذهب إلى أنه يخترع على أمر يخفى كخفاء السحر. وقيل: معناه أنك ممن له سحر أي رئة، ومنه قولهم أنتفخ سحره قال لبيد:

فان تسلينا فيم نحن فإننا \* عصافير من هذا الأنام المسحر (١)

أي المعلل بالطعام وبالشراب، على أمر يخفى كخفاء السحر.

ثم قالوا له "ما أنت إلا بشر مثلنا" أي ليس أنت إلا مخلوقاً مثلنا،

فلن نتبعك ونقبل منك، وقالوا له "فأت بآية" أي معجزة تدل على صدقك

"إن كنت من" جملة "الصادقين" في دعواك، فقال لهم "هذه ناقة" وهي

التي أخرجها الله من الصخرة عشراء ترعو على ما اقترحوا "لها شرب" أي

حظ من الماء، قال الشاعر:

لم يمنع الشرب منها غير أن نطقت \* حمامة في غصون ذات أو قال (٢)

أي لم يمنع حظها من الماء و (الشرب) - بفتح الشين وضمها وكسرهما -

تكون مصادراً، على ما قاله الفراء والزجاج، وكانوا سألوا أن يخرج لهم من

---

(١) مر تخريجه في ١ / ٣٧٢ و ٦ / ٤٨٥

(٢) اللسان (وقل) وروايته:

لم يمنع الشرب منها غير أن هتفت \* حمامة في سحوق ذات أو قال

الجبل ناقة عشراء فاخرجها الله حاملا كما سألوا، ووضعت بعد فصيلا، وكانت عظيمة الخلق جدا. ثم قال لهم صالح " ولا تمسوها " يعني الناقة " بسوء " أي بضر تشعر به، فالسوء هو الضرر الذي يشعر به صاحبه، لأنه يسوء وقوعه، فإذا ضربه من حيث لا يشعر به لم يكن قد ساءه، لكنه عرضه لما يسوؤه. وقوله " فيأخذكم عذاب يوم عظيم " معناه إنكم إن مسستم هذه بسوء أخذكم عذاب يوم عظيم، أي الصيحة التي أخذتهم. ثم اخبر فقال " فعقروها " أي انهم خالفوه وعقروا الناقة. فالعقر قطع الشئ من بدن الحي، فإذا كثر انتفت معه الحياة، وإن قل لم تنتف. والمراد - ههنا - انهم نحروها. وقيل: انهم عقروها، لأنها كانت تضيق المرعى على مواشيهم. وقيل: كانت تضيق الماء عليهم، ولما عقروها رأوا آثار العذاب فيه جدا، ولم يتوبوا من كفرهم، وطلبوا صالحا ليقتلوه، فنجاه الله ومن معه من المؤمنين. ثم جاءتهم الصيحة بالعذاب، فوقع لجميعهم الالهلاك، ولو كانوا ندموا على الحقيقة، واقلعوا عن الكفر، لما أهلكهم الله. ثم قال تعالى إن فيما أخبرنا به وفعلناه بقوم صالح من إهلاكهم، لدلالة واضحة لمن اعتبر بها، لكن أكثرهم لا يؤمنون " وإن ربك " يا محمد " لهو العزيز " أي العزيز في انتقامه " الرحيم " بمن آمن من خلقه به. قوله تعالى:

\* (كذبت قوم لوط المرسلين (١٦٠) إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون (١٦١) إني لكم رسول أمين (١٦٢) فاتقوا الله

وأطيعون (١٦٣) وما أسئلكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين (١٦٤) أتأتون الذكران من العالمين (١٦٥) وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون (١٦٦) قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين (١٦٧) قال إني لعملكم من القالين (١٦٨) رب نجني وأهلي مما يعملون (١٦٩) فنجيناه وأهله أجمعين (١٧٠) إلا عجوزا في الغابرين (١٧١) ثم دمرنا الآخرين (١٧٢) وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين (١٧٣) إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين (١٧٤) وإن ربك لهو العزيز الرحيم \* (١٧٥) ست عشرة آية بلا خلاف.

حكى الله تعالى عن قوم لوط أنهم كذبوا الرسل الذين بعثهم الله، بترك الاشراك به وإخلاص العبادة له، حين " قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون " الله فتجنبوا معاصيه والاشراك به، وانه قال لهم " اني لكم رسول أمين " وقد فسرناه. واخبره عن نفسه بأنه رسول أمين مدح له، وذلك جائز في الرسول كما يجوز أن يخبر عن نفسه بأنه رسول الله، وإنما جاز أن يخبر بذلك لقيام الدلالة على عصمته من القبائح. وغيره لا يجوز أن يخبر بذلك عن نفسه لجواز

الخطأ عليه.

واخبر أيضا أنه قال لهم " فاتقوا الله " واجتنبوا معاصيه " وأطيعون " فيما أمركم به وأدعوكم إليه ولست أسألكم على ما أؤديه إليكم وأدعوكم إليه، أجراء، ولا ثوابا، لأنه ليس أجري إلا على الله الذي خلق العالمين، وإنما حكى الله تعالى دعوة الأنبياء بصيغة واحدة، ولفظ واحد إشعارا بأن الحق الذي يأتي به الرسل، ويدعون إليه واحد من اتقاء الله تعالى واجتناب معاصيه واخلاص عبادته، وطاعة رسله، وأن أنبياء الله لا يكونون إلا أمناء لله، وأنه لا يجوز على واحد منهم أن يأخذ الاجر على رسالته، لما في ذلك من التنفير عن قبول قولهم، والمصير إليه إلى تصديقهم. ثم قال لهم منكرًا عليهم " أتأتون الذكران من العالمين "؟! يعني من جملة الخلائق " وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم " أي وتتركون ما خلقه لكم من الأزواج والنساء، وتذرون استغني في ماضيه ب (ترك) ولا يستعمل إلا في ضرورة الشعر. والزوجة المرأة التي وقع عليها العقد بالنكاح الصحيح، يقال: زوجة وزوج، قال الله تعالى " أسكن أنت وزوجك الجنة " (١).

ثم قال لهم منكرًا عليهم " بل أنتم قوم عادون " أي خارجون عن الحق بعيدون عنه. والعادي والظالم والجائر نظائر، والعادي من العدوان. وقد يكون من العدو، وهو الاسراع في السعي، فقال له قومه في جوابه " لئن لم تنته " وترجع عما تقوله " يا لوط " وتدعونا إليه وتنهاننا عنه " لتكونن من المخرجين " أي نخرجك من بيننا وعن بلدنا. فقال لهم لوط عند ذلك " إني لعملكم من القالين " يعني من المبغضين: قلاه يقلبه إذا أبغضه.

---

(١) سورة ٢ البقرة آية ٣٥



ثم دعا لوط ربه فقال " رب نجني وأهلي مما يعملون " أي من عاقبة ما يعملونه، وهو العذاب النازل لهم فأجاب الله دعاءه وقال " فنجيناه وأهله أجمعين " يعني من العذاب الذي وقع بهم. وقد يجوز أن يكون أراد النجاة من نفس عملهم، بأن يفعل لهم من اللطف ما يجتنبون مثل أفعالهم، وتكون النجاة من العذاب النازل بهم تبعاً لذلك. واستثنى من جملة أهله الذين نجاهم " عجوزاً " فإنه أهلكها. وقيل: أنها كانت امرأة لوط تدل قومه على أضيافه " في الغابرين " يعني الباقين. فيمن هلك من قوم لوط، لأنه قيل: هلكت هي فيما بعد مع من خرج عن القرية بما أمطر الله عليهم من الحجارة. وقيل أهلكوا بالخسف، وقيل بالانقلاب وهو الانقلاب. ثم أمطر على من كان غائباً منهم عن القرية من السماء حجارة قال الشاعر في الغابر:

فماونا محمد مذ أن غفر\* له الإله ما مضى وما غبر (١)

وقال الشاعر:

لا تكسع الشول باغارها\* انك لا تدري من الناتج (٢)

فأغارها بقية لبنها في اخلافها، والغابر الباقي في قلة، كالتراب الذي يذهب بالكنس، ويبقى غباره: غبر يغبر، فهو غابر، وغبر الحص بقيته. وغبر من الغبار تغييراً، وتغير تغيراً. والعجوز المرأة التي قد أعجزها الكبر عن أمور كثيرة، ومثله الكبيرة والمسنة.

وقوله " ثم دمرنا الآخرين " فالتدمير هو الإهلاك بأهوال الأمور، دمره تدميراً، ومثله تبره تبيراً، ودمر عليه يدمر دماً إذا هجم عليه بالمكروه

---

(١) مر تخريجه في ٦ / ٣٤٤ و ١٧٥٧

(٢) تفسير القرطبي ١٣ / ١٣٣

والدامر الهالك.  
وقوله " وأمطرنا عليهم مطرا " فالأمطار الاتيان بالقطر العام من السماء،  
وشبه به أمطار الحجارة. والاهلاك بالأمطار عقاب اتي الذكران من العالمين  
" فساء مطر المنذرين " سماه (سوء) وإن كان حسنا، لأنه كان فيه هلاك القوم  
ثم قال " إن في ذلك لآية " أي دلالة " وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك  
لهو العزيز الرحيم " وقد فسرناه.  
قوله تعالى:

\* (كذب أصحاب الأيكة المرسلين (١٧٦) إذ قال لهم  
شعيب ألا تتقون (١٧٧) إني لكم رسول أمين (١٧٨) فاتقوا  
الله وأطعون (١٧٩) وما أسئلكم عليه من أجر إن أجري إلا  
على رب العالمين (١٨٠) أوفوا الكيل ولا تكونوا من  
المخسرين (١٨١) وزنوا بالقسطاس المستقيم (١٨٢) ولا تبخسوا  
الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين (١٨٣) واتقوا  
الذي خلقكم والجبلة الأولين (١٨٤) قالوا إنما أنت من  
المسحرين (١٨٥) وما أنت إلا بشر مثلنا وإن نظنك لمن  
الكاذبين (١٨٦) فأسقط علينا كسفا من السماء إن كنت  
من الصادقين (١٨٧) قال ربي أعلم بما تعملون (١٨٨)

فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم (١٨٩) إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين (١٩٠) وإن ربك لهو العزيز الرحيم \* (١٩١) ست عشرة آية بلا خلاف. قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر " أصحاب الأيكة " على أنه اسم المدينة معرفة لا ينصرف. قال أبو علي الفارسي: الأجود أن يكون ذلك على تخفيف الهمزة، مثل لحمر ونصبه يضعف، لأنه يكون نصب حرف الاعراب في موضع الجر، مع لام التعريف، وذلك لا يجوز. وحجة من قرأ بذلك أنه في المصحف بلا ألف. وقالوا هو اسم المدينة بعينها. الباقون " أصحاب الأيكة " بالألف واللام مطلقا مضافا. ومثله الخلاف في ص. وقرأ أبوا حفص " كفا " بفتح السين - ههنا - وفي (سبأ). الباقون باسكانها. حكى الله تعالى أن قوم شعيب، وهم أصحاب الأيكة كذبوا المرسلين في دعائهم إلى خلع الأنداد وإخلاص العبادة لله. والأيكة الغيضة ذات الشجر الملتف. وجمعه الايك، قال النابغة الذبياني: تجلو بقادمتي حمامة أيكة \* بردا أسف لشاته بالإثمد (١) وقال ابن عباس وابن زيد: أصحاب الايك هم أهل مدين. وإنما قال " إذ قال لهم شعيب " ولم يقل أخوهم كما قال في سائر من تقدم من الأنبياء لأنه لم يكن منهم في النسب، وسائر من تقدم كانوا منهم في النسب، إلا موسى

---

(١) ديوانه (دار بيروت) ٤٠

فإنه كان من بني إسرائيل، وكانوا هم قبطا ولم يسمه الله بأنه أخوهم. ثم حكى عن شعيب أنه قال لقومه مثل ما قاله سائر الأنبياء وقد فسرناه. ثم قال لهم "أوفوا الكيل" أي أعطوا الواجب وأفيا غير ناقص ويدخل الوفاء في الكيل والذرع والعدد، يقال: أوفى يوفي إيفاء ووفاء. ونهاهم أن يكونوا من المخسرين، فالمخسر المعرض للخسران في رأس المال بالنقصان أخسر يخسر إ خسارا إذا جعله يخسر في ماله، وخسر هو يخسر خسرانا وأخسره نقيض أربحه. وأمرهم أن يزنوا بالقسطاس المستقيم، فالوزن وضع شي بإزاء المعيار، لما يظهر منزلته منه في ثقل المقدار إما بالزيادة أو النقصان أو التساوي. والقسطاس العدل في التقويم على المقدار، وهو على وزن (قرطاط) وجمعه قساطيس. وقال الحسن: القسطاس القبان. وقال غيره هو الميزان. وقال قوم هو العدل والسواء. ذكره أبو عبيدة. ثم قال لهم "ولا تبخسوا الناس أشياءهم" أي لا تنقصوها، "ولا تعثوا في الأرض مفسدين" قال قوم: لا تعثوا فيها بالمعاصي. وقال سعيد ابن المسيب: معناه لا تفسدوا فيها بعد اصلاحها. وقال أبو عبيدة: عثا يعثا عثوا وهو أشد الفساد بالخراب. وقال غيره: عثا يعثوا عثوا، وعاث يعيث عثا. ثم قال لهم "واتقوا الذي خلقكم" وأوجدكم بعد العدم "والجبل الأولين" فالجبل الخليفة التي طبع عليها الشئ - بكسر الجيم - وقيل أيضا بضمها ويسقطون الهاء أيضا فيخففون. ومنه قوله "ولقد أضل منكم جبلا كثيرا" (١) وقال أبو ذؤيب:

---

(١) سورة ٣٦ يس آية ٦٢

منايا يقربن الحتوف لأهلها جهارا \* ويستمتعن بالانس الجبل (١)  
ومعناه اتقوا خليقة الأولين في عبادة غير الله والاشراك معه، فهو عطف  
على (الذي) فيها، ولا يجوز أن يكون منصوبا بـ "خلقكم" لان الله تعالى لم يخلق  
كفرهم، ولا ضلالهم، وإن جعلته منصوبا بـ "خلقكم" على أن يكون  
المعنى اتقوا الله الذي خلقكم وخلق الخلق الأولين، كان جائزا، وأخلصوا  
العبادة لله. فقالوا في الجواب له "إنما أنت من المسحرين" وقد فسرناه.  
"وما أنت إلا بشر مثلنا" أي مخلوقا من الناس مثلنا، ولست بملك  
حتى يكون لك فضل علينا. والبشر هو الانسان، والانسان مشتق من الانس  
ووزنه (فعليان) والأصل إنسيان غير أنه حذف منه الياء، فلما صغر رد إلى  
أصله، فقليل: انسيان. والبشر من البشرة الظاهرة. والمثل والشبه واحد.  
"وإن نظنك لمن الكاذبين" معناه إنا نحسبك كاذبا من جملة الكاذبين.  
و (إن) هي المخففة من الثقيلة. ولذلك دخلت اللام في الخبر. ثم قالوا له: إن  
كنت صادقا ومحقا في دعواك "فاسقط علينا كسفا من السماء" أي قطعا - في  
قول ابن عباس - وهو جمع كسفة، ومثله نمرة وتمر، فقال لهم في الجواب عن  
ذلك "ربي أعلم بما تعملون" ومعناه إنه إن كان في معلومه أنه: متى بقاكم انكم  
تتوبون أو يتوب تائب منكم، لم يقطعكم بالعذاب، وإن كان في معلومه  
انه لا يفلح واحد منكم، فسيأتيكم عذاب الاستئصال.  
ثم قال تعالى "فكذبوه" يعني قوم شعيب كذبوا شعيبا، فعاقبهم الله بعذاب  
يوم الظلة، وهي سحابة رفعت لهم، فلما خرجوا إليها طلبا لبردها من شدة  
ما أصابهم من الحر مطرت عليهم نارا فأحرقتهم، فهؤلاء أصحاب الظلة، وهم

غير أهل مدين - في قول قتادة - قال: أرسل شعيب إلى أمتين.  
"إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم"  
وقد فسرناه وإنما كر، "وإن ربك لهو العزيز الرحيم" للبيان عن انه رحيم  
بخلقه عزيز في انتقامه من الكفار.  
قوله تعالى:

\* (وإنه لتنزيل رب العالمين (١٩٢) نزل به الروح  
الأمين (١٩٣) على قلبك لتكون من المنذرين (١٩٤) بلسان  
عربي مبين (١٩٥) وإنه لفي زبر الأولين (١٩٦) أو لم يكن  
لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل (١٩٧) ولو نزلناه على  
بعض الأعجمين (١٩٨) فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين (١٩٩)  
كذلك سلكناه في قلوب المجرمين (٢٠٠) لا يؤمنون به حتى  
يروا العذاب الأليم (٢٠١) فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون (٢٠٢)  
فيقولوا هل نحن منظرون (٢٠٣) أفبعذابنا يستعجلون (٢٠٤)  
أفرأيت إن متعناهم سنين (٢٠٥) ثم جاءهم ما كانوا  
يوعدون (٢٠٦) ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون (٢٠٧) \* ست  
عشرة آية بلا خلاف.

قرأ ابن عامر وأهل الكوفة إلا حفصا ويعقوب " نزل " به بتشديد الزاي وفتحها \* (الروح الأمين) \* بالنصب فيهما، الباقيون بالتخفيف والرفع فيهما. وقرأ ابن عامر \* (أو لم تكن) \* بالتاء \* (آية) \* بالرفع. الباقيون بالياء ونصب \* (آية) \* من شدد الزاي، فلقوله " فإنه نزل على قلبك بإذن الله " (١) \* (وانه لتنزيل رب العالمين) \* ومن

خفف، فلان التنزيل فعل الله، وهذا فعل جبرائيل، يقال: نزل الله جبرائيل، ونزل جبرائيل. فاما قوله \* (فإنه نزل على قلبك بإذن الله مصدقا) \* بالتشديد، فلأجل حذف الباء، لأنك تقول نزلت به وأنزلته. ومن شدد فإنه أضاف الفعل إلى الله. ومن خفف أضاف الفعل إلى جبرائيل (ع) ومن قرأ \* (أو لم تكن) \* بالتاء ورفع \* (آية) \* جعلها اسم (كان) وخبره \* (أن يعلمه) \* لان (ان) مع الفعل بمنزلة المصدر، وتقديره: أو لم تكن لهم آية معجزة ودلالة ظاهرة علم بني إسرائيل بمحمد في الكتب. يعني كتب الأنبياء (ع) قبله أنه نبي، وأن هذا القرآن من عند الله، لكنه لما جاءهم ما عرفوه على بصيرة كفروا به. ومن قرأ بالياء ونصب (آية) جعلها خبر (كان) واسمه (أن يعلمه) وهو الأقوى في العربية، لان (آية) نكرة، و (أن يعلمه) معرفة، وإذا اجتمعت معرفة ونكرة اختير أن يكون المعرفة اسم (كان) والنكرة خبرها، وسيبويه لا يجيز غير ذلك إلا في ضرورة الشعر كقول حسان: كأن سبيئة من بيت رأس \* يكون مزاجها عسل وماء (٢) من بيت رأس معناه من بيت رئيس، فسمى السيد رأسا، قال عمرو ابن كلثوم.

(١) سورة ٢ البقرة آية ٩٧

(٢) (اللسان (رأس)

برأس من بني جشم بن عمرو (١)  
وبيت رأس بيت بالشام، تتخذ فيه الخمور. والهاء في قوله " نزل... وانه  
لتنزيل " كناية عن القرآن في قول قتادة. وصفه الله تعالى أنه تنزيل من رب  
العالمين الذي خلق الخلائق. ووصفه بأنه تنزيل من رب العالمين، تشریف له  
وتعظيم لشأنه. ثم قال " نزل به الروح الأمين " من خفف أسند الفعل إلى  
جبرائيل، ولذلك رفعه. ومن ثقل أسنده إلى الله تعالى، ونصب \* (الروح  
الأمين) \* على أنه مفعول به. والروح الأمين جبرائيل (ع). وإنما قال  
\* (على قلبك) \* لأنه بقلبه يحفظه فكأنه المنزل عليه. و (الروح الأمين)  
جبرائيل (ع) في قول ابن عباس والحسن وقتادة والضحاك وابن جريج.  
ووصف بأنه (روح) من ثلاثة وجوه:  
أحدها - انه تحيا به الأرواح بما ينزل من البركات.  
الثاني - لان جسمه روحاني.  
الثالث - ان الحياة عليه أغلب، فكأنه روح كله.  
وقوله \* (على قلبك لتكون من المنذرين) \* أي انزل هذا القرآن على قلبك لتخوف  
به الناس وتنذرهم. ثم عاد إلى وصفه فقال \* (وإنه لفي زبر الأولين) \* ومعناه  
إن ذكر القرآن في كتب الأولين على وجه البشارة به، لا لان الله أنزله على  
غير محمد صلى الله عليه وآله. وواحد (الزبر) زبور، وهي الكتب، تقول: زبرت  
الكتاب أزبره زبرا إذا كتبت. واصله الجمع، ومنه الزبرة الكتبة، لأنها مجتمعة.  
ثم قال تعالى \* (أولم يكن لهم آية) \* اي دلالة في علم بني إسرائيل واضحة

(١) ملحق ديوانه امرئ القيس اخبار عمرو بن كلثوم: ٢٢٦ وروايته:  
برأس من بني جشم بن بكر \* ندق به السهولة والحزونا



على صحة أمره. ومن حيث أن مجيئه على ما تقدمت البشارة به بجميع أوصافه لا يكون إلا من جهة علام الغيوب. وقيل: من علماء بني إسرائيل عبد الله ابن سلام - في قول ابن مسعود وابن عباس ومجاهد - ثم قال " ولو نزلناه " يعني القرآن " على بعض الأعجمين " قيل: معناه على أعجم من البهائم أو غيره ما آمنوا به - ذكره عبد الله بن مطيع - وقيل: معناه " لو نزلناه على " رجل أعجم اللسان ما آمنوا به ولتكبروا عليه، لأنه من غيرهم، وأن المعجزة تفارقه، وفي ذلك تسلية للنبي صلى الله عليه وآله حين لم يؤمنوا به، ولم يقبلوا منه. ونقيض الأعجم الفصيح، والأعجم الذي يمتنع لسانه من العربية. والعجمي نقيض العربي، وهو نسبة الولادة، قال الشاعر:

من وائل لا حي يعدلهم\* من سوقة عرب ولا عجم (١)  
وإذا قيل أعجمي، فهو منسوب إلى أنه من الأعجمين الذين لا يفصحون  
كما قال العجاج:

والدهر بالانسان دواري (٢)

فنسبه إلى أنه من الدوارين بالانسان.

وقوله " كذلك سلكناه في قلوب المجرمين " فالهاء كناية عن القرآن. ومعناه أقررناه في قلوبهم باخطاره ببالهم لتقوم به الحجة عليهم، ولله لطف يوصل به المعنى في الدليل إلى القلب، فمن فكر فيه أدرك الحق به. ومن أعرض عنه كان كمن عرف الحق وترك العمل به في لزوم الحجة عليه. والفرق بين من أدرك الحق لسلوكه في القلب، وبين من أدرك الحق بالاضطرار إليه في القلب، أن الاضطرار إليه يوجد الثقة به فيكون، صاحبه عالما به. واما

---

(١) تفسير الطبري ١٩ / ٦٤ (٢) مر تخريجه في ٤ / ٣٧٧، ٥٠٥

بسلوكه، فيكون مع الشك فيه.  
وقال الحسن وابن جريج، وابن زيد: كذلك "سلكناه" أي الكفر.  
ولا وجه لذلك، لأنه لم يجر ذكره، ولا حجة فيه وإنما الحجة في القرآن  
واخطاره بالبال، فهو أحسن في التأويل.  
وقوله "لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم" اخبار منه تعالى عن قوم  
من الكفار أنهم يموتون على كفرهم بأنهم لا يؤمنون حتى يشاهدوا العذاب  
المؤلم، فيصيرون عند ذلك ملجئين إلى الايمان، ومعنى "حتى يروا العذاب"  
أي حتى يشاهدوا أسبابه من نيران مؤججة لهم يساقون إليها، لا يرددهم عنها  
شيء. ويحتمل حتى يعلموه في حال حلوله بهم علم ملابسته لهم.  
ثم قال تعالى "فيأتيهم بغتة" ومعناه: إن العذاب الذي يتوقعونه  
ويستعجلونه يجيئهم فجأة. والبغته حصول الامر العظيم الشأن من غير توقع  
بتقديم الأسباب، وقيل البغته الفجأة. والبادرة، بغته الامر يبعثه بغتا وبغته  
قال الشاعر:

وأفضع شيء حين يفجؤك البغت (١)  
واتاه الامر بغتة نقيض أتاه عن مقدمة "وهم لا يشعرون" أي لا يعلمون  
والشعور هو العلم بما يلطف، لطف الشعر.  
ثم اخبر تعالى انه إذا جاءهم العذاب بغتة قالوا "هل نحن منظرون" أي  
مؤخرون، فقال الله تعالى "أفبعذابنا يستعجلون" على وجه التوبيخ لهم والانكار  
عليهم. ثم قال لنبيه صلى الله عليه وآله "أفأريت" يا محمد "إن متعناهم سنين ثم جاءهم  
ما كانوا يوعدون" به من العذاب "ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون" معناه

---

(١) مر تخريجه في ٤ / ١٢٢، ٥٠٧ و ٦ / ٢٠٤

انه لم يغن عنهم ما كانوا يمتعون، لازديادهم من الآثام، واكتسابهم من الاجرام، أي شيء يغني عنهم ما يمتعون به من النعم، لأنه فان كله، والاغناء عن الشيء صرف المكروه عنه بما يكفي عن غيره. والغنى به نقيض الغنى عنه، فالاغناء عنه الصرف عنه، والاغناء به الصرف به، والامتناع احضار النفس ما فيه اللذة بادراك الحاسة، يقال: أمتعه بالرياحين والطيب، وامتعه بالنزه والبساتين، وأمته بالمال والبنين، وأمتعه بالحديث الطريف الطريف. قوله تعالى:

\* (وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون (٢٠٨) ذكرى وما كنا ظالمين (٢٠٩) وما تنزلت به الشياطين (٢١٠) وما ينبغي لم وما يستطيعون (٢١١) إنهم عن السمع لمعزولون (٢١٢) فلا تدع مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين (٢١٣) وأنذر عشيرتك الأقربين (٢١٤) واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين (٢١٥) فان عصوك فقل إني برئ مما تعملون (٢١٦) وتوكل على العزيز الرحيم (٢١٧) الذي يريك حين تقوم (٢١٨) وتقبلك في الساجدين (٢١٩) إنه هو السميع العليم) \* (٢٢٠) اثنتا عشرة آية في المكي والمدني الآخر، وثلاث عشرة آية فيما عداه. عدوا

" الشياطين " ولم يعدها الأول.  
يقول الله تعالى " وما أهلكنا من " أهل " قرية " بالعذاب الذي أنزلناه  
عليهم فيما مضى من الأمم السالفة \* (الا) \* وكان \* (لها منذرون) \* يخوفونهم بالله  
ويحذرونهم معاصيه. وقوله " ذكرى " وما كنا ظالمين " معناه ذاك الذي قصصناه  
من إنزال العذاب بالأمم الخالية " ذكرى " لكم تتعظون بها. ثم بين أن  
ذلك كان عدلا، ليكون أشد في الزجر، وإن الله تعالى لم يكن ظالما لاحد.  
وموضع " ذكرى " يجوز أن يكون نصبا بالانذار، ويجوز أن يكون رفعا  
بالاستئناف على ذلك (ذكرى). والذكرى: هو إظهار المعنى للنفس تقول:  
ذكرته ذكرى.

وبين ان ذلك ليس مما ينزل به الشياطين ويغوون به الخلق، بل هو وحي  
من الله تعالى. ثم بين انه ليس ينبغي للشياطين أنزال ذلك. انهم لا يستطيعون  
على ذلك. ومعنى ينبغي لك كذا يطلب منه فعله في مقتضى العقل، فتقول:  
ينبغي لك أن تختار الحسن على القبيح، ولا ينبغي لك أن تختار القبيح على  
الحسن. واصله من البغية التي هي الطلب، وقرا الحسن و " ما تنزلت به الشياطين "  
بالواو، ظنا منه أنه مثل (المسلمين). وهذا لحن بلا خلاف، لأنه جمع تكسير  
شيطان وشياطين. والاستطاعة هي القدرة التي ينطاع بها الفعل للجارحة. ثم  
قال: " انهم " يعني الشياطين " عن السمع لمعزولون " وقيل: معناه إنهم عن  
عن استراق السمع من السماء لمعزولون. وقيل: عن سمع القرآن - في قول قتادة -  
لمعزولون معناه منحون. فالعزل تنحية الشيء عن الموضع إلى خلافه، وهو ان  
يزيله عن أمر إلى نقيضه، كما قال الشاعر:

عزل الأمير بالأمير المبدل (١)

وإنما لم ينبغ لهم ذاك لحراسة المعجزة عن أن تنموه بالباطل، لان الله إذا أراد أن يدل بها على صدق الصادق أخلصها بمثل هذه الحراسة، حتى تصح الدلالة.

ثم نهى نبيه صلى الله عليه وآله والمراد به المكلفين، فقال " ولا تدع مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين " وتقديره أنك إن دعوت معه إلها آخر كنت من المعذبين.

ثم أمره أن ينذر عشيرته الأقربين قيل: إنما خص في الذكر انذار عشيرته الأقربين، لأنه يبدأ بهم، ثم الذين يلونهم، كما قال تعالى " قاتلوا الذين يلونكم من الكفار " (٢) لان ذلك هو الذي يقتضيه حسن التدبير: الترتيب. ويحتمل أن يكون أنذرهم بالافصاح عن قبيح ما هم عليه وعظم ما يؤدي إليه من غير تليين بالقول يقتضي تسهيل الامر لما يدعو إليه مقاربة العشيرة، بأن من نزل بهم الاغلاظ في هذا الباب أذلهم. وقيل: ذكر عشيرتك الأقربين أي عرفهم إنك لا تغني عنهم من الله شيئا إن عصوه. وقيل: إنما خص عشيرته الأقربين لأنه يمكنه أن يجمعهم ثم ينذرهم، وقد فعل صلى الله عليه وآله ذلك. والقصة بذلك مشهورة

فإنه روي أنه أمر صلى الله عليه وآله عليا بأن يصنع طعاما ثم دعا عليه بني عبد مناف وأطعمهم الطعام. ثم قال لهم: أيكم يؤازرني على هذا الامر يكن وزيرى وأخي ووصيى، فلم يجبه أحد إلا علي (ع) والقصة في ذلك معروفة. ثم أمره صلى الله عليه وآله بأن يخفض جناحه للمؤمنين الذين اتبعوه، ومعناه ألن جانبك وتواضع لهم، وحسن أخلاقك معهم - ذكره ابن زيد - ثم قال " فان عصوك " يعني أقاربك بعد انذارك إياهم وخالفوك فيما تدعوهم إليه إلى

(١) مر في ٧ / ٩٧، ٤٥٦

(٢) سورة ٩ التوبة آية ١٢٤

ما يكرهه الله، فقل لهم " اني برئ مما تعملون " أي من أعمالكم القبيحة وعبادتكم للأصنام. والبراءة المباحدة من النصره عند الحاجة، فإذا برئ من عملهم فقد تباعد من النصره لهم أو الموالاة. ثم أمره أن يتوكل على العزيز الرحيم ومعناه أن يفوض أمره إلى من يدبره. والتوكل على الله من الايمان، لأنه أمر به، وحث عليه " على العزيز الرحيم " يعني القادر الذي لا يغالب، ولا يعاز الكبير الرحمة الواسع النعمة على خلقه " الذي يراك " يا محمد " حين تقوم وتقبلك في الساجدين " أي تصرفك في المصلين بالركوع والسجود والقيام والقعود - في قول ابن عباس وقتادة - وفي رواية أخرى عن ابن عباس: إن معناه إنه أخرجك من نبي إلى نبي حين أخرجك نبيا. وقيل: معناه يراك حين تصلي وحدك، وحين تصلي في جماعة. وقال قوم من أصحابنا: إنه أراد تقلبه من آدم إلى أبيه عبد الله في ظهور الموحدين، لم يكن فيهم من يسجد لغير الله.

والرؤية - ههنا هي ادراك البصر، دون رؤية القلب، لان (رأيت) بمعنى علمت، لا يتعدى إلى مفعول واحد، فهي من رؤية البصر، ثم قال " إنه هو السميع العليم " أي يسمع ما تتلو في صلاتك، العليم بما تضرع فيها في قلبك. وقيل معنى " وتوكل على العزيز الرحيم " ليظهرك على كيد أعدائك الذين عصوك فيما أمرتهم به. وقرأ ابن عامر ونافع " فتوكل " بالفاء، لأنها في مصاحف أهل المدينة والشام كذلك. الباكون بالواو، وكذلك هو في مصاحفهم. والتوكل على الله: هو أن يقطع العبد جميع أماله من المخلوقين إلا منه تعالى، ويقطع رغبته من كل أحد إلا إليه، فإذا كان كذلك رزقه الله من حيث لا يحتسب.

قوله تعالى:

\* (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين (٢٢١) تنزل على كل أفك أثيم (٢٢٢) يلقون السمع وأكثرهم كاذبون (٢٢٣) والشعراء يتبعهم الغاوون (٢٢٤) ألم تر أنهم في كل واد يهيمون (٢٢٥) وأنهم يقولون ما لا يفعلون (٢٢٦) إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) \* (٢٢٧) سبع آيات بلا خلاف.

لما أخبر الله تعالى أن القرآن ليس مما تنزل به الشياطين، وأنه وحي من الله تعالى على نبيه، نبه خلقه على من تنزل الشياطين عليه بقوله "هل أنبئكم" أي هل أخبركم "على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفك أثيم" أي كذاب أثيم، وقال مجاهد: الأفك الكذاب. ومعناه الكثير الكذب، والقلب للخبر من جهة الصدق إلى الكذب، وأصله الانقلاب من المؤتفكات وهي المنقلبات. والانباء الاخبار بما فيه من الغيوب وعظم الشأن، ومنه قولهم: لهذا الامر نبأ ومنه اشتق وصف الرسول بأنه نبي بعظم شأن ما أتى به من الوحي من الله. والآثم الفاعل للقبیح: أثم يَأْثِمُ إِثْمًا إذا ارتكب القبيح، وتأثم إذا ترك الآثم مثل تحوب إذا ترك الحوب، وأثمه تأثيما إذا نسبه إلى الآثم، ثم قال " يلقون

لسمع، أي يلقون ما يسمعون باستراق السمع إلى كل أفك أثيم - في قول مجاهد - ثم اخبر تعالى أن أكثرهم كاذبون فيما يلقونه إليهم. وقوله " والشعراء يتبعهم الغاؤون " قال الحسن: هم الذين يسترقون السمع ويلقونه إلى الكهنة، وقال إنما يأخذون أخباراً عن الوحي " انهم عن السمع لمعزولون " أي عن سمع الوحي. وقيل: ان الشعراء المراد به القصاص الذين يكذبون في قصصهم ويقولون ما يخطر ببالهم. وقوله " ألم تر انهم في كل واد يهيمون " أي هم لما يغلب عليهم من الهوى كالهائم على وجهه في كل واد يعن له، وليس هذا من صفة من عليه السكينة والوقار ومن هو موصوف بالحلم والعقل. والمعنى أنهم يخوضون في كل فن من الكلام والمعاني التي يعن لهم ويريدونه. وقال ابن عباس وقتادة: معناه في كل لغو يخوضون: يمدحون ويذمون، يعنون الباطل. وقال الجبائي: معناه يصغون إلى ما يلقيه الشيطان إليهم على جهة الوسوسة لما يدعوههم إليه من الكفر والضلال. وقيل: إنما صار الأغلب على الشعراء الغي باتباع الهوى، لان الذي يتلو الشعر - في الأكثر - العشاق ولذلك يقبح التشبيب. مع أن الشاعر يمدح للصلة ويهجو على جهة الحمية فيدعوه ذلك إلى الكذب، ووصف الانسان بما ليس فيه من الفضائل والرذائل. وقرأ نافع " يتبعهم " بتخفيف التاء من تبعه إذا اقتفى أثره، يقال تبع فلانا إذا سار في أثره واتبعه لحقه. الباقر: بالتشديد من الاتباع، ومعناها واحد. والآية قيل نزلت في الشعراء الذين هجوا رسول الله صلى الله عليه وآله والمؤمنين، وهي تتناول كل شاعر يكذب في شعره - ذكره الفراء - وقيل: انها نزلت في ابن الزبيري وأمثاله.



ثم اخبر ان هؤلاء الشعراء يقولون ويحثون على أشياء لا يفعلونها هم، وينهون عن أشياء يرتكبونها، ثم استثنى من جملتهم الذين آمنوا منهم وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا، فاجتنبوا معاصيه، وانتصروا - لنفوسهم في الدين - من الذين ظلموهم. وقيل: أراد الشعراء الذين ردوا على المشركين هجاءهم للمؤمنين، فانتصروا بذلك للنبي والمؤمنين، ثم هدد الظالمين، فقال " وسيعلم الذين ظلموا " نفوسهم " أي منقلب ينقلبون " أي أي منصرف ينصرفون إليه لان منصرفهم إلى النار، نعوذ بالله منها. وقيل أراد الذين ظلموا نفوسهم بقول الشعر الباطل من هجو النبي والمؤمنين، ومن يكذب في شعره. وقوله " أي منقلب ينقلبون " نصب (أي) ب (ينقلبون) ولا يجوز أن أن يكون منصوبا ب (سيعلم)، لان أيا لا يعمل فيها ما قبلها، لان الاستفهام له صدر الكلام حتى يفصل من الخبر بذلك.

## ٢٧ - سورة النمل

مكية بلا خلاف وهي خمس وتسعون آية حجازي وأربع وتسعون آية  
بصري وشامي وثلاث وتسعون آية في عدد الكوفيين

بسم الله الرحمن الرحيم

\* (طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين (١) هدى وبشرى

للمؤمنين (٢) الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم

بالآخرة هم يوقنون (٣) إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا

لهم أعمالهم فهم يعمهون (٤) أولئك الذين لهم سوء العذاب وهم

في الآخرة هم الأخسرون) \* (٥) خمس آيات بلا خلاف.

قد بينا معنا الحروف التي في أوائل السور فيما تقدم بمالا نحتاج معه إلى  
إعادته، وقد بينا قول من قال إنها أسماء للسور. وقال قوم " طس " اسم من  
أسماء القرآن.

وقوله " تلك " إشارة إلى ما وعدوا بمجيئه من القرآن. وقيل إن " تلك "

(٧٣)

بمعنى (هذا) وآيات القرآن هي القرآن، وإنما أضافها إليه، كما قال " انه لحق اليقين " (١). والقرآن والكتاب معناهما واحد، ووصفه بالوصفين ليفيد أنه مما يظهر بالقراءة، ويظهر بالكتابة، وهو بمنزلة الناطق بما فيه من الأمرين جميعا. وذلك يبطل قول من قال: ان كلام الله شئ واحد لا يتصرف بالقراءة والكتابة. ووصفه بأنه مبين تشبيهه له بالناطق بكذا، وإذا وصفه بأنه بيان جرى مجرى وصفه له بالنطق بكذا في ظهور المعنى به للنفس. والبيان هو الدلالة التي تبين بها الأشياء. والمبين المظهر، وحكم القرآن الموعظة بما فيها من الترغيب والترهيب والحجة الداعية إلى الحق الصارفة عن الباطل، وأحكام الشريعة التي فيها مكارم الأخلاق ومحاسن الأفعال، والمصلحة فيما يجب من حق النعمة لله تعالى ما يؤدي إلى الثواب ويؤمن من العقاب. ثم وصفه بأنه " هدى وبشرى للمؤمنين " وموضع " هدى " نصب على الحال، وتقديره هاديا ومبشرا، ويجوز أن يكون رفعا على تقدير هو " هدى وبشرى للمؤمنين " والمعنى ان ما فيه من البيان والبرهان يهديهم إلى الحق، وما لهم في وجه كونه معجزا الذي فيه من اللطف ما يؤديهم إلى الثواب ويبيشرهم بالجنة. ثم وصف المؤمنين الذين بشرهم القرآن بأنهم " الذين يقيمون الصلاة " بحدودها ويدأومون على أوقاتها ويخرجون ما يجب عليهم من الزكاة في أموالهم إلى مستحقها، وهم مع ذلك يوقنون بالآخرة، ويصدقون بها. ثم وصف تعالى من خالف ذلك ولم يصدق بالآخرة، فقال " إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون " قيل في معناه قولان: أحدهما - قال الحسن والجبائي: زينا لهم أعمالهم التي أمرناهم بها، فهم

---

(١) سورة ٦٩ الحاقة آية ٥١

يتحiron بالذهاب عنها.  
الثاني - زينا لهم أعمالهم بخلقنا فيهم شهوة القبيح الداعية لهم إلى فعل المعاصي  
ليجتنبوا المشتهى " فهم يعمهون " عن هذا المعنى أي يتحiron بالذهاب عنها.  
ثم اخبر تعالى ان من وصفه بذلك لهم " سوء العذاب " ووصفه بأنه سوء  
لما فيه من الألم و " هم في الآخرة هم الأخسرون " لأنهم يخسرون الثواب  
ويحصل لهم بدلا منه العقاب فهو أخسر صفقة تكون.  
قوله تعالى:

\* (وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم (٦) إذ قال  
موسى لأهله إني آنست نارا سأتيكم منها بخبر أو آتيكم  
بشهاب قبس لعلكم تصطلون (٧) فلما جاءها نودي أن بورك  
من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين (٨) يا موسى  
إنه أنا الله العزيز الحكيم (٩) وألق عصاك فلما رآها تهتز  
كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى لا تخف إني لا يخاف  
لدي المرسلون (١٠) إلا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني  
غفور رحيم) \* (١١) ست آيات بلا خلاف.  
قرأ أهل الكوفة " بشهاب قبس " منون غير مضاف جعلوا (قبسا) صفة  
للشهاب على تقدير منور. الباقون بالإضافة على تقدير (نار)

يقول الله تعالى مخاطبا لنبيه محمد صلى الله عليه وآله " انك " يا محمد " لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم " أي انك لتعطى لان الملك يلقيه إليه من قبل الله تعالى، من عند حكيم بصير بالصواب من الخطاء في تدبير الأمور بما يستحق به التعظيم. وقد يفيد (الحكيم) العامل بالصواب المحكم للأمور المتقن لها. وعليم بمعنى عالم إلا أن فيه مبالغة. وقال الرماني هو مثل سامع وسميع، فوصفنا له بأنه عالم يفيد أن له معلوما، كما أن وصفه بأنه سامع يفيد بأن له مسموعا. ووصفه بأنه عليم يفيد أنه متى صح معلومه. فهو عليم به، كما أن (سميعا) يفيد أنه متى وجد مسموع لابد أن يكون سامعا.

وقوله " إذ قال موسى لأهله " قال الزجاج: العامل في إذ (اذكر) وهو منصوب به. وقال غيره: هو منصوب ب (عليم) إذ قال إني آنست نارا. فالإيناس الاحساس بالشئ من جهة ما يؤنس آنست كذا، أو نسه ايناسا وما آنست به، فقد أحسست به، مع سكون نفسك إليه " سأتيكم منها بخبر " يعني بمن يدل على الطريق ويهدينا إليه، لأنه كان قد ضل " أو آتيكم بشهاب قبس " قيل: لأنهم كانوا قد أصابهم البرد، وكان شتاء فلذلك طلب نارا. والشهاب نور كالعمود من النار، وجمعه شهب. وقيل للكوكب الذي يمتد وينقض شهاب، وجمعه شهب، وكل نور يمتد مثل العمود يسمى شهابا، والقبس القطعة من النار قال الشاعر:

في كفه صعدة مثقفة \* فيها سنان كشعلة القبس (١)  
ومنه قيل اقتبس النار اقتباسا أي أخذ منها شعلة، واقتبس منه علما أي  
أخذ منه نورا يستضيء به كما يستضيء بالنار " لعلكم تصطلون " معناه، لكي

---

(١) تفسير القرطبي ١٣ / ١٥٧

تصطلوا. ومعناه لتدفنوا، والاصطلاء التدفني بالنار، وصلى النار يصلي صلا  
إذا لزمها، فأصله الزوم. وقيل الصلاة منه للزوم الدعاء فيها. والمصلي الثاني بعد  
السابق للزومه صلو السابق. وإنما قال لامرأته " لعل آتيكم " لأنه أقامها مقام  
الجماعة في الانس بها والسكون إليها في الأمكنة الموحشة. ويجوز أن يكون على  
طريق الكناية على هذا التأويل.

وقوله " فلما جاءها " معناه جاء النار " نودي أن بورك من في النار ومن  
حولها " وقيل في معناه قولان:

أحدهما - بورك نور الله الذي في النار، وحسن ذلك، لأنه ظهر لموسى  
بآياته وكلامه من النار. في قول ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة والحسن.  
الثاني - الملائكة الذين وكلهم الله بها على ما يقتضيه. " ومن حولها "  
- في قول أبي علي الجبائي - ولا خلاف أن الذين حولها هم الملائكة الذين وكلوا  
بها. و " سبحان الله رب العالمين ".

وقوله " ان بورك " يحتمل أن يكون نصبا على نودي موسى بأن بورك.  
ويحتمل الرفع على نودي البركة، والبركة ثبوت الخير النامي بالشئ. قال الفراء  
العرب تقول: بارك الله، وبورك فيك.

وقوله " انه انا الله العزيز الحكيم " معناه ان الله قال لموسى ان الذي  
يكلمك هو الله العزيز القادر الذي لا يغالب، الحكيم في افعاله، المئزه من  
القبائح. قال الفراء: الهاء في قوله " انه " عماد، ويسمى البصريون إضمار الشأن  
والقصة. ثم أراد أن يبين له دلالة يعلم بها صحة النداء، فقال " والى عصاك "  
من يدك، وفي الكلام حذف، وهو أنه القى عصاه وصارت حية " فلما رآها  
تهتز كأنها جان " وهي الحية الصغيرة مشتق من الاجتنان، وهو الاستتار، وقال

الفراء: هي حية بين الصغيرة والكبيرة، قال الراجز:  
يرفعهن بالليل إذا ما أسدفا \* أعناق جان وهاما رجفا (١)  
ووصف العصا في هذا الموضع " كأنها جان " وفي الشعراء بأنها ثعبان، وهي  
الحية الكبيرة، لأنها جمعت صفة الجان في اهتزازة وسرعة حركته مع أنه ثعبان  
في عظمه، ولذلك هاله ف " ولى مدبرا ". وقيل إنها أول شيء صارت جانا  
ثم تدرجت إلى أن صارت ثعبانا، وهم يشاهدونها، وذلك أعظم في الاعجاز.  
وقيل: ان الحاليين مختلفان، لان الحال التي صارت فيها جانا هي الحال التي  
خاطبه الله في أول ما بعثه نبيا، والحال التي صارت ثعبانا هي الحال التي لقي  
فرعون فيها. فلا تنافي بينهما على حال.  
وقوله " ولم يعقب " معناه ولم يرجع - في قول قتادة - وقال الجبائي معناه  
لم يرجع على عقبيه. والمعاقبة ذهاب واحد ومجئ آخر على وجه المناوبة. وإنما  
ولى منها موسى بالبشرية، لا انه شك في كونها معجزة له ولا يضره ذلك.  
وقوله " يا موسى لا تخف " نداء من الله تعالى لموسى وتسكين منه، ونهي  
له عن الخوف. وقال له انك مرسل و " لا يخاف لدي المرسلون " لأنهم  
لا يفعلون قبيحا، ولا يخلون بواجب، فيخافون عقابه عليه، بل هم منزهون  
عن جميع ذلك.  
وقوله " إلا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء " صورته صورة الاستثناء،  
وهو منقطع عن الأول وتقديره لكن من ظلم نفسه بفعل القبيح، ثم بدل حسنا  
بعد سوء، بأن تاب من القبيح، وفعل الحسن، فإنه يغفر له. وقال قوم:

---

(١) تفسير الطبري ١٩ / ٧٦ وروايته:  
يرقلن بالليل إذا ما رجفا \* أعناق جان وهاما رجفا

هو استثناء متصل وأراد من فعل صغيرة من الأنبياء. فعلى هذا يكون الاستثناء متصلاً - ذكره الحسن - وهذا تأويل بعيد، لأن صاحب الصغيرة لا خوف عليه أيضاً لوقوعها مكفرة. والاستثناء وقع من المرسلين الذين لا يخافون، فالأول هو الصحيح.

وقوله " ثم بدل حسنا بعد سوء " معناه ندم على ما فعله من القبيح، وتاب منه وعزم على أن لا يعود إلى مثله في القبح، فان من تلك صورته، فان الله يغفر له ويستتر عليه لأنه رحيم. وقيل: المعنى " لا يخاف لدي المرسلون " إنما الخوف على من سواهم " إلا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء " قال الجبائي: في الآية دلالة على أنه يسمى الحسن حسناً قبل وجوده وبعد تقضيه، وكذلك القبيح، وهذا إنما يجوز على ضرب من المجاز، دون الحقيقة، لأن كون الشيء حسناً أو قبيحاً بقيد حدوثه على وجه لا يصح في حال عدمه، وإنما سمي بذلك بتقدير أنه متى وجد كان ذلك، وقال قوم " إلا " بمعنى الواو، فكأنه قال إني لا يخاف لدي المرسلون، ولا من ظلم ثم بدل حسناً بعد سوء، فاني أغفر له.

قوله تعالى:

\* (وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء في تسع آيات إلى فرعون وقومه إنهم كانوا قوماً فاسقين (١٢) فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين (١٣) وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً فانظر كيف كان عاقبة



المفسدين (١٤) ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالوا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين\* (٥١) أربع آيات بلا خلاف.

أمر الله تعالى موسى (ع) أن يدخل يده في جيبه. وقيل: أراد كمه. وقيل: ثيابه " تخرج بيضاء من غير سوء " يعني من غير برص. وقال المبرد: السوء إذا أطلق يراد به البرص، وإذا وصل بشئ، فهو كلما يسوء، قال: وتقديره كأن هاتين مع بقية الآيات تسع آيات. والتقدير ادخل يدك في جيبك فان ذلك مع إلقاء العصا، وما بعد ذلك من الآيات تسع آيات، كما يقال جاء فلان في جمع كثير، وهو أحد ذلك الجمع. وقيل: إن معنى (في) من. وقال ابن مسعود: أتى موسى فرعون وعليه جبة صوف. وقال مجاهد كان كمها إلى بعض يده.

وقوله " إلى فرعون " تقديره مرسلًا إلى فرعون وقومه في تسع آيات. وحذف كما قال الشاعر:

رأتني بخيلها فصدت مخافة\* وفي الخيل دعاء الفؤاد فروق (١)  
أي رأتني مقبلاً بخيلها. ثم أخبر تعالى عن فرعون وقومه بأنهم " كانوا قوما فاسقين " والآيات التسع التي كانت لموسى (ع): قلب العصا حية. واليد البيضاء. والجراد. والقمل. والضفادع، والدم. والبحر وانفلاقه. ورفع الطور فوق رؤسهم. وانفجار الحجر اثنتا عشرة عينا. وقيل: بدل البحر

---

(١) تفسير الطبري ١٩ / ٧٨

والجبل الطوفان والطمس. ذكره ابن زيد.

ثم اخبر تعالى عن فرعون وقومه أنه لما جاءتهم آيات الله ودلائله مبصرة. وقيل في معنى مبصرة قولان:

أحدهما - انها تبصر الصواب من الخطأ، يقال أبصرته وبصرته بمعنى واحد، كقولك أكفرته وكفرته، وأكذبتة وكذبتة.

الثاني - مبصرة للحق من الباطل، فهي تهدي إليه كأنها تراه. قالوا عند ذلك إنه هذه الآيات " سحر مبين " أي ظاهر.

ثم قال " ووجدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا " والمعنى انهم عرفوها وعلموها بقلوبهم، لكنهم جحدوا بها بألستهم طلبا للعلو والتكبر، ففي ذلك دلالة على أنهم كانوا معاندين إذ جحدوا ما عرفوا. وقال الرمانى: لا تدل على ذلك، لان معرفتهم كانت بوقوعها على الحقيقة. فأما الاستدلال على أنها من فعل الله ومن قبله ليدل بها على صدق من أعطاه إياه فبعد العلم بوقوعها. وقال أبو عبيدة: الباء زائدة، والمعنى ووجدوها، كما قال العجاج:

نضرب بالسيف ونرجوا بالفرح (١)

وقيل إنهم جحدوا ما دلت عليه من تصديق الرسول، كما تقول كذبت به أي بما جاء به.

ثم قال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وآله " فانظر " يا محمد \* (كيف كان عاقبة المفسدين) \* لان الله أهلكتهم وغرقهم ودمر عليهم.

ثم اخبر تعالى بأنه اعطى داود وسليمان علما من عنده، وانهما قالا الحمد لله

(١) قد مر في ٧ / ١١٨ من هذا الكتاب

الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين، بأن جعلنا أنبياء واختارنا من بين الخلائق. والعلم الذي أوتياه قيل: هو علم الاحكام. وقيل: هو العلم بمنطق الطير، وكلام البهائم. قوله تعالى:

\* (وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء إن هذا لهو الفضل المبين (١٦) وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون (١٧) حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون (١٨) فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضيه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين) \* (١٩) أربع آيات بلا خلاف.

اخبر الله تعالى أن سليمان ورث داود. واختلفوا فيما ورث منه، فقال أصحابنا إنه ورث المال والعلم. وقال مخالفونا: انه ورث العلم، لقوله صلى الله عليه وآله نحن معاشر الأنبياء لا نورث.

وحقيقة الميراث هو انتقال تركة الماضي بموته إلى الثاني من ذوي قرابته.  
وحقيقة ذلك في الأعيان، فإذا قيل ذلك في العلم كان مجازا. وقولهم: العلماء  
ورثة الأنبياء، لما قلنا. والخبر المروي عن النبي صلى الله عليه وآله خبر واحد، لا يجوز  
أن يخص به عموم القرآن ولا نسخه به.

وقال بعضهم: إن داود كان له تسعة عشر ولدا ذكورا وورثه سليمان  
خاصة، فدل على أنه إنما ورثه العلم والنبوة، فخبر واحد لا يلتفت إليه.  
وقوله \* (يا أيها الناس علمنا منطق الطير) \* أي فهمنا معاني منطقها وما نفهم  
به بعضها عن بعض، قال المبرد: والعرب تسمي كل مبین عن نفسه ناطقا ومتكلما  
قال رؤبة:

لو انني أوتيت علم الحكل \* علم سليمان كلام النمل (١)  
وقال الرماني \* (منطق الطير) \* صوت يتفاهم به معانيها على صيغة واحدة،  
بخلاف منطق الناس إذ هو صوت يتفاهمون به معانيهم على صيغ مختلفة، لذلك  
لم نفهم عنها مع طول مصاحبتها، ولم تفهم هي عنا، لان افهامها مقصورة على  
تلك الأمور المخصوصة، ولما جعل سليمان يفهم عنها، كان قد علم منطقها.  
وقوله \* (وأوتينا من كل شيء) \* لفظه لفظ العموم، والمراد به الخصوص  
لأنه لم يؤت أشياء كثيرة. وقيل: المعنى \* (وأوتينا من كل شيء) \* يطلبه  
طالب لحاجته إليه وانتفاعه به، ويحتمل أن يكون المراد \* (وأوتينا من كل شيء) \*  
علما وتسخييرا في كل ما يصلح أن يكون معلوما لنا ومسخرًا، غير أن مخرجه  
مخرج العموم أبلغ وأحسن.  
ثم اخبر ان سليمان كان قد قال هذا القول: إن هذا لهو الفضل الظاهر. اعترافا

---

(١) مقاييس اللغة (حكل) ٢ / ٩١

بنعم الله. ويحتمل أن يكون ذلك اخباراً من الله بأن ما ذكره هو الفضل  
الظاهر. وقيل: معناه وأعطينا من كل شيء من الخيرات.  
وقوله "وحشر لسليمان جنوده" أي جمع له من كل جهة جنوده "من الجن والإنس  
والطير" قال محمد بن كعب القرطبي: كان عسكره مئة فرسخ، خمسة وعشرون  
من الانس، وخمسة وعشرون من الجن، وخمسة وعشرون من الطير، وخمسة وعشرون  
من الوحش، وقوله "فهم يوزعون" معناه قال ابن عباس: يمنع أولهم على آخرهم  
وقال ابن زيد: يساقون. وقال الحسن: معناه يتقدمون. وقول ابن عباس  
أقوى، لأنه من قولهم: وزعه من الظلم إذا منعه من ذلك وكفه، قال النابغة:  
على حين عاتبت المشيب على الصبي\* وقلت الما أصح والشيب وازع (١)  
ويقولون لا بد للسلطان من وازعة أي يمنع الناس عنه، وقال الشاعر:  
لم يزع الهوى إذ لم توات\* بلى وسلوت عن طلب العتاة (٢)  
وقيل: معنى يوزعون يمنعون ان نزلوا عن مراتبهم بالجمع مرة، وبالتفريق  
أخرى، حتى يتقدموا في مسيرهم. والايضاع المنع من الذهاب، فإنما منع  
أول الجنود على آخرهم ليتلاحقوا، ولا يتفرقوا، كما تقدم الجيوش إذا كثرت  
بمثل ذلك. وقوله "حتى اتوا على واد النمل" معناه سار سليمان وجنوده حتى  
بلغوا واديا فيه النمل و "قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم  
سليمان وجنوده وهم لا يشعرون" قيل: كانت معرفة النمل بسليمان على  
طريق المعجزة الخارقة للعادة له (ع) على غيره. وهذا غير لازم لأنه لا يمتنع ان تعرف  
البهيمة هذا الضرب كما تعرف كثيرا مما فيه نفعها وضررها فمن معرفة النملة انها تكسر  
الحبة بقطعتين لئلا تنبت، الا الكربة فإنها تكسرها بأربع قطع، لأنها تنبت إذا

(١) الطبري ١٩ / ٨٠ والقرطبي ١٣ / ١٦٨

(٢) تفسير الطبري ١٩ / ٨٠

كسرت بقطعتين، فمن هداها إلى هذا هو الذي يهديها إلى ما يحطمها مما لا يحطمها.  
وقيل: جعل لها منطق تفهم به المعاني، لأنه يفهم به المعاني كما تفهم به، كالفم  
وبكما الفرح قال الشاعر:

عجبت لها أنى تكون غناؤها \* فصيحاً ولم تغفر بمنطقها فما (١)  
وقيل: انه ظهر من النملة امارات من الرجوع إلى بيتها خوفاً من حطم  
جنود سليمان إياها، فاعلم به سليمان انها تحرزت، فعبر عن ذلك بالقول مجازاً  
كما قال الشاعر:

امتلاً الحوض وقال قطني \* مهلاً رويدا قد ملأت بطني (٢)  
ولم يكن هناك قول من الحوض. ويقولون: عينك تشهد بسهرك،  
ويريدون بذلك امارات السهر التي تظهر في العين، وقوله " لا يحطمنكم سليمان " أي  
يكسرنكم بأن يطأكم عسكره " وهم لا يشعرون " أي لا يعلمون بوطئكم، فلما فهم  
سليمان هذا " تبسم ضاحكاً من قولها. وقال رب أوزعني " أي الهمني ما يمنع من  
ذهاب الشكر عني بما أنعمت به علي وعلى والدي، ووفقني " ان اعمل صالحاً  
ترضاه وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين " كالأنبياء ومن يجري مجراهم ممن  
يعمل الأعمال الصالحة ولا يرتكب شيئاً من القبائح. وقال ابن زيد: معنى في  
عبادك مع عبادك.

قوله تعالى:

\* (وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من

---

(١) اللسان (غنا)

(٢) قد مر في ١ / ٤٣١

الغائبين (٢٠) لأعذبه عذاباً شديداً أو لأذبحنه أو ليأتيني  
بسلطان مبين (٢١) فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط  
به وجئتكم من سبأ نبأ يقين (٢٢) إني وجدت امرأة تملكهم  
وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم (٢٣) وجدتها وقومها  
يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم  
فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون (٢٤) ألا يسجدوا لله الذي  
يخرج الخبء في السماوات والأرض ويعلم ما تخفون وما  
تعلنون (٢٥) الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم\* (٢٦)  
سبع آيات بلا خلاف.

قرأ ابن كثير " أو ليأتيني بسلطان مبين " بنونين الأولى مشددة مفتوحة  
والثانية مكسورة. الباقون بنون واحدة مشددة مكسورة. وقرأ " مكث " عاصم  
وروح - بفتح الكاف - الباقون بضمها، وهما لغتان. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو  
" من سبأ نبأ " غير مصروف. الباقون مصروف، منونا.  
من لم يصرفه فلأنه معرفة ومؤنث، لأنه قيل: ان (سبأ) حي من احياء اليمن. وقيل:  
هو اسم أمهم. وقد قال الزجاج: (سبأ) مدينة تعرف بمأرب من اليمن، وبينها  
وبين صنعاء مسيرة ثلاثة أيام، فإذا صرفته فعلى البلد، وإذا لم تصرفه، فعلى  
المدينة. وقيل: من صرفه جعله اسماً للمكان، ومن لم يصرفه جعله اسماً للبقعة.

قال جرير:

الواردون وتيم في ذوي سبأ \* قد عض أعناقهم جلد الجواميس (١)  
وقال آخر في ترك صرفه:

من سبأ الحاضرين مأرب إذ \* يبنون من دون سيله العرما (٢)  
وقرأ الكسائي وأبو جعفر ورويس " ألا يا اسجدوا " بتخفيف (ألا).  
الباقون " ألا يسجدوا " مشددة. وجه قراءة الكسائي أنه جعل (ألا) للتنبيه  
(يا) هؤلاء على حذف المنادي " اسجدوا " على الامر، قال الأخطل:  
ألا يا اسلمي يا هند هند بني بدر \* وإن كان حيانا عدى آخر الدهر (٣)  
أي ألا يا هند. وقرأ ابن مسعود " هلا " وذلك يقوى قراءة من قرأ  
بالتخفيف. ومن قرأ بالتشديد فمعناه وزين لهم الشيطان ضلالتهم لئلا يسجدوا  
لله، وشاهد الأول قول الشاعر:  
ألا اسلمي يا دارمي على البلى \* ولا زال منهلا بجرعائك القطر (٤)  
وقال العجاج:

يا دار سلمي يا اسلمي ثم اسلمي \* عن سمس أو عن يمين سمس  
اخبر الله سبحانه عن سليمان أنه " تفقد الطير، فقال مالي لا أرى الهدهد "  
قيل كان سبب تفقده الهدهد أنه احتاج إليه في سيره ليدله على الماء، لأنه يقال:  
انه يرى الماء في بطن الأرض. كما نراه في القارورة - وذكره ابن عباس - وقال  
وهب بن منية: كان تفقده إياه لاخلاله بنوبته. وقيل: كان سبب تفقده أن  
الطير كانت تظله من الشمس، فلما أخل الهدهد بمكانه بان بطلوع الشمس عليه

---

(١) مر تخريجه انظر ٦ / ٣٨٨

(٢) تفسير القرطبي ١٣ / ١٨١

(٣) تفسير الطبري ١٩ / ٨٤

(٤) تفسير القرطبي ١٣ / ١٨٧



وقوله " أم كان من الغائبين " معنى (أم) بل. وقيل: " معناه أتأخر عصيانا " أم كان من الغائبين " لعذر وحاجة. ثم قال " لأعذبه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين " وهذا وعيد منه للهدهد أنه متى لم يأت سليمان بحجة ظاهرة في تأخره يفعل به أحد ما قاله، عقوبة له على عصيانه. قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك: تعذيب الهدهد نتف ريشه وطرحه في الشمس.

قوله " فمكث غير بعيد " أي لبث غير بعيد، وفي ماضيه لغتان - فتح الكاف وضمها - ثم جاء سليمان، فقال معتذرا عن تأخره، وإخلاله بموضعه " أحطت بما لم تحط به " أي علمت ما لم تعلم، وعلم الإحاطة هو أن يعلمه من جميع جهاته التي يمكن أن يعلم عليها تشبيها بالسور المحيط بما فيه. ثم قال له " وجئتك من سبأ " يا سليمان يا نبي الله " نبأ " و (سبأ) مدينة أو قبيلة على ما بيناه. وروي عن النبي صلى الله عليه وآله ان (سبأ) رجل واحد له عشرة من العرب فتيا من ستة وتشاءم أربعة، فالذين تشاءموا: لحم، وجذام، وغسان، وعاملة. والذين تيامنوا: كندة، والأشعرون، والأزد، ومذحج، وحمير، وانمار، ومن الانمار خثعم وبجيلة.

وقوله " نبأ يقين " أي بخبر لا شك فيه، وانه يحتاج إلى معرفته، لما فيه من الإصلاح لقوم قد تلاعب بهم الشيطان في ذلك، فعذره عند ذلك سليمان [ وقيل: عذر الهدهد بما أخبره بما يحبه لما فيه من الاجر وإصلاح الملك الذي وهبه الله ] (١) ثم شرح الخبر فقال " إني وجدت امرأة تملكهم " وتتصرف فيهم بحيث لا يعترض عليها أحد ومع ذلك " أوتيت من كل شيء " أي

---

(١) ما بين القوسين كان في المطبوعة متأخرا عن مكانه أسطرا

أعطيت كل شيء، لفظه لفظ العموم والمراد به المبالغة في كثرة ما أوتيت من نعم الدنيا وسعة الملك. وقيل: انها أوتيت كل شيء يؤتي الملوك، والعرش العظيم سرير كريم معمول من ذهب وقوائمه من لؤلؤ وجوهر - في قول ابن عباس - ثم اخبر انه وجدها " وقومها يسجدون للشمس من دون الله " وأن الشيطان زين ذلك لهم فهم لا يهتدون إلى سبيل الحق والتوحيد واخلاص العبادة لله تعالى.

ثم قال الهدد على وجه التوبيخ والتهجين لفعلهم " ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبأ في السماوات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون " والخبأ هو المخبوء، وهو ما أحاط به غيره حتى منع من إدراكه. وضع المصدر موضع الصفة خبأته اخبأته خبأ. وما يوجده الله ويخرجه من العدم إلى الوجود فهو بهذه المنزلة فخبأ السماء الأمطار والرياح، وخبأ الأرض الأشجار والنبات " ويعلم ما تخفون وما تعلنون " فمن قرأ بالتاء جعله للمخاطبين. ومن قرأ بالياء فللغائبين. والخبأ والخفاء نظائر، وقيل الخبأ الغيب، وهو كل ما غاب عن الإدراك. وقوله " فهم لا يهتدون " دليل على أن المعارف ليست ضرورة، لأنه أراد لا يهتدون إلى دين الله. وقال الجبائي: لم يكن الهدد عارفاً بالله وإنما أخبر بذلك، كما يخبر مراقبو صبياننا، لأنه لا تكليف عليهم ولا تكيف إلا على الملائكة والجن والانس، وهذا الذي ذكره خلاف الظاهر، لان الاحتجاج الذي حكاه الله عن الهدد احتجاج عارف بالله وبما يجوز عليه وما لا يجوز، لأنه قال " وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله " ولا يجوز أن يفرق بين الحق في السجود لله وبين الباطل الذي هو السجود للشمس، وان أحدهما حسن

والآخر قبيح إلا من كان عارفا بالله وبما يجوز عليه وما لا يجوز، وذلك ينافي حال الصبيان، ثم نسب تزيين عملهم إلى الشيطان، وهذا قول من عرفه وعرف ما يجوز عليه في عدله، وأن القبيح لا يجوز عليه، ثم حكى أنه قال إن الشيطان صدهم عن السبيل: الحق باغوائهم، وانهم مع هذا الصد لا يهتدون إلى الحق من توحيد الله وعدله.

وقال أبو عبد الله البصري في بعض المواضع: إن الهدهد كان رجلاً من البشر اسمه هدهد، ولم يكن من الطير وهذا غلط لأن الله تعالى قال "وتفقد" يعني سليمان تفقد "الطير فقال مالي لا أرى الهدهد" فكيف يحمل ذلك على أنه اسم رجل؟! إن هذا من بعيد الأقوال. وقال الفراء: من قرأ "ألا" بالتخفيف، فهو موضع سجود، ومن ثقل، فلا ينبغي أن يكون موضع سجود. وقد يجوز السجود على مخالفة تزيين الشيطان. ومعنى "ويعلم ما يخفون وما يعلنون" أي ما يسرون في نفوسهم، وما يظهرونه. وقرأ الكسائي وحفص "ما تخفون وما تعلنون" بالتاء فيهما على الخطأ. الباقر بالياء على الخبر. ثم أخبر فقال "الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم" إلى هنا تمام حكاية ما قاله الهدهد. و (العرش) سرير الملك الذي عظمه الله ورفع فوق السماوات السبع وجعل الملائكة تحف به وترفع أعمال العباد إليه، وتنشأ البركات من جهته فهو عظيم الشأن، كما وصفه تعالى. قوله تعالى:

\* (قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين (٢٧) اذهب بكتابي هذا فאלقه إلیهم ثم تول عنهم فانظر ماذا

يرجعون (٢٧) قالت يا أيها الملاء إني ألقى إلي كتاب كريم (٢٩) إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم (٣٠) ألا تعلوا علي وأتوني مسلمين\* (٣١) خمس آيات بلا خلاف. لما سمع سليمان ما اعتذر به الهدد في تأخره بما قصه الله تعالى وذكرناه قال عند ذلك " سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين " في قولك الذي أخبرتنا به فأجازيك بحسب ذلك. وإنما لم يقل: أصدقت أم كذبت، وقال: أم كنت من الكاذبين، لأنه أليق في الخطاب، لأنه قد يكون من الكاذبين بالميل إليهم وقد يكون منهم بالقرابة التي بينه وبينهم. وقد يكون منهم بأن يكذب كما كذبوا ومثل ذلك في الخطاب ولينه قولهم: ليس الامر على ما تقول، فهو أليق من كذبت، لأنه قد يكون ليس كما تقول من جهة الغلط الذي لا يوصف بالصدق ولا بالكذب.

ثم أمر سليمان الهدد بأن يذهب بكتابه الذي كتبه له وأشار إليه بقوله " هذا فألقه إليهم ثم تولى عنهم فانظر ماذا يرجعون " وقيل: في الكلام تقديم وتأخير، وتقديره فألقه إليهم فانظر ماذا يرجعون، ثم تولا عنهم، وهذا لا يحتاج إليه، لان الكلام صحيح على ما هو عليه من الترتيب. والمعنى فألقه إليهم ثم تول عنهم قريبا منهم، فانظر ماذا يرجعون - على ما قال وهب بن منية وغيره - فإنهم قالوا معنى " تول عنهم استتر عنهم، وفي الكلام حذف، لان تقديره فمضى الهدد بالكتاب. وألقاه إليهم، فلما رآته قالت لقومها " يا أيها الملاء " وهم أشرف أصحابها " إني ألقى إلي كتاب كريم " ومعنى كريم أنه حقيق بأن

يوصل الخير العظيم من جهته، فلما رأت آثار ذلك في كتاب سليمان وصفته بأنه كريم. وقيل: أرادت ب (كريم) انه من كريم يطيعه الإنس والجن والطيور. والهاء في قوله " انه من سليمان " كناية عن الكتاب، والهاء في قوله " وإنه بسم الله الرحمن الرحيم " كناية عما في الكتاب. وقيل: إنه كان مختوماً، فلذلك وصفته بأنه كريم.

وقوله " بسم الله الرحمن الرحيم " حكاية ما قالت على المعنى باللغة العربية، وإن كانت لم تقل هي بهذا اللفظ، والحكاية على ثلاثة أوجه: حكاية على المعنى فقط، وحكاية على اللفظ فقط من غير أن يعلم معناه. وحكاية على اللفظ والمعنى وهو الأصل في الحكاية التي لا يجوز العدول عنها إلا بقريضة. وموضع " ان لا تعلوا " يجوز أن يكون رفعا بالبدل من (كتاب) ويحتمل النصب على معنى بأن لا تعلوا. والعلو على الشيء طلب القهر له بما يكون به بحسب سلطانه " لا تعلوا علي " أي لا تطلبوا تلك الحال، فإنكم لا تنالونها مني، \* (واتوني مسلمين) \* يحتمل وجهين:

أحدهما - واتوني مؤمنين بالله ورسوله.

الثاني - مستسلمين لامري فيما أدعوكم إليه فاني لا أدعو إلا إلى الحق. قوله تعالى:

\* (قالت يا أيها الملأ أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون (٣٢) قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد \* والامر إليك فانظري ماذا تأمرين (٣٣) قالت إن الملوك إذا

دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون (٣٤)  
وإني مرسله إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون) \* (٣٥)  
خمس آيات حجازي. وأربع فيما عداه. عد الحجازيون شديد رأس آية ولم  
يعده الباقون.

حكى الله تعالى ان المرأة لما وقفت على كتاب سليمان، ووصفته بأنه كتاب  
كر؟؟، وعرفتهم ما فيه قالت لاشراف قومها \* (أفتوني في أمري) \* اي أشيروا  
علي والفتيا هو الحكم بما هو صواب بدلا من الخطأ، وهو الحكم بما يعمل عليه  
كما يسأل العامي العالم ليعمل على ما يجيبه به، ثم قالت لهم لم أكن أقطع أمرا  
ولا أفصل حكما دونكم ولا أعمل به \* (حتى تشهدون) \* وتعاينوه. وهذا ملاطفة  
منها لقومها في الاستشارة منهم فيما يعمل عليه، فقالوا لها في الجواب عن ذلك  
انا \* (نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد) \* أي أصحاب قدرة وأصحاب بأس  
أي شجاعة شديدة \* (والامر إليك فانظري ماذا تأمرين) \* ما الذي تأمرينا به  
لنمثله، وهذا القول منهم فيه عرض القتال عليها إن أرادت، فقالت لهم في  
الجواب \* (ان الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها) \* فكونوا على حذر من ذلك  
\* (وجعلوا أعزة أهلها أذلة) \* قيل بأن يستعبدوهم. فقال الله تعالى تصديقا لهذا  
القول \* (وكذلك يفعلون) \* قال ابن عباس: إنما يفعلون ذلك إذا دخلوها عنوة.  
ثم حكى انها قالت \* (إني مرسله إليهم بهدية) \* فأذنوا للامر في ذلك لأنظر ما  
عند القوم فيا يلتمسون من خير أو شر. وقيل إنها أرسلت بجوار وغلمان  
على زي واحد. فقالت إن ميز بينهم ورد الهدية وأبا إلا المتابعة، فهو نبي  
وإن قبل الهدية فإنما هو من الملوك. وعندنا ما يرضيه - ذكره ابن عباس -

وقيل: انها أرسلت إليه بلبنة من ذهب فأمر سليمان أن تطرح بين أرجل الدواب وسراقينها استهانة بذلك.

قوله تعالى:

\* (فلما جاء سليمان قال أتمدونن بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون (٣٦) ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون (٣٧) قال يا أيها الملأ أئكم يأتييني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين (٣٨) قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين (٣٩) قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم) \* (٤٠) خمس آيات بلا خلاف.

قرأ حمزة ويعقوب " أتمدوني " بنون واحدة مشددة على الادغام وياء ثابتة في الوصل والوقف. الباقون بنونين.

اخبر الله تعالى إن الهدية التي أنفذت بها المرأة، لما وصلت إليه، قال لموصلها

" أتمدوني بمال " والامداد الحاق الثاني بالأول، والثالث بالثاني إلى حيث ينتهي. والمعنى لست أرغب في المال الذي تمدوني به، وإنما أرغب في الايمان الذي دعوتكم إليه والاذعان بالطاعة لله ورسوله. ثم قال " فما آتاني الله خير مما آتاكم " بالتمكين من المال الذي لي أضعافه واضعاف أضعافه إلى ما شئت منه. ثم قال لهم " بل أنتم بهديتكم تفرحون " أي ما يهدي إليكم " لأنكم أهل مفاخرة في الدنيا ومكاثرة. وقيل بهديتكم التي أهديتموها إلي تفرحون. والهدية العطية على جهة الملاطفة من غير مثابة، تهدي هدية، لأنها تساق إلى صاحبها على هداي، فالأصل الهداية وهي الدلالة على طريق الرشد. ثم حكى ما قال سليمان لرسولها الذي حمل الهدية " ارجع إليهم " وقل لهم " فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها " أي لا طاقة لهم بهم ولا يقدر على مقاومتهم " ولنخرجهم منها أذلة وهم صاغرون " فالذليل هو الناقص القوة في نفسه بما لا يمكنه أن يدفع غيره عن نفسه. والصاغر هو الذليل الصغير القدر المهيمن، يدل على معنى التحقير بشيئين، ونقيض الذليل العزيز وجمعه أعزة، جمع الذليل أذلة.

ثم حكى تعالى أن سليمان قال لاشراف عسكره وأمائلة جنده " أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين " فاختلفوا في الوقت الذي قال سليمان " أيكم يأتيني بعرشها " فقال قوم قال ذاك حين جاءه الهدهد بالخبر، وهو الوقت الأول لأنه يبين به صدق الهدهد من كذبه، ثم كتب الكتاب بعد - في قول ابن عباس - وقال وهب بن منية: إنما قال ذلك بعد مجئ الرسل بالهدية. واختلفوا في السبب الذي لأجله خص بالطلب فقيل لأنه أعجبه صفته فأحب أن يراه، وكان من ذهب وقوائمه مكلل من جوهر، على ما ذكره قتادة. وقال



ابن زيد: لأنه أحب أن يعاينها ويختبر عقلها إذا رأته أثبتته أم تنكره. وقيل:  
ليربها قدرة الله في معجزة، يأتي بها في عرشها.  
واختلفوا في معنى "مسلمين" فقال ابن عباس: معناه طائعين مستسلمين  
وقال ابن جريج: هو من الاسلام الذي هو دين الله الذي أمر به عباده.  
ثم حكى تعالى انه أجاب سليمان عفريت من الجن. ومعنى عفريت مارد  
قوي داهية، يقال: عفريت وعفرية، ويجمع عفاريت وعفاري. قال سيبويه:  
هو مأخوذ من العفر. والمعنى كل شديد في مذهبه من الدهاء والنعارة والنجابة  
يقال: رجل عفرية نفرية على وزن (زبينة) لواحد الزبانية.  
وقوله "انا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك" أي من مجلسك الذي  
تقضي فيه - في قول قتادة - "وإني عليه" يعني على الاتيان به في هذه المدة  
"لقوي أمين" وفي ذلك دلالة على بطلان قول من يقول: القدرة تتبع الفعل  
لأنه أخبر انه قوي عليه، ولم يحن بعد بالعرش. وقال ابن عباس: "أمين"  
على فرج المرأة. فقال عند ذلك "الذي عنده علم من الكتاب" قال ابن عباس  
وقتادة: هو رجل من الانس، كان عنده علم اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به  
أجاب. وقيل: يا إلهنا وإله كل شيء يا ذا الجلال والاكرام، وقال الجبائي:  
الذي عنده علم من الكتاب سليمان (ع). وقال ذلك للعفريت ليريه نعمة الله  
عليه. والمشهور عند المفسرين هو الأول. وقد ذكر أن اسمه أصف بن برخيا.  
وقيل: هو الخضر. وقال مجاهد: اسمه أسطوع. وقال قتادة: اسمه مليخا.  
وقوله "انا آتيك به قبل ان يرتد إليك طرفك" قيل في معناه قولان:  
أحدهما - قال مجاهد: إن ذلك على وجه المبالغة في السرعة.  
الثاني - قال قتادة: معناه قبل أن يرجع إليك ما يراه طرفك. وقيل:

قبل ان يرجع طرفك خاسئاً إذا فتحتها وأدمت فتحها. وقيل: قبل أن تفتحها وتطبقها. وقيل: حمل العرش من مأرب إلى الشام في مقدار رجع البصر. وقيل: شقت عنه الأرض فظهر. وقيل يجوز أن يكون الله أعدمه ثم أوجده في الثاني بلا فصل بدعاء الذي عنده علم من الكتاب، وكان مستجاب الدعوة إذا دعا باسم الله الأعظم. ويكون ذلك معجزة له. وقال قوم: كان ذلك معجزة لسلمان. وفي الكلام حذف، لان تقديره "أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك" فأتاه به "فلما رآه" سليمان "مستقرا عنده قال" معترفا بنعم الله عليه "هذا من فضل ربي ليبلوني أشكر أم أكفر" أي أشكر على نعمه أم أجحدها.

ثم قال سليمان "ومن شكر فإنما يشكر لنفسه" لان ثواب ذلك يعود عليه ومن جحد نعم الله فإنما يضر نفسه، لان عقاب ذلك يحل به "فان الله غني عن شكره وعن كل شيء." كريم "في انعامه على خلقه. وقرأ أبو عمرو ونافع وعاصم - في رواية حفص - \* (فما أتاني الله) \* - بفتح الياء - في الوصل. الباكون "فما آتان" بغير ياء في الوصل. قوله تعالى:

\* (قال نكروا لها عرشها ننظر أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون (٤١) فلما جاءت قيل لها أهكذا عرشك قالت كأنه هو وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين (٤٢) وصدها ما كانت

تعبد من دون الله إنها كانت من قوم كافرين (٤٣) قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقها قال إنه صرح ممرد من قوارير \* قال رب إنني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين (٤٤) ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحا أن اعبدوا الله فإذا هم فريقان يختصمون (٤٥) خمس آيات عند الكل ما عدا الكوفي، فإنها في عدده ست آيات عد \* (قوارير) \* آية. ولم يعده الباقون.

حكى الله تعالى أن سليمان أمر أن ينكروا لها عرشها، وهو أن يغيره إلى حال تنكره إذا رأته أراد بذلك اعتبار عقلها على ما قيل. والجحد والانكار: جحد العلم بصحة الشيء، ونقيضه الاقرار، والتنكير تغيير حال الشيء إلى حال ينكرها صاحبها إذا رآها.

وقوله " ننظر أتهدي أم تكون من الذين لا يهتدون " بيان من سليمان أن الغرض بتنكير عرشها ننظر أتهدي بذلك أم تكون من الذين لا يهتدون إلى طريق الرشده، فلما جاءت المرأة، قال لها سليمان " أهكذا عرشك " فقالت في الجواب كأنه هو، ولم تقطع عليه، لما رأت من تغير أحواله. فقال سليمان " وأوتينا العلم من قبلها " قال مجاهد: هو من قول سليمان " وكنا مسلمين " أي مؤمنين بالله مستسلمين له. وقال الجبائي: هو من كلام قوم سليمان (ع). ثم أخبر تعالى فقال " وصدها ما كانت تعبد من دون الله " ومنعها

منه وتقديره وصدها سليمان عما كانت تعبد من دون الله، ومنعها منه " انها كانت من قوم كافرين " بنعم الله عليهم عابدين مع الله غيره. وقال الفراء: يجوز أن يكون المراد صدها عن عبادة ما كانت تعبد من دون الله من الشمس انها كانت من قوم كافرين يعبدون الشمس، فنشأت على ذلك. وكسر (انها) على الاستئناف، ولو نصب على معنى، لأنها جاز.

ثم حكى بأنه قيل لها " ادخلي الصرح " فالصرح هو الموضع المنبسط المنكشف من غير سقف، ومنه قولهم: صرح بالامر إذا افصح به، ولم يكن عنه. والتصريح خلاف التعريض، وفلان يكذب صراحا من هذا. " فلما رآته حسبته لجة " يعني ان المرأة لما رأت الصرح ظنته لجمة، واللجة معظم الماء. ومنه لجج البحر خلاف الساحل. ومنه لج في الامر إذا بالغ بالدخول فيه " وكشفت عن ساقها " ظنا منها انها تريد ان تخوض الماء. وقيل: ان سليمان اجرى الماء تحت الصرح الذي هو كهيئة السطح. وقيل: الصرح صحن الدار يقال صرحة الدار، وراحة الدار، وقاعة الدار، وقارعة الدار كله بمعنى صحن الدار. وقيل صرح القصر، قال الشاعر:

بهن نعام بناء الرجال \* تشبه اعلامهن الصروحا (١)

وقال أبو عبيدة: كل بناء من زجاج أو صخر أو غير ذلك موثق، فهو صرح، ومنه " يا هامان ابن لي صرحا " (٢) وقيل: انه أراد ان يختبر عقلها. وقيل: لأنهم كانوا قالوا: إن ساقها مثل ساق الحمار برجل حمار، لأنها من ولد بين الإنس والجن، لأنه قيل: ان الجن خافت ان يتزوج بها سليمان،

(١) تفسير القرطبي ١٣ / ٢٠٩ والطبري ٢٠ / ٤١

(٢) سورة ٤٠ المؤمن آية ٣٦

فقالوا ذلك لينفروا عنها، فلما امتحن ذلك وجدته على خلاف ما قيل فيه. وقيل: انه كان قيل: ان على ساقها شعرا، فلما كشفتها بان الشعر فساءه ذلك واستشار الجن في ذلك، فعملوا له النورة والزرنيخ. وقيل: انه أول من اتخذ له ذلك. وقيل: إنما فعل ذلك ليربها عظيم آيات الله لتسلم وتهتدي إلى دين الله.

ثم قال لها " انه صرح بمرد من قوارير " فالمرد المملس، ومنه الأمر. وشجرة مرداء ملساء لا ورق عليها، والمارد الخارج عن الحق المملس منه. فقالت عند ذلك يا رب " اني ظلمت نفسي " بما ارتكب من المعاصي بعبادة غيرك " وأسلمت " الآن " مع سليمان لله رب العالمين " الذي خلق الخلق. وقيل: انها لما أسلمت تزوجها سليمان (ع). ثم اخبر تعالى انه ارسل " إلى ثمود أخاهم صالحا " يعني في النسب، لأنه كان منهم " ان اعبدوا الله " موضع (ان) نصب، وتقديره أرسلناه بأن اعبدوا الله، وحده لا شريك له " فإذا هم فريقان يختصمون " يعني منهم مؤمن بصالح ومنهم كافر به، في قول مجاهد قوله تعالى:

\* (قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون (٤٦) قالوا اطينا بك وبمن معك قال طائركم عند الله بل أنتم قوم تفتنون (٤٧) وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون (٤٨)

قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون (٤٩) ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون) \* (٥٠) خمس آيات بلا خلاف.

قرأ حمزة والكسائي وخلف \* (لتبيتنه وأهله ثم لتقولن) \* بالتاء فيهما جميعا.

الباقون بالنون. وقرأ مجاهد بالياء. وقرأ أبو بكر عن عاصم \* (مهلك) \* بفتح الميم واللام، وفي رواية حفص - بفتح الميم وكسر اللام - الباقون - بضم الميم وفتح اللام - قال أبو علي: من قرأ بضم الميم احتمل المرين: أحدهما - أراد المصدر من إهلاك أهله أي لم نشهد اهلاكهم. الثاني - أن يكون المراد لم نشهد موضع إهلاكهم. وقراءة حفص أيضا تحتل أمرين: أحدهما - ما شهدنا موضع هلاكهم. والثاني - المصدر أي ما شهدنا هلاكهم. وقراءة أبي بكر معناها المصدر.

لما أخبر الله تعالى أنه أرسل صالحا إلى قومه، وأنهم كانوا فريقين، مسلم وكافر، يخاصم بعضهم بعضا، قال لهم صالح \* (يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة) \* فالاستعجال طلب التعجيل، وهو الاتيان به قبل وقته. وكان هؤلاء الجاهل إذا خوفوا بالعقاب قالوا، على جهة الإنكار لصحته متي هو؟ وهلا يأتينا به؟، فقال لهم صالح \* (لم تستعجلون) \* ذلك: قال مجاهد. يعني العذاب قبل الرحمة، والسيئة - ههنا - المراد بها العقاب سماها سيئة لما فيها من الآلام ولأنها جزاء على الأفعال السيئة، لان السيئة هي الخصلة التي تسوء صاحبها حين

يجدها. والسيئة أيضا هي الفعل القبيح الذي، لا يجوز لفاعلها فعلها، ونقيضها الحسنة. فقال لهم \* (لولا تستغفرون الله) \* ومعناه هلا تسألون الله الغفران به بدلا من استعجال العقاب \* (لعلكم ترحمون) \* وإنما خرجت (لولا) إلى معنى (هلا) لأنها كانت لامتناع الشيء لكون غيره، كقولك: لولا زيد لايتك، فخرجت إلى الانكار، لامتناع الشيء لفساد سببه فقال \* (لولا تستغفرون الله) \* منه. ثم اخبر بما أجابوه، لأنهم قالوا \* (اطيرنا بك وبمعنى معك) \* أي وبمن هو على دينك، فالتطير التشاؤم، وهو نسبة الشؤم إلى الشيء على ما يأتي به الطير من ناحية اليد اليسرى وهو البارح، والسانح هو اتيانها من جهة اليد اليمنى. واصل، (اطيرنا) تطيرنا، دخلت فيه ألف الوصل، لما سكنت الطاء للدغام، فقال لهم صالح \* (طائرکم عند الله) \* أي الشيء الذي تحذرونه بالتطير \* (عند الله) \* لأنه القادر على عقابكم بما أنتم عليه من الكفر. والمعنى - في قول ابن عباس - معاقبتكم عند الله. ثم قال لهم: ليس ذلك للتشاؤم والتطير \* (بل أنتم قوم تفتنون) \* فالفتنة - ههنا - قولهم ما زين لهم من الباطل. ثم اخبر تعالى أنه " كان في المدينة " التي بعث الله منها صالحا " تسعة رهط يفسدون في الأرض " أي يفعلون فيها المعاصي " ولا يصلحون " أي لا يفعلون الطاعات.

وقوله " قالوا تقاسموا بالله " قيل في معناه قولان: أحدهما - قالوا متقاسمين إلا أنه يحذف منه قد. والآخر - انه أمر، وليس بفعل ماض. " لنبيته وأهله " حكاية أنهم قالوا: \* (لنبيته) \* فمن قرأ بالنون أراد إنا نفعل بهم ذلك ليلا. ومن قرأ بالتاء، فعلى انه خاطب بعضهم بعضا بذلك. ولمعنى انهم تحالفوا: لنطرقنهم ليلا،

يقال لكل عمل بالليل تبسيت، ومنه قوله \* (إذ يبيتون مالا يرضى من القول) \* (١) وانشد أبو عبيدة:

أتوني فلم ارض ما بيتوا \* وكانوا اتوني بأمر نكر  
لأنكح أمهم منذرا \* وهل ينكح العبد حر لحر (٢)  
وقال ابن إسحاق انهم لما اتوا صالحا لتبسيته، دفعته الملائكة بالحجارة،  
\* (ثم لنقولون لوليه) \* معناه إنهم قالوا إذا قال لنا وليه وناصره: من فعل هذا  
قلنا له \* (ما شهدنا مهلك أهله) \* فمن ضم الميم أراد ما رأينا إهلاكه. ومن  
فتح الميم أراد مكان هلاكهم أو اهلاكهم يريد المصدر \* (وانا لصادقون) \* في  
هذا القول.

ثم اخبر تعالى انهم "مكروا" بهذا القول "ومكرنا" نحن أيضا مكرا  
بأن جازيناهم على مكرهم وجعلنا وباله عليهم فانا أهلكناهم عن آخرهم. وقيل:  
ان الله أرسل عليهم صخرة أهلكتهم. ويحتمل أن يكون المعنى في "مكرنا" انا  
أنجينا المؤمنين بالمكر بالكفار بكل ما يقدر عليهم من الاضرار بهم، وإلجائهم  
إلى الايمان. وإنما نسبه إلى نفسه لما كان بأمره.  
قوله تعالى:

\* (فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أن دمرناهم وقومهم  
أجمعين (٥١) فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا إن في ذلك لآية  
لقوم يعلمون (٥٢) وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون (٥٣)

---

(١) سورة ٤ النساء آية ١٠٧

(٢) مر تخريجه في ٣ / ٢٦٩ ، ٣١٩



ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون (٥٤)  
أنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم  
تجهلون\* (٥٥) خمس آيات بلا خلاف.  
قرأ أهل الكوفة ويعقوب " أنا دمرناهم " بفتح الألف. الباقيون بكسرها  
ومن فتح احتمل وجهين:  
أحدهما - النصب على البدل من (كيف) و (كيف) نصب ب (انظر).  
والثاني - أن يكون (كيف) في موضع الحال و (دمرنا) خبر (كان)  
وتلخيصه، فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أي عاقبة أمرهم التدمير. وقيل: هو  
نصب بتقدير بأنا، فلما حذف الباء نصب، وقال الكسائي: هو في موضع الجر.  
ويحتمل الرفع أيضا على البدل من (عاقبة). ويحتمل أيضا على الجواب، كأنه قيل:  
ما كان عاقبة أمرهم؟ فقيل: تدميرنا لهم.  
يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله " انظر " يا محمد وفكر " كيف كان عاقبة مكرهم "

أي هؤلاء الكفار الذين كفروا ودمرناهم. والعاقبة الحال التي يؤدي إليها البادئ  
تقول: اعقبنى هذا الدواء صحة. وأعقب هذا الطعام الردي مرضا، وكذلك  
المعاصي تعقب النار. وقيل: ان بيوتهم هذه المذكورة بوادي القرى موضع بين  
الشام والمدينة. والمكر الاخذ بالحيلة للايقاع في بلية، فلما مكر أولئك الكفار  
بصالح (ع) ليقتلوه، ومن آمن ولم يتم مكرهم، وأدى مكرهم إلى هلاكهم وتدميرهم  
والتدمير التقطيع بالعذاب، فدمر الله قوم صالح بأن قطعهم بعذاب الاستئصال  
في الدنيا قبل الآخرة، فلم يبق لهم باقية.

ثم اخبر تعالى ان بيوت أولئك الكفار " خاوية " أي خالية فارغة  
وكان رسمهم أن يكونوا فيها ويأوون إليها، فلما أهلكهم الله، صاروا عبرة لمن  
نظر إليها واعتبر بها. وقيل هذه البيوت المذكورة بوادي القرى.  
وقوله " وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون " اخبار منه تعالى انه أنجى  
وخلص المؤمنين من قوم صالح لأنهم كانوا يتقون معاصي الله، خوفا من  
عقابه، فالالتقاء الامتناع من البلاء بما يرد عن صاحبه ان ينزل به. والتقوي هو  
العامل بما يتقي عنه العقاب. وقيل: ان الله تعالى دمر التسعة الرهط الذين يفسدون  
في الأرض وقومهم.

وقوله " ولوطا إذ قال لقومه " يحتمل أمرين:  
أحدهما - نصب (لوطا) بتقدير وأرسلنا لوطا. الثاني - واذكر لوطا حين  
قال لقومه منكرا عليهم افعالهم " أتأتون الفاحشة " يعني الخصلة القبيحة  
الشنيعه، الظاهرة القبح، وهي اتيانهم الذكران في أدبارهم " وأنتم تبصرون "  
أي تعلمون أنها فاحشة. وقيل معناه: " وأنتم تبصرون " أي يرى بعضكم  
من بعض ان ذلك عتوا وتمردا. ثم بين الفاحشة التي كانوا يفعلونها بقوله " أنتم  
لتأتون الرجال شهوة من دون النساء " التي خلقهن الله لكم. ثم اخبر تعالى  
عن لوط أنه قال لهم " بل أنتم قوم تجهلون " اي تفعلون أفعال الجهال لجهلكم  
بمواقع نعم الله سبحانه وتعالى عليكم.  
قوله تعالى:

\* (فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من

قريبتكم إنهم أناس يتطهرون (٥٦) فأنجيناه وأهله إلا امرأته  
قدرناها من الغابرين (٥٧) وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر  
المنذرين (٥٨) قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى  
الله خير أما يشركون (٥٩) أمن خلق السماوات والأرض وأنزل  
لكم من السماء ماء فأنبأنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم  
أن تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون) \* (٦٠)  
خمس آيات بلا خلاف.

نصب (جواب قومه) بأنه خبر (كان) واسمها (أن قالوا) ولا يجوز  
وقع جواب - ههنا - لأن ما بعد الايجاب وما قبلها نفي، والنفي أحق بالخبر  
من الايجاب، ومثله " ما كان حجتهم إلا قالوا " (١).  
اخبر الله تعالى عن قوم لوط حين قال لهم لوط ما تقدم ذكره، منكر  
عليهم انه لم يكن لهم جواب عن ذلك، بل عدلوا إلى أن قالوا، بعضهم لبعض  
خرجوا لوطا ومن تبعه " من قريبتكم " فإنهم " أناس يتطهرون " أي يتطهرون  
عن عملكم في إتيان الذكران من العالمين إذ تأمرونهم، ويتنزهون عن ذلك، فلا  
تجاوزوهم وهذه صفتهم - وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة - فأخبر الله  
تعالى أنه أهلك هؤلاء القوم بأجمعهم وأنجى لوطا وأهله الذين آمنوا به من

---

(١) سورة ٤٥ الجاثية آية ٢٤

(١٠٦)

ذلك الهلاك واستثنى من جملة أهله امرأته، وأخبر أنه " قدرناها من الغابرين " أي جعلها من الغابرين لأن جرمها على مقدار جرمهم، فلما كان تقديرها كتقديرهم في الاشرار بالله جرت مجراهم في انزال العذاب بهم. وقيل: " قدرناها " أي بما كتبنا إنها من الغابرين، وأخبر تعالى أنه أمطر عليهم مطرا. قال الحسن: أمطرت الحجارة على من خرج من المدينة، وخسف المدينة باهلها، فهم يهوون إلى يوم القيامة " فساء مطر المنذرين " وهم الذين أبلغهم لوط النذارة، وأعلمهم بموضع المخافة ليتقوها، فخالفوا ذلك. ونقيض النذارة البشارة، وهي الاعلام بموضع الامن ليجتنبى، والنذير البشير ينذر بالنار ويبشر بالجنة.

ثم قال لنبه محمد صلى الله عليه وآله قل يا محمد " الحمد لله " شكرا على نعمه بأن وفقنا

للايمان " وسلام على عباده الذين اصطفى " يعني اجتباهم، الله واختارهم يقال: صفا يصفو صفاء، وأصفاه بكذا إصفاء، واصطفاه اصطفاء، ويصفى تصفيا وصفاء وتصفية، وصافاه مصافاة.

وقوله " أما يشركون " من قرأ - بالتاء - وجهه إلى أنه خطاب لهم. ومن قرأ - بالياء - فعلى الخبر. وقوله " آله خير أما " معناه خير لنا منا لأنفسا، ولفظ أفعل لا يدخل إلا بين شيئين يشتركان في حكم ويفضل أحدهما على صاحبه، وما يعبدون من دون الله لا خير فيه. قال أبو علي: يجوز أن يقع ذلك في الخير الذي لا شر فيه، والشر الذي لا خير فيه. وإن كان يتوهم بعض الجهال الامر على خلاف ما هو به، فتقول: هذا الخير خير من الشر. وانكر على من خالف هذا. وأجاز قوم من أهل اللغة ذلك على ما مضى القول فيه في غير موضع. ثم قال لهم: أمن الذي " خلق السماوات والأرض " بأن أنشأها واخترعها

" وانزل لكم من السماء ماء يعني غيثا ومطرا \* (فأنبتنا به) \* بذلك الماء \* (حدائق) \* وهي جمع حديقة، وهي البستان إذا كان عليه حائط يحوطه \* (ذات بهجة) \* إنما وصف (الحدائق) بلفظ الواحد في قوله \* (ذات) \* لأن معناه جماعة ذات بهجة. وقيل: الحديقة البستان الذي فيه النخل، و (البهجة) منظر حسن ابتهج به إذا سر.

ثم قال \* (ما كان لكم ان تنبتوا شجرها) \* أي لم تكونوا تقدر على انبات شجر الحديقة، لأن الله تعالى هو القادر عليه لا غيره. ثم قال منكرا عليهم \* (أله مع الله) \* يقدر على ذلك. ثم قال \* (بل هم قوم يعدلون) \* بالله غيره لجهلهم، وقيل: يعدلون عن الحق. ومعنى الآية التنبيه على أن من قدر على انبات الحدائق ذات الشجر واخراج الشجر بأكرم الثمار، يجب اخلاص العبادة له، وإن من عدل إلى الاشرار به كافر بهذه النعمة الخفية. قوله تعالى:

\* (أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا أله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون (٦١) أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أله مع الله قليلا ما تذكرون (٦٢) أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته أله مع الله تعالى الله عما يشركون (٦٣) أمن

يبدؤ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أإله  
مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين (٦٤) قل لا يعلم  
من في السماوات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان  
يعثون) \* (٦٥) خمس آيات بلا خلاف.

قرأ أهل البصرة وعاصم " عما يشركون " بالياء. الباقون بالتاء. وقرأ  
أبو عمرو وهشام وروح " قليلا ما يذكرون " بالياء. الباقون بالتاء. من قرأ  
بالياء في الموضعين جعله للمخاطبين ومن قرأ بالتاء فإلى الغائبين.  
يقول الله تعالى منبها على مواقع نعمه على خلقه، ممتنا بها عليهم بأن قال " أمن "  
الذي " جعل الأرض قرارا " بأن أسكنها للاستقرار عليها، وامكان التصرف  
عليها، فمن جعلها كذلك لمصالح عباده بها على ما يحتاجون إليه منها عالم حكيم،  
وهو أولى بالعبادة من الأصنام " وجعل خلالها أنهارا " يعني خلال الأرض وهي  
المسالك في نواحيها " أنهارا " جمع نهر وهي المجرى الواسع من مجاري الماء،  
واصله الاتساع، فمنه النهار لاتساع ضيائه، ومنه انهار الدم إذا جرى، كالنهر  
" وجعل لها رواسي " يعني الجبال الثابتة، رست ترسو رسوا إذا ثبتت فلم  
تبرح من مكانها كالسفينة وغيرها، ومنه المراسي.  
وقوله " وجعل بين البحرين حاجزا " فالحاجز هو المانع بين الشيئين، أن  
يختلط أحدهما بالآخر، وقد يكون ذلك بكف كل واحد منهما عن صاحبه. وفي  
ذلك دلالة على امكان كف النار عن الحطب، حتى لا تحرقه ولا تسخنه كما كف  
الماء المالح عن الاختلاط بالعذب. ثم قال " أإله مع الله " يقدر على ذلك،

تبكيثا لهم على الاشراك به. ثم قال " بل أكثرهم لا يعلمون " حقيقة ما ذكرناه  
لعدو لهم عن النظر في الدلالة المؤدية إليه. وقيل " بل أكثرهم لا يعلمون "  
ما لهم وعليهم في العبادة إن اخلصوها، أو أشركوا فيها.  
ثم قال " أم من يجيب المضطر إذا دعاه " فإجابة دعاء المضطر هو فعل  
ما دعا به، لأجل طلبه، وذلك لا يكون إلا من قادر عليه مختار له، لأنه يقع  
على ما دعا به الداعي " ويكشف السوء " يعني الآلام يصرفها عنكم " ويجعلكم خلفاء  
الأرض " أي يجعل أهل كل عصر يخلفون العصر الأول " إله مع الله " يقدر على ذلك  
ثم قال " قليلا ما تذكرون " أي تفكرون قليلا بما قلناه ونبهنا عليه. ثم  
قال " أم من يهديكم في ظلمات البر والبحر " بما نصب لكم من الدلالات التي  
تستدلون بها، من الكواكب وغيرها \* (ومن) \* الذي \* (يرسل الرياح بشرا بين  
يدي رحمته) \* يعني بين يدي المطر والغيث.  
ومن قرأ بالنون أراد ملقحات. وقيل: معناه منتشرة. ومن قرأ بالباء  
أراد مبشرات بالمطر.

ثم نزه نفسه عن الاشراك به واتخاذ إله معه فقال \* (تعالى عما يشركون) \*  
ثم قال \* (أم من يبدؤ الخلق ثم يعيده) \* يبدؤهم بأن يخترعهم ابتداء، ثم  
يعيدهم بعد أن يميتهم، ويعيدهم إلى ما كانوا عليه \* (ومن يرزقكم من السماء  
والأرض) \* من السماء بالغيث والمطر. ومن الأرض بالنبات وأنواع الثمار  
\* (إله مع الله) \* يقدر على ذلك \* (قل) \* لهم يا محمد \* (هاتوا برهانكم) \* وحجتكم  
\* (ان كنتم صادقين) \* في قولكم محقين في الاشراك معه، فإذا لم تقدرُوا على إقامة  
البرهان على ذلك، فاعلموا انه لا إله معه، ولا يستحق العبادة سواه، لان كان  
ما يكون حقا من أمر الدين لابد أن يكون عليه دلالة وبرهان.

ثم قال لنبيه صلى الله عليه وآله \* (قل) \* يا محمد \* (لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله) \* يعني الغائب عن الخلق لا يعلم به إلا الله تعالى أو من أعلمه الله، ثم اخبر انهم لا يشعرون متى يبعثون ويحشرون يوم القيامة. قوله تعالى:

\* (بل ادرك علمهم في الآخرة بل هم في شك منها بل هم منها عمون (٦٦) وقال الذين كفروا إذا كنا ترابا وآبأؤنا أننا لمخرجون (٦٧) لقد وعدنا هذا نحن وآبأؤنا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين (٦٨) قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين (٦٩) ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون) \* (٧٠) خمس آيات بلا خلاف. قرأ ابن كثير، وأهل البصرة بل " أدراك " بقطع الهمزة، يقال: تدارك زيد أمره وادارك بمعنى واحد، ومثله " إنا لمدركون " (١) وقد شدد الأعرج وروى السموني - بكسر اللام - ووصل الهمزة وتشديد الدال من غير ألف. الباقون " بل ادراك " بمعنى تتابع علمهم وتلاحق حتى كمل. والمعنى بل ادراك في الآخرة أي حين لم ينفعهم اليقين مع شكهم في الدنيا - على ما ذكره ابن عباس - وقيل: انه قرأ " بلى ادراك " وادراك العلم لحاق الحال التي يظهر فيها

---

(١) سورة ٢٦ الشعراء آية ٦٢



معلومه، ففي الآخرة يظهر الحق بما يرى من الأمور التي من شأنها أن يقع عندها علم بمقتضى ما يحدث من عظم الأمور وقيل: معنى " بل " ههنا (هل) فكأنه قال: هل ادرك علمهم، ومعناه انهم لا يعلمون الآخرة " بل هم في شك منها " ومن شدد الدال قال أصله تدارك فأدغموا التاء في الدال وقلبوا ألف الوصل. وقرأ أهل المدينة " إذا " على الخبر. الباكون بهمزتين على الاستفهام، ويحقق الهمزتين ابن عامر وأهل الكوفة وروح، إلا أن هشاما يفصل بينهما بألف، وابن كثير وأبو عمرو ورويس يخففون الأولى ويلينون الثانية. ويفصل بينهما بألف أبو عمرو، واما " ائنا " فقراءته على الخبر، وزاد فيه نونا ابن عامر والكسائي. الباكون بهمزتين وخففهما عاصم وحمزة وخلف وروح. الباكون يخففون الأولى ويلينون الثانية، ويفصل بينهما بألف أهل المدينة إلا ورشا، وأبو عمرو. وقد مضى تعليل هذه القراءات فيما مضى.

لما اخبر الله تعالى عن الكفار أنهم لا يشعرون متى يحشرون يوم القيامة وانهم ساءحرون في ذلك، أخبر انهم يعلمون حقيقة ذلك يوم القيامة حين يبعثهم الله، وانه لا ينفعهم علمهم في ذلك الوقت مع شكهم في دار الدنيا. وأخبر انهم في شك من البعث في دار الدنيا، وأنهم عمون عن معرفة حقيقته. وهو جمع (عمى) وشبه جهلهم بذلك بالعمى، لان كل واحد منها يمنع بوجوده من ادراك الشئ على ما هو به، لان الجهل مضاد العلم، والعمى منافي للرؤية. ثم حكى عن الكفار انهم قالوا متعجبين من البعث والنشور " أئذا كنا ترابا " ويكون " آباؤنا " ترابا أيضا " ائنا لمخرجون " من قبورنا ومبعوثون، يقولون ذلك مستهزئين منكرين. ثم اخبر انهم يحلفون ويقولون " لقد وعدنا هذا " البعث " نحن " فيما مضى وكذلك وعد به " آباؤنا " ولم نعرف حقيقة

ذلك، ثم حكى انهم يقولون ليس " هذا إلا أساطير الأولين " وإنما اشتبه عليهم النشأة الثانية لطول المدة في النشأة الأولى على مجرى العادة، ولو نظروا في أن من أجرى هذه العادة حكيم، وأنه قادر على نقض العادة، كما قدر على اجرائها لزال شبهتهم.

ثم امر نبيه صلى الله عليه وآله ان يقول لهم " سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين " لأنهم يرون آثار آبائهم وكيف أهلكهم الله وخرّب ديارهم كعاد وثمود وغيرهم، فيعلمون عند ذلك صحة ما قلناه، ولا يأمنوا أن يحل بهم مثل ما حل بهم.

ثم نهى نبيه صلى الله عليه وآله ان يحزن عليهم ويتأسف على تركهم الايمان وأن لا يكون في ضيق نفسه " مما يمكرون "، فان وبال مكرهم عائد عليهم. قوله تعالى:

\* (ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين (٧١) قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون (٧٢) وإن ربك لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون (٧٣) وإن ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون (٧٤) وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين) \* (٧٥) خمس آيات بلا خلاف.

حكى الله تعالى عن هؤلاء الكفار أنهم " يقولون متى هذا الوعد " الذي توعدنا به " ان كنتم صادقين " في اخباركم بذلك في البعث والنشور، والوعد من الحكيم على ضربين:

أحدهما - أن يكون مقيدا بوقت، فإذا جاء ذلك الوقت فلا بد أن يفعل فيه ما وعد به.

والثاني - أن يكون مطلقا غير موقت إلا أنه لابد أن يكون معلوما لعلام الغيوب الوقت الذي يفعل فيه الموعد به، فإذا كان ذلك الوقت معلقا بزمان تعين عليه الفعل في ذلك الوقت، فلا بد للموعد به من وقت، وإن لم يذكر مع الوعد.

ثم امر نبيه صلى الله عليه وآله ان يقول لهم " عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون " فعسى من الله واجبة، والمعنى ان الذي وعدكم الله به لابد أن يردفكم، والردف الكائن بعد الأول قريبا منه. والفرق بينه وبين التابع أن في التابع معنى الطلب لموافقة الأول، وترادف إذا تلاحق، تلاحقا ترادفا، واردفه اردافا. ومعنى " ردف لكم " قرب منكم ودنا - في قول ابن عباس - وقيل: تبع لكم. والاستعجال طلب الامر قبل وقته، فهؤلاء الجهال طلبوا العذاب قبل وقته تكذيبا به. وقد أقام الله عليهم الحجة فيه. و (ردف) من الافعال التي تتعدى بحرف وبغير حرف، كما قال الشاعر:

فقلت لها الحاجات تطرحن بالفتى \* وهم يعناني معنا ركائبه (١)

وقيل: ان الباء إنما دخلت للتعدية. وقيل: إنما دخلت لما كان معنى تطرحن ترمين، وكذلك لما كان معنى " ردف لكم " دنا، قال " لكم " قال المبرد: معناه

---

(١) البيت في مجمع البيان ٤ / ٢٣١

ردفكم واللام زائدة. وقيل " بعض الذي تستعجلون " يوم بدر. وقيل: عذاب القبر.

ثم قال " وإن ربك لذو فضل على الناس " والفضل الزيادة على ما للعبد بما يوجبه الشكر، فالعدل حق العبد. والفضل فيه واقع من الله لا محالة إلا أنه على ما يصح وتقتضيه الحكمة.

ثم اخبر ان " أكثر الناس لا يشكرون " الله على نعمه بل يكفرونه. ثم قال لنبيه صلى الله عليه وآله " وإن ربك " يا محمد " ليعلم ما تكن صدورهم " أي ما تخفيه صدورهم، يقال: كنت الشيء في نفسي، وأكننته إذا سترته في نفسك، فهو مكن ومكنون لغتان. قال الرماني: الأكنان جعل الشيء بحيث لا يلحقه أذى لمانع يصد عنه " وما يعلنون " أي يعلم ما يظهرونه أيضا. ثم قال " وما من غائبة في السماء والأرض " أي ليس شيء يغيب علمه عن أهل السماء والأرض " إلا " ويبينها الله " في كتاب مبين " وهو الكتاب المحفوظ. وقال الحسن: الغائبة القيامة. وقال النقاش: ما غاب عنهم من عذاب السماء والأرض. وقيل: هو ما أخفاه الإنسان عن قلبه وعينه. وقال البلخي: معنى " في كتاب مبين " أي هو محفوظ لا ينساه كما يقول القائل: أفعالك عندي مكنونة أي محفوظة.

قوله تعالى:

\* (إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون (٧٦) وإنه لهدى ورحمة للمؤمنين (٧٧) إن

ربك يقضي بينهم بحكمه وهو العزيز العليم (٧٨) فتوكل  
على الله إنك على الحق المبين (٧٩) إنك لا تسمع الموتى  
ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين) \* (٨٠) خمس  
آيات بلا خلاف.

قرأ ابن كثير " ولا يسمع " بياء مفتوحة وفتح الميم " الصم " بالرفع.  
ومثله في الروم. الباقون " تسمع " بالتاء وكسر الميم " الصم " بالنصب، فوجه  
قراءة ابن كثير أنه أضاف الفعل إلى الصم، فلذلك رفعه. ووجه قراءة الباقيين  
أنهم أضافوا الفعل إلى النهي صلى الله عليه وآله وجعلوا الصم مفعولا ثانيا.  
أخبر الله تعالى أن هذا القرآن الذي أنزله على نبيه محمد صلى الله عليه وآله " يقص على  
بني إسرائيل أكثر " الأشياء التي اختلفوا فيها الكفار. والقصاص كلام يتلو  
بعضه بعضا فيما ينبي عن المعنى، ومن أجاب غيره عما سأل لم يقل له انه يقص  
لأنه اقتصر على مقدار ما يقتضيه السؤال. والاختلاف ذهاب كل واحد إلى  
خلاف ما ذهب إليه صاحبه. والاختلاف أيضا امتناع أحد الشيئين أن يسد  
مسد صاحبه فيما يرجع إلى ذاته. واختلاف بني إسرائيل نحو اختلافهم في المسيح  
حتى قالت اليهود فيه ما قالت، وكذبت بنبوته. وقالت النصارى ما قالت  
من نبوته، ووجوب إلهيته، وكاختلاف اليهود في نسخ الشريعة، فأجازه قوم  
في غير التوراة وأباه آخرون، فلم يجيزوا النسخ أصلا، واعتقدوا أنه بدأ.  
وكاختلافهم في المعجز، فقال بعضهم: لا يكون إلا بما لا يدخل تحت مقدور  
العباد. وقال آخرون: قد يكون إلا أنه ما يعلم أنه لا يمكن العباد الاتيان به،

وكاختلافهم في صفة المبشر به في التوراة، فقال بعضهم: هو يوشع بن نون. وقال آخرون: بل هو منتظر لم يأت بعد. وكل ذلك قد دل القرآن على الحق فيه. وقيل: قد بين القرآن اختلافهم في من سلف من الأنبياء. وقيل: ان بني إسرائيل اختلفوا حتى لعن بعضهم بعضا كالإسماعيلية والعنانية والسامرة. ثم وصف تعالى القرآن ب " انه لهدى ورحمة للمؤمنين " معناه انه بيان للحق فيما وقع الاختلاف فيه من بني إسرائيل وغيرهم إذا رجعوا إليه علموا مفهومه، وانه من عند حكيم، لا يقول إلا بالحق، فالهدى الدلالة على طريق الحق الذي من سلكه أداه إلى الفوز بالنعيم في جنة الخلد، فالقرآن هدى من هذا الوجه، ورحمة للمؤمنين في تأديته إلى ما فيه من مرضات الله تعالى. ثم خاطب نبيه صلى الله عليه وآله فقال \* (ان ربك) \* يا محمد \* (يقضي بينهم بحكمه وهو

العزیز العليم) \* أي العزیز في انتقامه من المبطلين العليم بالمحق المبين منهم من المبطل. وقيل: العليم بصحة ما يقضي به العزیز بما لا يمكن رد قضائه، فهو يقضي بين المختلفين بما لا يمكن أن يرد ولا يلتبس بغير الحق. وفي الآية تسليّة للمحقين الذين خولفوا في أمر الدين، لان أمرهم يؤول إلى أن يحكم بينهم رب العالمين بما لا يمكن دفعه ولا تلبسه. ثم خاطب بينه صلى الله عليه وآله فقال \* (فتوكل على الله) \* يا محمد \* (انك على الحق المبين) \*

الظاهر البين في ما تدعو إليه، ثم شبه الكفار بالموتى الذين لا يسمعون ما يقال لهم، وبالصم الذين لا يدركون دعاء من يدعوهم، من حيث إنهم لم ينتفعوا بدعائه ولم يصيروا إلى ما دعاهم إليه، فقال \* (انك) \* يا محمد \* (لا تسمع الموتى) \* لان ذلك محال \* (ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولو مدبرين) \* أي اعرضوا عن دعائك ولم يلتفتوا إليه ولم يفكروا في ما تدعوهم إليه، فهؤلاء الكفار بترك الفكر في ما يدعوهم

إليه النبي صلى الله عليه وآله بمنزلة الموتى الذين لا يسمعون، وبمنزلة الصم الذين لا يدركون الأصوات.

قوله تعالى:

\* (وما أنت بهاد العمي عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون (٨١) وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون (٨٢) ويوم نحشر من كل أمة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون (٨٣) حتى إذا جاؤوا قال أكذبت بآياتي ولم تحيطوا بها علما أماذا كنتم تعملون (٨٤) ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون) \* (٨٥) خمس آيات بلا خلاف. قرأ حمزة " تهدي " بالتاء مفتوحة وبسكون الهاء " العمي " بنصب الياء. ويقف على " تهدي " بالياء. الباقون " بهاد " بباء مكسورة وبألف بعد الهاء، وخفض الياء من " العمي " على الإضافة في الموضعين. فقراءة حمزة تفيد الفعل المضارع. وقراءة الباقيين اسم الفاعل.

يقول الله تعالى لنبيه لست يا محمد تهدي العمي عن ضلالتهم. والهادي هو الذي يدعو غيره إلى الحق ويرشد إليه. وقد يدعو بالنطق بأن يقول: هو صواب وقد يدعو إليه بأن يبين أنه صواب، فإنه ينبغي أن يعمل عليه ويعتقد صحته.

والضلالة الذهاب عن طريق الصواب وهو الهلاك بالذهاب عنه. وإنما شبه الله تعالى الكفار بأنهم عمي، لأنهم من حيث لم يهتدوا إلى الحق، ولم يصيروا إليه فكأنهم عمي، وإنما نفى أن يهديهم إلى الحق بأن يحملهم عليه أو يجبرهم عليه، ولم ينتف أن يكون هاديا لهم بالدعاء إليه، ويبين لهم الحق فيه. وقوله " ان تسمع إلا من يؤمن بآياتنا " معناه لا تسمع إلا من يطلب الحق بالنظر في آياتنا ولا يلبث أن يسلم، لان الدلائل تظهر له، وعقله يخاصمه حتى يقول بالحق ويعتقده. وإنما قال إنه يسمع المؤمنين، من حيث أنهم الذين ينتفعون به ويسلمون له.

وقوله " وإذا وقع القول عليهم " قال قتادة: معناه وجب الغضب عليهم. وقال مجاهد: حق القول عليهم بأنهم لا يؤمنون. وقيل: معناه إذا وقع القول عليهم بأنهم قد صاروا إلى منزلة من لا يفلح أحد منهم ولا أحد بسببهم، أخذوا حينئذ بمنادي العقاب باظهار البراءة منهم. وقال ابن عمر، وعطية: إذا لم يأمر الناس بالمعروف وينهوا عن المنكر تخرج الدابة. وقيل: انها تخرج من بين الصفا والمروة. وروى محمد بن كعب القرظي عن علي (عليه السلام) انه سئل عن الدابة، فقال: (اما والله مالها ذنب وإن لها لحية) وفي هذا القول منه (ع) إشارة إلى أنه من ابن آدم. وقال ابن عباس: دابة من دواب الله لها زغب وریش لها أربعة قوائم. وقال ابن عمر: انها تخرج حتى يبلغ رأسها الغيم، فيراها جميع الخلق. ومعنى " تكلمهم " قيل فيه قولان: أحدهما - تكلمهم بما يسوؤهم من أنهم صائرون إلى النار، من الكلام بلسان الآدميين الذي يفهمونه ويعرفون معناه، فتخاطب واحدا واحدا، فتقول له: يا مؤمن يا كافر. وقيل " تكلمهم بأن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون "



أي بهذا القول. ذكره ابن مسعود.

الثاني - تكلمهم من الكلام. وقيل إنها تكتب على جبين الكافر أنه كافر وعلى جبين المؤمن أنه مؤمن. وروى ذلك عن النبي صلى الله عليه وآله. ثم قال " ويوم نحشر من كل أمة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون " واستدل به قوم على صحة الرجعة في الدنيا، لأنه قال: من كل أمة، وهي للتبعيض فدل على أن هناك يوما يحشر فيه قوم دون قوم، لأن يوم القيامة يحشر فيه الناس عامة، كما قال " وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا " (١). ومن حمل الآية على أن المراد باليوم يوم القيامة قال: إن (من) زائدة، والتقدير ويوم نحشر كل أمة فوجا أي فوجا فوجا من الذين كذبوا بآيات الله ولقاء الآخرة " فهم يوزعون " أي يجمعون. وقال ابن عباس: معناه يدفعون. وقيل: يساقون. وقيل: يوقف أولهم على آخرهم.

وقوله " ووقع القول عليهم بما ظلموا " أي صاروا إلى منزلة من لا يفلح أحد منهم، ولا أحد بسببهم، " فهم " في ذلك الوقت " لا ينطقون " بكلام ينتفعون به. ويجوز أن يكون المراد " لا ينطقون " أصلا لعظم ما يروونه ويشاهدونه من أهوال القيامة.

وقرأ أهل الكوفة " تكلمهم أن الناس " بفتح الألف، لأن ابن مسعود قرأ " بأن الناس " فلما سقطت الباء نصبوا (أن). الباقي بالكسر على الاستئناف. وروى عن ابن عباس " تكلمهم " مخففا أي تسمهم وتجرحهم تقول العرب كلمت زيدا إذا جرحته. وقد يقال أيضا بالتشديد من الجراح، ولا يقال في الكلام إلا بالتشديد.

---

(١) سورة ١٨ الكهف آية ٤٨

قوله تعالى:  
\* (ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا  
إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون (٨٦) ويوم ينفخ في الصور  
ففزع من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله وكل  
أتوه داخرين (٨٧) وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرمر  
السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما  
تفعلون (٨٨) من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ  
آمنون (٨٩) ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل  
تجزون إلا ما كنتم تعملون (٩٠) إنما أمرت أن أعبد رب هذه  
البلدة الذي حرّمها وله كل شيء وأمرت أن أكون من  
المسلمين (٩١) وأن أتلو القرآن فمن اهتدى فإنما يهتدي  
لنفسه ومن ضل فقل إنما أنا من المنذرين (٩٢) وقل الحمد  
لله سيريكُم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون) \* (٩٣)  
ثمان آيات بلا خلاف.

قرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص عن عاصم " وكل أتوه " مقصورة على وزن (فلوه) الباقون " أتوه " ممدودة ومضمومة التاء على وزن \* (فالوه) \* وقرأ أهل الكوفة \* (من فزع) \* منونا \* (يومئذ) \* بفتح الميم. الباقون بغير تنوين على الإضافة إلا ورشا فإنه نصب الميم من \* (يومئذ) \* مع الإضافة. ووجه هذه القراءة انه جعل (يوم) مع (إذ) كالاسم الواحد، لان إضافة (يوم) إلى (إذ) ليست محضة، لان الحروف لا يضاف إليها، ولا إلى الافعال، وإنما أجازوا في أسماء الزمان الإضافة إلى الحروف وإلى الافعال نحو: هذا يوم ينفع، لما خص وكثر، وقرأ أهل البصرة وابن كثير وأبو بكر إلا يحيى والداجوني عن ابن ذكوان \* (يفعلون) \* بالياء، الباقون بالتاء. وقرأ أهل المدينة وابن عامر ويعقوب \* (عما تعملون) \* بالتاء. الباقون بالياء.

يقول الله تعالى منبها لخلقه على وجه الاعتبار والتنبيه على النظر بالفكر بجعله تعالى الليل ليسكن فيه خلقه، من الحيوان من الحركات، لان من جعل الشئ لما يصلح له من الانتفاع، فإنما ذلك باختياره دون الطبع، وما يجري مجراه مما ليس مختار، ففي ذلك بطلان قول كل مخالف فيه. وقوله \* (والنهار مبصرا) \* يحتمل أمرين:

أحدهما - انه جعل النهار ذا إبصار، كما قال \* (عيشة راضية) \* (١) أي ذات رضا، وكما قال النابغة:

كليني لهم يا أمية ناصب (٢)

أي لهم ذي نصب.

(١) سورة ٦٩ الحاقة آية ٢١ وسورة ١٠١ الزلزال آية ٧

(٢) مر تخريجه في ٥ / ٩٥، ٣٢٩

الثاني - لأنه يريك الأشياء كما يراها من يبصرها بالنور الذي تجلى عنها  
فقل هو كقول جرير:

لقد لمتنا يا أم غيلان في السرى \* ونمت وما ليل المطي بنائم (١)  
اي بالذي ينام فيه. ثم قال \* (ان في ذلك لآيات) \* يعني دلالات  
واضحات لقوم يصدقون بالله وبتوحيده. وقوله \* (ويوم ينفخ في الصور) \*  
منصوب بتقدير: واذكر \* (يوم ينفخ في الصور) \* أي وذلك يوم ينفخ في  
الصور، يعني قوله \* (وقع القول عليهم بما ظلموا.... يوم ينفخ في الصور) \*  
ويجوز أن يكون على حذف الجواب، وتقديره وتكون البشارة الثانية يوم  
ينفخ في الصور. وقيل: تقديره ويوم ينفخ في الصور يفرع، لان المعنى إذا  
نفخ في الصور فزع إلا أنه لما جاء الثاني بالفاء اغنى عن (يفعل) لأنها ترتب.  
وقال الحسن وقتادة: الصور صور الخلق. وقال مجاهد: هو قرن كالبوق  
ينفخ فيه. وقيل: النفخة الأولى نفخة الفرع. والثانية نفخة الصعق، والثالثة  
نفخة القيام لرب العالمين.

وقيل: معنى \* (ففزع من في السماوات ومن في الأرض) \* من شدة  
الاسراع والإجابة، يقال: فزعت إليك في كذا إذا أسرعت إلى ندائه في معونتك.  
وقيل: هو ضد الامن، وهو الأولى. وقيل: وجه النفخ في الصور أنه على  
تصور ضرب البوق للاجتماع على المسير إلى أرض الجزاء بالحال التي تعرف في  
دار الدنيا. ومن ذهب إلى أنه جمع صورة قال: المعنى نفخ الأرواح في  
الأجساد بردها إلى حال الحياة التي كانت عليها. وقوله \* (إلا من شاء الله) \*  
روي في الخبر أن الشهداء من جملة الخلق لا يفرعون ذلك اليوم. وقيل:

---

(١) مر تخريجه في ٥ / ٤٦٥

\* (إلا من شاء الله) \* يعني من الملائكة الذين يثبت الله قلوبهم. وقيل: إسرافيل هو النافخ في الصور بأمر الله تعالى. ثم قال \* (وكل أتوه داخرين) \* معناه إن جميع الخلق جاؤوا لله داخرين أي صاغرين. فمن قصر، حمله على أنهم أتوه أي جاؤوه. ومن مد، حمله على أنهم جايؤوه على وزن (فاعلوه). ولفظة (كل) ههنا معرفة، لأنها قطعت عن الإضافة، كما قطع قوله \* (من قبل ومن بعد) \* (?) إلا أنه لم يبين، لأنه قطع عن متمكن التمكن التام. وليس كذلك \* (من قبل ومن بعد) \* لأنه كان ظرفاً لا يدخله الرفع. وقوله \* (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب) \* قال ابن عباس: تحسبها قائمة وهي تسير سيرا حثيثاً سريعاً قال النابغة الجعدي: ناز عن مثل الطود يحسب أنهم \* وقوف لحاح والركاب تهملج (٢) أي من أجل كثرتهم والتفافهم يحسب أنهم وقوف، فكذلك الجبال. وقوله \* (صنع الله الذي أتقن كل شيء) \* نصب (صنع الله) بما دل عليه ما تقدم من الكلام من قوله \* (تمر مر السحاب) \* فكأنه قال: صنع الله الذي أتقن كل شيء إلا أنه أظهر اسم الله في الثاني، لأنه لم يذكر في الأول وإنما دل عليه. والاتقان حسن إيناق وقوله \* (انه خير بما تفعلون) \* أي عليم بأفعالهم فيجازيهم بحسبها على الطاعة بالثواب وعلى المعصية بالعقاب. ثم بين كيفية الجزاء، فقال \* (من جاء بالحسنة) \* يعني بالحصلة الحسنة \* (فله خير منها) \* أي خير يصيبه منها. وقيل: فله أفضل منها في عظم النفع لأن له بقيمتها وبالوعد الذي وعده الله بها كأنه قال: من أتى بالحسنة التي هي الايمان والتوحيد والطاعة لله يوم القيامة يكون آمناً لا يفزع كما يفزع الكفار

(١) سورة ٣٠ الروم آية ٤  
(٢) تفسير الطبري ٢٠ / ١٤

والفساق. وقيل: هم من فزع الموت في الدنيا آمنون في الآخرة. وقيل: من فزع يوم القيامة في الجنة آمنون. ثم قال \* (ومن جاء بالسيئة) \* يعني بالمعصية الكبيرة التي هي مثل الكفر والشرك، وما جرى مجراهما. وقال جميع المفسرين: إن السيئة - ههنا - الشرك، فإن الله تعالى يكبه على وجهه في النار. ويقال: كبه وأكبه إذا نكسه، ويقال لهم \* (هل تجزون) \* بهذا العقاب \* (إلا) \* مكافأة لما كنتم تفعلون وتعملون في دار التكليف من المعاصي. ثم قال لنبيه \* (قل) \* لهم \* (إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة) \* يعني مكة - في قول ابن عباس - وقال غيره: منى، أي أمرت بعبادة رب هذه البلدة لم أوامر بعبادة سواه \* (التي حرّمها) \* وقيل: معنى (حرّمها) عظم حرمتها من أن يسفك دم حرام فيها أو يظلم أحد فيها أو يصطاد صيدها أو يخلى خلاؤها وقيل: حرّمها حتى أمن الوحش فيها، فلا يعدو الكلب على الغزال، ولا على الطير ولو خرج من الحرم لنفر أشد النفور، فذكر لهذه الآية في الحرم \* (وله كل شيء) \* أي يملك كل شيء بالتصرف فيه على وجه يريده ويختاره، وليس لاحد منعه منه \* (وأمرت أن أكون من المسلمين) \* الذين يسلمون بتوحيده وإخلاص العبادة له مستسلمين له \* (وأمرت أن أتلو القرآن) \* عليكم وادعواكم إلى ما فيه \* (فمن اهتدى) \* إلى الحق والعمل بما فيه \* (فإنما يهتدي لنفسه) \* لأن جزاء ذلك وثوابه يصل إليه دون غيره \* (ومن ضل) \* عنه وجار ولم يعمل بما فيه ولم يهتد إلى الحق \* (فقل) \* له يا محمد \* (إنما أنا من المنذرين) \* الذين يخوفون بعقاب الله من معاصيه، ويدعون إلى طاعته. وفي ذلك دلالة على فساد قول المجبرة الذين يقولون: إن الله يخلق الإيمان والهداية والكفر والضلالة. ثم امر نبيه صلى الله عليه وآله بان يقول \* (الحمد لله) \* اعترافا بنعمه \* (سيركم

آياته) \* يعني دلالاته التي ليس يمكنكم جحدها. وقال الحسن: معناه يريكم آياته في الآخرة فتعرفون انها على ما قال في الدنيا. وقيل: يركم في الدنيا ما ترون من الآيات في السماء والأرض، فتعرفونها أنها حق. ذكره مجاهد. ثم قال وليس ربك يا محمد \* (بغافل عما تعملون) \* من قرأ بالياء يعني عما يفعله المشركون. ومن قرأ بالتاء، فعلى تقدير: قل لهم: ليس ربكم بغافل عما تعملونه بل هو عالم بجميع ذلك فيجازيكم عليه، وفي ذلك غاية التهديد.

(١٢٦)

## ٢٨ - سورة القصص

مكية في قول قتادة والحسن وعطاء وعكرمة ومجاهد ليس فيها ناسخ ولا منسوخ  
وقال ابن عباس آية منها نزلت بالمدينة وقيل بالجحفة وهي  
قوله " ان الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد "  
وهي ثمانون وثمان آيات بلا خلاف في جملتها واختلفوا في  
رأس آيتين سأذكرها عند كتابتها

بسم الله الرحمن الرحيم

\* (طسم (١) تلك آيات الكتاب المبين (٢) نتلو عليك  
من نبا موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون (٣) إن فرعون  
علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح  
أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين (٤) ونريد أن  
نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم  
الوارثين) \* (٥).

(١٢٧)



خمس آيات كوفي وأربع فيما عداه. عد الكوفي " طسم " آية ولم يعدها الباقون. قد بينا معنى هذه الحروف في أوائل السور في عدة مواضع، فلا فائدة في إعادته، وقوينا قول من قال: إنها أسماء للسور. وقوله " تلك آيات الكتاب " أي تلك آيات الكتاب التي وعدتم بانزالها. وقيل معناه هذا القرآن هو الكتاب المبين - ذكره الحسن - وقيل: في معنى " المبين " قولان: أحدهما - قال قوم: المبين أنه من عند الله. وقال قتادة: المبين الرشد من الغي. والمبين هو البين أيضا. وأضاف الآيات إلى الكتاب، وهي الكتاب كما قال " انه لحق ألقين " (١)

ثم خاطب نبيه صلى الله عليه وآله فقال " نتلو عليك " يا محمد طرفا من اخبار " موسى وفرعون بالحق " على حقيقة البيان وهو اظهار المعنى للنفس بما تميزه من غيره مشتق من أبنت كذا من كذا إذا فصلته منه. والبرهان إظهار المعنى للنفس بما يدعو إلى أنه حق مما هو حق في نفسه. والتلاوة الاتيان بالثاني بعد الأول في القراءة بما يتلوه تلاوة، فهو تلل لمقدم، والمقدم والتالي مثل الأول والثاني. والنبأ الخبر عما هو أعظم شأننا من غيره. والحق هو ما يدعو إليه العقل، ونقيضه الباطل، وهو ما صرف عنه العقل. وقوله " لقوم يؤمنون " معناه إنا نتلو عليك هذه الأخبار لقوم يصدقون بالله، وبما أنزل عليك، لأنهم المنتفعون به، والايمان الصديق بفعل ما يؤمن من العقاب. ثم اخبر تعالى فقال " ان فرعون علا في الأرض " أي تجبر وبغي - في

---

(١) سورة ٩٦ الحاقة آية ٥١

قول قتادة وغيره - ببيغيه واستعباده بني إسرائيل، وقتل أولادهم. وقيل: بقهره وادعائه الربوبية. وقيل: بشدة سلطانه " وجعل أهلها شيعة " أي قوما يستضعف طائفة منهم " فيستعبدهم و " يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم " أي يستبقي بناتهم فلا يقتلن، وقيل: إنه كان يأمر باخراج أحيائهن الذي فيه الولد والأول هو الصحيح.

ثم اخبر تعالى وحكم بأن فرعون " كان من المفسدين " في الأرض والعلمين بمعاصي الله. ثم وعد تعالى فقال " ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض " وهو عطف على قوله " يستضعف طائفة منهم " ونحن نريد أن نمن. وقال قتادة: يعنى من بني إسرائيل " ونجعلهم أئمة " يقتدى بهم " ونجعلهم الوارثين " لمن تقدمهم من قوم فرعون.

وروى قوم من أصحابنا أن الآية نزلت في شأن المهدي (ع) وأن الله تعالى يمن عليه بعد أن استضعف. ويجعله إماما ممكنا، ويورثه ما كان في أيدي الظلمة.

قال السدي: إن فرعون رأى في منامه أن نارا أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فأحرقت القبط وتركت بني إسرائيل فسأل علماء قومه، فقالوا: يخرج من هذا البلد رجل يكون هلاك مصر على يده، فامر بذبح أبنائهم واستحياء نسائهم، وأسرع الموت في شيوخ بني إسرائيل، فقالت القبط لفرعون: ان شيوخ بني إسرائيل قد فنوا، وصغارهم قد قتلهم فاستبقهم لعملنا وخدمتنا، فأمرهم أن يستحيوا في عام، ويقتلوا في عام، فولد في عام الاستحياء هارون، وولد في عام القتل موسى، قال الضحاك: عاش فرعون

أربع مئة سنة، وكان قصيرا وسيما، وهو أول من خضب بالسواد. وعاش موسى مئة وعشرين سنة. وقيل: ان فرعون كان من أهل الإصطخر. قوله تعالى:

\* (ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون (٦) وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فالقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين (٧) فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين (٨) وقالت امرأة فرعون قرت عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون (٩) وأصبح فؤاد أم موسى فارغا إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين) \* (١٠) خمس آيات بلا خلاف. قرأ أهل الكوفة إلا عاصما " وحزنا " بضم الحاء، واسكان الزاي. الباكون بفتحهما، وهما لغتان. يقال: حزن وحزن مثل نجل ونجل. وقرأ أهل الكوفة إلا عاصما " ويرى فرعون وهامان " بالياء ورفع (فرعون، وهامان) باسناد الرؤية اليهما. الباكون بالنون، ونصب (فرعون وهامان) باسناد الفعل إلى الله، وكونهما مفعولين.

لما اخبر الله تعالى أنه يريد ان يمن على الذين استضعفوا في الأرض ويجعلهم أئمة، أخبر في هذه الآية أنه يريد أن يمكنهم في الأرض، والتمكين هو فعل جميع مالا يصح الفعل ولا يحصل إلا معه: من القدرة والآلة واللفظ وغير ذلك. وقال الرماني: اللطف لا يدخل في التمكين، لأنه لو دخل فيه لكان من لا لطف له لم يكن ممكنا، ولكن يقال: انه من باب إزاحة العلة. ثم بين انه تعالى " يري فرعون وهامان وجنودهما منهم " يعني من بني إسرائيل " ما كانوا يحذرون " من زوال ملكهم على يد رجل من بني إسرائيل، ولذلك ذبح فرعون أبناءهم. ومن قال: ان الآية في شأن المهدي (ع) حمل فرعون وهامان على فرعون هذه الأمة وهامانها، والكناية في " منهم " عائدة على أنصار المهدي (ع) قالوا: وهذه أولى، لأنه بلفظ الاستقبال، لان في أوله النون أو الياء على اختلاف القراءتين وهما للمضاربة.

والحذر توقي ما فيه المضرة، فهؤلاء الذين طلبوا الحذر في غير وجهه، إذ قتلوا الأطفال ظلما لأجله، ولو طلبوه بالرجوع إلى الله، ودعائه ليكشف عنهم لكانوا طالبين له من وجهه.

وقوله " وأوحينا إلى أم موسى " أي ألهمناها، وقذفنا في قلبها، وليس بوحى نوم، ولا نبوة - في قول قتادة وغيره - وقال الجبائي: كان الوحي رؤيا منام عبر منه مؤمن به من علماء بني إسرائيل. وقوله " أن ارضعيه " أي ألهمناها إرضاع موسى " فإذا خفت عليه فألقيه في اليم " فالخوف توقع ضرر لا يؤمن به. وقال الزجاج: معنى " أوحينا إلى أم موسى " أعلمناها، وقوله " فألقيه في اليم " أمر من الله تعالى لام موسى انها إذا خافت على موسى من فرعون أن ترضعه وتطرحه في اليم. واليم البحر، ويعني به النيل " ولا تخافي ولا تحزني " نهى من الله تعالى

لها من الخوف والحزن، فإنه تعالى أراد أن ينزيل خوف أم موسى بما وعدها الله من سلامته على أعظم الأمور في القائه في البحر الذي هو سبب الهلاك في ظاهر التقدير، لولا لطف الله تعالى بحفظه حتى يرده إلى أمه. ووعدا بأنه يرده عليها بقوله " انا رادوه إليك " ووعدا أيضا بان يجعله من جملة الأنبياء المرسلين بقوله " وجاعلوه من المرسلين " .

ثم اخبر ان آل فرعون التقطوه، وفي الكلام حذف، لان تقديره ان أم موسى طرحته في البحر ومضى في البرح إلى أن بلغ قصر فرعون فالتقطه آل فرعون. والالتقاط هو إصابة الشيء من غير طلب، ومنه اللقطة قال الراجز: ومنهل وردته التقاطا \* لم ألق إذ وردته فراطا (١)

وقوله " ليكون لهم عدوا وحزنا " اللام لام العاقبة، لأنهم لم يلتقطوه لان يصير لهم عدوا وحزنا، بل التقطوه ليكون قرة عين لهم، ومثله قول الشاعر: لدوا للموت وابنوا للخراب (٢)

ومنه قوله " ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا " (٣). ثم اخبر تعالى " إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين " عاصين لله في أفعالهم، ثم حكى تعالى أن امرأة فرعون لما جيئ بموسى إليها ورأته وعطف الله بقلبها عليه جاءت به إلى فرعون، وقالت " قرة عين لي ولك " أي قرة عين هذا الولد لي ولك " لا تقتلوه عسى ان ينفعنا أو نتخذه ولدا " إذا ربيناه وكبر " وهم لا يشعرون " بأن هلاكهم على يديه، في قول قتادة.

ثم قال " وأصبح فؤاد أم موسى فارغا " قال ابن عباس وقتادة والضحاك:

(١) تفسير الطبري ٢٠ / ١٩ والقرطبي ١٣ / ٢٥٢

(٢) مر في ٣ / ٦؟ و ٥ / ٤٣

(٣) سورة ٧ الأعراف آية ١٧٨

معناه فارغا من كل شيء إلا من ذكر موسى. وقال الحسن وابن زيد وابن إسحاق: فارغا من وحيها بنسيانها، فإنها نسيت ما وعدها الله به. وقيل: فارغا من الحزن لعلمها بأن ابنها ناج سكونا إلى ما وعد الله وقبلت به. وقوله " إن كادت لتبدي به " قال ابن عباس وقتادة والسدي: معناه كادت لتبدي بذكر موسى. وتقول: يا ابناه. وقيل: ان كادت لتبدي بالوحي. وقوله " لولا أن ربطنا على قلبها " فالربط على القلب تقويته على الأمر حتى لا يخرج منه إلى مالا يجوز. وجواب (لولا) محذوف، وتقديره لولا أن ربطنا على قلبها لأظهرته. وقوله " لتكون من المؤمنين " معناه فعلنا ذلك بها لتكون من جملة المؤمنين المصدقين بتوحيد الله وعدله. قوله تعالى:

\* (وقالت لأخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون (١١) وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون (١٢) فرددناه إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون (١٣) ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين (١٤) ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان

هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين) \* (١٥) خمس آيات بلا خلاف.

حكى الله تعالى عن أم موسى أنها قالت لأخت موسى: قصيه أي اتبعي أثره، يقال قصه يقصه قصا إذ اتبع أثره، ومنه القصص، لأنه حديث يتبع بعضه بعضا يتبع الثاني للأول، والاقتصاص اتباع الجاني في الاخذ بمثل جنايته في النفس

"فبصرت به عن جنب" معنى (فبصرت به) رآته، وهو لا يتعدى إلا بحرف الجر. والرؤية تتعدى بنفسها، وقال مجاهد: معناه عن بعد، ومثله أبصرته عن جنابة قال الأعشى:

أتيت حريثا زائرا عن جنابة \* فكان حريث عن عطائي جامدا (١)

أي عن بعد، وقيل: معنى "عن جنب" عن مكان جنب، وهو الجانب لأن الجنب صفة وقعت موقع الموصوف لظهور معناه، وكان ذلك أحسن وأوجز "وهم لا يشعرون" قال قتادة: معناه وآل فرعون لا يشعرون أنها أخته. وقوله "وحرمنا عليه المواضع" وهي جمع مرضعة ومعناه منهن وبغضناهن إليه، فكان ذلك كالمنع والنهي، لا أن هناك نهيا عن الفعل، قال الشاعر:

جاءت لتصرعني فقلت لها اقصري \* اني امرء صرعي عليك حرام (٢)

أي ممتنع فاني فارس أمتنعك من ذلك، ومثله قولهم: فلان حرم على

---

(١) ديوانه \* (دار بيروت) \* ٤٣

(٢) مر هذا البيت في ٣ / ٤٨٩

نفسه كذا بالامتناع منه، كالامتناع بالنهي. وقوله " من قبل " أي من قبل رده على أمه " فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون " معناه يضمنونه برضاعه والقيام عليه، وينصحونه في ذلك، فقليل لأخته من أين قلت: انهم ناصحون له أعرفت أهلها، فقالت: إنما عنيت ناصحون للملك. والنصح اخلاص العمل من شائب الفساد، وهو نقيض الغش: نصح ينصح نصحا، فهو ناصح في عمله، وناصح في نفسه في توبته إذا أخلصها. وقوله " فرددناه إلى أمه كي تقرر عينها ولا تحزن " قيل: ان فرعون سأل أمه كيف يرتضع منك، ولم يرتضع من غيرك؟! قالت: لأنني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا أكاد أؤتي بصبي إلا ارتضع مني. وبين تعالى انه إنما فعل ذلك " كي تقرر عينها " يعني عين أمه، فرده عليها " ولتعلم ان وعد الله حق " لا بد من كونه. ثم قال " ولكن أكثرهم " أي الخلق " لا يعلمون " حقيقة ما يراد بهم. وقيل: من قوم فرعون ما علمته أم موسى، ومن لطيف تدبير الله تسخير فرعون لعدوه حتى تولى تربيته. وقوله " ولما بلغ أشده واستوى " قال قتادة: أشده ثلاث وثلاثون سنة، واستوائه أربعون سنة. وقيل استواء قوته \* (آتيانه) \* يعني أعطيناها \* (حكما وعلمنا) \* قال السدي: يعني النبوة. وقال عكرمة: يعني العقل. وقال مجاهد: الفرقان. والحكم الخبر بما تدعو إليه الحكمة. والمعنى علمناه من الحكمة ما تقتضي المصلحة، وأوحينا إليه بذلك. ثم قال: ومثل ما فعلنا به نجزي أيضا من فعل الاحسان. وفعل الطاعات والافعال الحسنة. ثم اخبر تعالى ان موسى \* (دخل المدينة) \* يعني مصر، وقيل: غيرها \* (على حين غفلة من أهلها) \* قيل: إنه كان وقت القائلة. وقيل: لأنهم



غفلوا عن ذكره لبعدهم به. وقيل: انه كان يوم عيد لهم قد اشتغلوا بلهوهم ولعبهم. وقوله \* (فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه) \* قال مجاهد: يعني من شيعته إنه كان إسرائيليا، والآخر إنه كان قبطيا. وقال ابن إسحاق: كان أحدهما مسلما، والآخر كافرا \* (فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه) \* أي استنصره لينصره \* (فوكزه موسى) \* أي دفع في صدره، وجميع كفه (ولكزه) مثل وكزه ولهزه \* (فقضى عليه) \* أي مات، فقال عند ذلك موسى \* (هذا من عمل الشيطان) \* أي من اغوائه حتى زدت من الايقاع به، وإن لم اقصد قتله. وقيل: ان الكناية عن المقتول، فكأنه قال: ان المقتول من عمل الشيطان اي عمله عمل الشيطان. ثم وصف الشيطان بأنه \* (عدو) \* للبشر ظاهر العداوة. وقوله \* (هذا من شيعته وهذا من عدوه) \* إشارة إلى الرجلين اللذين أحدهما من شيعة موسى، والآخر من عدوه إنما هو على وجه الحكاية للحاضر إذا نظر اليهما الناظر قال هذا من شيعته وهذا من عدوه.

قوله تعالى:

\* (قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم (١٦) قال رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيرا للمجرمين (١٧) فأصبح في المدينة خائفا يترقب فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه قال له موسى إنك لغوي مبين (١٨) فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدوه لهما قال

يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس إن تريد  
إلا أن تكون جبارا في الأرض وما تريد أن تكون من  
المصلحين (١٩) وجاء رجل من أقصا المدينة يسعى قال يا موسى  
إن الملا يأترون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من  
الناصحين) \* (٢٠) خمس آيات بلا خلاف.

حكى الله تعالى عن موسى انه حين قتل القبطي ندم على ذلك وقال يا " رب  
إني ظلمت نفسي " بقتله وسأله ان يغفر له، فحكى الله تعالى انه " غفر له " لان  
" الله هو الغفور " لعباده " الرحيم " بهم المنعم عليهم. وعند أصحابنا أن  
قتله القبطي لم يكن قبيحا، وكان الله أمره بقتله، لكن كان الأولى تأخيره إلى  
وقت آخر لضرب من المصلحة، فلما قدم قتله كان ترك الأولى والأفضل.  
فاستغفر من ذلك لا أنه فعل قبيحا. وقال جماعة: ان ذلك كان منه صغيرة غير أنها  
وقعت مكفرة لم يثبت عليها عقاب، ويكون قوله " رب إني ظلمت نفسي "  
على الوجه الأول أي بخست نفسي حقها بأن لم أفعل ما كنت أستحق به ثوابا  
زائدا. وعلى المذهب الثاني مذهب من يقول بالموازنة يقول: لأنه نقص من  
ثوابه، وكان بذلك ظالما لنفسه. فأما من قال: إن ذلك كان كبيرة منه وظلما  
فخارج عما نحن فيه، لان أدلة العقل دلت على أن الأنبياء لا يجوز عليهم شي  
من القبائح، لا كبيرها ولا صغيرها. ومن قال: إنه كان ذلك صغيرة، قال:  
كان دفعه له المؤدي إلى القتل صغيرة، لا أنه قصد القتل وكان صغيرة.

وقوله " قال رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيرا للمجرمين " معناه إن أنعمت علي فلن أكون، فهو مشبه بجواب الجزاء، ولذلك دخلت الفاء في الجواب، وإذا وقع الانعام قيل لما أنعمت، فلن أكون، لأنها في كلا الموضعين تدل على أن الثاني وقع من أجل الأول. ويحتمل أن يكون ذلك قسما من موسى بنعم الله عليه، بمغفرته، وفنون نعمه بأن لا يكون معينا على خطيئة، ولا يكون ظهيرا. والظهير المعين لغيره بما به يصير كالظهر له الذي يحميه من عدوه. وقوله " فأصبح في المدينة خائفا يترقب " معناه إن موسى أصبح خائفا من قتل القبطي، يترقب الاخبار - في قول ابن عباس - والترقب التوقع. وقوله " فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه " يعني رأى من كان استنصره بالأمس، بأن طلب نصرته على عدوه " يستصرخه " أي يطلب نصرته أيضا. وقيل: يطلب الصراخ على العدو بما يردعه عن الايقاع بمن قد تعرض له " قال له موسى انك لغوي مبين " أي عادل من الرشد، ظاهر الغواية، ومعناه انك لغوي في قتالك من لا تطيق دفع شره عنك، من أصحاب فرعون، خائب فيما تقدر أن تفعله.

وقوله " فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما " قيل: إن موسى هم أن يدفع العدو عن نفسه وعن صاحبه، ويبطش به " قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس " قال الحسن: هو من قول الفرعوني، لأنه كان قد اشتهر أمر القتل بالأمس أنه قتله بعض بني إسرائيل. وقال ابن عباس وأكثر أهل العلم انه من قول الإسرائيلي، لأنه قال له موسى انك لغوي مبين، خاف على نفسه فظن أنه يريد الايقاع به، فقال ما قال. وقوله " إن تريد إلا أن تكون جبارا في الأرض " اي لست تريد بقتل من قتلت

بالأمس إلا أن تكون جبارا متكبرا في الأرض " وما تريد " اي ولست تريد  
" أن تكون من " جملة " المصلحين " .

وقوله " وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى " قيل هو مؤمن آل فرعون  
" قال يا موسى ان الملا يأترون بك ليقتلوك " أي يأمر بعضهم بعضا بقتلك .

وقيل: يأترون معناه يرتأون، قال نمر بن تولب:

أرى الناس قد أحدثوا شيمة \* وفي كل حادثه يؤتمر (١)  
أي يرتاء، وقال آخر:

ما تأتمر فينا فأمرك \* في يمينك أو شمالك

فقوله " فاخرج اني لك من الناصحين " حكاية ما قال الرجل لموسى، وانه  
ناصح له بقوله، يحذره من أعدائه. وقال الزجاج: وقوله " اني لك " ليست  
من صلة " الناصحين " لان الصلة لا تقدم على الموصول، لكن تقديره: إني من  
الناصحين الذين ينصحون لك، يقال: نصحت لك ونصحتك، والأول أكثر.  
قوله تعالى:

\* (فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجني من القوم  
الظالمين (٢١) ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي أن يهديني  
سواء السبيل \* ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس  
يسقون (٢٢) ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما  
قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير (٢٣) فسقى

---

(١) تفسير الطبري ٢٠ / ٣١ والقرطبي ١٣ / ٢٦٦

لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب إنني لما أنزلت إلي من خير فقير (٢٤) فجاءته إحداهما تمشي على استحياء قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين) \* (٢٥).  
خمس آيات كوفي، وست فيما عداها، عد الكل " يسقون " آية إلا الكوفيين فإنهم عدوها وما بعدها إلى " كبير " آية. قرأ أبو عمرو، وابن عامر، وأبو جعفر " حتى يصدر " بفتح الياء وضم الدال. الباقون - بضم الياء وكسر الدال - والصدر الانصراف عن الماء: صدر يصدر صدرا وأصدره غيره إصدارا، ومنه والصدر، لان التدبير يصدر عنه، والمصدر لان الافعال تصدر عنه. فمن فتح الياء أسند الفعل إلى الرعاء، ومن ضمه أراد اصدارهم عنه ومواشيهم.  
حكى الله تعالى ان موسى لما أنذره مؤمن آل فرعون، وأن اشراف قومه ورؤساءهم قد ائتمروا على قتله، وأمره بالخروج من المدينة خرج (ع) " خائفا يترقب " أي يطلب ما يكون ويتوقعه، والترقب طلب ما يكون من المعنى على حفظه للعمل عليه، ومثله التوقع وهو طلب ما يقع من الامر متى يكون. وقال قتادة وخرج منها خائفا من قتله النفس يترقب الطلب. وقيل خرج بغير زاد وكان لا يأكل الا حشاش الصحراء إلى أن بلغ ماء مدين.  
وقوله " قال رب نجني من القوم الظالمين " حكاية ما دعا به موسى ربه، وانه سأله أن يخلصه من القوم الظالمين الذين ظلموا أنفسهم بالكفر بالله، وذلك يدل على أن خوفه كان من القتل.

وقوله " ولما توجه تلقاء مدين " فالتوجه صرف الوجه إلى جهة من الجهات، ويقال: هذا المعنى يتوجه إلى كذا أي هو كالتألب له بصرف وجهه إليه، وتلقاء الشيء حذاه، ويقال: فعل ذلك من تلقاء نفسه أي من حذا داعي نفسه، و (مدين) لا ينصرف، لأنه اسم بلدة معرفة، قال الشاعر: رهبان مدين لو رأوك تنزلوا\* والعصم من شعف العقول الغادر (١) الشعف أعلى الجبل، والغادر الكبير. وقال ابن عباس: بين مصر ومدين ثمان ليال، نحو ما بين الكوفة والبصرة.

وقوله " عسى ربي أن يهديني سواء السبيل " حكاية ما قال موسى في توجهه، فإنه قال: عسى أن يدلني ربي على سواء السبيل، وهو وسط الطريق المؤدي إلى النجاة، لان الأخذ يميناً وشمالاً يباعد عن طريق الصواب، ويقرب منه لزوم الوسط على السنن، فهذا هو المسعى في الهداية، وقال الشاعر: حتى أغيب في سواء الملحد

اي في وسطه، وقال عطاء: عرضت له أربع طرق لم يدر أيها يسلك، فقال ما قال. ثم أخذ طريق مدين حتى ورد على شعيب، وهو قول عكرمة. ثم حكى تعالى أن موسى " لما ورد ماء مدين وجد عليه أمة " يعني جماعة " من الناس يسقون " بهائمهم ويستسقون الماء من البئر " ووجد من دونهم " يعني دون الناس " امرأتين تزدودان " أي يحبسان غنمهما ويمنعانها من الورود إلى الماء يقال: ذاذ شاته وإبله عن الشيء يذودها ذوداً إذا حبسها عنه بمنعها منه، قال سويد بن كراع:

---

(١) مر تخريجه في ٣ / ٦٠١

أبيت على باب ألقوا في كأنما \* أذود بها سربا من الوحش شرعا (١)  
وقال الآخر:

وقد سلبت عصاك بن تميم \* فما تدري بأي عصا تذود (٢)  
وقال الفراء: لا يقال: ذدت الناس، وإنما قالوا ذلك في الغنم والإبل،  
وقال قتادة: كانتا تذودان الناس عن شائهما. وقال السدي: تحبسان غنمهما  
فقال لهما موسى " ما خطبكما " أي ما شأنكما؟ في قول ابن إسحاق، قال الراجز:  
يا عجبا ما خطبه وخطبي (٣)

والخطب الامر الذي فيه تفخيم، ومنه الخطبة، لأنها في الامر المعظم،  
ومن ذلك خطبة النكاح والخطاب، كل ذلك فيه معنى العظم، فأجابناه بأننا  
لا نسقي غنمنا حتى يصدر الرعاء وواحد الرعاء راع، ويجمع أيضا رعاة ورعيانا،  
والمعنى انا لا نسقي حتى ينصرف الرعاء - فيمن فتح الياء - أو يصرفون غنمهم - فيمن  
ضم الياء - لأننا لا قوة بنا على الاسقاء، وإنما ننظر فضول الماء في الحوض - في  
قول ابن عباس وكتادة وابن إسحاق - " وأبونا شيخ كبير " لا يقدر على أن يتولى  
ذلك بنفسه، وقوله " فسقى لهما " قال شريح: رفع لهما حجرا عن بئر لا يقدر  
على رفعه إلا عشرة رجال ثم استقى لهما. وقال ابن إسحاق: إنه زحم الناس  
عن الماء حتى آخرهم عنه حتى سقى لهما. وقوله " ثم تولى إلى الظل فقال رب اني  
لما أنزلت إلي من خير فقير " معناه إني إلى ما أنزلت فاللام بمعنى إلى، و (ما)  
بمعنى الذي وما بعده من صلته و (لما) متعلق بقوله (فقير) وتقديره أي فقير

(١) تفسير الطبري ٢٠ / ٣٣ والقرطبي ١٣ / ٢٦٦

(٢) تفسير الطبري ٢٠ / ٣٣ والقرطبي ١٣ / ٢٦٨

(٣) قاله رؤبة. تفسير القرطبي ١٣ / ٢٦٨ والطبري ٢٠ / ٣٣

إلى ما أنزلت إلي من خير. قال ابن عباس: أدرك موسى جزع شديد، فقال " رب اني لما أنزلت إلي من خير فقير " وفي الكلام حذف، لان التقدير إن المرأتين عادتا إلى أبيهما وشكرتا فعله، فقال أبوهما لإحدهما ادعيه لي لأجزيه على فعله " فجاءت إحدهما تمشي على استحياء " قيل: معناه متسترة بكم درعها أو قميصها، فقالت له " ان أبي يدعوك " ليكافئك على ما سقيت لنا وإن موسى مشى معها حتى وصل إليه " وقص عليه القصص " من اخباره وما مر عليه، فقال له الشيخ " لا تخف نجوت من القوم الظالمين " قال ابن عباس معناه ليس لفرعون سلطان بأرضنا. وقيل: كان الشيخ أبوهم شعيبا (ع) وقال الحسن: بل كان رجلا مسلما على دين شعيب اخذ الدين عنه، وشعيب مات قبل ذلك، وقال قوم: انه كان ابن أخي شعيب (ع). قوله تعالى:

\* (قالت إحدهما يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين (٢٦) قال إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثمانى حجج فان أتممت عشرا فمن عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدني إن شاء الله من الصالحين (٢٧) قال ذلك بيني وبينك أيما الأجلين قضيت فلا عدوان علي والله على ما نقول وكيل (٢٨) فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا قال لأهله



امكثوا إني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار  
لعلكم تصطلون (٢٩) فلما أتاها نودي من شاطئ الواد الأيمن  
في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا الله رب  
العالمين) \* (٣٠) خمس آيات بلا خلاف.

قرأ عاصم \* (جذوة) \* بفتح الجيم، وقرأ حمزة وخلف بضمها. الباكون - بكسر  
الجيم - وفيه ثلاث لغات - فتح الجيم وضمها وكسرها. والكسر أكثر  
وافصح. والجذوة القطعة الغليظة من الحطب فيها النار، وهي مثل الحزمة من  
أصل الشجر، وجمعها جذي قال الشاعر:

كانت حواطب ليلي يلتمس لها \* جزل الجذى غير خوار ولا ذعر (١)  
وقال قتادة: الجذوة الشعلة من النار. حكى الله تعالى أن إحدى المرأتين  
قالت لأبيها " يا أبت استأجره " والاستئجار طلب الإجارة، وهي العقد على  
أمر بالمعاوضة، يقال: أجره أجرا، وآجره إجارة وإيجارا، واستأجره استئجارا  
ومنه الأجير، والمأجور. والاجر الثواب، وهو الجزاء على الخير. ثم حكى  
أنها قالت لأبيها " ان خير من استأجرت القوي الأمين " قال قتادة: عرفت  
قوته بأنه سقى الماشية بدلو واحد، وعرفت أمانته بغض طرفه، وأمره بإياها بأن  
تمشي خلفه. والقوي القادر العظيم المقدور، ومنه وصف الله تعالى بأنه القوي  
العزیز، وأصل القوة شدة القتل من قوي الحبل، وهي طافاته التي يفتل عليها،  
ثم نقل إلى معنى القدرة على الفعل. والأمانة خاصة للتأدية على ما يلزم فيها،

---

(١) تفسير القرطبي ١٣ / ٢٨١ والطبري ٢٠ / ٤١

وهي ضد الخيانة، والثقة مثل الأمانة.

ثم حكى ما قال أبو المراتين لموسى (ع)، فإنه قال له " إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين " أي أزوجك إحداهما، فالانكاح عقد ولي المرأة على غيره الزوجية، وهو تزويجه إياها، والنكاح تزوج الرجل المرأة، يقال نكحها نكاحا إذا تزوجها. وقوله " على أن تأجرني ثمانى حجج " معناه على أن تجعل أجري على تزويجي إياك ابنتي رعي ماشيتي ثمانى سنين، لأنه جعل صداق ابنته هذا الذي عقد عليه، وجعل الزيادة على المدة إليه الخيار فيها، فلذلك قال " فان أتممت عشرا فمن عندك " أي هبة منك غير واجب عليك. ثم اخبر أنه قال " وما أريد ان أشق عليك " بأن الزمك عشر سنين " ستجدني " فيما بعد \* (إن شاء الله من) \* جملة \* (الصالحين) \* الذين يفعلون الخيرات، وتعليق الصلاح بمشيئة الله في الآية يحتمل أمرين:

أحدهما - ان يريد بها الصلاح في الدنيا من صحة الجسم وتمام القوة، فان الله تعالى يجوز ان يفعل بأنبيائه أمراضا امتحانا لهم ولطفاء، فلذلك قال إن شاء الله.

والثاني - أن يكون أراد إن شاء الله تبقيتي، لأنه يجوز أن يخترمه الله فلا يفعل الصلاح الديني، فلذلك علقه بمشيئة الله. ويحتمل أن يكون ذلك لاتفاق الكلام، ولا يكون خبرا قاطعا، فلا يكون بمشيئة الله شرط في فعل الصلاح وقال ابن عباس: ان موسى قضى أتما الأجلين وأوفاهما، وقيل: انه كان جعل لموسى كل سخلة تولد على خلاف شبه أمها فأوحى الله (عز وجل) إلى موسى ان الق عصاك في الماء فولدت كلهن خلاف شبههن. وقيل: جعل له كل

بلقاء فولدن كلهن بلقا.

ثم حكى تعالى ان موسى قال له \* (ذلك بيني وبينك أيما الأجلين قضيت فلا عدوان علي) \* أي لا تعدي علي لأني مخير في ذلك \* (والله على ما نقول وكيل) \* أي كاف وحسيب، وقيل: انه من قول الشيخ، ثم حكى تعالى ان موسى لما قضى الأجل تسلم زوجته وسار بها إلى أن \* (آنس من جانب الطور نارا) \* اي أبصر امرا يؤنس بمثله، والطور الجبل قال العجاج:  
آنس جربان فضاء فانكدر \* داني جناحيه من الطور فمر (١)  
فلما رأى ذلك قال لأهله: البثوا مكانكم، فاني أبصرت نارا، فامضي نحوها \* (لعلي آتيكم منها بخبر) \* يعرف منه الطريق، فإنه روي أنه كان قد ضل عن الطريق \* (أو جذوة من النار) \* أي قطعة من الحطب غليظة فيها النار، وقيل الجذوة الشعلة من النار، لكي تصطلوا بها. وقيل: انهما كانا وجدا البرد، فلذلك قال ما قال.

ثم حكى تعالى ان موسى لما اتى النار بان قرب منها \* (نؤدي من شاطئ الواد الأيمن) \* أي من جانبه وهو الشط، ويجمع شواطئ وشطانا \* (من البقعة المباركة) \* يقال: بقعة وبقعة بالضم والفتح، وجمعه بقاع، ووصفها بأنها مباركة لأنه كلم الله فيها موسى \* (من الشجرة) \* قيل إن الكلام والنداء سمعه موسى من ناحية الشجرة، لان الله تعالى فعل الكلام فيها لا أن الله تعالى كان في الشجرة، لأنه لا يحويه مكان، ولا يحل في جسم، فتعالى الله عن ذلك " أن يا موسى " أي ناداه بان قال له يا موسى \* (اني أنا الله رب العالمين) \*

(١) تفسير الطبري ٢٠ / ٤٠ وروايته " آنس جريان قض "، وقد مر قسم

من هذا الرجز في ١ / ٢٨٦ و ٧ / ٣٥٨

الذي خلقت جميع الخلائق وأخرجتهم من العدم إلى الوجود.  
قوله تعالى:

\* (وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبراً  
ولم يعقب يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الأمنين (٣١)  
أسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم إليك  
جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك إلى فرعون  
وملائته إنهم كانوا قوماً فاسقين (٣٢) قال رب إنني قتلت منهم  
نفساً فأخاف أن يقتلون (٣٣) وأخي هارون هو أفصح مني لساناً  
فأرسله معي ردءاً يصدقني إنني أخاف أن يكذبون (٣٤) قال  
سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً فلا يصلون إليكما  
بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون) \* (٣٥) خمس آيات بلا خلاف  
قرأ \* (من الرهب) \* بفتح الراء والهاء - ابن كثير ونافع وأبو جعفر وأبو  
عمرو. الباقون - بضم الراء وسكون الهاء - إلا حفصاً، فإنه قرأ - بفتح الراء  
وسكون الهاء - وقرأ ابن كثير وأبو عمرو \* (فذانك) \* مشددة النون.  
الباقون بالتخفيف. وقرأ نافع \* (ردا) \* بفتح الدال من غير همز منونا. وقرأه  
أبو جعفر بألف بعد الدال من غير همز وغير تنوين. الباقون بسكون الدال  
وبعدها همزة مفتوحة منونة. وقرأ عاصم وحمزة \* (يصدقني) \* بضم القاف.

الباقون بالجزم.

الرهب والرهب لغتان مثل النهر والنهر، والسمع والسمع. وقيل في تشديد \* (ذانك) \* ثلاثة أقوال: أحدها - للتوكيد، الثاني - للفرق بين النون التي تسقط للإضافة. وبين هذه النون. الثالث - للفرق بين بنية الاسم المتمكن وغير المتمكن. وروي عن ابن كثير انه قرأ \* (فذانيك) \* قال أبو علي: وجه ذلك أنه أبدل من احدى النونين ياء، كما قالوا: تظنيت وتظننت. ومن جزم \* (يصدقني) \* جعله جوابا للامر وفيه معنى الشرط. وتقديره: إن أرسلته صدقني ومن رفع جعله صفة للنكرة. وتقديره ردءا مصدقا لي. وقال مقاتل: الرهب الكم، ويقال وضعت الشيء في رهيبي اي في كمي، ذكر الشعبي انه سمع ذلك من العرب. ومن شدد \* (ذانك) \* جعله تثنية (ذلك) ومن خفف جعله تثنية (ذاك).

اخبر الله تعالى انه لما قال لموسى \* (اني انا الله رب العالمين) \* أمره أيضا ان يلقي عصاه، وانه ألقاها أي طرحها وخرجها من يده إلى الأرض فانقلبت بإذن الله ثعبانا عظيما \* (تهتز) \* بإذن الله \* (كأنها جان) \* في سرعة حركته، وشدة اهتزازه، فعلم موسى عند ذلك ان الذي سمعه من الكلام صادر من الله، وان الله هو المكلّم له دون غيره، لان ذلك إنما يعلمه بضرب من الاستدلال. وقوله \* (ولى مديرا، ولم يعقب) \* اي لم يرجع، اي خاف بطبع البشرية وتأخر عنها ولم يقف، فقال الله تعالى له \* (يا موسى اقبل ولا تخف انك من الآمين) \* من ضررها. والعصا عود من خشب كالعمود، وفي انقلابه حية دليل على أن الجوهر من جنس واحد، لأنه لا حال ابعد إلى الحيوان من حال الخشب. وما جرى مجراه من الجماد، وذلك يقتضي صحة قلب الأبيض إلى

حال الأسود، والاهتزاز شدة الاضطراب في الحركة، والحيوان له حركة تدل عليه إذا رأى عليها لا يشك في أنه حيوان بها. وهي التصرف بالنفس من غير ربح، ولا سبب يولد التصرف مع كونه على البنية الحيوانية. وقيل: ان الله امره ان يدخل يده في فيها، ففعل فعادت عصا كما كانت. ثم امره الله ان يسلك يده في جيبه، أي بأن يدخلها فيه، وكانت سمرة شديدة السمرة فلما أخرجها خرجت بيضاء نقية \* (من غير سوء) \* أي من غير برص. وقوله \* (واضمم إليك جناحك) \* قال ابن عباس ومجاهد: يعني يدك \* (من الرهب) \* يعني من الرعب، والفرق الذي لحقه لأجل الحية - في قول مجاهد، وقتادة - وقال قوم: ان معناه امر له بالعزم على ما أريد له مما امر به، وحثه على الجد فيه، ويمنعه ذلك من الخوف الذي لحقه، ولا يستعظم ذلك، فيكون ذلك مانعا مما امر به، كما قال \* (سنشد عضدك بأخيك) \* ولم يرد خلاف الحل فكذلك الضم ليس يراد به الضم المزيل للفرجة. ومثله قول الشاعر:

اشدد حيازيمك للموت فان الموت لاقيك \* ولا تجزع من الموت إذا حل بواديك (١)  
وإنما يريد تأهب له. ثم قال " فذانك " يعني قلب العصا حية واخراج اليد البيضاء " برهانان " أي دليان، واضحان من الله في ارسالك إلى فرعون واشراف قومه.

ثم اخبر تعالى أن فرعون وقومه " كانوا قوما فاسقين " خارجين من طاعة الله إلى معاصيه. ثم حكى تعالى ما قال موسى، فإنه قال يا رب " اني قتلت منهم نفسا " يعني القبطي الذي وكره فقضى عليه " فأخاف ان يقتلوني " بدله.

---

(١) اللسان (حزم) نسبه إلى علي (ع)

وقال أيضا " وأخي هارون هو افصح مني لسانا " لان موسى كان في لسانه عقدة ولم يكن كذلك هارون، وسأل الله تعالى أن يرسل هارون معه " ردءا " أي عوناً، والردء العون الذي يدفع السوء عن صاحبه، ومنه ردء الشيء يرده رداء فهو ردئ، فالرد المعين في دفع الردا عن صاحبه. ويقال: ردأته اردأه ردءا إذا أعنته. واردأته أيضا لغتان. وقوله " يصدقني " من جزمه جعله جوابا للامر، ومن رفعه جعله صفة للنكرة، وتقديره ردءا مصدقا " إني أخاف أن يكذبون " في ادعاء النبوة والرسالة، وقيل: ان موسى ما سأل ذلك إلا بإذن الله ، لأنه لا يجوز ان يسأل نبي أن يرسل معه إنسانا آخر نبيا، وهو لا يعلم أنه يصلح لذلك، فلا يجاب إليه، فان ذلك ينفر عنه. فقال الله تعالى " سنشد عضدك بأخيك " أي سنقويك به بأن نقرنه إليك في الرسالة لنقوي بعضكما ببعض. " ونجعل لكما سلطانا " يعني حجة وقوة، وهي التي كانت لهما بالعصا. والسلطان القوة التي يدفع بها على الامر. والسلطان الحجة الظاهرة، وتقديره ونجعل لكما سلطانا ثابتا " فلا يصلون اليكما " فيه تقديم وتأخير.

ثم قال تعالى " فلا يصلون اليكما " يعني فرعون، وقومه لا يتمكنون من قتلكما، ولا أذاكما، ثم قال " بآياتنا " أي بحججنا وبراهيننا " أنتما ومن اتبعكما " من بني إسرائيل وغيرهم " الغالبون " لفرعون، فعلى هذا يكون " أنتما " مبتدأ، " ومن اتبعكما " عطفا عليه " والغالبون " خبره " وبآياتنا " متعلق بقوله " الغالبون ". وعلى الوجه الآخر يكون " بآياتنا " متعلقا بقوله " ويجعل لكما سلطانا.... بآياتنا " قال الزجاج: يجوز أن يكون " بآياتنا " متعلقا بقوله " فلا يصلون اليكما " بآياتنا وحججنا، وكل ذلك محتمل.

قوله تعالى:

\* (فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا إلا سحر مفترى وما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين (٣٦) وقال موسى ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار إنه لا يفلح الظالمون (٣٧) وقال فرعون يا أيها الملا ما علمت لكم من آله غيري فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلني أطلع إلى آله موسى وإني لأظنه من الكاذبين (٣٨) واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون (٣٩) فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) \* (٤٠) خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ابن كثير " قال موسى " بلا واو، وكذلك هو في مصاحف أهل مكة. الباقون - بالواو - وكذلك هو في المصاحف.

وقرأ أهل الكوفة إلا عاصما " من يكون " بالياء. الباقون بالتاء من قرأ بالياء فلان تأنيث العاقبة ليس بحقيقي. ومن قرأ بالتاء، فلان لفظه مؤنث. وتقدير الكلام إن موسى مضى إلى فرعون " فلما جاءهم موسى بآياتنا " أي حججنا " بينات " أي ظاهرات " قالوا " يعني فرعون وقومه ليس " هذا " الذي يدعيه " إلا سحر مفترى " أي مختلق مفتعل. والفرق



بين (لو) و (لما) أن (لو) لتقدير وقوع الثاني بالأول، و (لما) للإيجاب في وقوع الثاني بالأول. وقولك: ولو جاءهم موسى بآياتنا قالوا، ليس فيه دليل أنهم قالوا وفي (لما) دليل على أنهم قالوا عقيب مجئ الآيات. وقوله \* (سحر مفترى) \* أي سحر مختلق لم يبين على أصل صحيح، لأنه حيلة موهم خلاف الحقيقة، فوصفوا الآيات بالسحر والاختلاق، على هذا المعنى جهلا منهم وذهابا عن الصواب.

وقوله \* (ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين) \* أي لم نسمع ما يدعيه ويدعو إليه في آبائنا الذين كانوا قبلنا، وإنما قالوا \* (ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين) \* مع شهرة قصة قوم نوح وصالح وغيرهم من النبيين الذين دعوا إلى توحيد الله وإخلاص عبادته لاحد أمرين: أحدهما - للفترة التي دخلت بين الوقتين وطول الزمان جحدوا أن تقوم به حجته.

والآخر - إن آباءهم ما صدقوا بشئ من ذلك، ولا دانوا به، ووجه الشبهة في أنهم ما سمعوا بهذا في آبائهم الأولين أنهم الكثير الذين لو كان حقا لأدركوه، لأنه لا يجوز أن يدرك الحق الأنقص في العقل والرأي، ولا يدركه الأفضل منهما، وهذا غلط، لأن ما طريقه الاستدلال قد يصيبه من سلك طريقه ولا يصيبه من لم يسلك طريقه.

ثم حكى ما قال موسى بأنه قال \* (ربي أعلم بمن جاء بالهدى) \* أي بالدين الواضح والحق المبين من عنده، ووجه الاحتجاج بقوله \* (ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده) \* أنه عالم بما يدعو إلى الهدى مما يدعو إلى الضلال، فلا يمكن من مثل ما أتيت به من يدعو إلى الضلال، لأنه عالم بما في ذلك من فساد العباد

ثم بين هذا بقوله \* (انه لا يفلح الظالمون) \* وان عاقبة الصلاح لأهل الحق والانصاف، وهو كما تقول على طريق المظاهرة بحمل الخطاب: الله أعلم بالمحق منا من المبطل وحجتي ظاهرة، فاكسرهما ان قدرت على ذلك \* (ومن تكون له عاقبة الدار) \* يعني الجنة والثواب في الآخرة \* (انه لا يفلح) \* أي لا يفوز بالخير من ظلم نفسه وعصى ربه وكفر نعمه.

ثم حكى تعالى ما قال فرعون عند سماع كلام موسى لقومه فإنه قال لهم \* (يا أيها الملاء ما علمت لكم من إله غيري) \* فلا تصغوا إلى قوله، حين أعياه الجواب وعجز عن محتاجته. ثم قال لهامان \* (أوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا) \* قال فالصرح البناء العالي كالقصر، ومنه التصريح شدة ظهور المعنى قال الشاعر: بهن نعام بناها الرجال \* تحسب أعلامهن الصروحا (١) جمع صرح وهي القصور، وقال قتادة: أول من طبخ الآجر وبنى به فرعون ويقال: الآجر بالتخفيف، والتثقيل والآجور ثلاث لغات. وقوله \* (لعلي اطلع إلى اله موسى) \* فالاطلاع الظهور على الشئ من عل، وهو الاشراف عليه. وقوله \* (واني لأظنه من الكاذبين) \* حكاية ما قال فرعون فإنه قال: أظن موسى من جملة الذين يكذبون، ثم اخبر تعالى ان فرعون استكبر، وكذلك جنوده، واستكبروا \* (في الأرض بغير الحق، وظنوا انهم الينا لا يرجعون) \* إلى الله وإلى ثوابه وعقابه. وقوله \* (فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم) \* اخبار منه تعالى انه اخذ فرعون وجنوده أي جمعهم وطرحهم في البحر، وغرقهم. والنبد الالقاء، قال أبو الأسود الدؤلي:

---

(١) تفسير القرطبي ١٣ / ٢٠٩ والطبري ٢٠ / ٤١

نظرت إلى عنوانه فنبذته \* كنبذك نعلًا أخلقت من نعالكا (١)  
وقال قتادة: البحر الذي غرق فيه فرعون يقال له: اسناد، على مسيرة  
يوم من مصر.

قوله تعالى:

\* (وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيمة لا ينصرون (٤١)  
وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة هم من المقبوحين (٤٢)  
ولقد آتينا موسى الكتاب من بعدما أهلكنا القرون الأولى  
بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون (٤٣) وما كنت  
بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من  
الشاهدين (٤٤) ولكننا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر وما  
كنت ثاويًا في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكننا كنا  
مرسلين) \* (٤٥) خمس آيات بلا خلاف.  
اخبر الله تعالى انه جعل فرعون وقومه \* (أئمة يدعون إلى النار) \* وقيل في  
معناه قولان:

أحدهما - انا عرفنا الناس انهم كانوا كذلك، كما يقال: جعله رجل  
شر بتعريفه حاله. والثاني - انا حكمنا عليهم بذلك، كما قال \* (ما جعل الله

---

(١) مر تخريجه في ١ / ٣٦٧

من بحيرة ولا سائبة) \* (١) وكما قال \* (وجعلوا لله شركاء الجن) \* (٢) وإنما قال ذلك، وأراد انهم حكموا بذلك، وسموه. والجعل على أربعة أقسام: أحدها - بمعنى الاحداث، كقوله \* (وجعلنا الليل والنهار آيتين) \* (٣) وقوله \* (وجعلنا السماء سقفا محفوظا) \* (٤) الثاني - بمعنى قلبه من حال إلى حال كجعل النطفة علقة إلى أن تصير انسانا الثالث - بمعنى الحكم انه على صفة، كما قال إنه جعل رؤساء الضلالة يدعون إلى النار أي حكم بذلك. الرابع - بمعنى اعتقد انه على حال كقولهم جعل فلان فلانا راكبا إذا اعتقد فيه ذلك. والامام هو المقدح للاتباع يقتدون به، فرؤساء الضلالة قدموا في المنزل لاتباعهم فيما يدعون إليه من المغالبة. وإنما دعوهم إلى فعل ما يؤدي بهم إلى النار، فكان ذلك كالدعاء إلى النار. والداعي هو الطالب من غيره ان يفعل إما بالقول أو ما يقوم مقامه، فداعي العقل بالاظهار الذي يقوم مقام القول. وكذلك ظهور الإرادة يدعو إلى المراد. وقوله \* (ويوم القيامة لا ينصرون) \* معناه: إنهم كانوا يتناصرون في الدنيا، وهم لا ينصرون في الآخرة بنصر بعضهم لبعض، ولا غيره ولا أحد ينصرهم. وقوله \* (واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة) \* معناه ألحقنا بهم في هذه الدنيا لعنة بأن لعناهم وأبعدناهم من رحمتنا. وقال أبو عبيدة معناه ألزمنهم بأن أمرنا بلعنهم، قوما بعد قوم \* (ويوم القيامة هم من المقبوحين) \* مع اللعنة.

(١) سورة ٥ المائدة آية ١٠٦

(٢) سورة ٦ الانعام آية ١٠٠

(٣) سورة ١٧ الاسرى آية ١٢

(٤) سورة ٢١ الأنبياء آية ٣٢

والاتباع إلحاق الثاني بالأول، فهؤلاء الدعاة إلى الضلالة ألحقوا اللعنة تدور معهم حيث ما كانوا، وفي ذلك أعظم الزجر عن القبيح. وقيل: المقبوح المشوه بخلقه لقبيح عمله، ويقال: قبحه الله يقبحه قبحا، فهو مقبوح إذا جعله قبيحا وقال أبو عبيدة: معنى (المقبوحين) المهلكين.

ثم أخبر تعالى أنه أعطى موسى الكتاب يعني التوراة من بعد أن أهلك القرون الأولى من قوم فرعون وغيرهم، وأنه فعل ذلك " بصائر للناس " وهي جمع بصيرة يتبصرون بها ويعتبرون بها وجعل ذلك هدى يعني أدلة وبيانا ورحمة أي ونعمة عليهم لكي يتذكروا ويتفكروا فيعتبروا به. وقوله " وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين " معناه ما كنت بجانب الغربي أي الجبل - في قول قتادة - حين قضينا إليه الأمر أي فصلنا له الأمر بما أزمناه وقومه وعهدنا إليه فيهم، فلم تشهد أنت ذلك " ولكننا أنشأنا قرونا فتناول عليهم العمر وما كنت ثاويا في أهل مدين " أي مقيما فالثاوي المقيم قال الأعشى:

أثوى وقصر ليلة ليزودا \* ومضى وأخلف من قتيلة وموعدا (١)  
" تتلو عليهم آياتنا ولكننا كنا مرسلين " والمعنى أنك لم تشهد احساننا إلى عبادنا بارسال الرسل ونصب الآيات وانزال الكتب بالبيان والهدى وما فيه الشفاء للعمى كأنه يقول لم تراي شيء كان هناك، تفخيما لشأنه مع إنك إنما تخبر به عنا، ولولا ما أعلمناك منه لم تهتد له.  
قوله تعالى:

\* (وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك

---

(١) ديوانه \* (دار بيروت) \* ٥٤

لتنذر قوما ما أتاهاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون (٤٦)  
ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا  
أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين (٤٧)  
فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى  
أو لم يكفروا بما أوتي موسى من قبل قالوا سحران تظاهرا  
وقالوا إنا بكل كافرون (٤٨) قل فأتوا بكتاب من عند الله هو  
أهدى منهما أتبعه إن كنتم صادقين (٤٩) فإن لم يستجيبوا  
لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هويته  
بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين)\* (٥٠) خمس  
آيات بلا خلاف.

قرأ أهل الكوفة " سحران " بغير الف. الباقون " ساحران " وقيل في  
معناه قولان:

أحدهما - قال مجاهد أراد موسى وهارون،  
والثاني - قال ابن عباس: أراد موسى ومحمدا " تظاهرا ": أي تعاونا.  
ومن قرأ " سحران " قال ابن عباس: أراد التوراة والقرآن. وقال  
الضحاك: أراد الإنجيل والقرآن. وقال عكرمة: أراد التوراة والإنجيل. ومن  
اختار " ساحران " فلانه قال تظاهرا وذلك إنما يكون بين الساحرين دون

السحريين. ومن قرأ " سحران " قال: في ذلك ضرب من المجاز، كما قال " بكتاب من عند الله هو اهدي " (١) والكتاب يهتدى به، ولا يهدي. وإنما يقال ذلك مجازاً.

يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله " ما كنت بجانب الطور " الذي كلم الله عليه موسى حين ناداه وكلمه. وقال له " إني أنا الله " (٢) " يا موسى أقبل ولا تخف انك من الآمنين " (٣) " فخذها بقوة " (٤) وقيل: إن هذه المرة الثانية التي كلم الله فيها موسى " ولكن رحمة من ربك " ومعناه لكن آتيناك علم ذلك رحمة من ربك، ونعمة عليك، لما فيه من العبرة والموعظة، وإن سبيلك لسبيل غيرك من النبيين في التأييد والمعجزة الدالة على النبوة. وقوله " لتندر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك " فالانذار الاعلام بموضع المخافة ليتقى، فالنبي صلى الله عليه وآله نذير لأنه معلم بالمعاصي، وما يستحق عليها من العقاب، لتتقى بالطاعات، والنذر العقد على ضرب من البر بالسلامة من الخوف والمعنى إنا أعلمناك لتخوف قوما لم يأتهم مخوف قبلك ليتذكروا ويعتبروا، وينزعوا عن المعاصي. و (التذكر) طلب الذكر بالفكر والنظر. وقوله " ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم " أي لولا أن تلحقهم مصيبة جزاء على ما كسبت أيديهم فيقولوا حينئذ " لولا أرسلت إلينا رسولا " أي هلا أرسلت إلينا من ينهانا عن المعاصي ويدعونا إلى الطاعات \* (فتتبع آياتك) \* أي أدلتك وبيناتك \* (ونكون من المؤمنين) \* بوحدانيتك لما أهلكناهم عاجلاً بكفرهم، فجواب (لولا) محذوف لدلالة الكلام عليه، لأن

---

(١) آية ٤٩ من هذه السورة

(٢) سورة ٢٠ طه آية ١٤

(٣) آية ٣١ من هذه السورة

(٤) سورة ٧ الأعراف آية ١٤٤

معنى الكلام الامتنان عليهم بالامهال حتى يتذكروا ما أتى به الرسول صلى الله عليه وآله. وقال قوم جواب (لولا) \* (أرسلت إلينا رسولا) \*.

وفي الآية دلالة على وجوب فعل اللطف، لأنه لو لم يكن فعله واجبا لم يكن للآية معنى صحيح. ثم اخبر تعالى انه \* (فلما جاءهم) \* يعني الكفار \* (الحق من عندنا) \* من عند الله من القرآن والأدلة الدالة على توحيده \* (قالوا) \* عند ذلك: هلا أوتي محمد من المعجزات \* (مثل ما أوتي موسى) \* من قبل: من فلق البحر وقلب العصا حية وغير ذلك. فقال الله تعالى \* (أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل) \* قال الجبائي معنى \* (أولم يكفروا) \* اي أولم يكفر من كان في عصر موسى وهارون، ونسبوهما إلى السحر ف \* (قالوا ساحران تظاهرا) \* اي موسى ومحمد - في قول ابن عباس، وفي قول مجاهد: موسى وهارون. ومن قرأ (سحران) أراد التوراة والقرآن أو التوراة والإنجيل أو الإنجيل والقرآن. على ما حكيناه بخلاف فيه وأنهم قالوا مع ذلك \* (انا بكل كافرون) \* اي بكل ما امر به، وذكر انه من عند الله. ويحتمل أن يكون المراد بموسى وهارون. وقال الحسن: المعني بقوله \* (إنا بكل كافرون) \* مشركوا العرب الذين كفروا بالتوراة والإنجيل والقرآن.

ثم امر تعالى نبيه صلى الله عليه وآله أن يقول لكفار قومه \* (فأتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما) \* يعني من كتاب موسى وكتاب محمد - في قول ابن زيد - " اتبعه ان كنتم صادقين " فيما تدعونه، ثم قال لنبيه صلى الله عليه وآله " فإن لم يستجيبوا لك " مع ظهور الحق " فاعلم إنما يتبعون أهواءهم " أي ما تميل طباعهم إليه، لان الهوى ميل الطبع إلى المشتهى. وما عمل على أنه حسن للهوى فلا يجوز أن يكون طاعة لكنه أبيض أن يفعله على هذا الوجه، كما أبيض أن



يفعله للذة والشهوة، والاستمتاع به. وإنما يكون طاعة لله ما عمل على أنه حسن لان الحكم دعا إليه أو لان الحكمة دعت إليه إذ كلما دعت إليه الحكمة بالترغيب فيه فالحكم داع إليه.

ثم اخبر تعالى فقال " ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين " أي لا يهديهم إلى طريق الجنة. ويجوز أن يكون المراد لا يحكم بهدايتهم، لأنهم عادلون عن طريق الحق. قوله تعالى:

\* (ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون (٥١) الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون (٥٢) وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين (٥٣) أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون (٥٤) وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين) \* (٥٥) خمس آيات بلا خلاف. يقول الله تعالى إنا " وصلنا " لهؤلاء الكفار " القول " وقيل في معناه قولان:

أحدهما - قال ابن زيد " وصلنا لهم القول " في الخبر عن أمر الدنيا والآخرة الثاني - قال الحسن البصري " وصلنا لهم القول " بما أهلكنا من القرون

قرنا من قرن فأخبرناهم أنا أهلكنا قوم نوح بكذا، وقوم هود بكذا، وقوم صالح بكذا " لعلهم يتذكرون " فيخافوا أن ينزل بهم ما نزل بمن كان قبلهم. واصل التوصيل من وصل الحبال بعضها بعض. ومنه قول الشاعر:

فقل لبني مروان ما بال ذمة \* وحبل ضعيف ما يزال يوصل (١)

والمعنى انا اتبعنا القرآن بعضه بعضا. وقيل: معناه فصلنا لهم القول. وقوله " الذين آتيناهم الكتاب " يعني التوراة \* (من قبله) \* يعني من قبل القرآن وقد تقدم ذكره في قوله " فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى أو لم يكفروا بما أوتي موسى من قبل ".

وقوله " هم به يؤمنون " أي هم بالقرآن يصدقون من قبل نزوله وبعد نزوله. ويحتمل أن تكون الكناية عن النبي صلى الله عليه وآله، وتقديره الذين آتيناهم الكتاب من قبل محمد هم بمحمد يؤمنون، لأنهم كانوا يجدون صفته في التوراة ثم قال \* (وإذا يتلى عليهم) \* يعني القرآن " قالوا آمنا به " أي صدقنا به " انه الحق من ربنا انا كنا " من قبل نزوله " مسلمين " به مستمسكين بما فيه.

ثم اخبر تعالى ان هؤلاء الذين وصفهم يعطيهم الله أجرهم اي ثوابهم على ما صبروا في جنب الله " مرتين " إحداهما - لفعلهم الطاعة، والثانية للصبر عليها لما يوجبه العقل من التمسك بها، والصبر حبس النفس عما تنازع إليه فيما لا يجوز أن يتخطأ إليه، ولذلك مدح الله الصابرين. والصبر على الحق مر إلا أنه يؤدي إلى الثواب الذي هو أحلى من الشهد، فهؤلاء صبروا على الامتناع من المعاصي، وعلى فعل الطاعات. وقيل: صبروا على الأذى في جنب الله.

(١) تفسير القرطبي ١٣ / ٢٩٥ والطبري ٢٠ / ٥١ مع اختلاف قليل في الرواية

ثم وصف الصابرين الذين ذكرهم فقال " ويدرون بالحسنة السيئة " يعني يدفعون بالتوبة المعاصي، لان الله تعالى يسقط العقاب عندها. وقيل: معناه يدفعون بالكلام الجميل اللغو من كلام الكفار. وقيل: ان ذلك قبل الامر بقتالهم، ولا يمتنع أن يؤمروا، بالاعراض عن مكالمتهم مع الامر بقتالهم، ولا تنافي بينهما على حال.

ثم قال " ومما رزقناهم ينفقون " أي جعلنا لهم التصرف فيها، وملكناهم إياها ينفقون في طاعة الله، وفي سبيل الخير، وإذا سمعوا لغوا من الكلام، ورأوا لغوا من الفعل أعرضوا عنه، ولم يخاصموا فيه فقالوا لفاعل اللغو " لنا أعمالنا ولكم أعمالكم " أي لنا جزاء أعمالنا ولكم جزاء أعمالكم " سلام عليكم " أي ويقولون لهم قولاً يسلمون منه. ويقولون " لا نبتغي الجاهلين " أي لا نطلبهم ولا نجازيهم على لغوهم. واللغو الفعل الذي لا فائدة فيه، وإنما يفعله فاعله على توهم فاسد، واللغو واللغا بمعنى واحد. قال الشاعر:

عن اللغا ورفث التكلم (١)

ومن أحسن الأدب الاعراض عن لغو الكلام. وقيل: ان هذه الآيات نزلت في عبد الله بن سلام، وتميم الداري، والجارود العبدي، وسلمان الفارسي لما أسلموا نزلت فيهم هذه الآيات - على ما ذكره قتادة - وقال غيره: انها نزلت في أربعين رجلاً من أهل الإنجيل كانوا مسلمين بالنبى صلى الله عليه وآله قبل مبعثه: اثنان وثلاثون رجلاً من الحبشة أقبلوا مع جعفر بن أبي طالب وقت قدومه، وثمانية قدموا من الشام: منهم بحيرا، وابرهه، والأشرف، وعامر، وأيمن وإدريس، ونافع، قال قتادة: آتاهم الله أجرهم مرتين، لايمانهم بالكتاب

---

(١) مر تخريجه في ٢ / ١٣٢، ١٦٤، ٢٣٠ من هذا الكتاب

الأول وإيمانهم بالكتاب الثاني.

قوله تعالى:

\* (إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين (٥٦) وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا أو لم نمكن لهم حرماً آمناً يجيبى إليه ثمرات كل شئ رزقاً من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون (٥٧) وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلاً وكنا نحن الوارثين (٥٨) وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون (٥٩) وما أوتيتم من شئ فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون) \* (٦٠) خمس آيات بلا خلاف.

قرأ أهل المدينة ورويس "يجبى" بالياء. الباقيون بالتاء. وقرأ أبو عمرو إلا السوسي "يعقلون" بالياء.

يقول الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وآله "إنك" يا محمد "لا تهدي من أحببت" هدايته. وقيل: معناه من أحببته لقرابته. والمراد بالهداية - ههنا - اللطف

الذي يحتاج إليه ليختار عنده الايمان، وذلك لا يقدر عليه غير الله لأنه إما أن يكون من فعله خاصة أو باعلامه، لأنه لا يعلم، ما يصلح العبد في دينه إلا الله تعالى، فإذا دبر الأمور على ما فيه صلاحه كان لاطفا له، وهذا التدبير لا يتأتى من أحد سوى الله تعالى، فلذلك نفى الله ذلك عن نبيه، ويؤيد ما قلناه قوله " وهو أعلم بالمهتدين " ومعناه هو أعلم بمن يهتدي باللفظ ممن لا يهتدي، فهو تعالى يدبر الأمور على ما يعلم من صلاح العباد، على التفصيل من غير تعليم. وهذه الآية نزلت لان النبي صلى الله عليه وآله كان يحرص على إيمان قومه ويؤثر أن يؤمنوا كلهم، ويجب أن ينقادوا له ويقرروا بنبوته، وخاصة أقاربه. فقال الله تعالى له: إنك لا تقدر على ذلك، وليس في مقدورك ما تلطف بهم في الايمان ذلك بل في مقدور الله يفعل به من يشاء إذا علم أنهم يهتدون عند شئ فعله بهم فلا ينفع حرصك على ذلك. وروي عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة وغيرهم أنها نزلت في أبي طالب. وعن أبي عبد الله وأبي جعفر إن أبا طالب كان مسلما وعليه اجماع الامامية، لا يختلفون فيه، ولهم على ذلك أدلة قاطعة موجبة للعلم ليس هذا موضع ذكرها.

ثم قال تعالى حاكيا عن الكفار انهم قالوا: إن نتبع محمدا وما يدعونا إليه ونقول انه هدى وموصل إلى الحق " نتخطف من أرضنا " وقيل: انها نزلت في الحارث بن نوفل بن عبد مناف، فإنه قال للنبي صلى الله عليه وآله انا لنعلم أن قولك حق ولكن يمنعنا أن نتبع الذي معك، ونؤمن بك مخافة أن يتخطفنا العرب من أرضنا يعني مكة، ولا طاقة لنا بالعرب فقال الله تعالى \* (أو لم نمكن لهم حرما آمنا) \* فالتخطف اخذ الشئ على الاستلاب من كل وجه: تخطف تخطفنا واختطف اختطافا وخطفه ويخطفه خطفا قال امرؤ القيس:

نخطف خزان الشربة بالضحي \* وقد حجرت منها ثعالب أورال (١)  
فقال الله تعالى لهم " أو لم نمكن لهم حرماً آمناً " وقيل في وجه جعله  
الحرم آمناً وجهان:

أحدهما - بما طبع النفوس عليه من السكون إليه بترك النفور مما ينفر عنه  
في غيره كالغزال مع الكلب، والحمام مع الناس وغيرهم.  
والوجه الآخر - بما حكم به على العباد وأمرهم أن يؤمنوا من يدخله  
ويلوذ به، ولا يتعرض له، وفائدة الآية إنا جعلنا الحرم آمناً لحرمة البيت مع  
أنهم كفار يعبدون الأصنام حتى آمنوا على نفوسهم وأموالهم، فلو آمنوا  
لكان أخرى بأن يؤمنهم الله، وأولى بأن يمكنهم من مراداتهم.  
وقوله " يجبي إليه ثمرات كل شئ " أي يجلب إلى هذا الذي جعلناه  
حرماً ثمرات كل شئ.  
فمن قرأ بالتاء فلتأنيث الثمرات. ومن قرأ بالياء، فلان التأنيث  
غير حقيقي.

وقوله " رزقا من لدنا " نصب على المصدر، وتقديره رزقا رزقناه من  
عندنا " ولكن أكثرهم لا يعلمون " ما أنعمنا به عليهم. ثم قال " وكم أهلكنا  
من قرية " أي من أهل قرية استحقوا العقاب " بطرت معيشتها " قال الفراء:  
معناه أبطرتها معيشتها، كقولهم أبطرك مالك، فذكرت المعيشة، لان الفعل  
كان لها في الأصل فحول إلى ما أضيفت إليه فنصبت كما قال " فان طبن لكم عن  
شئ منه نفسا " (٢) فالبطر والأشر واحد، وهو شق العصا بتضييع حق نعم

---

(١) شرح ديوانه ١٦٦ (حسن السندوبى)

(٢) سورة ٤ النساء آية ٣

الله، والطغيان فيها بجحدها، والكفر بها.  
ثم اخبر تعالى فقال " فتلك مساكنهم " يعني مساكن الذين أهلكهم الله " لم تسكن من بعدهم إلا قليلا " من الزمان. ثم هلكوا وورث الله تعالى مساكنهم لأنه لم يبق منهم أحد. ثم خاطب نبيه صلى الله عليه وآله فقال " وما كان ربك " يا محمد " مهلك القرى، حتى يبعث في أمها رسولا " وقيل في معنى " أمها " قولان: أحدهما - في أم القرى، وهي مكة. والآخر في معظم القرى في سائر الدنيا " يتلو عليهم آياتنا " اي يقرأ عليهم حجج الله وبياناته " وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون " لنفوسهم بارتكاب المعاصي، وكفران نعمه.  
ثم خاطب خلقه فقال " وما أوتيتم من شيء " اي ما أعطيتم من شيء " فمتاع الحياة الدنيا " اي هو شيء تنتفعون به في الحياة الدنيا، وتزنيون فيها \* (وما عند الله) \* من الثواب ونعيم الجنة \* (خير وأبقى) \* من هذه النعم، لأنها باقية، وهذه فانية \* (أفلا تعقلون) \* ذلك وتنفكرون فيه.  
وقوله \* (ثمرات كل شيء) \* قيل: ان (كل) ههنا البعض، لأننا نعلم أنه ليس يجبي إلى مكة كثير من الثمرات. وقال قوم: ظاهر ذلك يقتضى انه يجبي إليه جميع الثمرات إما رطبا أو يابسا، ولا مانع يمنع منه.  
ومن قرأ \* (تعقلون) \* بالتاء فلقوله \* (وما أوتيتم) \* ومن قرأ بالياء فتقديره \* (أفلا يعقلون) \* يا محمد.  
قوله تعالى:  
\* (أفمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه كمن متعناه متاع

الحياة الدنيا ثم هو يوم القيمة من المحضرين (٦١) ويوم  
يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون (٦٢) قال  
الذين حق عليهم القول ربنا هؤلاء الذين أغوينا أغويناهم  
كما غوينا تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون (٦٣) وقيل  
ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ورأوا العذاب  
لو أنهم كانوا يهتدون (٦٤) ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم  
المرسلين\* (٦٥) خمس آيات بلا خلاف.

يقول الله تعالى منبها لخلقه على عظيم ما أنعم به عليهم ورغبهم فيه من  
ثواب الجنة " أفمن وعدناه وعدا حسنا " يعني من ثواب الجنة جزاء على طاعاته  
يكون بمنزلة من متعناه متاع الحيا الدنيا؟! وقال السدي المعني بقوله " أفمن  
وعدناه " حمزة بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب عليه السلام وعدهما الله الجنة.  
وقيل: النصر في الدنيا والجنة في الآخرة - ذكره الضحاك ومجاهد - " كمن  
متعناه متاع الحياة الدنيا " يعني به أبا جهل " ثم هو يوم القيامة من  
المحضرين " في النار. وقيل للجزاء. وقيل: نزلت في النبي صلى الله عليه وآله وأبي جهل  
والمتعة هي المنفعة. وقد فرق بينهما بأن المتعة منفعة توجب الالتذاذ في الحال،  
والنفع قد يكون بألم يؤدي إلى لذة في العاقبة، فكل متعة منفعة، وليس كل  
منفعة متعة. والمتاع على وجهين:  
أحدهما - كالأدوات التي يتمتع بها من نحو الفرس، والأثاث والثياب وغيرها



والثاني - يكون بمعنى المتعة. والمراد - ههنا - متعة الحياة الدنيا.  
وقوله - " ثم هو يوم القيامة من المحضرين " يعني من المحضرين للجزاء بالعقاب، لأنه تعالى ذكر من وعد وعدا حسنا، فدل ذلك على أهل الثواب ثم ذكر انه لا يستوي أهل الثواب وغيرهم، فدل على أهل العقاب، لبعد حال كل فريق من الفريقين عن الآخر. والاحضار إيجاد ما به يكون الشيء بحيث يشاهد، فلما كان هؤلاء القوم يوجدون يوم القيامة ما به يكرهون بحيث يشاهدهم الخلائق، كانوا محضرين. ثم قال " ويوم يناديهم " وتقديره: واذكر يوم ينادي الله الكفار، وهو يوم القيامة " فيقول " لهم على وجه التوبيخ لهم والتقريع " أين الذين " اتخذتموهم شركائي فعبدتموهم معي على قولكم وزعمكم والزعم القول في الامر عن ظن أو علم، ولذلك دخل في باب العلم، وأخواته قال الشاعر:

فان تزعميني كنت أجهل فيكم \* فاني شريت الحلم بعدك بالجهل (١)  
ثم حكى ان " الذين حق عليهم القول " بالعقاب: من الشياطين والانس والذين أغووا الخلق من الانس يقولون في ذلك اليوم " ربنا هؤلاء " يعني من ضل بهم من الناس واتخذوا شركاء من دون الله هم " الذين أغوينا أغويناهم كما غوينا تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون " اي تبرأ بعضهم من بعض، وصاروا أعداء. ويقولون لم يكن الانس يعبدوننا. ثم حكى الله فقال " وقيل " لهم " ادعوا شركاءكم " الذين عبدتموهم من دون الله. ثم حكى انهم يدعونهم " فلا يستجيبون لهم ويرون العذاب لو أنهم كانوا يهتدون " وقيل في معناه قولان:

---

(١) الكتاب لسيبويه ١ / ٦١

أحدهما - لو أنهم كانوا يهتدون ما رأوا العذاب.  
والثاني - لو كانوا يهتدون لرأوا العذاب.  
ثم قال " ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين " فيما دعوكم إليه من  
توحيد الله وعدله وإخلاص العبادة له.  
قوله تعالى:

\* (فعميت عليهم الأنبياء يومئذ فهم لا يتساءلون (٦٦)  
فأما من تاب وآمن وعمل صالحا فعسى أن يكون من  
المفلحين (٦٧) وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم  
الخيرة سبحانه الله وتعالى عما يشركون (٦٨) وربك يعلم  
ما تكن صدورهم وما يعلنون (٦٩) وهو الله لا آله إلا هو له الحمد  
في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون) \* (٧٠) خمس  
آيات بلا خلاف.

لما حكى الله تعالى أنه ينادي الكفار يوم القيامة ويقررهم عما أجابوا  
به المرسلين، أخبر أنهم تعمى عليهم الحجج، فهم لا يسأل بعضهم بعضا. والعمى  
آفة تنافي صحة البصر " وعميت عليهم الأنبياء " فيه تشبيه بالعمى عن الابصار  
لانسداد طريق الاخبار عليهم، كما تنسد طرق الأرض على الأعمى، ومعنى  
" فهم لا يتساءلون " أي هم لانسداد طرق الاخبار عليهم لم يجيبوا عما سئلوا

عنه، ولا يسأل بعضهم بعضا عنه، لانقطاعهم عن الحجة، ولا ينافي قوله " فهم لا يتساءلون " قوله في موضع آخر " وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون " (١) لان يوم القيامة مواطن يختلف فيها حالهم، فمرة تطبق عليهم الحيرة، فلا يتساءلون، ومرة يفيقون فيتساءلون. وقال الحسن: لا يسأل بعضهم بعضا أن يحمل عنه شيئا كما كانوا في الدنيا.

ثم اخبر تعالى " ان من تاب " من المعاصي ورجع عنها إلى الطاعات، وأضاف إلى ذلك الاعمال الصالحات " فعسى أن يكون من المفلحين " وإنما أدخل (عسى) في اللفظ مع أنه مقطوع بفلاحه، لأنه على رجاء أن يدوم على ذلك، فيفلح، وقد يجوز أن يزول فيما بعد، فيهلك، فلهذا قال " فعسى " على أنه قيل: إن عسى من الله في جميع القرآن واجبة.

ثم اخبر تعالى فقال " وربك " يا محمد " يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة " قيل في معناه قولان:

أحدهما - يختار الذي كان لهم فيه الخيرة، فدل بذلك على شرف اختياره لهم.

الثاني - أن تكون (ما) نفيا أي لم يكن لهم الخيرة على الله بل لله الخيرة عليهم، لأنه مالك حكيم في تدبيرهم، فيكون على هذا الوجه الوقف على قوله " ويختار " وهو الذي اختاره الزجاج. وقال الحسن: معناه " ما كان لهم الخيرة " أي أن يختاروا الأنبياء، فيبعثوهم. وقال مجاهد " لا يتساءلون " بالأنساب والقرباب. وقيل " لا يتساءلون " بما فيه حجج لهم، وقوله " سبحانه وتعالى عما يشركون " معناه ما عظم الله حق عظمتته من اشرك في عبادته، لان من تعظيمه اخلاص الإلهية له، وانه الواحد فيما تفرد به على

---

(١) سورة ٣٧ الصافات آية ٢٧ وسورة ٥٢ الطور آية ٢٥

استحقاق العبادة، وانه لا يجوز أن يستغنى عنه بغيره، فمن اشرك في عباته فما عظمه حق تعظيمه، فهذا قد قبح فيما أتى وضيع حق نعمه. ثم قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله " وربك يا محمد يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون "

أي عالم بما يخفونه وما يظهرونه. يقال: أكننت الشيء في صدري أي أخفيت به و (كننته) بغير ألف صنته. وقيل: كننت الشيء وأكننته لغتان. ثم اخبر تعالى انه الاله الذي لا إله سواه، ولا يستحق العبادة غيره في جميع السماوات والأرض، وانه يستحق الثناء والحمد والمدح والتعظيم، على ما أنعم به على خلقه في الدنيا والآخرة " وله الحكم " بينهم بالفصل بين المختلفين بما يميز به الحق من الباطل. وان جميع الخلق يرجعون إليه يوم القيامة الذي لا يملك أحد الحكم غيره. وقيل قوله " وربك يخلق ما يشاء ويختار " ذلك في الوليد بن المغيرة حين قال " لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم " (١) فبين الله تعالى أن له أن يختار ما يشاء لنبوته ورسالته بحسب ما يعلم من يصلح لها. قوله تعالى:

\* (قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا إلى يوم القيمة من آله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون (٧١) قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيمة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون (٧٢)

---

(١) سورة ٤٣ الزخرف آية ٣١

رحمته ومن جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون (٧٣) ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون (٧٤) ونزعنا من كل أمة شهيدا فقلنا هاتوا برهانكم فعلموا أن الحق لله وضل عنهم ما كانوا يفترون) \* (٧٥) خمس آيات بلا خلاف.

يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله " قل " يا محمد لهؤلاء الكفار الذين عبدوا معي آلهة

تنبيهها لهم على خطئهم \* (أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا) \* أي دائما \* (إلى يوم القيامة) \* بلا نهار ولا ضياء \* (من إله غير الله يأتيكم بضياء) \* كضياء النهار تبصرون فيه، فإنهم لا يقدرّون على الجواب عن ذلك إلا بأنه لا يقدر على ذلك سوى الله تعالى، فحينئذ يلزمهم الحجة بأنه لا يستحق العبادة غير الله وهذا تنبيه منه لنبيه صلى الله عليه وآله ولخلقه على وجه الاستدلال على توحيده ويبطل ذلك قول من قال: المعارف ضرورية. لأنه لو كان تعالى معلوما ضرورة لما احتاج الأمر إلى ذلك، لأن كونه معلوما ضرورة يغني عن الاستدلال عليه، وما لا يعلم ضرورة من أمر الدين، فلا يصح معرفته إلا ببرهان يدل عليه. وقوله \* (أفلا تسمعون) \* معناه أفلا تقبلونه وتتفكرون فيه؟ وفي ذلك تبكيت لهم على ترك الفكر فيه، لأنهم إذا لم يفكروا فيما يسمعون من حجج الله فكأنهم ما سمعوه. وقيل في قوله \* (أفلا تسمعون) \* قولان: أحدهما - أفلا تسمعون هذه الحجة فتدبرونها وتعملون بموجبها إذ كانت بمنزلة الناطقة بأن ما أنتم عليه خطأ وضلال يؤدي إلى الهلاك.

والثاني - ان معناه أفلا تقبلون. ثم نبههم أيضا فقال \* (أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدًا) \* أي دائما \* (إلى يوم القيامة) \* بلا ليل تسكنون فيه، فإنهم لا يقدرّون على الجواب عن ذلك إلا بما يدل على فساد معتقدتهم، وهو انه لا يقدر على ذلك غير الله، فحيثُ تلزمهم الحجة بأنه لا يستحق العبادة سواه.

وقوله \* (أفلا تبصرون) \* معناه أفلا تتفكرون فيما ترونه، لان من لا يتدبر بما يراه من الحجج والبراهين فكأنه لم يرها. وقيل معناه ألا تعلمون ثم قال \* (ومن رحمته) \* أي من نعمه عليكم أن \* (جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا) \* في الليل \* (ولتبتغوا من فضله) \* بالنهار بالسعي فيه، ولكي تشكروا هذه النعم التي أنعم بها عليكم، والهاء في قوله \* (لتسكنوا فيه) \* يحتمل وجهين أحدهما - ان يعود إلى الليل خاصة، ويضمّر مع الابتغاء هاء أخرى، الثاني - ان يعود الضمير اليهما إلا أنه واحد، لأنه يجري مجرى المصدر في قولهم: اقبالك وادبارك يؤذيني، والأول أصح، لان الليل للسكون فيه، والنهار للتصرف والحركة، ولكنه يحتمل ليكونوا في هذا على التصرف وفي ذاك على الهدوء وقطع التصرف، وإنما كان الفساد في إدامة النهار في دار التكليف، ولم يكن في دار النعيم، لان دار التكليف لا بد فيها من التعب والنصب الذي يحتاج معه إلى الاستجمام والراحة، وليس كذلك دار النعيم، لأنه إنما يتصرف فيها بالملاذ. وقوله " أين شركائي الذين كنتم تزعمون " قد مضى تفسيره، وإنما كرر النداء ب " أين شركائي الذين كنتم تزعمون " لان النداء الأول للتقرير بالاقرار على اليقين بالغي الذي كانوا عليه ودعوا إليه. والثاني - للتعجيز عن إقامة البرهان لما طولبوا به بحضرة الاشهاد مع

تقريع حاصل به بالاشراك بعد تقريع.  
ثم اخبر تعالى انه نزع " من كل أمة " من الأمم " شهيدا " يشهد  
على تلك الأمة بما كان فيها، ومعنى \* (نزعنا) \* أخرجنا وأحضرنا يقال:  
فلان ينزع إلى وطنه بأن يحن إليه حيننا يطالبه بالخروج إليه. قال قتادة ومجاهد:  
شهيدها نبيها الذي يشهد عليها بما فعلوه، وقيل هؤلاء الشهود: هم عدول الآخرة  
الذين لا يخلو زمان منهم يشهدون على الناس بما عملوا من عصيانهم.  
وقوله \* (هاتوا برهانكم) \* حكاية عما يقول الله تعالى للكفار في الآخرة  
فإنه يقول لهم هاتوا حجتكم على ما ذهبتُم إليه \* (إن كنتم صادقين) \* ثم اخبر  
تعالى انهم عند ذلك يعلمون \* (أن الحق لله) \* أي ان التوحيد لله والاخلاص  
في العبادة له دون غيره لان معارفهم. ضرورة \* (وضل عنهم ما كانوا يفترون) \*  
أي بطل ما عبدوه من دون الله، وافترأهم هو ادعاءهم الإلهية مع الله تعالى  
قوله تعالى:

\* (إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه  
من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة إذ قال له  
قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين (٧٦) وابتغ فيما  
آتىك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن  
كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب  
المفسدين (٧٧) قال إنما أوتيته على علم عندي أولم يعلم أن الله

قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر  
جمعاً ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون (٧٨) فخرج على قومه في  
زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي  
قارون إنه لذو حظ عظيم (٧٩) وقال الذين أوتوا العلم ويلكم  
ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً ولا يلقاها إلا  
الصابرون) \* (٨٠) خمس آيات بلا خلاف.  
هذا اخبار من الله تعالى \* (أن قارون كان من قوم موسى) \* قال ابن  
إسحاق: كان موسى ابن أخيه، وقارون عمه. وقال ابن جريج: كان ابن  
عمه لأبيه وأمه \* (فبغى عليهم) \* قال قتادة: إنما بغى عليهم بكثرة ماله. والبغى  
طلب العلو بغير حق. ومنه قيل لولاة الجور: بغاة، يقال: بغى يبغى بغياً، فهو  
باغ وابتغى كذا ابتغاء إذا طلبه، ويتبغي فعل الحسن أي يطلب فعله بدعائه  
إلى نفسه. و (قارون) اسم أعجمي لا ينصرف. وروي أنه كان عالماً بالتوراة  
فبغى على موسى وقصد إلى تكذيبه، والافساد عليه. وقوله \* (وآتيناه من  
الكنوز) \* أي أعطيناه كنوز الأموال والكنز جمع المال بعضه على بعض،  
وبالعرف عبارة عما يخبأ تحت الأرض، ولا يطلق اسم الكنوز في الشرع  
إلا على مال لا يخرج زكاته، لقوله تعالى \* (والذين يكتزون الذهب والفضة  
ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم) \* (١) فوجه الوعيد عليه منه تعالى

---

(١) سورة ٩ التوبة آية ٣٥



على فعلهم يدلّك على صحة ما قلناه.  
وقوله \* (ما ان مفاتحه) \* المفتاح عبارة عما يفتح به الاغلاق، وجمعه مفاتيح  
ومفاتيح جمع مفتاح، ومعناها واحد، وقال قوم: كانت مفاتيحه من جلود  
وقال آخرون: مفاتحه خزائنه. قال الزجاج: وهو الأشبه.  
وقوله \* (لتنوء بالعصبة) \* أي ليثقل في حمله، يقال: ناء بحمله ينوء نوءا  
إذا نهض به مع ثقله عليه، ومنه أخذت الأنواء، لأنها تنهض من المشرق  
على ثقل نهوضها. وقال أبو زيد: ناءني الحمل إذا أثقلني. والعصبة الجماعة  
الملتفة بعضها ببعض. وقال قتادة: العصبة ما بين العشرة إلى الأربعين. وقال  
ابن عباس: قد يكون العصبة ثلاث. وإنما قال لتنوء بالعصبة والمعني العصبة  
تنوء بها، لان المعنى تميل بها مثقلة. وقيل: هو يجري مجرى التقديم والتأخير  
كما قال الشاعر:

ونركب خيلا لا هوادة بينها \* وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر (١)  
وإنما تشقى الضياطرة بالرماح، وقال آخر:  
فديت بنفسه نفسي ومالي \* وما آله إلا ما يطيق (٢)  
والمعنى بنفسه نفسي ومالي نفسه، وقال الفراء: كان الأصل ان يقول لتنؤ  
العصبة أي يثقلهم، بحذف الياء ومثله قوله، وهو مقلوب:  
إن سراجا لكريم مفخرة \* تحلى به العين إذا ما تجهره (٣)  
فالوجه ان الرجل يعجب العين وكان ينبغي ان يقول يحلى بالعين، كقوله:

---

(١) قائله خدّاش بن زهير أمالي الشريف المرتضى ١ / ٤٦٦ واللسان (ضطر)

(٢) قائله عباس بن مرداس أمالي الشريف المرتضى ١ / ٢١٧

(٣) مر تخريجه في ٢ / ٧٩، ١٩٦

حليت بعينك ريطة مطويه

قال الرماني - التأويل الأول هو الصحيح، لأنه ليس من باب التقديم والتأخير لما في ذلك من قلب المعنى وليس كالذي تبنيه الاعراب. وقوله \* (إذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين) \* حكاية عما قال قوم قارون لقارون حين خوفوه بالله ونهوه عن الفرح بما آتاه الله من المال، وأمره بالشكر عليه. والفرح المرح الذي يخرج إلى الانس، وهو البطر. ولذلك قال تعالى \* (ان الله لا يحب الفرحين) \* لأنه إذا أطلقت صفة فرح فهو الخارج بالمرح إلى البطر، فأما قوله " فرحين بما آتاهم الله من فضله " (١) فحسن جميل بهذا التقييد، وقال مجاهد: الفرحين هو فرح البطر. وقال الشاعر: ولست بمفراح إذا الدهر سرنى \* ولا جازع من صرفه المتقلب (٢) وقال آخر:

ولا ينسيني الحدثان عرضي \* ولا أرخي من الفرح الازارا (٣)  
وقوله " وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة " حكاية عما قال لقارون قومه المؤمنون بموسى وبتوحيد الله. وقال قوم: إن المخاطب له كان موسى وإن ذكر بلفظ الجمع ومعناه اطلب فيما أعطاك الله من الأموال " الدار الآخرة " بأن ينفقها في وجوه البر وسبيل الخير " ولا تنس نصيبك من الدنيا " قال ابن عباس: منعاه أن يعمل فيها بطاعة الله، وقال الحسن معناه: أن يطلب الحلال

---

(١) سورة ٣ آل عمران آية ١٧٠

(٢) تفسير القرطبي ١٣ / ٣١٣ ويروى (المتحول) بدل (المتقلب) ومجاز القرآن ٢ / ١٧٨

(٣) قائله ابن احمر، مجاز القرآن ٢ / ١١١

" وأحسن " اي افعل الجميل إلى الخلق. وتفضل عليهم، كما تفضل الله عليك  
" ولا تبغ الفساد في الأرض " أي لا تطلب الفساد بمنع ما يجب عليك من  
الحقوق، وانفاق الأموال في المعاصي " ان الله لا يحب المفسدين " أي لا يريد  
منافع من يفسد في الأرض، ولا يريد أن يفعل بهم ثواب الجنة.  
وقوله " قال إنما أوتيته على علم عندي " حكاية عما قال قارون في جواب  
قومه، فإنه قال لهم: أوتيت هذه الأموال على علم بأني مستحق لذلك،  
لعلمي بالتوراة، وقال قوم: لأنني أعمل الكيمياء، وقال قوم لعلمي بوجوه  
المكاسب، وبما لا يتهاى لاحد أن يسلبني إياه، فقال الله تعالى موبخا على هذا  
القول " أو لم يعلم " قارون " ان الله قد أهلك من قبله من القرون من هو  
أشد منه قوة وأكثر جمعا " كقوم عاد، وثمود، وقوم لوط وغيرهم، فما  
اغنى عنهم جمعهم ولا قوتهم حين أراد الله إهلاكهم، فكيف ينفع قارون  
ماله وجمعه.

وقوله " ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون " قال الفراء تقديره: لا يسأل  
المجرمون عن ذنوبهم، فالهاء والميم للمجرمين، كما قال تعالى " فيومئذ لا يسأل  
عن ذنبه انس ولا جان " (١) وقال الحسن لا يسأل عن ذنوبهم المجرمون  
لنعلم ذلك من قبلهم، وإن سئلوا سؤال تقريع وتوبيخ.  
ثم حكى تعالى أن قارون " خرج على قومه في زينته " التي كان يتزين  
بها. وقيل: إنه كان خرج مع قومه عليهم في الديباج الأحمر على الخيل، فلما  
راه الذين يريدون الحياة الدنيا من الكفار والمنافقين والضعيفي الايمان بما  
للمؤمنين عند الله من ثواب الجنة قالوا " يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون " تمنوا

---

(١) سورة ٥٥ الرحمان آية ٣٩

مثل منزلته، ومثل ماله وإنهم قالوا إن قارون " لذو حظ " من الدنيا ونعيمها " عظيم ". ثم حكى ما قال المؤمنون بثواب الله المصدقون بوعدده في جوابهم " ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا " مما أوتي قارون، وحذف لدلالة الكلام عليه. وقوله " ولا يلقاها إلا الصابرون " أي ما يلقى مثل هذه الكلمة إلا الصابرون على أمر الله. وقيل: وما يلقى نعمة الله من الثواب إلا الصابرون.

فان قيل: أليس عندكم أن الله لا يؤتي الحرام أحدا؟ وقد قال - ههنا - " وابتغ فيما آتاك الله " فأخبر انه آتاه.

قيل: لا يعلم أن ذلك المال كان حراما، ويجوز أن يكون حلالا ورثه أو كسبه بالمكاسب والمتاجر، ثم لم يخرج حق الله منه وطغى فسخط الله عليه وعاقبه لطغيانه وعصيانه لا على كسب المال. قوله تعالى:

\* (فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين (٨١) وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن من الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون (٨٢) تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين (٨٣)

من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى  
الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون (٨٤) إن الذي  
فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد قل ربي أعلم من جاء  
بالهدى ومن هو في ضلال مبين (٨٥) وما كنت ترجو أن يلقى  
إليك الكتاب إلا رحمة من ربك فلا تكونن ظهيرا  
للكافرين (٨٦) ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك  
وإدع إلى ربك ولا تكونن من المشركين (٨٧) ولا تدع مع  
الله إلها آخر لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم  
وإليه ترجعون) \* (٨٨) ثمان آيات بلا خلاف.  
روى عن الكسائي الوقف على "وي" من قوله تعالى "وي كان الله"  
ومن قوله "وي كأنه" وروى عن ابن عمر الوقف على الكاف منهما  
قال أبو طاهر: الاختيار اتباع المصحف، وهما فيه كلمة واحدة، وقرأ حفص  
ويعقوب "لخسف بنا" بفتح الخاء والسين. الباقر بضم الخاء وكسر السين  
على ما لم يسم فاعله.  
حكى الله تعالى أن خسف بقارون وبداره الأرض، فمر يهوي فيها  
حتى زهقت نفسه على أسوء حالها، والخسف ذهاب في الأرض في جهة السفلى.  
ثم أخبر تعالى أنه لم يكن لقارون \* (فئة) \* أي جماعة منقطعة إليه. والفئة

مشتق من فأوت رأسه بالسيف إذا قطعت، وتصغيرها فئية \* (ينصرونه من دون الله) \* أي يمنعونه من عذاب الله الذي نزل به، وإنما ذكر امتناع النصرة من الله مع أنه معلوم أنه كذلك، لأن المراد أنه لم يكن الأمر على ما قدره من امتناعه بحاشيته وجنده، لأن الذي غره قوته وتمكنه حتى تمرد في طغيانه. ثم أخبر أنه كما لم يكن له من ينصره لم يكن هو أيضاً ممن ينتصر بنفسه لضعفه عن ذلك وقصوره عنه. ثم حكى أن \* (الذين تمنوا مكانه بالأمس) \* حين خرج عليهم على زينته لما رأوه خسف الله به، أصبحوا يقولون \* (ويكأن الله ييسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر) \* أي يوسع رزقه على من يشاء ويضيق على من يشاء، اعترفوا بذلك. ومعنى \* (وي) \* التنبيه على أمر من الأمور، وهي حرف مفصول من (كأن) - في قول الخليل وسيبويه - واختاره الكسائي. وذلك أنهم لما رأوا الخسف تنبهوا فتكلموا على قدر علمهم عند التنبيه لهم، كما يقول القائل إذا تبين له الخطأ: وي كنت على خطأ، وقال زيد بن عمرو بن نفيل:

سألتاني، الطلاق إذ رأتاني \* قل مالي قد جئتماني بنكر  
وي كأن من يكن له نشب يحب \* ومن يفتقر يعيش عيش ضر (١)  
وقيل (وي كأنه) بمنزلة (ألا كأنه، وأما كأنه) وقيل هي: ويك إن  
الله، كأنه قال ينبهك بهذا إلا أنه حذف، قال عنتر:  
ولقد شفى نفسي وأذهب سقمها \* قيل الفوارس ويك عنتر أقدم (٢)  
وقال قوم: هي بمنزلة (ويلك) إلا أنه حذف اللام تخفيفاً، ونصب أنه  
بتقدير اعلم أنه لا يفلح، وهذا ضعيف، لأن العلم لا يضم وي عمل. وقال

(١) تفسير القرطبي ١٣ / ٣١٨

(٢) ديوانه ٣٠ من معلقته

الفراء: سألت امرأة زوجها عن أبيه فقال ويك إنه وراء الحائط، ومعناه  
ألا ترينه وراء الحائط. وقيل المعنى إن \* (الله ييسط الرزق لمن يشاء ويقدر) \*  
لا لكرامة عليه، كما بسط لقارون \* (ويقدر) \* أي يضيق لا لهوانة عليه، كما  
ضيق على أنبيائه.

ثم قالوا \* (لولا أن من الله علينا) \* وعفى عنا لخسف بنا، كما خسف بقارون  
\* (ويك أنه لا يفلح الكافرون) \* أي لا يفوز بثوابه وينجو من عقابه من  
يجحد نعم الله ويعبد معه سواه. وقيل: إن قارون جعل لبغي جعلاً على أن  
ترمي موسى بالفاحشة، فلما حضرت في الملا كذبت قارون وأخبرت بالحق  
فخر موسى ساجداً بيكي، فأوحى الله إليه ما يبيكك قد سلطتك على الأرض  
فمرها بما شئت، فقال موسى يا أرض خذهم، فأخذتهم إلى ركبهم. ثم قال يا أرض  
خذهم، فأخذتهم إلى حقروهم ثم قال يا أرض خذهم، فأخذتهم إلى أعناقهم  
وهم في كل ذلك ينادون يا موسى يا موسى ارحمنا - ذكره ابن عباس - وروي  
أن الله تعالى قال: لو قالوا مرة واحدة يا الله ارحمنا لرحمتهم. ثم قال تعالى  
\* (تلك الدار الآخرة) \* يعني الجنة \* (نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض) \*  
وإنما قبح طلب العلو في الأرض، لأنه ركون إليها، وترك لطلب العلو في  
الآخرة، ومعاملة لها بخلاف ما أراده الله بها من أن تكون دار ارتحال  
لا دار، مقام فيها \* (ولا فساد) \* أي ولا يريدون فساداً في الأرض بفعل  
المعاصي \* (والعاقبة للمتقين) \* اخبار منه تعالى بأن العاقبة الجميلة من الثواب  
للذين يتقون معاصي الله ويفعلون طاعاته. وقيل: علواً في الأرض معناه تكبرا  
عن الحق.

ثم اخبر تعالى ان من جاء بطاعة من الطاعات وحسنة من الحسنات

\* (فله خير منها) \* ثوابا عليها وجزاء عليها، لان له بالواحدة عشرا \* (ومن جاء بالسيئة) \* يعني بالمعصية \* (فلا يجزى الذين عملوا السيئات) \* يعني الذين عملوا المعاصي إلا على قدر استحقاقهم على ما فعلوه من غير زيادة. كما قال \* (ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها) \* (١).  
وقوله \* (إن الذي فرض عليك القرآن) \* خطاب للنبي صلى الله عليه وآله يقول الله له إن الذي أوجب عليك الامتثال بما يضمنه القرآن وأنزله عليك \* (لرادك إلى معاد) \* قال الحسن: معناه إلى المرجع يوم القيامة. وقال مجاهد: إلى الجنة. وقال ابن عباس: إلى الموت. وفي رواية أخرى عن ابن عباس: إلى مكة. والأظهر من الأقوال: لرادك إلى معاد في النشأة الثانية إلى الجنة. وأكثر أقوال المفسرين انه أراد إلى مكة قاهرا لأهلها.  
ثم قال له \* (قل) \* يا محمد \* (ربي أعلم من جاء بالهدى) \* الذي يستحق به الثواب ممن لم يجئ به، وضل عنه، لا يخفى عليه المؤمن من الكافر، ولا من هو على الهدى، ولا من هو ضال عنه.  
ثم قال لنبيه صلى الله عليه وآله \* (وما كنت) \* يا محمد \* (ترجو أن يلقي إليك الكتاب إلا رحمة من ربك. فلا تكونن ظهيرا للكافرين) \* قال الفراء: تقديره إلا أن ربك رحمك. فانزله عليك، فهو استثناء منقطع. ومعناه وما كنت ترجو أن تعلم كتب الأولين وقصصهم تتلوها على أهل مكة، ولم تشهدها ولم تحضرها بدلالة قوله \* (وما كنت ثاويا في أهل مدين تتلو) \* (٢) أي انك تتلو على أهل مكة قصص مدين وموسى ولم تكن هناك ثاويا مقيما فتراه فتسمعه وكذلك

(١) سورة ٦ الانعام آية ١٦٠

(٢) سورة ٢٨ القصص آية ٤٥



قوله \* (وما كنت بجانب الغربي) \* (١) فهذا أنت تتلو قصصهم وأمرهم، فهذه رحمة من ربك. ومعنى \* (فلا تكونن ظهيرا) \* أي لا تكونن معينا لهم \* (ولا يصدنك) \* يعني هؤلاء الكفار أي لا يمنعك "عن" اتباع \* (آيات الله) \* وحججه \* (بعد إذا أنزلت إليك) \* على ما بينها في القرآن \* (وادع إلى ربك) \* الذي خلقك وأنعم عليك \* (ولا تكونن من المشركين) \* الذين يتخذون مع الله معبودا سواه \* (ولا تدع مع الله إلها آخر) \* فتستدعي حوائجك من جهته \* (لا إله إلا هو) \* اخبار منه تعالى أنه لا معبود إلا الله وحده لا شريك له. ثم اخبر أن كل من سوى الله هالك، فان \* (كل شئ هالك إلا وجهه) \* ومعناه إلا ذاته. وقيل: معناه كل شئ هالك إلا ما أريد به وجهه. قال الشاعر:

استغفر الله ذنبا لست محصيه \* رب العباد إليه الوجه والعمل (٢)  
ثم قال \* (له الحكم) \* لأنه ليس لأحد أن يحكم بشئ إلا بأمره الله تعالى. ويجعل الحكم له عقليا كان أو شرعيا و "إليه" إلى الله \* (ترجعون) \* يوم القيامة أي إلى الموضع الذي لا يملك أحد التصرف فيه سواه، لان الله تعالى قد ملك في الدنيا لكثير من البشر التصرف فيها.

(١) سورة ٦ القصص آية ٤٤

(٢) تفسير القرطبي ١٣ / ٣٢٨

## ٢٩ - سورة العنكبوت

قال قوم: هي مكية، وقال قتادة: العشر الأول مدني، والباقي مكي. وقال مجاهد: هي مكية. وهي تسع وستون آية بلا خلاف في جملتها، وفي تفصيلها خلاف

بسم الله الرحمن الرحيم.

\* (ألم (١) أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون (٢) ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين (٣) أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا سوء ما يحكمون (٤) من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت وهو السميع العليم) \* (٥).  
خمس آيات كوفي وأربع فيما عداه عدوا " ألم " آية. ولم يعده الباقر.  
قال قتادة: نزلت في أناس من أهل مكة خرجوا للهجرة فعرض لهم

(١٨٥)

المشركون، فرجعوا، فنزلت الآية فيهم، فلما سمعوها خرجوا، فقتل منهم من قتل وخلص من خالص، فنزلت فيهم \* (والذين جاهدوا فينا) \* الآية (١) وقيل: نزلت في عمار، ومن كان بقرب مكة - ذكره ابن عمر - وقيل: نزلت في قوم أسلموا قبل فرض الجهاد والزكاة، فلما فرضا منعوا، فنزلت الآية فيهم.

قد بينا في غير موضع اختلاف الناس في ابتداء السور بحروف الهجاء وذكرنا أن أقوى الأقوال قول من قال: إنها أسماء للسور. وقال قوم: إنها أسماء للقرآن.

وقوله \* (ألم أحسب الناس أن يتركوا) \* اختلف الناس في \* (ألم) \* وقد ذكرناه فيما مضى (٢). وقوله \* (أحسب الناس أن يتركوا) \* خطاب من الله لخلقه على وجه التوبيخ لهم بأن قال أيظن الناس أن يتركهم الله إذا قالوا آمنا أي صدقنا ونقتصر منهم على هذا القدر، والحسبان والظن واحد. وقوله \* (أحسب) \* معناه التوهم والتخيل. وقيل: الحسبان مشتق من الحساب، لأنه في حساب ما يعمل عليه. ومنه الحسيب، لأنه في حساب ما يختبي، و "هم لا يفتنون" أي أيظنون أنهم لا يختبرون إذا قالوا آمنا؟! والمعنى انهم يعاملون معاملة المختبر لتظهر الأفعال التي يستحق عليها الجزاء. وقيل: في معنى " أن يقولوا آمنا " قولان: أحدهما - يتركوا لأن يقولوا. الثاني - أحسبوا أن يقولوا على البدل وقال مجاهد: معنى " يفتنون " يتلون في أنفسهم وأموالهم. وقيل: معنى يفتنون يصابون بشدائد الدنيا أي ان ذلك لا يجب أن يرفع في الدنيا لقولهم آمنا. وقال ابن عمر: أظنوا ان لا يؤمروا ولا ينهوا.

---

(١) آية ٦٩ من هذه السورة

(٢) انظر ١ / ٤٧ - ٥١

وقال الربيع: ألا يؤذوا ولا يقتلوا؟! ثم اقسم تعالى انه فتن الذين من قبلهم " فليعلمن الله الذين صدقوا " في ايمانهم " وليعلمن الكاذبين " فيه. وإنما قال " فليعلمن " مع أنه للاستقبال والله تعالى عليم فيما لم يزل، لحدوث المعلوم فلا تصح الصفة إلا على معنى المستقبل إذ لا يصلح ولا يصح لم يزل عالما بأنه حادث، لانعقاد معنى الصفة بالحادث، وهو إذا حدث علمه تعالى حادثا بنفسه. وقيل: معنى " وليعلمن الله الذين صدقوا " ليجازيهم بما يعلم منهم. وقيل: معناه يعلم الله الذين صدقوا في أفعالهم، كما قال الشاعر:

[ليث بعثر يصطاد الرجال] إذا \* ما الليث كذب عن أقرانه صدقا (١)

وقال ابن شجرة " فليعلمن الله " معناه فليظهرن الله لرسوله صدق الصادق. وقال النقاش: معناه فليميزن الله الصادقين من الكاذبين. وهو قول الجبائي. ثم قال تعالى ممددا لخلقه " أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا " أي أيظن الذين يفعلون القبائح والمعاصي ان يفوتونا؟! كما يفوت السابق لغيره. ثم قال " ساء ما يحكمون " أي بئس الشئ الذي يحكمون بظنهم. انهم يفوتونا. ثم قال " من كان يرجوا لقاء الله " أي من كان يأمل لقاء ثواب الله. وقال سعيد بن جبير والسدي: معناه من كان يخاف عقاب الله، كما قال الشاعر:

إذا لسعته النحل لم يرج لسعها (٢)

أي لم يخف ف (من) رفع بالابتداء، وخبرها (كان) وجواب الجزاء كقولك زيد إن كان في الدار فقد صدق الوعد. وقوله " فان أجل الله

(١) قائله زهير بن أبي سلمى ديوانه: ٤٣

(٢) قد مر تخريجه في ٢ / ٢١٠ و ٣ / ٣١٥ و ٧ / ٤٩١

لآت " أي الوقت الذي وقته الله للثواب والعقاب آت لا محالة والله " هو السميع " لأقوالكم " العليم " بما تضمرونه في نفوسكم، فيجازيكم بحسب ذلك. قوله تعالى:

\* (ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغني عن العالمين (٦) والذين آمنوا و عملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون (٧) ووصينا الانسان بوالديه حسنا وإن جاهدك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون (٨) والذين آمنوا و عملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين (٩) ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أؤذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين) \* (١٠) خمس آيات بلا خلاف. يقول الله تعالى " ومن جاهد " أي من جاهد نفسه بأن يصبر على ما أمره الله به، ويعمل بسنته، ومنه الجهاد، وهو الصبر في الحرب على ما جاء به الشرع " فإنما يجاهد لنفسه " لأن ثواب صبره عائد عليه وواصل إليه دون الله تعالى، لأنه تعالى غني عن جميع الخلائق غير محتاج إلى طاعتهم، ولا غير ذلك. ثم قال تعالى " والذين آمنوا " أي صدقوا بوحدانيته وأقروا بنبوة

نبيه، واعترفوا بما جاء به من عند الله " لنكفرن عنهم سيئاتهم " التي اقترفوها قبل ذلك. ومن قال بالاحباط قال: تبطل السيئة الحسنة التي هي أكبر منها حتى يصير بمنزلة ما لم يعمل، كما قال " ان الحسنات يذهبن السيئات " (١) والاحباط هو ابطال الحسنة بالسيئة التي هي أكبر منها. والسيئة الخصلة التي يسوء صاحبها عاقبتها. والحسنة الخصلة التي يسر صاحبها عاقبتها. وكل حسنة طاعة لله، وكل سيئة هي معصية له تعالى.

وقوله " لنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون " قال الجبائي: معناه أحسن ما كانوا يعملون: طاعاتهم لله، لأنه لا شئ في ما يعمله العباد أحسن من طاعاتهم لله. وقال قوم: معناه ولتجزينهم بأحسن اعمالهم، وهو الذي أمرناهم به، دون المباح الذي لم نأمرهم به ولا نهيناهم عنه. وقوله " ووصينا الانسان بوالديه حسنا " معناه أمرناه أن يفعل حسنا وألزمناه ذلك. ثم خاطب كل واحد من الناس، فقال " وإن جاهدك " يعني الوالدين أيها الانسان " لتشرك بي " في العبادة " ما ليس لك به علم، فلا تطعهما " في ذلك. وقيل: نزلت في سعد بن أبي وقاص، لأنه لما هاجر حلفت أمه انها لا يظلها سقف بيت حتى يعود. فنزلت الآية.

ثم قال مهددا للجميع " إلي مرجعكم " أي إلي مالكم " فأنبئكم " أي أخبركم " بما كنتم تعملون " في دار التكليف، ثم أجازيكم بحسبه. ثم قال تعالى " والذين آمنوا " بتوحيد الله واخلص العبادة له وصدق أنبيائه وأضافوا إلى ذلك الاعمال الصالحات " لندخلنهم في " جملة " الصالحين " الذين فعلوا الطاعات ويجازيهم الله ثواب الجنة.

---

(١) سورة ١١ هود آية ١١٥

ثم اخبر ان " من الناس من يقول " بلسانه " آمننا بالله فإذا أودي في  
الله " أي إذا لحقه شدة في جنب الله " جعل فتنة الناس " أي عذاب الناس  
إياهم " كعذاب الله " أي خافوا عذاب الخلق، كما يخاف عذاب الله، فيرتدون.  
" ولئن جاء نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم " وهذا الذي ذكره صفة  
المنافقين الذين إذا جاهدوا الكفار وكانت الدائرة على المسلمين جعلوا ذلك  
مثل ما يعذبهم الله، ومتى ظفروا بأعدائهم قالوا للمؤمنين " انا كنا معكم "  
في الجهاد فلنا مثل ما لكم من الغنيمة، فقال تعالى " أوليس الله بأعلم بما في  
صدور العالمين " أي الله يعلم بواطن أحوالهم وسرائر ما في نفوسهم، فيجازيهم  
على حسب ذلك.  
قوله تعالى:

\* (وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين (١١) وقال  
الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم  
وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء إنهم لكاذبون (١٢)  
وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم وليسئلن يوم القيمة عما  
كانوا يفترون (١٣) ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فلبث فيهم  
ألف سنة إلا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون (١٤)  
فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين) \* (١٥)  
خمس آيات بلا خلاف.

اقسم الله تعالى بأنه يعلم الذين يؤمنون بالله على الحقيقة ظاهرا وباطنا فيجازيهم على ذلك بثواب الجنة، وذلك ترغيب لهم " وليعلمن المنافقين " فيه تهديد للمنافقين مما هو معلوم من حالهم التي يستترون بها ويتوهمون انهم نجوا من ضررها، باخفائها، وهي ظاهرة عند من يملك الجزاء عليها، وتلك الفضيحة العظمى بها.

ثم حكي تعالى أن الذين كفروا نعم الله ووجدوها يقولون للذين آمنوا بتوحيده وصدق أنبيائه " اتبعوا سبيلنا ولنحمل " نحن " خطاياكم " أي نحمل ما تستحقون عليها من العقاب يوم القيامة عنكم هزوا بهم واشعارا بأن هذا لا حقيقة له، فالمأمور بهذا الكلام هو المتكلم به أمر نفسه في مخرج اللفظ ومعناه يضمن إلزام النفس هذا المعنى، كما يلزم بالامر، قال الشاعر:

فقلت ادعي وادع فان أندى \* لصوت أن ينادي داعيان (١)

معناه ولادع. وفيه معنى الجزاء وتقديره ان تتبعوا ديننا حملنا خطاياكم. ثم نفى تعالى أن يكونوا هم الحاملين لخطاياهم من شيء، وانهم يكذبون في هذا القول، لان الله تعالى لا يؤاخذ أحدا بذنب غيره، فلا يصح إذا أن يتحمل أحد ذنب غيره، كما قال تعالى " ولا تزر وازرة وزر أخرى. وأن ليس للانسان إلا ما سعى " (٢) وليس ذلك بمنزلة تحمل الدية عن غيره، ولان الفرض في الدية أداء المال عن نفس المقتول، فلا فضل بين ان يؤديه زيد عن نفسه، وبين ان يؤديه عمرو عنه، لأنه بمنزلة قضاء الدين.

---

(١) شرح ألفية بن مالك ٢٦٧ وتفسير القرطبي ١٣ / ٣٣٤

(٢) سورة ٦ الانعام آية ١٦٤ وسورة ١٧ الاسرى آية ١٥ وسورة ٣٥

فاطر آية ١٨ وسورة ٣٩ الزمر آية ٧ وسورة ٥٣ النجم آية ٣٩



وقوله " وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم " معناه انهم يحملون خطاياهم في أنفسهم التي لا يعملونها بغيرهم، ويحملون الخطايا التي ظلموا بها غيرهم، فحسن لذلك فيه التفصيل الذي ذكره الله.

وقوله " وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون " أي يعملون. ومعناه إنهم يسألون سؤال تعنيف وتوبيخ وتبكيت وتقريع، لا سؤال استعلام كسؤال التعجيز في الجدل، كقولك للوثني ما الدليل على جواز عبادة الأوثان، وكما قال تعالى " هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين " (١).

ثم اخبر تعالى انه أرسل نوحا إلى قومه يدعوهم إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له، وانه مكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما، فلم يجيبوه، وكفروا به " فأخذهم الطوفان " جزاء على كفرهم، فأهلكهم الله تعالى " وهم ظالمون " لنفوسهم بما فعلوه من عصيان الله تعالى والاشراك به، والطوفان الماء الكثير الغامر، لأنه يطوف بكثرتة في نواحي الأرض قال الراجز:  
أفناهم طوفان موت جارف (٢)

شبه الموت في كثرته بالطوفان. ثم اخبر تعالى انه أنجى نوحا والذين ركبوا معه السفينة من المؤمنين به، وجعل السفينة آية أي علامة للخلائق يعتبرون بها إلى يوم القيامة، لأنها فرقت بين المؤمنين والكفار والعاصين والأخيار، فهي دلالة للخلق على صدق نوح وكفر قومه.  
قوله تعالى:

\* (وإبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير

---

(١) سورة ٢ البقرة آية ١١١ وسورة ٢٧ النمل آية ٦٤

(٢) تفسير القرطبي ١٣ / ٥٣٤

لكم إن كنتم تعلمون (١٦) إنما تعبدون من دون الله أوثانا  
وتخلقون إفكا إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم  
رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه  
ترجعون (١٧) وإن تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم وما على  
الرسول إلا البلاغ المبين (١٨) أو لم يروا كيف يبدئ الله  
الخلق ثم يعيده إن ذلك على الله يسير (١٩) قل سيروا في  
الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة  
إن الله على كل شيء قدير) \* (٢٠) خمس آيات بلا خلاف.  
قرأ أهل الكوفة إلا عاصما " أو لم تروا " بالتاء. الباقر بالياء. وقرأ  
ابن كثير وأبو عمرو " النشأة " بفتح الشين ممدودة - هنا - وفي النجم،  
والواقعة. الباقر - بسكون الشين مقصورا - ومن قرأ بالتاء، فعلى الخطاب  
تقديره: قل لهم يا محمد " أو لم تروا " حين أنكروا البعث والنشور " أو لم  
تروا كيف يبدئ الله الخلق " أي إذا أنكرتم الإعادة كان الابتداء أولى  
بالنكرة. وحيث أقروا بأن الله خالقهم ابتداء فيلزمهم أن يقرروا بالإعادة  
ثانيا. ومن قرأ بالياء، فعلى الاخبار عنهم " ويبدئ " فيه لغتان أتى بهما  
القرآن بدأ الله الخلق، وأبدأهم، قال الله تعالى " وهو الذي يبدؤ الخلق  
ثم يعيده " فمصدر أبدأ يبدؤ إبداء، فهو مبدئ. ومن قرأ (بدأ) يبدؤ

بدءاً، فهو بادئ، وذاك مبدوء، ويقال: رجع عوده على بدئه بالهمز، وبدا يبدؤ، بغير همز: ظهر. وقال أبو عمرو (غلام تغلب): يجوز رجع عوده على بده - بغيره همز - بمعنى الظهور كقولهم: ما عدا مما بدا. والنشأة والنشأة بالمد والقصر، لغتان. كقولهم: رافة ورأفة، وكأبة وكأبة وهما مصدران. فالنشأة المرة الواحدة، يقال: نشأ الغلام، فهو ناشئ، وامرأة ناشئة، والجمع نواشئ، ويقال للجواري الصغار نشأ قال نصيب:

ولولا أن يقال صبا نصيب \* لقلت بنفسي النشأ الصغار (١)

وأنشأهم الله إنشاءً، فهو منشئ، ونشت - بغير همز - ريحا طيبة، ورجل نشوان من الشراب. ورجل نشيان للخير إذا كان يتخير الخير، حكاة تغلب. قوله " وإبراهيم إذ قال " يحتمل نصبه أمرين: أحدهما - أن يكون عطفاً على قوله " وأرسلنا نوحاً إلى قومه " وتقديره وأرسلنا إبراهيم أيضاً. الثاني - بتقدير واذكر " إبراهيم " حين " قال لقومه اعبدوا الله " وحده لا شريك له، واتقوا عقابه باتقاء معاصيه " ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون " ما هو خير لكم مما هو شر لكم. وقوله " إنما تعبدون من دون الله أوثاناً " حكاية عما قال إبراهيم لقومه كأنه قال لهم ليس تعبدون من دون الله إلا أوثاناً، وهو جمع وثن، وهو ما يعبد من دون الله. وقيل: ما يعمل من حجر وطين يسمى وثناً. و (ما) في قوله " إنما " كافة، وليست بمعنى الذي، لأنها لو كانت بمعنى الذي، لكان (أوثان) رفعاً.

(١) مر تخريجه في ٤ / ٣٠٤

وقوله " وتخلقون إفكا " أي تعملون أصناما، وسماها إفكا لادعائهم انها  
آلهة - وهو قول قتادة، والجبائي - وقال ابن عباس: وتصنعون كذبا، وتحقيقه  
يصنعون على ما يقدرّون، ثم قال لهم إبراهيم أيضا \* (إن الذين تعبدون من  
دون الله) \* يعني الأصنام \* (لا يملكون لكم رزقا) \* أي لا يقدرّون على أن  
يرزقوكم، وإنما يتغنى الرزق من القادر على المنع، وهو الله الرازق. والملك  
قدرة القادر على ماله أن يتصرف فيه أتم التصرف، وليس ذلك إلا لله - عز  
وجل - على الحقيقة لأن له التصرف والقدرة على جميع الأشياء بلا مانع، والإنسان  
إنما يملك ما يملكه الله، ويأذن له في التصرف فيه. فأصل الملك لجميع الأشياء  
لله. ومن لا يملك أن يرزق غيره لا يستحق العبادة، لأن العبادة تجب بأعلى  
مراتب النعمة. والأصنام لا تقدر على ذلك، فإذا لا يحسن عبادتها.  
ثم قال لهم \* (وابتغوا عند الله الرزق) \* أي اطلبوا الرزق من عند الله  
دون من سواه \* (واعبدوه) \* على ما أنعم به عليكم من أصول النعم، وأعلى  
مراتب الفضل \* (واشكروا له) \* أيضا، لأنكم إليه ترجعون يوم القيامة فيجازيكم  
على قدر أعمالكم. فمن عبده وشكره جازاه بالثواب. ومن عبد غيره وكفر  
نعمه جازاه بالعقاب. ويقال: شكرته وشكرت له يؤكّد باللام. فمعنى الشكر  
له اختصاصه بنفسه من غير احتمال لغيره. ثم قال \* (وإن تكذبوا) \* بما أخبركم  
به من عند الله، وما أدعوكم إليه من اخلاص عبادته \* (فقد كذب أمم من  
قبلكم) \* أنبياءهم الذين بعثوا فيهم وليس \* (على الرسول إلا البلاغ المبين) \* يعني  
الا أن يوصل إليهم ويؤدي إليهم ما أمر به لكونه بيانا ظاهرا يمكنهم معرفته  
وفهمه، وليس عليه حملهم على الإيمان.  
ثم قال \* (أو لم يروا كيف يبدؤا الله الخلق) \* أي ألم يفكروا فيعلموا كيف

اخترع الله الخلق من العدم \* (ثم يعيده) \* ثانيا إذا اعدمهم بعد وجودهم. قال قتادة: معنى \* (ثم يعيده) \* بالبعث بعد الموت. وقيل ينشئه بالاحياء \* (ثم يعيده) " بالرد إلى حال الموت. والأول أصح \* (ان ذلك على الله يسير) \* غير متعذر، لان من قدر على الاختراع والانشاء أولا كان على الإعادة أقدر. ومعنى (يسير) لا تعب عليه فيه ولا نصب، وكل فعل كان كذلك، فهو سهل يسير. والاحتجاج في ذلك أن من قدر على ذلك قادر على ارسال الرسول إلى العباد.

ثم قال لنبيه محمد صلى الله عليه وآله \* (قل) \* لهؤلاء الكفار \* (سيروا في الأرض فانظروا

كيف بدأ الله الخلق) \* وفكروا في آثار من كان قبلكم، وإلى اي شئ صار أمرهم لتعتبروا بذلك فيما يؤديكم إلى العلم بربكم. وقوله \* (ثم الله ينشئ النشأة الآخرة) \* فالنشأة الآخرة إعادة الخلق كرة ثانية من غير سبب كما كان أول مرة، لان معنى الانشاء الایجاد من غير سبب \* (ان الله على كل شئ قدير) \* اخبار منه تعالى انه قادر على كل شئ يصح أن يكون مقدورا له. قوله تعالى:

\* (يعذب من يشاء ويرحم من يشاء وإليه تqlبون (٢١) وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء ومالكم من دون الله من ولي ولا نصير (٢٢) والذين كفروا بآيات الله ولقاءه أولئك يؤسوا من رحمتي وأولئك لهم عذاب أليم (٢٣) فما

كان جواب قومه إلا أن قالوا قتلوه أو حرقوه فأنجيه الله من النار إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون (٢٤) وقال إنما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار ومالكم من ناصرين) \* (٢٥) خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو، والكسائي " مودة بينكم " بالرفع والإضافة.

وقرأ نافع وأبو بكر عن عاصم وابن عامر " مودة بينكم " منونا منصوبا.

وروى الأعشى عن أبي بكر برفع " مودة " و " بينكم " نصب، وقرأ حفص عن عاصم وحمزة " مودة بينكم " نصبا غير منون مضاف.

من رفع يحتمل وجهين أحدهما - ان يجعل " إنما " كلمتين يجعل (ما) بمعنى الذي، وهو اسم (ان) و (مودة) خبره، ومفعول اتخذتم (هاء) محذوفة، وتقديره: إن الذي اتخذتموه مودة بينكم، كما قال الشاعر:

ذريني إنما خطائي وصوا\* بي علي وإنما أهلكت مالي

يريد ان الذي أهلكته مالي. الثاني - ان يرفعها بالابتداء، " وفي الحياة الدنيا " خبرها.

ومن نصب جعل (المودة) مفعول (اتخذتم).

ومن أضاف جعل البين الوصل.

ومن لم ينون ولم يضيف جعل (البين) ظرفا. وهو الفراق أيضا. يقال:  
بينهما بين بعيد، وبون بعيد، وجلس زيد بيننا، وبيننا بالادغام، ذكره ابن  
زيد عن ابن حاتم عنا الأصمعي، يقال: بان زيد عمرا: إذا فارقه ييونه بونا  
قال الشاعر:

كأن عيني وقد بانوني \* غربا نصوح غير محنوني  
وقرأ أبي " اثما مودة بينكم " .

اخبر الله تعالى انه " يعذب من يشاء " من عباده إذا استحقوا العقاب  
\* (ويرحم من يشاء) \* منهم فيعفو عنهم بالتوبة وغير التوبة \* (واليه تقلبون) \*  
معاشر الخلق أي إليه تحشرون وترجعون يوم القيامة. والقلب الرجوع والرد،  
فتقلبون أي تردون إلى حال الحياة في الآخرة بحيث لا يملك الضر والنفع فيه  
إلا الله. والقلب نفي حال بحال يخالفها. ثم قال: ولستم بمعجزين في الأرض  
أي بفائتين، فالمعجز الفائت بما يعجز القادر عن لحاقه. ولهذا فسروا \* (وما  
أنتم بمعجزين) \* أي بفائتين، والمعنى لا تغتروا بطول الامهال \* (في الأرض  
ولا في السماء) \* أي لستم تفوتونه في الأرض، ولا في السماء لو كنتم فيها، فإنه  
قادر عليكم حيث كنتم. وقيل في ذلك قولان: أحدهما - لا يفوتونه هربا في  
الأرض، ولا في السماء. الثاني - ولا من في السماء بمعجزين، كما قال حسان:  
أمن يهجو رسول الله منكم \* ويمدحه وينصره سواء (١)  
وتقديره ومن يمدحه وينصره سواء أم لا يتساوون؟!  
وقوله \* (وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير) \* أي وليس لكم ولي  
ولا ناصر من دون الله يدفع عنكم عقاب الله إذا أراد بكم، فالولي هو الذي

---

(١) مر تخريجه في ١ / ٤١٠

يتولى المعونة بنفسه، والنصير قد يدفع المكروه عن غيره تارة بنفسه وتارة بان يأمر بذلك. ثم قال تعالى \* (والذين كفروا بآيات الله) \* اي جحدوا أدلة الله ولقاء ثوابه وعقابه يوم القيامة \* (أولئك يؤسوا من رحمتي) \* اخبار عن أياسهم من رحمة الله، لعلمهم انها لا تقع بهم ذلك اليوم \* (وأولئك لهم عذاب اليم) \* اي مؤلم. وفي ذلك دلالة على أن المؤمن بالله واليوم الآخر لا يجوز ان ييأس من رحمة الله.

ثم قال \* (فما كان جواب قومه إلا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه) \* وفي ذلك دلالة على أن جميع ما تقدم حكاية ما قال إبراهيم لقومه، وانهم لما عجزوا عن جوابه بحجة عدلوا إلى أن قالوا اقتلوه أو حرقوه وفي الكلام حذف، وتقديره: إنهم أوقدوا نارا وطرحوه فيها \* (فأنجاه الله من النار إن في ذلك لآية) \* واضحة وحجة بينة \* (لقوم يؤمنون) \* بصحة ما أخبرناك به من توحيد الله واخلاص عبادته.

ثم عاد إلى حكاية قول إبراهيم وانه قال لهم \* (إنما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا. ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا) \* قال قتادة: كل خلة تنقلب يوم القيامة عداوة إلا خلة المتقين كما قال \* (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين) \* (١) ومعنى الآية ان إبراهيم قال لقومه: إنما اتخذتم هذه الأوثان آلهة من دون الله لتتوادوا بها في الحياة الدنيا، ثم يوم القيامة يتبرؤ بعضكم من بعض ويلعن بعضكم بعضا، ومستقركم النار، وما لكم من ينصركم بدفع عذاب الله عنكم. ثم قال لهم " ومأواكم النار " أي مستقركم و " ما لكم من ناصرين "

---

(١) سورة ٤٣ الزخرف آية ٦٧



يدفعون بالقهر والغلبة. وروى عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه في كتاب التفسير أن جميع الدواب والهوام كانت تطفي عن إبراهيم النار إلا الوزغ فإنها كانت تنفخ النار، فأمر بقتلها. وروى أيضا أنه لم ينتفع أحد يوم طرح إبراهيم في النار بالنار في جميع الدنيا. قوله تعالى:

\* (فأمن له لوط وقال إني مهاجر إلى ربي إنه هو العزيز الحكيم (٢٦) ووهبنا له إسحق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين (٢٧) ولوطا إذ قال لقومه إنكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين (٢٨) أنتم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر فما كان جواب قومه إلا أن قالوا ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين (٢٩) قال رب انصرني على القوم المفسدين) \* (٣٠) خمس آيات بلا خلاف. ست آيات حجازي وخمس في ما عداه عدوا " السبيل " آية ولم يعدها الباكون. قرأ أهل الحجاز وابن عامر وحفص ويعقوب " إنكم لتأتون الفاحشة " بهمزة واحدة على الخبر. وقرأه أهل الكوفة. إلا حفصا بهمزتين مخففتين على الاستفهام. وقرأ أبو عمرو كذلك إلا أنه بلين الثانية، ويفصل بينهما

بألف، وأما " انكم لتأتون الرجال " فإنهم على أصولهم. حكى الله سبحانه ان إبراهيم لما دعا قومه إلى اخلاص عبادة الله وترك عبادة الأوثان، وقبح فعلهم في ذلك أنه صدق به لوط عليه السلام وآمن به. وكان ابن أخته، إبراهيم خاله وهو قول ابن عباس وابن زيد والضحاك وجميع المفسرين. وقال لوط " اني مهاجر إلى ربي " معناه اي خارج من جملة الظالمين على جهة الهجر لهم لقبح أفعالهم إلى حيث أمرني ربي، ومن هذا هجرة المسلمين من مكة إلى المدينة وإلى أرض الحبشة، لأنهم هجروا ديارهم وأوطانهم لأذى المشركين لهم فأمرُوا بأن يخرجوا عنها. وقيل: هاجر إبراهيم ولوط من كوثي، وهي من سواد الكوفة إلى أرض الشام في قول قتادة. وقال " إنه هو العزيز الحكيم " الذي لا تضيع الطاعة عنده، العزيز الذي لا يذل من نصره. ثم قال " ووهبنا له " يعني لإبراهيم " إسحاق ويعقوب، وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب " قيل: إنما لم يذكر إسماعيل مع أنه نبي معظم، لأنه قد دل عليه بقوله " وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب " فترك ذكر اسمه لأنه يكفي فيه الدلالة عليه لشهرته وعظم شأنه، وذكر ولد ولده في سياقه ذكر ولده، لأنه يحسن اضافته إليه، لأنه الأب الأكبر له.

وقوله " وآتيناه أجره في الدنيا " قال ابن عباس: الاجر في الدنيا الثناء الحسن، والولد الصالح، وقال الجبائي: هو ما أمر الله به المكلفين من تعظيم الأنبياء. قال البلخي: وذلك يدل على أنه يجوز أن يثيب الله في دار التكليف ببعض الثواب. و (الكتاب) أريد به الكتب، من التوراة والإنجيل والزبور والقرآن، غير أنه خرج مخرج الجنس. " وإنه في الآخرة لمن الصالحين "

اخبار منه تعالى أن إبراهيم مع أنه آتاه أجره وثوابه في الدنيا إنه في الآخرة يحشره الله من جملة الصالحين العظمي الاقدار، لما قاموا به من النبوة على ما أمر الله به، وقوله " ولوطا إذ قال لقومه " يحتمل نصبه أيضا بشيئين:

أحدهما - و (أرسلنا لوطا) عطفًا على (نوحا وإبراهيم).  
والثاني - بتقدير واذكر لوطا حين قال لقومه " انكم لتأتون الفاحشة " من قرأ بلفظ الاستفهام أراد به الانكار دون الاستعلام. ومن قرأ على الخبر أراد إن لوطا أخبرهم بذلك منكرا لفعالهم لا مفيدا لهم، لأنهم كانوا يعلمون ما فعلوه. والفاحشة - ههنا - ما كانوا يفعلونه من اتيان الذكران في أدبارهم " ما سبقكم بها " بهذه الفاحشة أحد من الخلائق. ثم فسر ما أراد بالفاحشة فقال " انكم لتأتون الرجال " يعني في أدبارهم، والفاحش الشنيع في القبح، فحش فلان يفحش فحشا وتفاحش تفاحشا إذا شنع في قبحه، وهو ظهوره بما تقتضي العقول بالبدية رده وانكاره.

وقوله " وتقطعون السبيل " قيل: انهم كانوا يقطعون الطريق لاختد الأموال، وقيل: يقطعون سبيل الولد باتيان الذكران في الادبار، وقيل: بالعمل الخبيث، لأنهم كانوا يطلبون الغرباء " وتأتون في ناديكم المنكر " قال ابن عباس: كانوا يضربون في مجالسهم، وقال السدي: كانوا يحذفون من مر بهم. وقال مجاهد: كانوا يأتون الرجال في مجالسهم. وقال الكلبي: منها الحذف، والصفير، ومضغ العلك، والرمي بالبندق، وحل أزرار القبا والقميص. وهي ثماني عشرة خصلة. وقال غيره: هي عشرة خصال. وقوله " فما كان جواب قومه إلا أن قالوا ائتنا بعذاب الله إن كنت

من الصادقين " حكاية عما قال قوم لوط في جوابه حين عجزوا عن مقاومته بالحجة وانهم قالوا له " ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين " في دعواك النبوة وأن الله أرسلك وأمرك بما تدعو إليه، فقال عند ذلك لوط " رب انصرني على القوم المفسدين " الذين فعلوا المعاصي وارتكبوا القبائح وأفسدوا في الأرض والمعنى اكفني شرهم وأذاهم، ويجوز أن يريد أهلكهم، وانزل عذابك عليهم. قوله تعالى:

\* (ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا إنا مهلكوا أهل هذه القرية إن أهلها كانوا ظالمين (٣١) قال إن فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين (٣٢) ولما أن جاءت رسلنا لوطا سيئ بهم وضاق بهم ذرعا وقالوا لا تخف ولا تحزن إنا منجوك وأهلك إلا امرأتك كانت من الغابرين (٣٣) إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون (٣٤) ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون) \* (٣٥) خمس آيات قرأ حمزة والكسائي وخلف ويعقوب " لننجينه " بالتخفيف. الباقر بالتثقيب. وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وخلف وأبو بكر ويعقوب " منجوك " غير متحرك بالتخفيف. الباقر بالتشديد وقرأ ابن عامر والكسائي

عن أبي بكر \* (منزلون) \* بالتشديد. الباكون بالتخفيف. من قرأ " لننجينه " بالتشديد وبتحريك النون، فلقوله \* (ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون) \* (١) ولقوله \* (إلا آل لوط نجيناهم بسحر) \* (٢) ومن خفف فلقوله \* (فأنجاه الله من النار) \* (٣) يقال: نجا زيد وأنجيته ونجيته، مثل فرح وفرحته وأفرحته. ومن قرأ \* (منزلون) \* بالتشديد، فلان أصله نزل، كما قال \* (نزل به الروح الأمين) \* (٤). فإذا عديته ثقلته إما بالهمزة أو بالتضعيف والتضعيف يدل على التكرار.

وقوله \* (انا منجوك وأهلك) \* نصب \* (أهلك) \* على أنه مفعول به عطفا على موضع الكاف، وقوله \* (قوا أنفسكم وأهليكم) \* (٥) إنما كسر اللام وموضعها النصب، لان العرب تقول: رأيت أهلك يريدون جميع القرابات. ومنهم من يقول: أهليك، ويجمع أهل على أهلين، فإذا أضافه ذهبت النون للإضافة، فالياء علامة الجمع والنصب، وكسرت اللام لمجاورتها الياء. وفي الحديث (ان لله أهلين) قيل: من هم يا رسول الله؟ قال (أهل القرآن هم أهل الله وخاصته) ومن العرب من يجمع (أهلا) أهلات انشد ابن مجاهد: فهم أهلات حول قيس بن عاصم \* إذا ادلجوا بالليل يدعون كووثا قال ابن خالويه: الصواب أن يجعل أهلات جمع أهلة. قال: فان قيل: هل يجوز أن تقول أهلون؟ - بفتح الهاء - كما يقولون: أرضون إذ كان الأصل أرضات، قال: إن (أهلا) مذكر تصغيره أهيل، وأرضا مؤنثة تصغيرها

(١) سورة ٤١ حم السجدة (فصلت) آية ١٨

(٢) سورة ٥٤ القمر آية ٣٤

(٣) سورة ٢٩ العنكبوت آية ٢٤

(٤) سورة ٢٦ الشعراء آية ١٩٣

(٥) سورة ٦٦ التحريم آية ٦

أريضة، والتاء سابقة في المؤنث ممتنعة في المذكر، فهذا يفصل ما بينهما، قال وما علمت أحدا تكلم فيه.

اخبر الله تعالى انه لما جاء إبراهيم رسل الله، وهم من الملائكة بالبشرى يبشرونه بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب، والبشرى البيان، وهو الخبر بما يظهر سروره في بشرة الوجه. وقيل: للاخبار بما يظهر سروره أو غمه في البشارة: بشرى، ويقوي ذلك قوله \* (فبشرهم بعذاب اليم) \* (١) غير أنه غلب عليه البشارة بما يسر به.

وقوله \* (قالوا إنا مهلكوا أهل هذه القرية) \* حكاية ما قالت الملائكة لإبراهيم فإنهم قالوا له: بعثنا الله وأرسلنا لاهلاك هذه القرية التي فيها قوم لوط. والاهلاك الا ذهاب بالشئ إلى مالا يقع به احساس، فلما كانوا بالعذاب قد اذهبوا هذا الا ذهاب كانوا قد أهلكوا، والقرية البلدة التي يجتمع إليها للايواء من جهات مختلفة، وهي من قرية الماء في الحوض أقرية قريبا. إذا جمعته. ومنه قرى الضيف لأنك تجمعهم إليك بما تعده له من طعام. و (الظالم) من فعل الظلم وهو صفة ذم.

فقال لهم إبراهيم عند ذلك \* (إن فيها لوطا) \* كيف تهلكونها، فقالوا في جوابه \* (نحن أعلم بمن فيها) \* والأعلم الأكثر معلوما، فإذا كان الشئ معلوما لعالم من جهات مختلفة ولعالم آخر من بعض تلك الوجوه دون بعض كان ذلك اعلم. ثم قالوا \* (لننجينه) \* أي لنخلصه من العذاب \* (وأهله) \* أي ونخلص أيضا أهله المؤمنين منهم \* (إلا امرأته كانت من الغابرين) \* أي من الباقين

---

(١) سورة ٣ آل عمران آية ٢١ وسورة ٩ التوبة آية ٣٥ وسورة ٨٤ الانشقاق آية ٢٤

في العذاب، قال المبرد: و (أهلك) عطف على المعنى، لان موضع الكاف الخفض، ولا يجوز العطف على المضمر المخفوض على اللفظ، ومثل ذلك قول لبيد: فإن لم تجد من دون عدنان والدا \* ودون معد فلترعك العواذل (١) فنصب (ودون) على الموضع. ثم حكى تعالى أن رسل الله لما جاءت \* (لوطا سئ بهم) \* وقيل في معناه قولان: أحدهما - سئ بالملائكة أي ساء مجيئهم لما طلبوا منه الضيافة لما يعلم من خبث فعل قومه - في قول قتادة - . الثاني - سئ بقومه ذرعا أي ضاق بهم ذرعا، لما علم من عظم البلاء النازل بهم، فلما رآته الملائكة على تلك الصفة \* (قالوا) \* له \* (لا تخف ولا تحزن انا منجوك) \* اي مخلصوك ومخلصوا \* (أهلك إلا امرأتك كانت من الغابرين) \* اي من الباقيين في العذاب. وإنما قال \* (من الغابرين) \* على جمع المذكر تغليبا للمذكر على المؤنث إذا اجتمعا. وقيل: كانت من الباقيين لأنه طال عمرها، ذكره أبو عبيدة، وقالوا له \* (إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزا) \* اي عذابا رجزا \* (بما كانوا يفسقون) \* ويخرجون من طاعة الله إلى معصيته. ثم اخبر تعالى فقال \* (ولقد تركنا منها) \* يعني من القرية انه بينه، قال قتادة الآية البينة الحجارة التي أمطرت عليهم. وقال غيره عفو آثارهم مع ظهور هلاكهم \* (لقوم يعقلون) \* ذلك ويبصرونه ويتفكرون فيه ويتعظون به، فيزجرهم ذلك عن الكفر بالله واتخاذ شريك معه في العبادة.

(١) الكتاب لسيبويه ١ / ٣٤

قوله تعالى:

\* (وإلى مدين أخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجو اليوم الآخر ولا تعثوا في الأرض مفسدين (٣٦) فكذبوه فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين (٣٧) وعادا وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين (٣٨) وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين (٣٩) فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) \* (٤٠) خمس آيات بلا خلاف.

قوله " وإلى مدين أخاهم شعيبا " عطف على قوله " ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه " وتقديره وأرسلنا إلى مدين، وقد فسرنا معنى (مدين) فيما تقدم (١) " أخاهم شعيبا " وانه قال لهم " يا قوم اعبدوا الله " وحده لا شريك له ولا تشركوا معه في العبادة غيره " وارجوا اليوم الآخر " يحتمل أن

---

(١) انظر ٦ / ٤٧

(٢٠٧)



يكون أراد وخافوا عقاب اليوم الآخرة بمعاصي الله، ويحتمل أن يكون أراد واطلبوا ثواب يوم القيامة بفعل الطاعات " ولا تعثوا في الأرض مفسدين " معناه لا تضطربوا بحال الجاهلية يقال: عثى يعثي عثى، كقولهم عاث يعيث عيثا وفيه معنى الامر بالاستقامة، لأنه إنما يخرج عن اضطراب الجهال إلى الاستقامة، في الافعال. والفساد كل فعل ينافي العقل أو الشرع، فهو عبارة عن معاصي الله.

ثم اخبر أن قومه كذبوه في ادعائه النبوة ولم يقبلوا منه فعاقبهم الله بعذاب الرجفة، وهي زعزعة الأرض تحت القدم، يقال: رجف السطح من تحت أهله يرجف رجفا، ورجفة شديدة، والارجاف هو الاخبار بما يضطرب الناس لأجله من غير أن يحققونه " فأصبحوا في دارهم جاثمين " قال قتادة: ميتين بعضهم على بعض. وقيل: باركين على ركبهم، والجاثم البارك على ركبتيه مستقبلا بوجهه الأرض.

وقوله " وعادا وثمرود " أي وأهلكنا أيضا عادا وثمرود جزاء على كفرهم " وقد تبين لكم " معاشر الناس كثير " من مساكنهم " .

ثم اخبر أنه " زين لهم الشيطان اعمالهم " التي كفروا بها وعصوا الله فيها، وذلك يدل على بطلان قول المجبرة الذين ينسبون ذلك إلى الله.

ثم اخبر أن الشيطان صدهم ومنعهم عن طريق الحق " فهم لا يهتدون " إليه لاتباعهم دعاء الشيطان. وعدو لهم عن الطريق الواضح " وكانوا مستبصرين " أي وكانوا عقلاء يمكنهم تمييز الحق من الباطل بأبصارهم له وفكرهم فيه. وقال مجاهد وقاتادة " وكانوا مستبصرين " في ضلالتهم لعجبهم به، فتصوروه بخلاف صورته.

ثم اخبر انه تعالى أهلك قارون، وفرعون، وهامان. ويجوز أن يكون عطفًا على (الهاء والميم) في قوله " فصدّهم عن السبيل " وكأنه قال فصدّ عادًا وثمرود، وصدّ قارون وفرعون وهامان. وأنهم " جاءهم موسى بالبينات " يعني بالحجج الواضحات: من فلق البحر وقلب العصا وغير ذلك " فاستكبروا في الأرض " أي طلبوا التجبر فيها، ولم ينقادوا للحق وأنفوا من اتباع موسى " وما كانوا سابقين " أي فائتين لله، كما يفوت السابق. ثم اخبر تعالى فقال " فكلّا أخذنا بذنبه " أي أخذنا كلا بذنبه " فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً " وهو الريح العاصفة التي فيها حصباء وهي الحصى الصغار، وشبه به البرد والجليد، قال الأخطل: ولقد علمت إذا العشار تروحت \* هذج الرئال تكبهن شمالاً ترمي الرياح بحاصب من ثلجها \* حتى تبيت على العضاة جفلاً (١) وقال الفرزدق:

مستقبلين شمال الشام يضربنا \* بحاصب كنديف القطن منشور (٢)  
والذين أرسل عليهم الحاصب قوم لوط - في قول ابن عباس، وقتادة -  
والذين أخذتهم الصيحة ثمود وقوم شعيب - في قولهما - " ومنهم من  
خسفنا به الأرض " يعني قارون، " ومنهم من أغرقنا " يعني قوم نوم وفرعون.  
ثم اخبر تعالى أنه لم يظلمهم بما فعل معهم " ولكن كانوا أنفسهم يظلمون "   
بجحدهم نعم الله واتخاذهم مع الله آلهة عبدوها، وطغيانهم وفسادهم في الأرض.  
وذلك يدل على فساد قول المجبرة الذين قالوا: إن الظلم من فعل الله، لأنه

---

(١) مر تخريجه في ٧ / ٨  
(٢) مر تخريجه في ٦ / ٥٠٢.

لو كان من فعله لما كانوا هم الظالمين لنفوسهم، بل كان الظالم لهم من فعل فيهم الظلم قوله تعالى:

\* (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون (٤١) إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم (٤٢) وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون (٤٣) خلق الله السماوات والأرض بالحق إن في ذلك لآية للمؤمنين (٤٤) أتل ما أوحى إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون) \* (٤٥) خمس آيات بلا خلاف. قرأ أبو عمرو ويعقوب وعاصم - في رواية حفص - والعليمي، والعبسي " إن الله يعلم ما يدعون من دونه " بالياء على الخبر عن الغائب. الباكون بالتاء على الخطاب. قال أبو علي: (ما) استفهام وموضعها نصب ب (يدعون) ولا يجوز أن يكون نصبا ب (يعلم) ولكن صارت الجملة التي هي منها في موضع نصب، وتقديره إن الله يعلم أوثانا يدعون من دونه، لا يخفى عليه ذلك. ومثله " فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار " (١) والمعنى سيعلمون المسلم

---

(١) سورة ٦ الانعام آية ١٣٥

يكن له عاقبة الدار أم الكافر؟ وكل ما كان من هذا فهكذا القول فيه، وهو قياس قول الخليل.

شبه الله سبحانه حال من اتخذ من دونه أولياء ينصرونه عند الحاجة في الوهن والضعف بحال العنكبوت الذي يتخذ بيتا ليأوى إليه، فكما أن بيت العنكبوت في غاية الوهن والضعف، فكذلك حال من اتخذ من دون الله أولياء مثله في الضعف والوهن. والمثل قول سائر يشبه به حال الثاني بالأول. و (الاتخاذ) أخذ الشيء على أعداده لنائبة، وهو (افتعال) من (الاخذ) فلما اخذوا عبادة غير الله إعدادا لنائبة كانوا اتخذوا الأولياء من دون الله، وذلك فاسد لان عبادة الله هي العاصمة من المكاره دون عبادة الأوثان. والمولي هو المتولي للنصرة، وهو أبلغ من الناصر، لان الناصر قد يكون ناصرا بأن يأمر غيره بالنصرة، والمولي هو الذي يتولى فعلها بنفسه. والعنكبوت هو دابة لطيفة تنسج بيتا تأويه، في غاية الوهن والضعف، ويجمع عناكب، ويصغر عنكب ووزنه (فعللوت) وهو يذكر ويؤنث، قال الشاعر:

على هطاً لهم منهم بيوت \* كأن العنكبوت هو ابتناها (١)  
ويقال: هو العنكباء. ثم اخبر تعالى " ان أوهن البيوت لبیت العنكبوت " الذي شبه الله حال من اتخذ من دونه أولياء به، فإذا حاله أضعف الأحوال. وقوله " لو كانوا يعلمون " صحة ما أخبرناهم به ويتحققونه، لكنهم كفار بذلك، فلا يعلمونه ف (لو) متعلقة بقوله " اتخذوا " أي لو علموا أن اتخاذهم الأولياء كاتخاذ العنكبوت بيتا سخيفا لم يتخذوهم أولياء، ولا يجوز أن تكون متعلقة بقوله " وإن أوهن البيوت لبیت العنكبوت " لأنهم كانوا عالمين بأن

---

(١) تفسير القرطبي ١٣ / ٣٤٥

بيت العنكبوت واه ضعيف.

ثم قال تعالى " إن الله يعلم ما تدعون من دونه من شيء " سواء كان صنما أو وثنا أو ما كان مثل ذلك " وهو العزيز " في انتقامه الذي لا يغالب في ما يريده " الحكيم " في جميع أحواله وأفعاله، واضع لها في مواضعها. ثم قال " وتلك الأمثال " وهي الأشباه والنظائر، قال الشاعر:

هل يذكر العهد في تنمص\* إذ يضرب لي قاعدة بها مثلا (١)

" يضرب بها للناس وما يعقلها إلا العالمون " أي ما يدركها إلا من كان عالما بمواقعها. ثم اخبر تعالى انه " خلق السماوات والأرض " وأخرجهما من العدم إلى الوجود " بالحق " أي على وجه الحكمة دون العبث الذي لا فائدة فيه وانه قصد بها الدلالة على توحيده " إن في ذلك " يعني في خلق الله ذلك على ما ذكره " لآية للمؤمنين " المصدقين بتوحيد الله، لأنهم المنتفعون بها دون الكفار الذين لم ينتفعوا بها لتفريطهم، فلذلك أسندها إلى المؤمنين ثم قال لنبيه صلى الله عليه وآله " أتل ما أوحى إليك من الكتاب " يا محمد يعني القرآن - على المكلفين، واعمل بما تضمنه " وأقم الصلاة " بحدودها " ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر " يعني فعلها فيه لطف للمكلف في فعل الواجب والامتناع عن القبيح، فهي بمنزلة الناهي بالقول إذا قال: لا تفعل الفحشاء ولا المنكر، وذلك لان فيها: التكبير، والتسبيح، والقراءة، وصنوف العبادة، وكل ذلك يدعو إلى شكله ويصرف عن ضده، كالأمر والنهي بالقول، وكل دليل مؤد إلى المعرفة بالحق، فهو داع إليه وصارف عن ضده من الباطل. وقال ابن مسعود: الصلاة تنهى عن المنكر وتأمّر بالمعروف. وبه

---

(١) مجاز القرآن ٢ / ١١٦

قال ابن عباس. وقال ابن مسعود: الصلاة لا تنفع إلا من أطاع.  
وقوله " ولذكر الله أكبر " معناه ولذكر الله إياكم برحمته أكبر من ذكركم  
إياه بطاعته - ذكره ابن عباس، وسلمان، وابن مسعود، ومجاهد - وقيل:  
معناه ذكر العبد لربه أفضل من جميع عمله - في رواية أخرى - عن سلمان، وهو  
قول قتادة وابن زيد وأبي الدرداء. وقال أبو مالك: معناه إن ذكر العبد لله  
تعالى في الصلاة أكبر من الصلاة. وقيل: ذكر الله بتعظيمه أكبر من سائر  
طاعاته. وقيل: ولذكر الله أكبر من النهي عن الفحشاء.  
وقوله " والله يعلم ما تصنعون " من خير وشر، فيجازيكم بحسبه. وفي  
الآية دلالة على بطلان قول من قال: ان المعرفة ضرورة، ودلالة على بطلان قول  
المجبرة في أن الله خلق الكافر للضلال.  
قوله تعالى:

\* (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين  
ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا  
وإلهكم واحد ونحن له مسلمون (٤٦) وكذلك أنزلنا إليك  
الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من  
يؤمن به وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون (٤٧) وما كنت تتلو  
من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك إذا لارتاب  
المبطلون (٤٨) بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم

وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون (٤٩) وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين) \* (٥٠) خمس آيات بلا خلاف.

قرأ أبو عمرو، وابن كثير، ونافع، وابن عامر، وحفص عن عاصم وقتيبة عن الكسائي " لولا أنزل عليه آيات من ربه " على الجمع لقوله " قل إنما الآيات ". وقرأ الباقون " آية " على التوحيد. ومعناها واحد، لأنه لفظ جنس يدل على القليل والكثير. قال قتادة: الآية الأولى منسوخة بالجهاد والقتال. وقال غيره: هي ثابتة، وهو الأولى، لأنه لا دليل على ما قاله. فكيف وقد أمر بالجدال بالذي هو أحسن، وهو الواجب الذي لا يجوز غيره كما قال " وجادلهم بالتي هي أحسن " (١) فالآية خطاب من الله تعالى لنبيه وجميع المؤمنين ينهاهم أن يجادلوا أهل الكتاب: من اليهود والنصارى " إلا بالتي هي أحسن " وقيل: معناه إلا بالجميل من القول في التنبيه على آيات الله وحججه والأحسن الأعلى في الحسن من جهة تقبل العقل له. وقد يكون الأعلى في الحسن من جهة تقبل الطبع له، وقد يكون في الأمرين، و (الجدال) قتل الخصم عن مذهبه بطريق الحجاج فيه. وفي ذلك دلالة على حسن المجادلة، لأنها لو كانت قبيحة على كال حال، لما قال " إلا بالتي هي أحسن ". وأصل الجدال شدة القتال، يقال: جدلته أجدره جدلاً إذا قتله قتلاً شديداً، ومنه الأجل: للصقر لشدة قتل بدنه. وقيل: انه يجوز أن يغلظ

---

(١) سورة ١٦ النحل آية ١٢٥

المحق في الجدل على الظالم فيه، بتأديب الله تعالى في الآية في قوله " إلا الذين ظلموا منهم " فاستثنى الظالم عن المجادلة بالتي هي أحسن.  
فان قيل: لم استثنى الذين ظلموا؟ وكلهم ظالم لنفسه بكفره!  
قيل: لان المراد " إلا الذين ظلموا " في جدالهم أو في غيره مما يقتضي الاغلاظ لهم، ولهذا يسع الانسان ان يغلظ على غيره، والا فالداعي إلى الحق يجب أن يستعمل الرفق في أمره. قال مجاهد: " إلا الذين ظلموا منهم " بمنع الجزية. وقال ابن زيد: الذين ظلموا بالإقامة على كفرهم بعد إقامة الحجة عليهم.  
ثم قال تعالى للمؤمنين " وقولوا آمنا بالذي انزل إلينا " من القرآن " وانزل إليكم " من التوراة والإنجيل، وقولوا " وإلها وإلهكم واحد " لا شريك له " ونحن له مسلمون " طائعون.  
ثم قال لنبيه صلى الله عليه وآله ومثل ما أنزلنا الكتاب على موسى وعيسى من التوراة والإنجيل " أنزلنا إليك الكتاب " القرآن " فالذين آتيناهم الكتاب " يعني الذين آتيناهم علم الكتاب يصدقون بالقرآن لدلالته عليه " ومن هؤلاء من يؤمن به " أي من غير جهة علم الكتاب. وقيل " فالذين آتيناهم الكتاب " يعني به عبد الله بن سلام وأمثاله. و " من هؤلاء " يعني أهل مكة " من يؤمن به ". ويحتمل أن يكون أراد ب (الذين آتيناهم الكتاب) الذين آتاهم القرآن: المؤمنين منهم و (ومن هؤلاء) يعني من اليهود والنصارى " من يؤمن به " أيضا، والهاء في قوله (به) يجوز أن تكون راجعة إلى النبي، ويجوز أن تكون راجعة إلى القرآن " وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون " لان كل من جحد بآيات الله من المكلفين، فهو كافر: معاندا كان أو غير معاند.  
ثم خاطب نبيه صلى الله عليه وآله فقال " وما كنت تتلو من قبله من كتاب " يعني



لم تكن تحسن القراءة قبل أن يوحى إليك بالقرآن " ولا تخطه بيمينك " معناه  
وما كنت أيضا تخط بيمينك. وفيه اختصار، وتقديره ولو كنت تتلو الكتاب  
وتخطه بيمينك " إذا لارتاب المبطلون " وقال المفسرون: إنه لم يكن النبي صلى الله عليه وآله

يحسن الكتابة. والآية لا تدل على ذلك بل فيها إنه لم يكن يكتب الكتاب  
وقد لا يكتب الكتاب من يحسنه، كما لا يكتب من لا يحسنه، وليس ذلك  
بنهي، لأنه لو كان نهيا لكان الأجود أن يكون مفتوحا، وإن جاز الضم على  
وجه الاتباع لضمه الخاء، كما يقال: (رده) بالضم والفتح والكسر، ولكن  
أيضا غير مطابق للأول. ولو أفاد أنه لم يكن يحسن الكتابة قبل الإيحاء،  
لكان دليلا يدل على أنه كان يحسنها بعد الإيحاء إليه، ليكون فرقا بين الحالتين.  
ثم بين تعالى أنه لم يكتب، لأنه لو كتب لشك المبطلون في القرآن  
وقالوا هو قرأ الكتب أو هو يصنفه، ويضم شيئا إلى شيء في حال بعد حال  
فإذا لم يحسن الكتابة لم تسبق إليه الظنة.

ثم قال " بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم " وقيل: معناه  
بل هي آيات واضحة في صدور العلماء. بأنه أُمي لا يقرأ ولا يكتب، على  
صفته في التوراة والإنجيل - في قول ابن عباس - وقال الحسن: بل القرآن  
آيات بينات في صدور العلماء. ثم قال \* (وما يجحد بآياتنا) \* أي لا ينكر  
حججنا ويجحدها إلا الذين ظلموا نفوسهم بترك النظر فيها، أو العناد لها بعد  
طول المدة وحصول العلم بها. ثم حكى عن الكفار أنهم قالوا: هلا انزل على  
محمد آية من ربه؟ يريدون آية يقترحونها، وآية كآية موسى: من فلق البحر  
وقلب العصا حية، فقال الله تعالى لهم \* (قل) \* لهم يا محمد \* (إنما الآيات عند  
الله) \* ينزلها ويظهرها بحسب ما يعلم من مصالح خلقه \* (وإنما أنا نذير) \* أي

منذر مخوف من معصية الله \* (مبين) \* طريق الحق من طريق الباطل.  
قوله تعالى:

\* (أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون (٥١) قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا يعلم ما في السماوات والأرض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون (٥٢) ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون (٥٣) يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين (٥٤) يوم يغشيهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون) \* (٥٥) خمس آيات بلا خلاف.

قرأ أهل الكوفة ونافع " يقول " بالياء على معنى: ويقول لهم الموكلون بعذابهم. الباقون - بالنون - على وجه الاخبار من الله تعالى عن نفسه. وفي قراءة عبد الله ويقال لهم: على ما لم يسم فاعله.  
لما حكى الله تعالى عن الكفار أنهم قالوا: هلا أنزل على محمد آيات

اقترحوها أو آيات كما أنزل على موسى وعيسى، قال الله لهم " أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك " يا محمد " الكتاب " يعني القرآن " يتلى عليهم " فبين أن في القرآن دلالة واضحة وحجة بالغة ينزاح معه العلة وتقوم به الحجة لا يحتاج معه إلى غيره في الوصول إلى العلم بصحة نبوته وأنه مبعوث من عند الله، مع أن اظهار المعجزات مع كونها لإزاحة العلة يراعى فيها المصلحة. فإذا كانت المصلحة في اظهار نوع منها لم يحز إظهار غيرها، ولو اظهر الله الاعلام التي اقترحوها ثم لم يؤمنوا، لاقتضت المصلحة استئصالهم كما اقتضت في الأمم الماضية، وقد وعد الله أن هذه الأمة لا تعذب بعذاب الاستئصال، كما قال " وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون " (١). والكفاية بلوغ حد ينافي الحاجة، يقال: كفى بكفي كفاية، فهو كاف. وقيل: إن الآية نزلت في قوم كتبوا شيئا من كتب أهل الكتاب شبه الخرافات، فقال الله تعالى \* (أولم يكفهم) \* القرآن تهديدا لهم ومنعا من التعرض لغيره. وقولهم: كفى الله معناه أنه فعل ما ينافي الحاجة بالنصرة. والتلاوة هي القراءة وسميت تلاوة لأنه يتلو حرف حرفا في التلاوة. والقرآن مشتق من جمع الحروف بعضها إلى بعض. ثم بين الله تعالى \* (إن في ذلك) \* أي القرآن \* (لرحمة) \* أي نعمة \* (وذكرى) \* أي ما يتذكر به ومعتبر \* (لقوم يؤمنون) \* يصدقون به ويعتبرون وإنما أضافه إليهم، لأنهم الذين ينتفعون به. ثم أمر نبيه صلى الله عليه وآله أن يقول \* (كفى بالله) \* أي كفى الله. والباء زائدة \* (بيني وبينكم شهيدا) \* يشهد بالحق. والشاهد والشهيد واحد، وفيه مبالغة، والشهادة هي الخبر بالشئ عن مشاهدة تقوم به الحجة في حكم من أحكام الشرع، ولذلك لم يكن خبر من لا تقوم به

---

(١) سورة ١٧ الاسرى آية ٥٩

الحجة - في الزنا - شهادة وكان قذفا، ثم بين أن الشهيد الذي هو الله \* (يعلم ما في السماوات والأرض) \* ويعلم الذين صدقوا بالباطل وجحدوا وحدانيته. ثم أخبر عنهم أنهم الخاسرون الذين خسروا ثواب الجنة بارتكابهم المعاصي وجحدهم بالله، فكان ذلك الخسران الذي لا يوازيه خسران مال. وقوله \* (والذين آمنوا بالباطل) \* إنما وصفهم بالايمن مقيدا بالباطل، كما يقال: فلان كافر بالطاغوت مقيدا، وإنما الاطلاق لا يجوز فيهما.

ثم خاطب نبيه صلى الله عليه وآله فقال \* (ويستعجلونك بالعذاب) \* يعني هؤلاء الكفار \* (يستعجلونك بالعذاب) \* أن ينزل عليهم بجحودهم صحة ما تدعوهم به، كما قالوا \* (فأمطر علينا حجارة من السماء) \* (١) و \* (لولا أجل مسمى) \* يعني وقتا قدره الله أن يعاقبهم فيه وهو يوم القيامة وأجل قدره الله أن يقيهم إليه لضرب من المصلحة. وقال الجبائي: ذلك يدل على أن التبقية لا تحب لكونه أصلح، لأنه علله بأنه قدر له أجلا \* (لجاءهم العذاب) \* الذي استحقوه \* (وليأتينهم) \* العذاب الذي يوعدهونه \* (بغثة) \* أي فجأة \* (وهم لا يشعرون) \* بوقت مجيئه.

ثم قال \* (يستعجلونك) \* يا محمد \* (بالعذاب) \* أي يطلبون العذاب عاجلا قلة يقين منهم بصحته \* (وإن جهنم لمحيطة بالكافرين) \* أي كأنها محيطة بهم لما قد لزمهم بكفرهم من كونهم فيها. وقيل: معناه انه إذا كان يوم القيامة أحاطت بهم. ووجه ثالث - أنها تحيط بهم \* (يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ونقول ذوقوا ما كنتم تعملون) \* أي تكسبون أي ذوقوا جزاء اعمالكم المعاصي التي اكتسبتموها.

(١) سورة ٨ الأنفال آية ٣٢

قوله تعالى:

\* (يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون (٥٦)  
كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون (٥٧) والذين آمنوا  
وعملوا الصالحات لنبؤنهم من الجنة غرفا تجري من تحتها  
الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين (٥٨) الذين صبروا وعلى  
ربهم يتوكلون (٥٩) وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله  
يرزقها وإياكم وهو السميع العليم) \* (٦٠) خمس آيات بلا خلاف  
قرأ يحيى والعليمي " ثم إلينا يرجعون " بالياء على الخبر عن الغائب.  
الباقون بالتاء على الخطاب. وقرأ أهل الكوفة إلا عاصما " لنثوينهم " بالتاء  
من أثويته منزلا أي جعلت له منزل مقام، والثواء المقام، الباقون بالباء من  
قولهم: بواته منزلا، كما قال تعالى " مبوء صدق " في قوله " ولقد بوأنا بني إسرائيل  
مبوء صدق " (١) و " إذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت " (٢) ويحتمل  
أن تكون اللام زائدة، كقوله \* (ردف لكم بعض) \* (٣) ويحتمل أن يكون المراد  
\* (بوأنا) \* لدعاء إبراهيم \* (مكان البيت) \* ويقول القائل: اللهم بوأنا مبوء صدق  
أي أنزلنا منزل صدق والتبوء اتخاذ منزل يرجع إليه من يأوى إليه، وأصله

---

(١) سورة ١٠ يونس آية ٩٣

(٢) سورة ٢٢ الحج آية ٢٦

(٣) سورة ٢٧ النمل آية ٧٢

الرجوع من قوله \* (باءوا بغضب من الله) \* (١) أي رجعوا، ومنه قول الحارث ابن عباد: (بوئوا بشسع كليب) وقيل: معناه لنزلهم من الجنة علالي. يقول الله تعالى لخلقهم الذين صدقوا بوحدانيته وأقروا بنبوة نبيه \* (يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة) \* لبعد أقطارها، فاهربوا من أرض من منعكم فيها من الايمان واخلص عبادتي فيها. وقيل: نزلت في مؤمني مكة أمروا بالهجرة عنها، وهو قول سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء وابن زيد. وقيل \* (أرضي واسعة) \* بما أخرج فيها من الرزق لكم - ذكره مطرف بن عبد الله بن السخير العامري. وقال الجبائي: معناه إن أرض الجنة واسعة، وأكثر أهل التأويل على أن المراد به أرض الدنيا.

وقوله \* (فإياي فاعبدون) \* أي اعبدوني خالصا، ولا تطيعوا أحدا من خلقي في معصيتي. وقيل: دخول الفاء في الكلام للجزاء وتقديره إن ضاق موضع بكم فإياي فاعبدون لأن أرضي واسعة. و (إياي) منصوب بمضمر يفسره ما بعده.

ثم اخبر تعالى ان \* (كل نفس) \* أحيها الله بحياة خلقها فيها \* (ذائقة الموت) \* والذائق الواجد للجسم بحاسة إدراك الطعم \* (ثم إلينا ترجعون) \* أي تردون إلينا فنجازيكم على قدر استحقاقكم من الثواب والعقاب. وفي ذلك غاية التهديد والزجر. ثم قال \* (والذين آمنوا) \* أي صدقوا بوحدانية الله، وأقروا بنبوة نبيه صلى الله عليه وآله \* (وعملوا) \* مع ذلك الاعمال \* (الصالحات لنبوأنهم) \*

أي لننزلهم \* (من الجنة) \* التي وعدها الله للمتقين \* (غرفا) \* أي مواضع عاليات \* (تجري من تحتها الأنهار) \* لأن الغرف تعلو عليها. وقيل: تجري من تحت

---

(١) سورة ٢ البقرة آية ٦١ وسورة ٣ آل عمران آية ١١٢

أشجارها المياه. وقيل: انهار الجنة في أخاديد تحت الأرض \* (خالد بن فيها) \*

ثم اخبر تعالى ان ذلك \* (نعم أجر العاملين) \* أي نعم الثواب والاجر للعاملين بطاعة الله \* (الذين صبروا) \* على الأذى في الله، وصبروا على مشاق الطاعات، ووكلوا أمورهم إلى الله وتوكلوا عليه في أرزاقهم وجهاد أعدائهم ومهمات أمورهم.

ثم قال تعالى " وكأين من دابة " معنى كاي (كم) وقد فسرناه في ما مضى (١) " لا تحمل رزقها " أي لا تدخره لغد - في قول علي بن الأقرم - وقال الحسن " لا تحمل رزقها " للادخار. وقيل: ان الحيوان أجمع من البهائم والطيور ونحوهما لا تدخر القوت لغدها - إلا ابن آدم والنملة والفار - بل تأكل منه كفايتها فقط. وقال مجاهد: معناه " لا تحمل رزقها " لا تطيق حمل رزقها لضعفها " الله يرزقها " يعني تلك الدابة الضعيفة التي لا تقدر على حمل رزقها " وإياكم " أي ويرزقكم أيضا " وهو السميع العليم " يعني " السميع " لما يقول القائل في فراق وطنه " العليم " بما في نفسه، لأنه عالم بجميع الأشياء وقيل: الآية نزلت في أهل مكة: المؤمنين منهم، فإنهم قالوا لرسول الله: ليس لنا بالمدينة أموال، ولا منازل، فمن أين المعاش، فأنزل الله الآية. قوله تعالى:

\* (ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض وسخر

---

(١) انظر ٣ / ١٠ و ٦ / ٢٠٢

الشمس والقمر ليقولن الله فأني يؤفكون (٦١) الله ييسط  
الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له إن الله بكل شئ  
عليم (٦٢) ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به  
الأرض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم  
لا يعقلون (٦٣) وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وإن الدار  
الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون (٦٤) فإذا ركبوا في  
الفلك دعوا الله مخلصين له الدين \* فلما نجاهم إلى البر إذا  
هم يشركون (٦٥) ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف  
يعلمون) \* (٦٦)

سبع آيات بصري وشامي، وست في ما عداه عدوا " مخلصين له الدين "  
ولم يعد الباقون.

قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وخلف، والمسيبي، والأعشى، والبرجمي  
والكسائي عن أبي بكر \* (ليكفروا، وليتمتعوا) \* ساكنة اللام. الباقون بالكسر  
إلا نافعاً، لأنه اختلف عنه فيه. قال أبو علي: من كسرهما وجعلها الجارة  
جعلها متعلقة بالاشراك، وكأن المعنى: يشركون ليكفروا، أي لا فائدة  
لهم في الاشراك إلا الكفر والتمتع بما يتمتعون به عاجلاً من غير نصيب  
آجلاً. ومن سكن جعل \* (ليكفروا) \* بمنزلة الامر، وعطف عليه، وكان



على وجه التهديد. وقال غيره: تحتمل هذه اللام أن تكون (لام كي) أي كأنهم أشركوا ليكفروا إذ لا يدفع الشرك في العبادة من كفر النعمة. ويجوز أن يكون لام الامر على وجه التهديد بدلالة قوله \* (فسوف تعلمون) \*.

يقول الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وآله ولئن سألت هؤلاء الكفار الذين جحدوا توحيدى وكفروا بنبوتك \* (من خلق السماوات والأرض) \* والمنشئ لها والمخرج لها من العدم إلى الوجود \* (وسخر الشمس والقمر) \* في دورانها على طريقه واحدة لا تختلف؟؟ \* (ليقولن) \* في جواب ذلك \* (الله) \* الفاعل لذلك لأنهم كانوا يقولون بحدوث العالم. والنشأة الأولى، ويعترفون بأن الأصنام لا تقدر على ذلك. ثم قال \* (فأنى يؤفكون) \* هؤلاء أي كيف يصرفون عن صانع ذلك والاخلاص لعبادته - في قول قتادة -.

ثم قال \* (الله ييسط الرزق لمن يشاء) \* أي يوسعه لمن يشاء من عباده بحسب ما تقتضيه المصلحة \* (ويقدر) \* أي يضيق مثل ذلك على حسب المصلحة ومنه قوله \* (ومن قدر عليه رزقه) \* (١) بمعنى ضيق على قدر ما فيه مصلحته. وقيل: معنى ويقدر - ههنا - ويقبض رزق العبد بحسب ما تقتضيه مصلحته. وخص بذكر الرزق على الهجرة لئلا يخلفهم عنها خوف العيلة.

وقوله " ان الله بكل شئ عليم " أي عالم بما يصلح العبد وبما يفسده فهو يوسع الرزق وييسط بحسب ذلك. ثم قال " ولئن سألتهم " يعني هؤلاء الذين ذكرناهم " من نزل من السماء ماء ؟ " يعني مطرا " فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن " في الجواب عن ذلك " الله " ف " قل " يا محمد عند ذلك " الحمد لله " على فنون نعمه على ما وفقنا للاعتراف بتوحيده واخلاص

(١) سورة ٦٥ الطلاق آية ٧

عبادته. ثم قال " بل أكثرهم " يعني هؤلاء الخلق " لا يعقلون " ما قلناه لعدو لهم عن طريق المفضي إليه. ثم قال تعالى وليس " هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب " لأنها تزول كما يزول اللهو واللعب، لا بقاء لها، ولا دوام، كما يزول اللهو واللعب " وإن الدار الآخرة لهي الحيوان " أي الحياة على الحقيقة لكونها دائمة باقية " لو كانوا يعلمون " صحة ما أخبرناك به. وقال أبو عبيدة: الحيوان والحياة واحد.

ثم قال تعالى مخبرا عن حال هؤلاء الكفار انهم " إذا ركبوا في الفلك " وهي السفن وهاجت به الرياح وخافوا الهلاك " يدعو الله مخلصين له الدين " لا يوجهون دعاءهم إلى الأصنام والأوثان " فلما نجاهم إلى البر " أي خلصهم إلى البر " إذا هم يشركون " أي يعودون إلى ما كانوا عليه من الاشرار معه في العبادة " ليكفروا بما آتيناهم " أي يفعلون ما ذكرناه من الاشرار مع الله ليحسدوا نعم الله التي أعطاهم إياها " وليتمتعوا " أي وليلذذوا في العاجل من دنياهم، فالتمتع يكون بالمناظر الحسنة، والأصوات المطربة. والمشام الطيبة والمأكول المملدة، ثم قال مهددا لهم " فسوف يعلمون " أي لابد أن يعلموا جزاء ما يفعلونه من الافعال من طاعة أو معصية، فان الله يجازيهم بحسبها وذلك غاية التهديد. قوله تعالى:

\* (أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون (٦٧) ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه أليس في

جهنم مثوى للكافرين (٦٨) والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين) \* (٦٩) ثلاث آيات بلا خلاف. يقول الله تعالى لهؤلاء الكفار " أولم يروا " ومعناه أولم يعلموا " أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم " أي يتناول الناس من حوالي مكة بسرعة، وتؤخذ أموالهم. ومنه خطف البصر لسرعته. ومنه اختطاف الطير لصيده ومنه الخطاف الذي يخرج الدلو. والمعنى بذلك تنبيههم على جميل صنع الله بهم، وسبوغ نعمه عليهم، بأن جعلهم في أمن مع أن الناس يؤخذون من حولهم. وذلك لا يقدر عليه غير الله. ثم قال مهددا لهم " أفبالباطل يؤمنون " ! أي يصدقون بعبادة الأصنام وهي باطلة مضمحلة " وبنعمة الله " التي أنعم بها عليهم " يكفرون " ؟!

ثم قال " ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا " أي من أظلم لنفسه ممن جحد آيات الله وأضاف إليه ما لم يقله ولم يأمر به من عبادة الأصنام وغيرها " أو كذب بالحق لما جاءه " من نبوة محمد صلى الله عليه وآله من القرآن الذي أنزل عليه. ثم قال " أليس في جهنم مثوى للكافرين " أي موضع مقام للذين يجحدون نعم الله، ويكفرون بآياته.

ثم قال " والذين جاهدوا فينا " يعني جاهدوا للكفار بأنفسهم، وجاهدوا نفوسهم بمنعها عن المعاصي وإلزامها فعل الطاعة لوجه الله " لنهدينهم سبلنا " أي نرشدهم السبيل الموصول إلى الثواب. وقيل: معناه لنوفقهم لازدياد الطاعات فيزدادوا ثوابهم. وقيل: معناه لنرشدهم إلى الجنة " وإن الله لمع المحسنين " أي ناصر الذين فعلوا الأفعال الحسنة، ويدفع عنهم أعداءهم.

### ٣٠ - سورة الروم

وهي مكية في قول مجاهد وقتادة ليس فيها ناسخ ولا منسوخ. وقال الحسن: كلها مكية إلا قوله \* (فسبحانه الله) \* إلى قوله \* (وحيث تظهرون) \* وهي ستون آية كوفي وبصري ومدني الأول وشامي. وتسع وخمسون في المدني الأخير والمكي.

بسم الله الرحمن الرحيم

\* (آلم) (١) غلبت الروم (٢) في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون (٣) في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون (٤) بنصر الله بنصر من يشاء وهو العزيز الرحيم) \* (٥).

خمس آيات كوفي وبصري وشامي، وأربع في ما عداها، عد الكوفيون \* (آلم) \* وعدوا \* (غلبت الروم) \* وعد البصري والشامي \* (غلبت الروم) \*

وعدوا \* (في بضع سنين) \* وعد المدني \* (غلبت الروم) \* وعد \* (إسماعيل والمكي غلبت الروم، في بضع سنين) \*.

قرأ ابن عمر، وأبو سعيد الخدري \* (غلبت الروم) \* بفتح الغين، فقليل لابن عمر: على أي شيء غلبوا قال على ريف الشام، وهذا غلط، فان عند جميع المفسرين القراءة بالضم. والسبب في ذلك معروف، وهو ان الروم لما غلبهم فارس فرح مشركوا قريش بذلك من حيث إن أهل فارس لم يكونوا أهل كتاب، وساء ذلك المسلمين، فأخبر الله تعالى ان الروم وإن غلبهم فارس، فان الروم ستغلب في ما بعد فارس \* (في بضع سنين) \* أي في ما بين ثلاث سنين إلى عشر، فكان كما اخبر، وكان ذلك معجزة ظاهرة باهرة للنبي صلى الله عليه وآله وروى أن جماعة من الصحابة راهنوا أبي بن خلف وقيل: أبا سفيان. إن لم يصح الخبر ووافقوهم على أربع سنين، فلما أخبروا النبي صلى الله عليه وآله قال: (زيدوهم في الخطر واستزيدوا في الأجل) ففعلوا، فغلبت الروم لفارس قبل المدة.

اخبر الله تعالى ان الروم غلبت عليها فارس في أدنى الأرض من أرض الشام إلى أرض فارس، وانهم من بعد غلبتهم فارس سيغلبون في ما بعد في بضع سنين. وروى عن النبي صلى الله عليه وآله ان البضع - ههنا - ما بين الثلاث إلى العشر. وروى ان سبب ذلك ان الروم لما غلبتها فارس فرح المشركون بذلك وقالوا: أهل فارس لا كتاب لهم غلبوا أهل الروم، وهم أهل كتاب، فنحن لا كتاب لنا نغلب محمدا الذي معه كتاب، فأنزل الله تعالى هذه الآيات تسلياً للنبي والمؤمنين. وإن الروم وإن غلبها فارس، فإنها ستغلب فارس في ما بعد في بضع سنين. قال أبو سعيد الخدري: كان النصر يوم بدر للفريقين للنبي صلى الله عليه وآله

والروم على فارس، وفرح المؤمنون بالنصرين. وقيل: كان يوم الحديبية.  
وقال الفراء: قوله " من بعد غلبهم " تقديره غلبتهم، فحذف الهاء للإضافة.  
كما قال " وإقام الصلاة " (١).

قال الزجاج: الغلب والغلبة مصدران، مثل الحلب والحلبة، والغلبة الاستيلاء على القرن بالقهر، غلب يغلب فهو غالب وذلك مغلوب، وتغلب تغلبا إذا تعرض للغلبة، غالبه مغالبة. و (الأدنى) الأقرب، ونقيض الأدنى الأقصى، ونقيض الأقرب الأبعد، والمراد أدنى الأرض إلى جهة عدوهم. والبضع القطعة من العدد ما بين الثلاث إلى العشر، اشتقاقه من بضعته إذا قطعته تبضيعة، ومنه البضاعة القطعة من المال في التجارة، ومنه البضعة القطعة من البدن، والمبضع، لأنه يقطع به العرق. والمباضعة الجماع. وقال المبرد البضع ما بين العقدين في جميع الأعداد.

ثم أخبر تعالى بأن " لله الأمر من قبل ومن بعد " تقديره من بعد غلبهم ومن قبل غلبهم، فقطع عن الإضافة وبني لأنه على الغاية وتفسيرها انه ظرف قطع عن الإضافة التي هي غاية، فصار كبعض الاسم، فاستحق البناء وبني على الحركة، لان له أصلا في التمكن يستعمل. وبني على الضمة لأنها حركة لا تكون له في حال الاعراب. فهي أدل على البناء.

ثم قال " ويومئذ يفرح المؤمنون " أي يوم يغلب الروم لفارس يسر المؤمنون تفاؤلا بأن يغلبوا هم المشركين. ثم بين بماذا يفرحون، فقال " بنصر الله ينصر من يشاء من عباده وهو العزيز " في انتقامه من أعدائه " الرحيم " إلى من أناب إليه من خلقه.

---

(١) سورة ٢٤ النور آية ٣٧

قوله تعالى:

\* (وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون (٦) يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون (٧) أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون (٨) أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون (٩) ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوء أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون) \* (١٠) خمس آيات بلا خلاف.

قرأ أهل الحجاز والبصرة والبرجمي، والسموني، والكسائي عن أبي بكر "عاقبة الذين" بالرفع. الباقيون بالنصب. من نصب جعلها خبر (كان) وقدمها على الاسم، واسمها يحتمل أن يكون السوء وتقديره: ثم كان السوء عاقبة الذين. ويحتمل أن يكون ما بعد (أن) في قوله "ان كذبوا". ومن رفع [عاقبة] جعلها اسم (كان) والخبر السوء. ويحتمل أن يكون الخبر

(ان كذبوا) وتقديره ثم كان عاقبة المسئى التكذيب بآيات الله، أي لم يظفر في شركه وكفره إلا بالتكذيب، ويكون السوء على هذا نصبا على المصدر في قوله " وعد الله " نصب على المصدر، وتقديره: إن ما ذكره الله تعالى من أن الروم ستغلب فارس في ما بعد، وعد وعدا لله لا يخلف وعده، وتقديره وعدا لله وعده كما قال الشاعر:

يسعى الوشاة جنابيهما وقيلهم\* إنك يا ابن أبي سلمى لمقتول (١)  
أي ويقولون: قيلهم، والاختلاف فعل خلاف ما تقدم الوعد به، وسبيل الوعد بالخير والوعيد بالشر واحد في أنه إذا وقع فيه خلاف ما تضمنه كان خلفا، ثم قال " ولكن أكثر الناس لا يعلمون " صحة ما أخبرناك به لجهلهم بالله وتفريطهم في النظر المؤدي إلى معرفة الله، ولا يناقض قوله " لا يعلمون " لقوله " يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا " لأن ذلك ورد مورد المبالغة لهم بالذم لتضييعهم على ما يلزمهم من أمر الله، كأنهم لا يعلمون شيئا. ثم بين حالهم في ما عقلوا عنه، وما عملوه. ومعنى " يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا " أي عمران الدنيا متى يزرعون ومتى يحصدون، وكيف يبنون ومن أين يعيشون وهم جهال بأمر الآخرة، وله مضيعون - ذكره ابن عباس - أي عمروا الدنيا واخربوا الآخرة. والظاهر هو الذي يصح ان يدرك من غير كشف عنه. فالله تعالى ظاهر بالأدلة. باطن عن حواس خلقه. والأمور كلها ظاهرة له، لأنه يعلمها من غير كشف عنها ولا دلالة تؤديه إليها. وكلما يعلم بأوائل العقول ظاهر وكلما يعلم بدليل العقل باطن، لأن دليل العقل يجري مجرى الكشف عن صحة المعنى - في صفته - والغفلة ذهاب المعنى عن النفس كحال النائم، ونقيضه

---

(١) مر هذا البيت في ١ / ٣٠٠ و ٥ / ٣٨٨



اليقظة. وهي حضور المعنى للنفس كحال المنتبه. ونقيضه السهو.  
ثم قال تعالى منبها لخلقه على وجه الدلالة على توحيده " أولم يتفكروا  
في أنفسهم " فيعلموا ان الله لم يخلق " السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق "  
بمعنى الاستدلال بهما على توحيده " واجل مسمى " للأشياء التي للعباد فيها  
مصلحة بالاعتبار به إذا تصوروا ذلك في الاخبار عنه انه مع كثرة وعظمه  
محصل بتسمية تنبئ عنه، لا يتأخر ولا يتقدم، بالأوصاف التي ذكرها الله تعالى  
عالم بجميع ذلك لا يخفى عليه شئ منه.

ثم قال " وان كثيرا من الناس بقاء ربهم لكافرون " أي بقاء ثواب  
الله وعقابه كافرون. يحددون صحة ذلك ولا يعترفون به.  
ثم قال منبها لهم دفعة أخرى " أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف  
كان عاقبة الذين من قبلهم " من الأمم " كانوا أشد منهم قوة وآثاروا الأرض "  
أي حرقوها لعمارتها - في قول مجاهد والسدي - و " عمروها أكثر مما عمروها "  
هؤلاء يعني أهل مكة " وجاءتهم رسلهم بالبينات " يعني أتتهم الرسل بالدلالات  
من عند الله. وفي الكلام حذف، لان تقديره، فكذبوا بتلك الرسل،  
وجحدوا الآيات فأهلكهم الله بأنواع العذاب. ثم قال " فما كان الله ليظلمهم "  
بأن يهلكهم من غير استحقاق ابتداء، وفي ذلك بطلان قول المجبرة: ان الله  
يبتدئ خلقه بالهلاك.

ثم قال " ولكن كانوا " هم " أنفسهم يظلمون " بأن جحدوا نعم الله  
وأشركوا في العبادة معه غيره، وكذبوا رسله وعصوه بأنواع العصيان، حتى  
استحقوا العقاب عاجلا وآجلا.

ثم قال " ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوء " اخبار منه تعالى بأن عاقبة

الذين أساءوا إلى نفوسهم بالكفر بالله تعالى، وتكذيب رسله وارتكاب معاصيه  
"السوء" وهي الخصلة التي تسوء صاحبها إذا أدركها، وهي عذاب النار -  
في قول ابن عباس وقتادة وغيرهما - "أن كذبوا" ومعناه لأن كذبوا  
"بآيات الله" أي جحدوا أدلته ولم يؤمنوا بها "وكانوا بها" بتلك الأدلة  
"يستتهزون" أي يسخرون منها ويتهزون بها. وقيل: معنى الآية أنهم  
حفروا الأنهار وغرسوا الأشجار وشيدوا البنيان وصاروا إلى الهلاك على أسوء  
حال بالعصيان ولم يفكروا في الموت، وانهم يخرجون من الدنيا ويصيرون إلى  
الحساب والجزاء.

قوله تعالى:

\* (الله يبدؤ الخلق ثم يعيده ثم إليه ترجعون (١١) ويوم  
تقوم الساعة ييلس المجرمون (١٢) ولم يكن لهم من شركائهم  
شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين (١٣) ويوم تقوم الساعة  
يومئذ يتفرقون (١٤) فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم  
في روضة يحبرون (١٥) وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء  
الآخرة فأولئك في العذاب محضرون (١٦) فسبحان الله حين  
تمسون وحين تصبحون (١٧) وله الحمد في السماوات والأرض

(٢٣٣)

وعشيا وحين تظهرون (١٨) يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون (١٩) ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون (٢٠) عشر آيات بلا خلاف.

قرأ أبو عمرو، وروح ويحيى والعليمي " ثم إليه يرجعون " بالياء على وجه الخبر. الباقون - بالتاء - على الخطاب.

يقول الله تعالى مخبرا عن نفسه أنه هو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده يبدؤهم ابتداء فيوجدتهم بعد أن كانوا معدومين على وجه الاختراع ثم يعيدهم أي يميتهم ويفنيهم بعد وجودهم، ثم يعيدهم ثانيا كما بدأهم أولا، ثم يرجعون إليه يوم القيامة ليجازيهم على أفعالهم، على الطاعات بالثواب وعلى المعاصي بالعقاب. واستدل قوم بهذه الآية على صحة الرجعة بأن قالوا " الله يبدؤ الخلق " معناه ابتداء خلقهم " ثم يعيده " إذا أماته في زمان الرجعة " ثم إليه ترجعون " يوم القيامة، وهذا ليس بمعتمد، لأن لقائل أن يقول: قوله " ثم يعيده " يجوز أن يكون المراد به احياءهم في القبر للمسألة التي لا خلاف فيها " ثم إليه ترجعون " يوم القيامة، فلا يمكن الاعتماد عليه. و (البداء) أول الفعل وهو على وجهين:

أحدهما - أنه أول الفعل وهو جزء منه مقدم على غيره. والثاني - أنه موجود قبل غيره من غير طريق الفعلية، يقال: بدأ يبدؤ بدءا وابتداء يبتدئ ابتداء. والابتداء نقيض الانتهاء، والبدؤ نقيض العود. والخلق - ههنا

- بمعنى المخلوق. ومثله قوله " هذا خلق الله " وتقول هذا الخلق من الناس، وقد يكون الخلق مصدرا من خلق الله العباد، والخلق كالأحداث والمخلوق كالمحدث. والإعادة فعل الشئ ثانية. وقولهم: أعاد الكلام فهو على تقدير ذلك، كأنه قد أتى به ثانية إذا أتى بمثله، وإن كان الكلام لا يبقى ولا يصح اعادته. وقد يكون الإعادة فعل ما به يكون الشئ إلى ما كان من غير إيجاد عينه كإعادة الكتاب إلى مكانه. ومثل الإعادة الرجعة والنشأة الثانية. وقوله " ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون " قيل: معناه يئسون، وقيل: يتحIRON، وقيل: تنقطع حججهم، فالابلاس التحير عند لزوم الحجة، فالمجرم يبلس يوم القيامة، لأنه تظهر جلائل آيات الآخرة التي تقع عندها على الضرورة فيتحير أعظم الحيرة، قال العجاج:

يا صاح هل تعرف رسما مكرسا\* قال نعم أعرفه وأبلسا (١)

وقوله " ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء " أي لم يكن في أوثانهم التي كانوا يعبدونها من دون الله، ويزعمون أنها تشفع لهم عند الله من يشفع لهم. وقيل: شركاؤهم لأنهم كانوا يجعلون لها نصيبا في أموالهم. وقيل: شركاؤهم الذين جعلوهم شركاء في العبادة " وكانوا بشركائهم كافرين " أي يجحدون شركاءهم ذلك اليوم، لأنه يحصل لهم المعرفة بالله ضرورة. وأصل الشرك إضافة الملك إلى اثنين فصاعدا على طريق القسمة التي تمنع من اضافته إلى الواحد، فالانسان على هذا يكون شريكا لانسان آخر في الشئ إذا ملكاه جميعا، والله تعالى مالك له، ملكه هذا الانسان

---

(١) قد مر في ١ / ١٥٣ و ٢ / ٣٠٩ و ٣ / ٥٧٨ و ٤ / ٥٠٤

أو لم يملكه.

وقوله " ويوم تقوم الساعة " يعني القيامة " يومئذ يتفرقون " قيل:  
يتميز المؤمنون من الكافرين. وقيل: معناه لا يلوي واحد منهم على حاجة  
غيره، ولا يلتفت إليه، وفي ذلك نهاية الحث على الاستعداد والتأهب  
لذلك المقام.

ثم قال " فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات " يعني صدقوا بتوحيد الله  
وصدق رسله، وعملوا الصالحات، وتركوا القبائح " فهم في روضة يحبرون "  
أي يسرون سرورا تبين أثره عليهم، ومنه الحبرة وهي المسرة، ومنه الحبر  
العالم، والتحبير التحسين الذي يسر به. وإنما خص ذكر الروضة - ههنا -  
لأنه لم يكن عند العرب شيء أحسن منظرا ولا أطيب ريحا من الرياض، كما  
قال الشاعر:

ما روضة من رياض الحزن معشبة \* خضراء جاد عليها مسبل هطل  
يضاحك الشمس منها كوكب شرق \* مؤزر بعميم النبت مكتهل  
يوما بأطيب منها نشر رائحة \* ولا بأحسن منها إذ دنا الأصل (١)  
والحبرة هي السرور والغبطة، قال العجاج:

فالحمد لله الذي أعطى الحبر \* موالى الحق إن المولى شكر (٢)  
ثم بين تعالى أن الكفار في ضد ما فيه أهل الجنة، فقال " وأما الذين  
كفروا " بنعم الله وجحدوا آياته ثم أنكروا لقاء ثوابه وعقابه يوم القيامة  
" فهم في العذاب محضرون " أي محضرون فيها، ولفظة الاحضار لا تستعمل إلا

---

(١) قائله الأعشى ديوانه (دار بيروت) ١٤٥

(٢) اللسان (حبر)

فيما يكرهه الانسان، ومنه حضور الوفاة، ويقال: احضر فلان مجلس السلطان إذا جرى به بما لا يؤثره، والاحضار إيجاد ما به يكون الشيء حاضرا إما بإيجاد عينه كاحضار المعنى في النفس أو بإيجاد غيره، كإيجاد ما به يكون الانسان حاضرا.

ثم قال تعالى " سبحان الله " أي تنزيها لله تعالى مما لا يليق به ولا يجوز عليه من صفات نقص أو ينافي عظمه، وما اختص به من الصفات. وقوله " حين تمسون وحين تصبحون " فالامساء الدخول في المساء، والمساء مجيء الظلام بالليل، والاصباح نقيضه، وهو الدخول في الصباح، وهو مجيء ضوء النهار. ثم قال " وله الحمد في السماوات " يعني الثناء والمدح في السماوات " والأرض وعشيا " أي وفي العشي " وحين تظهرون " أي حين تدخلون في الظهيرة وهي نصف النهار. وإنما خص تعالى العشي والاظهار في الذكر بالحمد وإن كان الحمد واجبا في جميع الأوقات، لأنها أحوال تذكر باحسان الله، وذلك أن انقضاء احسان أول إلى احسان يقتضي الحمد عند تمام الاحسان والاختد في الآخر، كما قال تعالى " وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين " (١).

وقيل: إن هذه الآية تدل على الصلوات الخمس في اليوم واللييلة، لان قوله " حين تمسون " يقتضي المغرب والعشاء الآخرة " وحين تصبحون " يقتضي صلاة الفجر \* (وعشيا) \* يقتضي صلاة العصر \* (وحين تظهرون) \* يقتضي صلاة الظهر - ذكره ابن عباس، ومجاهد - .  
ثم اخبر تعالى انه الذي \* (يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي) \*

---

(١) سورة ١٠ يونس آية ١٠

قال ابن عباس وابن مسعود: معناه يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي فإنه يخرج الانسان وهو الحي من النطفة، وهي الميتة، ويخرج الميتة وهي النطفة من الانسان وهو حي. وقال قتادة: يخرج المؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن.

وقوله \* (ويحي الأرض بعد موتها) \* اي يحييها بالنبات بعد جدوبها، ولا يجوز أن يكون المراد إحياء الأرض حقيقة، كما لا يكون الانسان أسدا حقيقة إذا قيل فلان أسد، لأنه يراد بذلك التشبيه والاستعارة، فكذلك إحياء الأرض بعد موتها، كأنها تحيا بالنبات الذي فيها. وقوله \* (وكذلك تخرجون) \* قرأ أهل الكوفة إلا عاصما والأعشى من طريق الطبري - بفتح التاء - أضاف الفعل الذي هو الخروج إليهم. الباقيون - بالضم - بمعنى يخرجهم الله، والمعنيان قريبان، لأنهم إذا أخرجوا، فقد خرجوا، والمعنى مثل ما يخرج النبات من الأرض كذلك يخرجكم الله بعد ان لم يكن كذلك، تخرجون إلى دار الدنيا بعد ان لم تكونوا، ويعيدكم يوم القيامة بعد ان كنتم قد أعدمكم الله أي لا يشق عليه ذلك. كما لا يشق عليه هذا.

ثم قال تعالى \* (ومن آياته) \* أي أدلته الواضحة \* (ان خلقكم من تراب) \* يعني انه خلق آدم الذي هو أبوكم وأصلكم - في قول قتادة وغيره - \* (ثم إذا أنتم بشر تنتشرون) \* من نسله وذريته، و \* (تتفرقون) \* في أطراف الأرض فهلا دلكم ذلك على أنه لا يقدر على ذلك غيره تعالى؟ وانه الذي يستحق العبادة دون غيره من جميع خلقه.

وفي هذه الآيات - دلالة واضحة على صحة القياس العقلي، وحسن النظر بلا شك، بخلاف ما يقول قوم: ان النظر باطل. فأما دلالة على القياس

الشرعي فبعيد لا يعول على مثله.

قوله تعالى:

\* (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون (٢١) ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين (٢٢) ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاءكم من فضله إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون (٢٣) ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتا إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون (٢٤) ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون) \* (٢٥) خمس آيات بلا خلاف.

روى حفص عن عاصم "العالمين" بكسر اللام الأخيرة. الباقيون بفتحها فمن كسرهما أسند (الآيات) إلى العلماء، لأنهم الذين ينظرون فيها، ويعتبرون بها، كما قال "هدى للمتقين" (١) ومن فتح اللام أسند (الآيات) إلى جميع

---

(١) سورة ٢ البقرة ٢

(٢٣٩)



المكلفين الذين يتمكنون من الاستدلال بها والاعتبار بها، سواء كانوا عالمين بها أو جاهلين، لان الامكان حاصل لجميعهم وهو أعظم فائدة.

يقول الله سبحانه مخاطبا لخلقه منها لهم على توحيده وإخلاص العبادة له  
ب " أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها " والنفس هي الذات في الأصل ثم يستعمل على وجه التأكيد لقولهم: رأيت زيدا نفسه، ويعبر بها عن الروح وغير ذلك. وقد بيناه (١) وقال قتادة المعنى - ههنا - أنه خلقت حواء من ضلع آدم. وقال غيره: المعنى خلق لكم من شكل أنفسكم أزواجا، وقال الجبائي: المعنى خلق أزواجكم من نطفكم. قال البلخي: وذلك يدل على قوله " هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها، فلما تغشاها حملت حملا خفيفا " (٢) انه يريد بعض الخلق دون بعض. والزوجة المرأة التي وقع عليها عقد النكاح. والزوج الرجل الذي وقع عليه عقد النكاح. وقد يقال: للمرأة زوج إذا لم يلبس للاشعار بأنهما نظيران في عقد النكاح عليهما قال الله تعالى " اسكن أنت وزوجك الجنة " (٣) وقوله \* (لتسكنوا إليها) \* يعني سكون إنس وطمأنينة، بأن الزوجة من النفس إذ هي من جنسها ومن شكلها فهو أقرب إلى الألفة والميل بالمودة منها لو كانت من غير شكلها. وقوله \* (وجعل بينكم مودة ورحمة) \* أي جعل بينكم رقة التعطف إذ كل واحد من الزوجين يرق على الآخر رافة العطف عليه، بما جعله الله في قلب كل واحد لصاحبه ليتم سروره.

---

(١) انظر ٥ / ٦٣ - ٦٤

(٢) سورة ٧ الأعراف آية ١٨٨

(٣) سورة ٢ البقرة آية ٣٥ وسورة ٧ الأعراف آية ١٨

ثم قال \* (إن في ذلك) \* يعني في خلق الأزواج مشاكلة للرجال \* (آيات) \* أي لدلالات واضحات \* (لقوم يتفكرون) \* في ذلك ويعتبرون به، والفكر والاعتبار والنظر واحد، فالفكر في أن الأزواج لأي شيء خلقت؟ ومن خلقها؟ ومن أنعم بها؟ ومن جعلها على الأحوال التي يعظم السرور بها؟ وكيف لا يقدر أحد من العباد على ذلك؟ وذلك من أعظم الدلالة على أن لها خالقاً مخالفاً لها ومنشئاً حكيماً يستحق العبادة، ولا يستحقها غيره.

ثم نبه على آية أخرى فقال \* (ومن آياته) \* الدالة على توحيده ووجوب اخلاص العبادة له " خلق السماوات والأرض " وما فيهما من عجائب خلقه من النجوم والشمس والقمر وجريانها على غاية الحكمة والنظام الذي يعجز كل أحد عنها وبما في الأرض من أنواع الأشجار والنبات وأصناف الجمادات التي ينتفع بها وفنون النعم التي يكثر الانتفاع بها " واختلاف ألستكم وألوانكم " فالألجنة جمع لسان، واختلافها ما بناها الله تعالى، وهيئاتها مختلفة في الشكل والهيئة وتأتي الحروف بها " واختلاف ألستكم " أي اختلاف مخارجها التي لا يمكن الكلام إلا بكونها كذلك. وقال قوم: المراد بالألجنة اختلاف اللغات، وهو جواب من يقول: إن اللغات أصلها من فعل الله دون المواضعة. فأما من يقول: اللغات مواضعة فإن تلك المواضعة من فعلهم دون فعل الله، غير أنه لما كانت الآلات التي تتأتى بها هذه الضروب لا يقدر على تهيئها كذلك غير الله جاز أن تضاف اللغات إليه تعالى على ضرب من المجاز " وألوانكم " أي واختلاف ألوانكم من البياض والحمرة والشقرة والصفرة، وغير ذلك " ان في ذلك آيات " أي إن في خلق جميع ذلك لدلالات واضحات لجميع خلقه الذين خلقهم، وأكمل عقولهم

ومن كسر اللام أضاف الاعتبار بها إلى العلماء، لأنهم المنتفعون بها دون غيرهم فكأنها خلقت لهم دون غيرهم، كما قال " هدى للمتقين " (١) وإن كانت لجميع المكلفين.

ثم قال " ومن آياته " الدالة على توحيده وإخلاص العبادة له \* (منامكم بالليل والنهار) \* فالمنام والنوم واحد، لأن في النوم راحة للأجساد من الكد الذي يلحقها، والتعب الذي يصيبها \* (وابتغواكم) \* أي طلبكم المعاش وما ينفعكم \* (من فضله) \* أي مما يتفضل الله به عليكم. قال البلخي: ويجوز أن يكون المراد بالابتغاء المبتغى، فلذلك كان دلالة عليه دون فعل العباد، وإنما يكون فعل الله دلالة عليه لما كان باقداره وإهدائه إلى مراشده وترغيبه فيه وتسهيله له \* (إن في) \* خلق الله تعالى \* (ذلك لآيات) \* واضحات على توحيده \* (لقوم يسمعون) \* ذلك ويقبلونه ويفكرون فيه، لأن من لا يفكر فيه ولا ينتفع به كأنه لم يسمعه.

ثم قال \* (ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً) \* والبرق نار تحدث في السحاب، بين تعالى أنه إنما يخلقه ليخافوا من عذابه بالنار على معصيته والكفر به، ويطمعوا في أن يتعقب ذلك مطر فينتفعون به \* (وينزل من السماء ماء) \* يعني غيثاً ومطراً \* (فيحيي به الأرض بعد موتها) \* أي بعد انقطاع الماء عنها وجدوبها. وقيل: \* (خوفاً) \* من المطر في السفر \* (وطمعاً) \* فيه في الحضر. وقيل: \* (خوفاً) \* من الصاعقة \* (وطمعاً) \* في الغيث \* (إن في) \* خلق الله \* (ذلك لآيات) \* أي دلالات واضحة \* (لقوم يعقلون) \* أي يفكرون فيه، لأن من لا يفكر فيه ولا ينتفع به وإن كان عاقلاً، فكأنه لا عقل له، وقيل:

---

(١) سورة ٢ البقرة آية ٢

في قوله \* (ومن آياته يريكم البرق) \* ثلاثة أقوال:  
أحدهما - ان تقديره ومن آياته أن يريكم. فحذف (أن) كما قال طرفة:  
ألا ايهذا اللائمي احضر الوغى \* وأن اشهد اللذات هل أنت مخلدي (١)  
الثاني - انه حذف (أنه) لدلالة (من) عليها، كما قال الشاعر:  
وما الدهر إلا تارتان فمنهما \* أموت وأخرى أبتغي العيش أكدح (٢)  
أي فتارة أموت. وفي الآية حذف تقديره: ومن آياته آية يريكم البرق.  
الثالث - ويرىكم البرق من آياته على التقديم والتأخير من غير حذف.  
ثم قال \* (ومن آياته) \* الدالة على ما ذكرناه \* (أن تقوم السماء والأرض  
بأمره) \* بلا دعامة تدعمها ولا علاقة تعلق بها، بل لان الله تعالى يسكنها حالا بعد  
حال لأعظم دلالة على أنه لا يقدر عليه سواه \* (ثم إذا دعاكم دعوة من  
الأرض) \* أي أخرجكم من الأرض ومن قبوركم بعد أن كنتم أمواتا يبعثكم  
ليوم الحساب فعبّر عن ذلك بما هو بمنزلة الدعاء، وبمنزلة \* (كن فيكون) \* في  
سرعة تأتي ذلك، وامتناع التعذر عليه، وإنما ذكر هذه المقدورات على اختلافها  
وعظم شأنها ليدل على أنه القادر الذي لا يعجزه شيء. وفي الآيات دلالة  
واضحة على فساد مذهب القائلين بان المعارف ضرورية لأنها لو كانت ضرورة  
لم يكن للتنبيه على هذه الأدلة وجه ولا فائدة فيه لان ما يعلم ضرورة لا يمكن  
الاستدلال عليه.

(١) ديوانه (دار بيروت) ٣٢ وقد مر في ١ / ٣٢٧ من هذا الكتاب  
(٢) قائله ابن مقبل، الكتاب لسيبويه وقد مر في ٣ / ٢١٢ و ٤ / ٧٧ من  
هذا الكتاب.

قوله تعالى:

\* (وله من في السماوات والأرض كل له قانتون (٢٦) وهو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم (٢٧) ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم من ما ملكت أيمانكم من شركاء في ما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون (٢٨) بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم فمن يهدي من أضل الله ومالهم من ناصرين (٢٩) فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) \* (٣٠) خمس آيات بلا خلاف.

يقول الله تعالى بعد أن ذكر ما يدل على توحيده، وإخلاص العبادة له أن \* (له من في السماوات والأرض) \* من العقلاء فإنه يملكهم ويملك التصرف فيهم، وليس لاحد منعه منه والاعتراض عليه، وخص العقلاء بذلك لان ما عداهم في حكم التبعية.

ثم اخبر عن جميع من في السماوات والأرض بأنهم قانتون له. قال مجاهد:

(٢٤٤)

معناه مطيعون وقال ابن عباس: معناه مصلون. وقال عكرمة: مقرون له بالعبودية. وقال الحسن: كل له قائم بالشهادة فالقانت الدائم على أمر واحد فالملائكة وغيرهم من المؤمنين دائمون على أمر واحد في الذلة لله في لزوم الطاعة لله تعالى، والكافرون وغيرهم من الفساق دائمون على أمر واحد في الذلة لله - عز وجل - إلا أن منهم من هو بخلقته وفعله، ومنهم من هو بخلقته. ثم قال تعالى \* (وهو الذي يبدؤ الخلق) \* أي يخترعهم ابتداء وينشئهم " ثم يعيده " إذا أعده \* (وهو أهون عليه) \* قال ابن عباس وقتادة ومجاهد: أي هو أيسر، وكل هين. وروي عن ابن عباس أيضا: إن معناه وهو هين عليه، ف (افعل) بمعنى (فاعل) وقال بعضهم \* (وهو أهون) \* على الخلق، لأن الانشاء أولا من نطفة إلى علقة ومن علقة إلى مضغة على التدريج، وفي الإعادة يعادون دفعة واحدة، وحكي عن ابن عباس: أنه قال المعنى وهو أهون عليه عندكم، لأنكم أقررتم بأنه يبدؤ الخلق، فإعادة الشئ عند المخلوقين أهون من ابتدائه، قال الشاعر - في أهون بمعنى هين: تمنى رجال أن أموت وإن أمت \* فتلك سبيل لست فيها بأوحد (١) أي بواحد. وقال الراجز: قبحتموا يا آل زيد نفرا \* الام قوم أصغرا وأكبرا أي صغيرا وكبيرا، وقال معن بن أوس: لعمرك ما أدري واني لاوجل \* على أينا تعدو المنية أول (٢) أي لواجل. والله أكبر بمعنى تكبير. ويقال للسلطان: الأعظم

(١) قد مر في ٧ / ١٦١

(٢) قد مر في ٥ / ٩١

بمعنى عظيم.

وقوله \* (وله المثل الاعلى في السماوات والأرض) \* قال قتادة وهو قول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لأنه دائم في السماوات والأرض، يقول الثاني فيه كما قال الأول. وقيل: المعنى وله الصفة العليا، لأنها دائرة يصفه بها الثاني كما يصفه بها الأول. وقيل: النشأة الثانية يا أهل الكفر ينبغي أن تكون أهون عليه. ثم قال \* (وله المثل الاعلى) \* فذلك دليل على أنه مثل ضربه الله. ذكره الفراء.

وقوله \* (وهو العزيز الحكيم) \* يعني في انتقامه من أعدائه، الحكيم في تدبيره لخلقه. ثم قال \* (ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم من ما ملكت أيمانكم من شركاء في ما رزقناكم فأنتم فيه سواء) \* المعنى إنكم إذا لم ترضوا في عبيدكم أن يكونوا شركاء لكم في أموالكم وأملأكم، فكيف ترضون لربكم أن يكون له شركاء في العبادة!! وقال قتادة: كما لا ترضون أن يكون عبيدكم شركاءكم في فراشكم وأزواجكم كذلك لا ترضوا في ربكم الذي خلقكم أن يعدل به أحد من خلقه فيشرك بينهما في العبادة.

وقوله \* (تخافونهم كخيفتكم أنفسكم) \* قال أبو مخلد: معناه تخافون عبيدكم أن يشاركوكم في أموالكم كما تخافون الشريك من نظرائكم. وقيل: تخافون أن يرثوكم كما يرث بعضكم من بعض - ذكره ابن عباس - وقيل: معناه تخافونهم كخيفتكم أنفسكم في اتلاف المال بانفاقه.

ثم قال \* (كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون) \* أي كما ميزنا لكم هذه الأدلة نفصل الأدلة لقوم يعقلون، فيتدبرون ذلك ويفكرون فيها. وقال سعيد ابن جبير: كان أهل الجاهلية إذا لبوا قالوا: لبيك اللهم لبيك لا شريك

لك إلا شريك هولك تملكه وما ملك. فأنزل الله الآية ردا. عليهم وإنكار لقولهم  
ثم قال تعالى \* (بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم) \* معناه إن هؤلاء الكفار  
لم يتفكروا في أدلة الله، ولا انتفعوا بها بل اتبعوا أهواءهم وشهواتهم بغير علم  
منهم بصحة ما اتبعوه.

ثم قال \* (فمن يهدي من أضل الله) \* وقيل: المعنى من يهدي إلى  
الثواب من أضله الله عنه. وقيل: المعنى من يحكم بهداية من حكم الله  
بضلالته. ثم قال \* (وما لهم من ناصرين) \* أي ليس لهم من ينصرهم ويدفع  
عذاب الله إذا حل بهم.

ثم قال تعالى مخاطبا لنبيه صلى الله عليه وآله والمراد به جميع المكلفين \* (فأقم وجهك  
للدين حنيفا) \* أمرهم الله بأن يوجهوا عبادتهم إلى الله على الاستقامة دون  
الاشراك في العبادة. ثم قال \* (فطرة الله التي فطر الناس عليها) \* قال مجاهد:  
فطرة الله الاسلام. وقيل: فطر الناس عليها ولها وبها بمعنى واحد، كما  
يقول القائل لرسوله: بعثتك على هذا ولهذا وبهذا بمعنى واحد. ونصب  
\* (فطرة الله) \* على المصدر، وقيل تقديره: اتبع فطرة الله التي فطر الناس  
عليها، لان الله تعالى خلق الخلق للايمان، ومنه قوله صلى الله عليه وآله (كل مولود يولد  
على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه) ومعنى الفطر الشق ابتداء  
يقولون: أنا فطرت هذا الشيء أي أنا ابتدأته، والمعنى خلق الله الخلق  
للتوحيد والاسلام.

وقوله \* (لا تبديل لخلق الله) \* قال مجاهد وقتادة وسعيد بن جبیر  
والضحاك وابن زيد وإبراهيم: لا تبديل لدين الله الذي أمركم به من توحيده  
وعدله وإخلاص العبادة له، وهو قول ابن عباس وعكرمة. وقيل: المراد نفي



الخطأ. ثم قال \* (ذلك الدين القيم) \* أي ما بيناه من التوحيد والعدل وإخلاص العبادة لله هو الدين القيم أي المستقيم الذي يجب اتباعه \* (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) \* صحة ذلك لعدولهم عن النظر فيه. قوله تعالى:

\* (منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين (٣١) من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كان حزب بما لديهم فرحون (٣٢) وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين إليه ثم إذا أذاقهم منه رحمة إذا فريق منهم بربهم يشركون (٣٣) ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون (٣٤) أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون) \* (٣٥) خمس آيات بلا خلاف.

قرأ حمزة والكسائي وابن عامر \* (فارقوا) \* بألف وتخفيف الراء. الباقر بغير الف وتشديد الراء. من قرأ بألف أراد: فارقوا دينهم الذي أمروا باتباعه. ومن شدد أراد: انهم اختلفوا في دينهم. قوله \* (منيبين إليه) \* نصب على الحال وتقديره فأقم وجهك للدين يا محمد أنت والمؤمنون منيبين إلى الله، ولا يجوز أن يكون حالا \* (من فطرة الله التي فطر الناس عليها) \* لأنه ما فطرهم منيبين، والإنابة الانقطاع إلى الله تعالى

بالطاعة وأصله على هذا القطع. ومنه الناب، لأنه قاطع، وأنا ب في الامر  
إذا نشب فيه، كما ينشب الناب المقاطع، ويجوز أن يكون من ناب ينوب  
إذا رجع مرة بعد مرة، فيكون على هذا الإنابة التوبة التي يجددها مرة  
بعد مرة.

ثم قال \* (واتقوه) \* أي اجتنبوا معاصيه، واتقوا عقابه \* (وأقيموا  
الصلاة) \* التي أمركم الله تعالى بها أي دوموا عليها، وقوموا بأدائها، فالصلاة  
وإن كانت في حكم المجمل، ولم يبين شروطها - في الآية - فقد أحال على بيان  
النبي صلى الله عليه وآله هذا إذا أراد بالصلاة تعريف الجنس، وإن أراد العهد الذي  
استقر في الشرع، فهو على ما قد استقر في الشرع \* (ولا تكونوا من المشركين) \*  
نهى لهم عن أن يكونوا من جملة من أشرك بعبادة الله سواه، ثم قال \* (من  
الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا) \* قال الفراء: يجوز أن يكون التقدير: ولا  
تكونوا من المشركين من جملة الذين فرقوا دينهم، ويجوز أن يكون من الذين  
فرقوا ابتداء، وتقديره الذين تفرقوا وكانوا شيعا \* (كل حزب بما لديهم فرحون) \*  
فالتفريق جعل أحد الشيئين مفارقا لصاحبه وضده الجمع، وهو جمع أحد  
الشيئين إلى صاحبه، فتفريق الدين جعل أحدهما ليس مع الآخر في معنى ما  
يدعو إليه العقل، وهو منكر لمخالفته داعي العقل، والدين العمل الذي يستحق  
به الجزاء، ودين الاسلام العمل الذي عليه الثواب. ولو جمعوا دينهم في أمر الله  
ونهيه لكانوا مصيبين، ولكنهم فرقوا بإخراجه عن حد الأمر والنهي من الله  
وكانوا بذلك مبطلين خارجين عن الحق الذي أمر الله به. ومن قرأ \* (فارقوا) \*  
بألف أراد: فارقوا دينهم الذي أمرهم الله باتباعه.

وقوله \* (وكانوا شيعة) \* أي فرقا، والشيع الفرق التي يجتمع كل فريق منها على مذهب، خلاف مذهب الفريق الآخر، وشيعة الحق هم الذين اجتمعوا على الحق. وكذلك شيعة أمير المؤمنين عليه السلام هم الذين اجتمعوا معه على الحق وقال قتادة: المعنى بقوله \* (من الذين فرقوا دينهم) \* اليهود والنصارى، وقال غيره: كل من خالف دين الحق الذي أمر الله به داخل فيه وهو أعم فائدة. ثم أخبر تعالى أن \* (كل حزب) \* أي كل فريق \* (بما لديهم فرحون) \* من الاعتقاد الذي يعتقدونه يسرون به لاعتقادهم أنه الحق دون غيره. وقوله " وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين إليه " قال الحسن: إذا أصابهم مرض أو فقر دعوا الله تعالى راجعين إليه مخلصين في الدعاء له " ثم إذا أذاقهم منه رحمة " بأن يعافيه من المرض أو يغنيهم من الفقر نعمة منه تعالى عليهم " إذا فريق منهم بربهم يشركون " أي يعودون إلى عبادة غير الله بخلاف ما يقتضي العقل في مقابلة النعمة بالشكر. ثم بين أنهم يفعلون ذلك " ليكفروا بما آتيناهم " أي بما آتاهم الله من نعمه. ثم قال تعالى مهددا لهم " فتمتعوا " أي انتفعوا بهذه النعم الدنيوية كيف شئتم " فسوف تعلمون " ما فيه من كفركم ومعصيتكم أي تصيرون في العاقبة إلى عذاب الله وأليم عقابه. وقوله " أم أنزلنا عليهم سلطانا " أي هل أنزلنا عليهم برهانا وحجة يتسلطون به على ما ذهبوا إليه، ويحتمل أن يكون المراد هل أرسلنا إليهم رسولا فإذا حمل على البرهان، فهو بمنزلة الناطق بالامر لاظهاره إياه. وقوله " فهو يتكلم بما كانوا به يشركون " أي هل أنزلنا عليهم سلطانا أي رسولا يتكلم بأننا أرسلناه بما يدعونه من الاشرار مع الله في العبادة، فإنهم لا يقدرون على ذلك ولا يمكنهم ادعاء حجة عليه ولا برهان، والكلام وإن خرج مخرج

الاستفهام فالمراد به التبكيت.

قوله تعالى:

\* (وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون (٣٦) أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون (٣٧) فلت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون (٣٨) وما آتيتم من ربا ليربوا في أموال الناس فلا يربوا عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون (٣٩) الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون) \* (٤٠) خمس آيات بلا خلاف.

قرأ نافع وأبو جعفر " لتربوا " بالتاء وسكون الواو، الباقون بالياء وفتح الواو، وقرأ ابن كثير " وما آتيتم من ربا " بالقصر. الباقون بالمد. واتفقوا على المد في قوله " وما آتيتم من زكاة " وقرأ حمزة والكسائي وخلف " عما يشركون " بالياء. الباقون بالتاء. قال أبو علي: المعنى وما آتيتم من هدية

أهديتموها لتعوضوا أكثر منها، فلا يربو عند الله، لأنكم قصدتم زيادة العوض دون وجه الله، وهو كقوله " ولا تمنن تستكثر " (١) فمن مد أراد أعطيت من قوله " فآتاهم الله ثواب الدنيا " (٢) ومن قصره فالمعنى يؤول إلى قول من مد إلا أنه على لفظ (فعلتم) ومدهم لقوله " وما آتيتم من زكاة " فلقوله " وإيتاء الزكاة " (٣) ولو قال آتيت الزكاة لجاز أن يعني به: فعلتها ولكن لفظ القرآن على الإيتاء. ومن ضم " لتربوا " فالمعنى لتصيروا ذوي زيادة في ما آتيتم من أموال الناس أي يستدعونها من أربى إذا صار ذا زيادة مثل أقطف واضرب. ومن فتح أسند الفعل إلى الربا المذكور وقدر المضاف، فحذفه كما قيل: اجتذاب أموال الناس واجتلابه. ويجوز ذلك. وسمي هذا المدفوع على هذا الوجه ربا لما كان فيه من الاستزادة.

يقول الله تعالى مخبرا عن خلقه بأنه إذا أذاقهم رحمة من عنده بأن ينعم عليهم بضروب النعم ويصح أجسامهم ويدر أرزاقهم ويكثر مواشيهم وغير ذلك من النعم، إنهم يفرحون بذلك ويسرون به ف (إذا) شرط وجوابه " فرحوا بها " وإنما جاء الجزاء ب (إذا) ولم يجرى ب (حين)، لان (إذا) أشبه بالفاء من جهة البناء، والزم للفعل من جهة أنه لا يضاف إلى مفرد، فصار بمنزلة الفاء في ترتيب الفعل، وليس كذلك (حين). وشبه إدراك الرحمة بإدراك الطعام، فسماه ذوقا. " وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم " هو اخبار منه تعالى أنه إن أصابهم عذاب من الله تعالى جزاء على ما كسبته أيديهم " إذا هم يقنطون "

---

(١) سورة ٧٤ المدثر آية ٦

(٢) سورة ٣ آل عمران آية ١٤٨

(٣) سورة ٢٤ النور آية ٣٧ وسورة ٢١ الأنبياء آية ٧٣

أي يأسون من رحمة الله، والقنوط اليأس من الفرج، قال جهد الأرقط:  
قد وجدوا الحجاج غير قانط (١)

وإنما قال " بما قدمت أيديهم " ولم يقل بما قدموا على التغليب للأكثر الأظهر، لان أكثر العمل وأظهره لليدين، والعمل بالقلب وإن كان كثيرا فهو أخفى، وإنما يغلب الأظهر. ويجوز أن يكون ما يصيبهم - من مصائب الدنيا والآلام بها - بعض العقاب، فلذلك قال " بما قدمت أيديهم " ويجوز أن يكون لما فعلوا المعاصي اقتضت المصلحة أن يفعل بهم ذلك، وإن لم يكن عذابا.

ثم قال تعالى منبها لهم على توحيده " أولم يروا " أي أو لم يفكروا فيعلموا " ان الله يبسط الرزق " أي يوسعه " لمن يشاء ويقدر " أي ويضيق على من يشاء على حسب ما تقتضيه مصالحهم، وبسط الرزق الزيادة على مقدار القوت منه بما يظهر حاله، واصل البسط نشر الشيء بما يظهر به طوله وعرضه، وبسط الرزق مشبه به. ثم قال " إن في ذلك " يعني في البسط للرزق لقوم وتضييقه لقوم آخرين " آيات " أي لدلالات " لقوم يؤمنون " بالله، لأنهم يعلمون ان ذلك من فضل الله الذي لا يعجزه شيء.

ثم خاطب نبيه صلى الله عليه وآله فقال " فلت ذا القربى حقه " أي اعط ذوي قرباك يا محمد حقوقهم التي جعلها الله لهم في الأحماس - وهو قول مجاهد - وقيل: إنه لما نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وآله اعطى فاطمة فدكا، وسلمه إليها

- روى ذلك أبو سعيد الخدري وغيره - وهو المشهور عن أبي جعفر، وأبي عبد الله عليهما السلام. وقال السدي: الآية نزلت في قرابة النبي صلى الله عليه وآله. وقال قوم:

---

(١) مجاز القرآن ٢ / ١٢٢

المراد به قرابة كل انسان. والأول أظهر، لأنه خطاب للنبي صلى الله عليه وآله " والمسكين وابن السبيل " تقديره واعط - أيضا - المسكين، وهو الفقير، وابن السبيل وهو المنقطع به حقوقهم التي جعلها الله لهم في الصدقات وغيرها، والخطاب وإن كان متوجها إلى النبي صلى الله عليه وآله فهو متوجه إلى جميع المكلفين. ثم قال " ذلك خير " يعني اعطاء الحقوق المستحقة خير " للذين يريدون وجه الله " بالاعطاء دون الرياء والسمعة " وأولئك هم المفلحون " الفائزون بثواب الله. ثم قال " وما أتيتم من ربا ليربوا في أموال الناس " قال ابن عباس: هو اعطاء الرجل العطية ليعطى أكثر منها لأنه لم يرد بها طاعة الله. وقال ابن عباس: وأبو جعفر الربوا رباءان أحدهما - حلال، والآخر حرام، فالأول هو ان يعطي الانسان غيره شيئا لا يطلب أكثر منه فهو مباح، ولا يربوا عند الله. والآخر - الربوا الحرام. وقال ابن طاوس عن أبيه: إذا أهدى الرجل الهدية ليهدى له أفضل منها فليس فيه أجر ولا وزر، وكلما فعله الفاعل على أن حسن للشهوة فليس فيه حد ولا أجر، وشهوته وشهوة غيره في هذا سواء. وقيل: المعني في الآية التزهيد في الربو، والترغيب في اعطاء الزكاة وقال الحسن: هو كقوله " يحق الله الربوا ويربي الصدقات " (١) ولا خير في العطية إذا لم يرد بها وجه الله. وقال الجبائي: وما أتيتم من ربا لتربوا بذلك أموالكم " فلا يربو " لأنه لا يملكه المرابي بل هو لصاحبه، ولا يربو " عند الله " لأنه يستحق به العقاب، واعطاء المال قد يقع على وجوه كثيرة فمنه إعطاؤه على وجه الصدقة. ومنه إعطاؤه على وجه الهدية. ومنه الصلة. ومنه الودائع. ومن ذلك قضاء

---

(١) سورة ٢ البقرة آية ٢٧٦

الدين، ومنه البر ومنه الزكاة. ومنه القرض. ومنه النذر وغير ذلك. ثم قال " وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله " أي ما أخرجتموه على وجه الزكاة وأعطيتموه أهله تريدون بذلك وجه الله دون الربو " فأولئك هم المضعفون " أي يضاعف لهم الحسنات كقوله " من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها " (١) وقال الكلبي: تضاعف أمواله في الدنيا، فالمضعف ذو الأضعاف كما أن الميسر ذو اليسار.

ثم خاطب تعالى خلقه فقال " الله الذي خلقكم " بعد ان لم تكونوا موجودين " ثم رزقكم " من أنواع الملاذ وملكمكم التصرف فيها وأباحها لكم " ثم يميئتمكم " بعد ذلك إذا شاء ليصح ايصالكم إلى ما عوضكم له من الثواب " ثم يحييكم " ليجازيكم على أفعالكم على الطاعات بالثواب وعلى المعاصي بالعقاب " هل من شركائكم " الذين عبدتموهم من دون الله " من يفعل من ذلكم من شيء " أو يقدر عليه فيجوز لذلك توجه العبادة إليه فإنهم لا يقدر على أن يقولوا: نعم يقدر على عليه وإنما يعترفون بعجزها عن ذلك، فيعلموا عند ذلك أنها لا تستحق العبادة فلذلك نزه نفسه عقيب ذلك عن أن يشرك معه في العبادة ويتخذ معه معبودا سواه فقال " سبحانه وتعالى عما يشركون " فمن قرأ بالياء وجه الخطاب إلى الغائب. ومن قرأ بالتاء وجهه إلى المخاطبين، وفي ذلك تنبيههم على وجوب ضرب الأمثال لله تعالى دون غيره من المخلوقات. قوله تعالى:

\* (ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس

---

(١) سورة ٦ الانعام آية ١٦٠



ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون (٤١) قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين (٤٢) فأقم وجهك للدين القيم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون (٤٣) من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحاً فلأنفسهم يمهّدون (٤٤) ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله إنه لا يحب الكافرين) \* (٤٥) خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ابن كثير - في رواية ابن مجاهد - عن قنبل وروح " لنذيقهم " بالنون. الباقر بالياء. فمن قرأ بالنون فعلى وجه اخبار الله عن نفسه أنه الذي يذيقهم. ومن قرأ بالياء فالمعنى ليذيقهم الله بعض الذي عملوا. يقول الله تعالى " ظهر الفساد في البر والبحر " قيل: فساد البر هو ما يحصل فيها من المخاوف المانعة من سلوكه، ويكون بخذلان الله عز وجل لأهل العقاب به، وفساد البحر اضطراب أمره حتى لا يكون متصرفاً فيه، وكل ذلك ليرتدعوا عن معاصيه. وقال قتادة: المعنى ظهر الفساد في أهل البر والبحر فأهل البر أهل البادية وأهل البحر أهل القرى الذين على الأنهار العظيمة ويكون قوله " بما كسبت أيدي الناس " معناه يخلي الله بينهم وبين المعاصي جزاء على ما سبق منهم من المعاصي. وقال مجاهد: البر ظهر الأرض والبحر هو

البحر المعروف، لأنه يؤخذ فيه كل سفينة غصبا. وقيل: البر الأرض القفر والبحر المجرى الواسع للماء عذبا كان أو ملحا، وسمي البر برا، لأنه يبر بصلاح المقام فيه خلاف البحر، ومنه البر لأنه يبر بصلاحه في الغذاء أتم الصلاح. وقيل: الفساد المعاصي ودليله قوله تعالى "والله لا يحب الفساد" (١) والتقدير. ظهر عقاب الفساد في البر والبحر، والظهور خروج الشيء إلى حيث يقع عليه الاحساس والعلم به بمنزلة الإدراك له. وقد يظهر الشيء بخروجه عن وعاء أو وجوده عن عدم أو ظهوره بدليل. وقيل: بالعدل ينبت الله الزرع ويدبر الضرع، وبالظلم يكون القحط وضيق الرزق. وقوله "بما كسبت أيدي الناس" أي جزاء على ما فعله الناس. والكسب فعل الشيء لاجتلاب نفع إلى نفس الفاعل أو دفع ضرر عنه، فالقادر لنفسه يقدر على مثله في الحالتين لاجتلاب نفع إلى غيره أو دفع ضرر عنه، غير أنه لا يوصف بهذه الصفة وإن قدر على مثله. وقوله "ليذيقهم بعض الذي عملوا" معناه ليصيبهم الله بعقوبة بعض أعمالهم التي عملوها من المعاصي "لعلهم يرجعون" أي ليرجعوا عنها في المستقبل، وتقديره فعل الله تعالى القحط والشدائد والجذب وقلة الثمار وهلاك النفوس عقوبة على معاصيهم ليذيقهم بذلك عقاب بعض ما عملوا من المعاصي ليرجعوا عنها في المستقبل، ليذيقهم عقابه غير أنه أجري على بعض العمل لأنهم بذواقهم جزاء كأنهم ذاقوه. وهذا من الحذف الحسن، لأنه حذف المسبب وإقامة السبب الذي أدى إليه مقامه. ثم بين تعالى أنه فعل بهم هذا ليرجعوا عن معاصيه إلى طاعته.

---

(١) سورة ٢ البقرة آية ٢٠٥

ثم خاطب تعالى نبيه صلى الله عليه وآله فقال له " قل " لهم يا محمد " سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين " أي فكروا فيمن تقدم من الأمم التي أشركت بالله أكثرهم، والمؤمنون كانوا قليلين فيهم كيف أهلكهم الله ودمر عليهم.

ثم قال لنبيه صلى الله عليه وآله " فأقم وجهك للدين القيم " ومعناه استقم للدين المستقيم بصاحبه إلى الجنة أي لا يعدل عنه يمينا ولا شمالا، فإنك متى فعلت ذلك أذاك إلى الجنة، وهو مثل قوله " ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم " (١) مجانس فيه للبلاغة ومنه قوله " يوما تتقلب فيه القلوب والابصار " ومنه " يمحق الله الربوا ويربي الصدقات ". " من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون " أي استقيموا على الطريق المستقيم قبل يوم القيامة الذي تفرقون فيه فرقتين، فريق في الجنة وفريق في السعير - ذكره قتادة - وقال الحسن: الدين القيم الطاعة لله.

ثم قال " من كفر " بالله وجحد نعمه " فعليه كفره " أي فعليه جزاء كفره لا يعاقب أحد بذنب غيره، كما قال " ولا ترز وازرة وزر أخرى " (٢) " ومن عمل صالحا " يعني الايمان بالله وأفعال الطاعات " فلأنفسهم يمهدون " والتمهيد والتمكين والتوطيد نظائر أي ثواب ذلك واصل إليهم وتمهد أحوالهم الحسنة عند الله. وقوله " ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله " اخبار منه تعالى أنه الذي يجزي الذين يطيعون الله تعالى ويجتنبون معاصيه ثواب الجنة

---

(١) سورة ٩ التوبة آية ١٢٨

(٢) سورة ٦ الانعام آية ١٦٤ وسورة ١٧ الاسرى آية ١٥ وسورة ٣٥ فاطر آية ١٨ وسورة ٣٩ الزمر آية ٧

من فضله على خلقه " إنه لا يحب الكافرين " أي لا يريد منافعهم ولا ثوابهم، وإنما يريد عقابهم جزاء على كفرهم.  
قوله تعالى:

\* (ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته ولتجري الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون (٤٦) ولقد أرسلنا من قبلك رسلا إلى قومهم فجاءوهم بالبينات فانتقمنا من الذين أجرموا وكان حقا علينا نصر المؤمنين (٤٧) الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون (٤٨) وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين (٤٩) فانظر إلى آثار رحمت الله كيف يحيي الأرض بعد موتها إن ذلك لمحببي الموتى وهو على كل شيء قدير) \* (٥٠) خمس آيات بلا خلاف.

قرأ أبو جعفر وابن ذكوان " كسفا " بسكون السين. الباقيون بتحريكها.  
وقرأ أهل الكوفة وابن عامر " إلى آثار " على الجمع وآماله الكسائي إلا أيا

الحارث. الباقون على التوحيد. من سكن السين من كسف أراد جمع كسفة وهي القطعة الواحدة من السحاب، مثل سدره وسدر. ويحتمل أن يكون الضمير في (خلاله) راجعا إليه. ويحتمل أن يكون راجعا إلى الخلال. ومن فتح السين أعاد الضمير إلى السحاب لا غير. ومن أفرد " اثر " فلانه مضاف إلى مفرد وجاز الجمع لان (رحمة الله) يجوز ان يراد بها الكثرة.

يقول الله تعالى إن من الأدلة الدالة على توحيدي ووجوب اخلاص العبادة لي إرسال الرياح مبشرات بالغيث والمطر. وإرسال الرياح تحريكها واجراؤها في الجهات المختلفة تارة شمالا وتارة جنوبا وصبا، وأخرى دبورا على حسب ما يريده الله ويعلم فيه من المصلحة، وذلك لا يقدر عليه غيره تعالى، لان العباد وإن قدروا على جنس الحركة فلو اجتمع جميع الخلائق من الجن والإنس على أن يردوا الريح إذا هبت شمالا إلى كونها جنوبا وإذا هبت جنوبا إلى كونها شمالا أو صبا أو دبورا لما قدروا عليه، فمن قدر على ذلك يعلم أنه قادر لنفسه لا يعجزه شيء مستحق للعبادة خالصة له، وإنما سماها مبشرات، لأنها بمنزلة الناطقة إذا بشرت بأنه يجيء مطر وغيث يحيى به الأرض لما فيها من إظهار هذا المعنى ودلالاتها على ذلك بجعل جاعل، لأنه من طريق العادة التي أجراها الله تعالى.

وقوله " وليذيقكم من رحمته " معطوف على المعنى، وتقديره أن يرسل الرياح للبشارة والإذاقة من الرحمة " ولتجري الفلك " بها " بأمره ولتبتغوا من فضله " أي تطلبوه، فارسل الرياح لهذه الأمور، ومعنى " لعلكم تشكرون " لتشكروا الله على نعمه. وإنما اتى بلفظ (لعلكم) تلطف في الدعاء إلى الشكر كالتلطف في الدعاء إلى البر، في قوله " من ذا الذي يقرض الله قرضا

حسنا " (١) ثم خاطب نبيه صلى الله عليه وآله على وجه التسلية عن قومه في تكذيبهم إياه فقال " ولقد أرسلنا من قبلك " يا محمد " رسلا إلى قومهم فجاءوهم بالبينات " يعني بالمعجزات، وفي الكلام حذف، لان تقديره فكذبوهم وجحدوا بهم فاستحقوا العذاب " فانتقمنا من الذين أجرموا وكان حقا علينا نصر المؤمنين " أي أوجبناه على نفوسنا أن ننصر المؤمنين من عبادنا.

ثم قال تعالى " الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا " أي تنشئ سحابا فانشاء السحاب وإن كان من فعل الله لكن لما كان السحاب سببا منه جاز أن يسند إليها " فيبسطه في السماء " أي يبسط ذلك السحاب كيف شاء في السماء من كثافة ورقة وغير ذلك " ويجعله كسفا " أي قطعاً - في قول قتادة - " فترى الودق " يعني المطر، قال الشاعر:

فلا مزنة ودقت ودقها \* ولا أرض اقبل اقبالها (٢)

" يخرج من خلاله " يعني من خلال السحاب " فإذا أصاب به " يعني بذلك المطر " من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون " أي يفرحون ويبشر بعضهم بعضا به " وإن كانوا من قبل ان ينزل عليهم " المطر " من قبله لمبلسين " اي قانطين يائسين - في قول قتادة - وقوله " من قبله " في الموضعين فيه قولان: أحدهما - انه للتوكيد. والآخر من قبل الارسال، والأول من قبل الانزال. ثم قال لنبيه صلى الله عليه وآله والمراد به جميع المكلفين " فانظر " يا محمد " إلى آثار رحمة ربك كيف يحيي الأرض بعد موتها " يحييها بالنبات بعد جدوبها

(١) سورة ٢ البقرة آية ٢٤٥ وسورة ٥٧ الحديد آية ١١

(٢) مر هذا البيت في ١ / ١٢٦ و ٥ / ٣٦١ و ٧ / ٤٤٦

" إن ذلك لمجيب الموتى " أي مثل ذلك يحيي الله الموتى بعد أن كانوا جمادا " وهو على كل شيء قدير " أي قادر وفيه مبالغة.  
قوله تعالى:

\* (ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا لظلوا من بعده  
يكفرون (٥١) فإنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا  
ولوا مدبرين (٥٢) وما أنت بهاد العمي عن ضلالتهم إن تسمع  
إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون (٥٣) الله الذي خلقكم من  
ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا  
وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير (٥٤) ويوم تقوم  
الساعة يقسم المجرمون \* ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا  
يؤفكون) \* (٥٥).

ست آيات مدني وخمس في ما عداه عد المدني " يقسم المجرمون " ولم  
يعده الباقون.

قرأ ابن كثير \* (ولا تسمع) \* بفتح التاء \* (الصم) \* رفعا الباقون - بضم  
التاء - \* (الصم) \* نصبا. وهذا مثل ضربه الله للكفار، والمعنى كما إنك يا محمد  
لا تسمع الميت لتعذر استماعه فكذلك لا تسمع الكفار. والمعنى أنه لا ينتفع  
بسماعه، لأنه لا يعمل به، فإذا كان كذلك فالمعنيان متقاربان، لأن المعنى إنك

لا تسمع الكافر ما في القرآن من حكمة وموعظة، كما لا تسمع الأصم المدبر عنك. وضم التاء ونصب الميم أحسن لتشاكل ما قبله من اسناد الفعل إليك أيها المخاطب وحكم المعطوف يجب أن يكون مشاكلا حكم المعطوف عليه. وقرأ عاصم وحمزة \* (من ضعف) \* بفتح الضاد في الثلاثة. الباقيون بالضم فيهن، وهما لغتان.

يقول الله سبحانه \* (ولئن أرسلنا ريحا) \* مؤذنة بالهلاك \* (فرأوه مصفرا) \* فالهاء يجوز أن يكون كناية عن السحاب، وتقديره فرأوا السحاب مصفرا لأنه إذا كان كذلك كان غير ممطر، ويحتمل أن يكون راجعا إلى الزرع، وتقديره، فرأوا الزرع مصفرا - والثاني قول الحسن - وجواب لئن في الشرط أغنى عنه جواب القسم، لان المعنى ليظن كما أن (أرسلنا) بمعنى أن يرسل فجواب القسم قد ناب عن الامرين. وكان أحق بالحكم لتقدمه على الشرط ولو تقدم الشرط لكان الجواب له، كقولك: ان أرسلنا ريحا ظلوا والله يكفرون. و (الاصفرار) لون بين الحمرة والبياض، وهو من النبات الذي يصفر بالريح للجفاف ويحول عن حال الاخضرار، فيصير إلى الهلاك ويقنط صاحبه الجاهل بتدبير ربه في ما يأخذ به من الشدة بأمره تارة والرخاء أخرى ليصح التكليف بطريق الترغيب والترهيب، ومعنى (ظل يفعل) أي جعل يفعل في صدر النهار، وهو الوقت الذي فيه إلى ظل الشمس. و (أضحى يفعل) نظير ظل يفعل إلا أنه كثر حتى صار بمنزلة (جعل يفعل). ثم قال لنبه " إنك " يا محمد " لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين " شبه الكفار في ترك تدبرهم لما يدعوهم الله النبي صلى الله عليه وآله تارة بالأموات وتارة بالصم، لأنهم لا ينتفعون بدعاء داع، لأنهم لا يسمعون،



وكذلك من يسمع ولا يصغي ولا يفكر فيه، ولا يتدبره فكأنه لم يسمعه.  
وقوله " إذا ولوا مديريين " معناه إذا أعرضوا عن أدلتنا وعن الحق ذاهبين  
إلى الضلال غير طالبين لسييل الرشاد. ولذلك لزمهم الذم وصفة النقص.  
وقوله " وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم " معناه ليس في هؤلاء حيلة  
أن يقبلوا الهداية فصار العمي بالضلال صنفين أحدهما - يطلب الهداية فهو  
يجدها عندك. والآخر لا يطلب الهداية، فليس فيه حيلة. ثم قال \* (إن) \* يعني  
ليس \* (تسمع إلا من يصدق بآياتنا وأدلتنا) \* لأنهم المنتفعون بدعائك واسماعك  
\* (فهم مسلمون) \* لك ما تدعوهم إليه.  
ثم قال \* (الله الذي خلقكم من ضعف) \* وفيه لغتان - الضم، والفتح -  
مثل الفقر والفقر، والكره والكره، والجهد والجهد، والمعنى انه خلقهم ضعفاء  
لأنهم كانوا نطفاء، فحولهم إلى أن صاروا أحياء أطفالا لا قدرة لهم \* (ثم جعل)  
لهم \* (من بعد ضعف) \* أي من بعد هذا الضعف \* (قوة) \* إذا شبوا وترعرعوا  
وكمّلوا \* (ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة) \* في حال الشيخوخة والشيب  
\* (يخلق ما يشاء) \* كيف يشاء \* (وهو العليم) \* بما فيه مصالح خلقه قادر على فعله  
فهو يفعل بحسب ما يعلمه من مصالحهم.  
ثم اخبر تعالى عن حال الكفار أنهم \* (يوم تقوم الساعة يقسم المجرمون)  
أنهم \* (ما لبثوا غير ساعة) \* وقيل: في قسمهم بذلك مع أن معارفهم  
ضرورية قولان:  
أحدهما - قال أبو بكر بن الاخشاد: ذلك يقع منهم قبل اكمال عقولهم. ويجوز  
قبل الالتجاء ان يقع منهم قبيح.  
والثاني - قال الجبائي: ان المراد أنه منذ ما انقطع عنا عذاب القبر

\* (كذلك كانوا يؤفكون) \* أي يكذبون لأنه اخبار عن غالب الظن بما لا يعلمون قال: ولا يجوز أن يقع منهم القبيح في الآخرة، لان معارفهم ضرورة. وقيل: \* (كذلك كانوا يؤفكون) \* في دار الدنيا ويوجدون البعث والنشور مثل ما حلفوا أنهم لم يلبثوا إلا ساعة، قال الفراء: وتقديره كما كذبوا في الدنيا بالبعث كذلك يكذبون بقولهم ما لبثنا غير ساعة. ومن استدل بذلك على نفي عذاب القبر فقد أبطل، لان المراد أنهم ما لبثوا بعد انقطاع عذاب القبر إلا ساعة.

قوله تعالى:

وقال الذين أوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون (٥٦) فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون (٥٧) ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ولئن جئتكم بأية ليقولن الذين كفروا إن أنتم إلا مبطلون (٥٨) كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون (٥٩) فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون) \* (٦٠) خمس آيات بلا خلاف. قرأ أهل الكوفة " لا ينفع " بالياء، لان تأنيث المعذرة غير حقيقي. الباقيون

بالتاء، لان اللفظ لفظ التأنيث.

يقول الله تعالى مخبرا عن الذين قد أعطاهم الله العلم وآتاهم إياه بما نصب لهم من الأدلة الموجبة له، ونظروا فيها فحصل لهم العلم، فلذلك أضافه إلى نفسه لما كان هو الناصب للأدلة الدالة على العلوم، والتصديق بالله ورسوله \* (لقد لبثتم) \* أي مكثتم \* (في كتاب الله) \* ومعناه إن لبثكم مذكور ثابت في كتاب الله بينه الله فيه، فصار من أجل ان بيانه في كتابه كأنه في الكتاب، كما تقول كلما يكون فهو في اللوح المحفوظ أي هو مبين فيه، وقيل \* (في كتاب الله) \* أي في كتابه الذي أخبرنا به، واللبث لا يكون إلا في المكان، كما لا يكون السكون إلا فيه، والبقاء قد يكون لا في مكان، ولذلك يوصف تعالى بالباقي، ولا يوصف ب (لابث) و \* (إلى يوم البعث) \* يعني يوم يبعث الله فيه خلقه ويحشرهم. واصل البعث جعل الشيء جاريا في أمر، ومنه انبعث الماء إذا جرى وانبعث من بين الأموات إذا خرج خروج الماء، ويوم البعث يوم اخراج الناس من قبورهم إلى أرض المحشر.

ثم يقول المؤمنون للكفار " فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون " صحة ذلك وكنتم شاكين فيه. وقال الحسن: لقد قدرنا آجالكم إلى يوم البعث ولكنكم لا تعلمون ان البعث حق.

ثم اخبر تعالى ان ذلك اليوم لا تقبل معذرتهم، والمعذرة إظهار ما يسقط اللائمة، وإنما لا تقبل معذرتهم لأنهم ملجئون في تلك الحال، ولا يصح اعتذارهم وقوله " ولا هم يستعتبون " أي لا يقبل عتبتهم، ولا يطلب منهم الاعتاب. والاستعتاب طلب صلاح المعاتب بالعتاب وذلك بذكر الحقوق التي تقتضي خلاف ما عمله العامل بما لا ينبغي أن يكون عليه مع الحق اللازم له وليس في قولهم

ما علمنا أنه يكون ولا أننا نبعث عذر، لأنه قد نصب لهم الدلالة عليه ودعوا إليه.

ثم اخبر تعالى انه ضرب للناس المكلفين في القرآن الذي أنزله على نبيه محمد صلى الله عليه وآله من كل مثل، يحثهم به على الحق واتباع الهدى. ثم قال لنبيه " ولئن

جئتكم بآية " يا محمد أي معجزة باهرة " ليقولن الذين كفروا ان أنتم إلا مبطلون " في دعواكم البعث والنشور، عنادا وجحدا للأمر الظاهرة. ثم قال مثل ما طبع الله على قلوب هؤلاء بأن حكم عليهم بأنهم لا يؤمنون كذلك حكم في كل من لا يؤمن. وقيل: الطبع علامة يجعلها الله في قلوب الكافرين يفصل بها الملائكة بينه وبين المؤمن. ثم قال لنبيه " فاصبر " يا محمد على أذى هؤلاء الكفار ومقامهم على كفرهم " ان وعد الله حق " في ما وعدك به من النصر واعزاز دينك " ولا يستخفك " أي ولا يستفزك " الذين لا يوقنون " فالاستخفاف طلب الخفة.

### ٣١ - سورة لقمان

هي مكية - في قول مجاهد وقتادة - ليس فيها ناسخ ولا منسوخ. وقال الحسن: هي مكية إلا آية واحدة وهي قوله \* (الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة) \* لأن الصلاة والزكاة مدينتان وهي ثلاث وثلاثون آية حجازي وأربع وثلاثون آية في ما عدا الحجازي.

بسم الله الرحمن الرحيم.

\* (ألم (١) تلك آيات الكتاب الحكيم (٢) هدى ورحمة للمحسنين (٣) الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون (٤) أولئك هم على هوى من ربهم وأولئك هم المفلحون) \* (٥) خمس آيات كوفي وأربع بلا خلاف فيما عدا الكوفي. قرأ حمزة " هدى ورحمة " رفعا. الباقون نصبا. من رفع جعله خبر ابتداء محذوف، وتقديره هو هدى ورحمة، ويجوز أن يكون بدلا من " تلك آيات " أي تلك هدى ورحمة، ومن نصب فعلى المصد وتقديره يهدي به هدى ويرحم به رحمة، ويجوز أن يكون على الحال، وتقديره هاديا أي في حال الهداية والرحمة - ذكره الزجاج - " للمحسنين " الذين يفعلون الأفعال الحسنة من الطاعات ويتفضلون على غيرهم. وقد بينا أن أقوى الأقوال في معنى " ألم " قول من

(٢٦٨)

قال هو اسم للسورة، وذكرنا ما في الأقوال في ما تقدم. قال الرماني: إنما جعل اسم السورة على الاشتراك للمناسبة بينها وبين ما يتصل بها مع الفصل بالصفات وذلك انها استحقت بذكر الكتاب والمؤمنين به غير العادلين عنه، كما هو في البقرة.

وقوله " تلك آيات الكتاب " إشارة إلى آيات الكتاب التي وعدهم الله بانزالها عليهم في الكتب الماضية، قال أبو عبيدة " تلك " بمعنى هذه " وآيات الكتاب " وإن كانت هي الكتاب فهو جائز، كما قال " حق اليقين " (١) وكما قالوا: مسجد الجامع، وغير ذلك. وقد بيناه في ما مضى " الحكيم " من صفة الكتاب، فلذلك جره وإنما وصف الكتاب بأنه (حكيم) مع أنه محكم لأنه يظهر الحق والباطل بنفسه، كما يظهره الحكيم بقوله، ولذلك يقال: الحكمة تدعو إلى الاحسان وتصرف عن الإساءة. وقال أبو صالح: أحكمت آياته بالحلل والحرام. وقال غيره: أحكمت بأن أتقنت " لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل " (٢).

ثم قال هذا الكتاب " هدى ورحمة للمحسنين " أي دلالة موصلة لهم إلى الصواب وما يستحق به الثواب، ورحمة رحمهم الله بها وأضافه إلى المحسنين وإن كان هدى لغيرهم لما كانوا هم المنتفعين به دون غيرهم كما قال " هدى للمتقين " (٣) والاحسان النفع الذي يستحق به الحمد فكل محسن يستحق الحمد وكل مسيء يستحق الذم، وما يفعله الفاعل على أنه لا ظلم فيه لاحد لينقطع به عن قبيح في أنه احسان فهو احسان يستحق عليه الحمد، لان الحكمة تدعو إلى

---

(١) سورة ٥٦ الواقعة آية ٩٥

(٢) سورة ٤١ حم السجدة (فصلت) آية ٤٢

(٣) سورة البقرة آية ٢

فعله على هذا الوجه، ولا يدعو إلى أن يفعله للشهوة، ولا للهوى.  
ثم وصف المحسنين فقال " الذين يقيمون الصلاة " أي يديمون فعلها  
ويقومون بشرائها واحكامها ويخرجون الزكاة الواجبة عليهم في أموالهم.  
وهم بالآخرة مع ذلك يوقنون، ولا يرتابون بها. ثم اخبر أن هؤلاء الذين وصفهم  
بهذه الصفات " على هدى من ربهم " أي على حجة من ربهم " وأولئك هم  
المفلحون " الفائزون بثواب الله ورحمته.  
قوله تعالى:

\* (ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل  
الله بغير علم ويتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين (٦) وإذا  
تتلى عليه آياتنا ولي مستكبرا كأن لم يسمعها كأن في أذنيه  
وقراً فبشره بعذاب أليم (٧) إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات  
لهم جنات النعيم (٨) خالدين فيها وعد الله حقاً وهو العزيز  
الحكيم (٩) خلق السماوات بغير عمد ترونها وألقى في الأرض  
رواسي أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء  
فأنبتنا فيها من كل زوج كريم) \* (١٠) خمس آيات بلا خلاف  
قرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر " ويتخذها " نصباً، الباقيون رفعاً من قرأ بالنصب  
عطفه على " ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها " أي يشتري لهو الحديث

للامرين. ومن رفع عطف على قوله " يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله... ويتخذها هزوا " ومن قرأ " ليضل " - بضم الياء وكسر الضاد - أراد يفعل ذلك ليضل غيره. ومن - فتح الياء - أراد ليضل هو نفسه بذلك. اخبر الله تعالى ان " من " جملة " الناس من يشتري لهو الحديث " أي يستبدل لهو الحديث. وقيل في معناه قولان: أحدهما - انه يشتري كتابا فيه لهو الحديث. الثاني - انه يشتري لهو الحديث عن الحديث. واللهو الاخذ في ما يصرف الهم من غير الحق، تقول: لهي فلان يلهو لهوا، فهو لاه، وتلهي تلهيا وألهاه إلهاء، واللهو واللعب والهزل نظائر. والحديث الخبر عن حوادث الزمان. وقال ابن عباس وابن مسعود ومجاهد: لهو الحديث الغناء، وهو المروي عن أبي جعفر عليه السلام. وقال قوم: هو شراء المغنيات. وروى أبو أمامة عن النبي صلى الله عليه وآله تحريم ذلك. وقال قتادة: هو استبدال حديث الباطل على حديث الحق. وقيل: كلما كان من الحديث ملهيا عن سبيل الله الذي أمر باتباعه إلى ما نهى عنه، فهو لهو الحديث. وقيل: الآية نزلت في النضر ابن الحارث بن كلدة كان اشترى كتبها أحاديث الفرس: من حديث رستم واسفنديار، فكان يلهيهم بذلك ويطرف به، ليصد عن سماع القرآن وتدبر ما فيه. وقوله " ليضل عن سبيل الله " أي ليتشاغل بما يلهيه عن سبيل الله. وقال ابن عباس: سبيل الله قراءة القرآن، وذكر الله، لان حجة الله قائمة عليه بالدواعي التي تزعجه إلى النظر فيما يؤديه إلى العلم بالواجب ليعمل، فيتشاغل ليخف ذلك الازعاج. ومن قرأ بالضم أراد ليضل غيره بذلك.



وقوله " ويتخذها هزوا " أي يتخذ سبيل الله سخرية، فلا يتبعها ويشغل غيره عن اتباعها. والضمير في قوله " ويتخذها " يجوز أن يكون راجعا إلى الحديث، لأنه بمعنى الأحاديث، ويجوز أن يكون راجعا إلى (سبيل الله) والسبيل يؤنث ويذكر. ويجوز أن يكون راجعا إلى (آيات الله) في قوله " تلك آيات الكتاب ".

ثم اخبر تعالى أن من هذه صفته " له عذاب مهين " أي عذاب بذله. والاذلال بالعداوة هو الهوان. فأما اذلال الفقر والمرض، فليس بهوان، ولا إذلال على الحقيقة. وإذلال العقاب لا يكون إلا هوانا، وإن كان العذاب على وجه الامتحان، فلا يكون هوانا أيضا.

ثم اخبر تعالى عن صفة هذا الذي يتخذ آيات الله هزوا ويشترى لهو الحديث أنه " إذا تتلى عليه آياتنا " التي هي القرآن " ولى مستكبرا " أي اعرض عنها تكبرا عن استماعها. والكفر فيها، كأنه " لم يسمعها " من حيث لم يفكر فيها، ولم يعتبر بها و " كأن في اذنيه وقرا " أي ثقلا يمنع من سماعه. ثم امر نبيه صلى الله عليه وآله أن يبشر من هذه صفة " بعذاب اليم " أي مؤلم موجه. ثم اخبر تعالى عن صفة المؤمنين للمصدقين بتوحيد الله وصدق أنبيائه فقال " إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات " أي صدقوا بالله ونبيه وفعلوا الطاعات " لهم جنات النعيم " يوم القيامة يتنعمون فيها \* (خالد بن فيها) \* أي مؤبدين في تلك البساتين \* (وعد الله حقا) \* أي وعده الله حقا، لا خلف لوعده \* (وهو العزيز) \* في انتقامه \* (الحكيم) \* في أفعاله، إذ لا يفعل إلا ما فيه المصلحة ووجه من وجوه الحكمة

ثم اخبر تعالى عن نفسه بأنه \* (خلق السماوات) \* فأنشأها واختراعها

\* (بغير عمد ترونها) \* أي ليس لها عمد يسندها، لأنه لو كان لها عمد لرأيتموها فلما لم تروها دل على أنه ليس لها عمد، لأنه لو كان لها عمد لكانت أجساما عظيمة حتى يصح منها إقلال السماوات، ولو كانت كذلك لاحتاجت إلى عمد آخر، فكان يتسلسل. فإذا لا عمد لها، بل الله تعالى سكنها حالا بعد حال بقدرته التي لا توازيها قدرة قادر. وقال مجاهد: لها عمد لا ترونها، هذا فاسد لأنه لو كان لها عمد لكانت أجساما عظيمة، لأنه لا يقل مثل السماوات والأرض إلا ما فيه الاعتمادات العظيمة. ولو كانت كذلك لرأيت، وكان يؤدي إلى ما ذكرناه من التسلسل.

ثم قال \* (والقى في الأرض رواسي) \* يعني الجبال الثابتة \* (أن تميد بكم) \* وقيل معناه لئلا تميد بكم، كما قال الراجز:  
والمهر يأبى أن يزال ملهيا

بمعنى لا يزال. وقال قوم: معناه كراهة أن تميد بكم \* (وبث فيها من كل دابة) \* أي فرق فيها من كل دابة أي من كل ما يدب على الأرض " وأنزلنا من السماء ماء " يعني غيثا ومطرا " فأنبثنا فيها " بذلك الماء \* (من كل زوج كريم) \* أي من كل نوع حسن النبت طيب الريح والطعم.  
قوله تعالى:

\* (هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين (١١) ولقد آتينا لقمان الحكمة أن

اشكر لله ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن الله غني حميد (١٢) وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم (١٣) ووصينا الانسان بوالديه حلمته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير (١٤) وإن جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب إلي ثم إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون) \* (١٥) خمس آيات بلا خلاف.

هذا إشارة إلى ما تقدم ذكره من خلق السماوات والأرض على ما هي به من عظمها وكبر شأنها من غير عمد يمنع من انحدارها، وألقى الرواسي في الأرض لئلا تميد بأهلها " وبث فيها من كل دابة " للاعتبار والانتفاع بها، وأنزل من السماء ماء لاخراج كل نوع كريم على ما فيه من بهجة ولذة يستمتع بها. فهذا كله خلق الله فأين خلق من أشركتموه في عبادته حتى جاز لكم أن تعبدوه من دونه وهذا لا يمكن معه معارضة، وفيه دليل على توحيده تعالى. ثم اخبر تعالى فقال " بل الظالمون " لأنفسهم بترك الاعتبار بآيات الله " في ضلال مبين " أي عدول عن الحق بين ظاهر وما دعاهم إلى عبادتها انها تخلق شيئا ولكن ضلالهم بالجهل الذي اعتقدوه من التقرب بذلك إلى الله وانها

تقربهم إلى الله زلفى.  
ثم اخبر تعالى انه اعطى لقمان الحكمة، فقال ابن عباس ومجاهد وقتادة:  
لم يكن لقمان نبيا. وقال عكرمة: كان نبيا. وقيل: انه كان عبدا أسودا حبشيا  
ذا سفة. فقال له بعض الناس: ألسنت الذي كنت ترعى معنا؟ فقال: نعم.  
فقال له: من أين أوتيت ما أرى؟ فقال: بصدق الحديث والصمت عما لا يعنيني.  
والحكمة التي أتى الله لقمان هو معرفته بتوحيده، ونفي الشرك عنه. وما فسرناه  
في ما بعد وهو ان أمره بأن يشكر لله على نعمه التي أنعم بها عليه.  
ثم اخبر تعالى فقال " ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه " أي من يشكر نعمة  
الله ونعمة من أنعم عليه، فإنه يشكر لنفسه، لان ثواب شكره عائد عليه " ومن  
كفر فان الله غني حميد " أي من جحد نعمة الله، فإنه تعالى غني عن شكره  
حميد على أفعاله، وعقاب ذلك عائد على الكفار دون غيرهم، والشكر لا يكون  
إلا على نعمة سبقت، فهو يقتضي منعما، فلا يصح على ذلك أن يشكر الانسان  
نفسه، لأنه لا يجوز أن يكون منعما عليها، وهو جرى مجرى الدين في أنه  
حق لغيره عليه يلزمه أداؤه، فكما لا يصح أن يقرض نفسه فيجب أن يقضي  
ذلك الدين لنفسه، فكذلك لا يصح أن ينعم على نفسه فيلزمه شكر تلك النعمة  
ثم قال تعالى وأذكر يا محمد " إذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك  
بالله إن الشرك لظلم عظيم " إذ قال له لا تعبد مع الله غيره فان من فعل ذلك  
فقد ظلم نفسه ظلما عظيما. ويجوز أن يتعلق قوله " وإذ قال لقمان " بقوله  
" ولقد آتينا لقمان الحكمة... إذ قال لابنه... لا تشرك بالله " ثم قال  
تعالى " ووصينا الانسان بوالديه " أي وصيناه وأمرناه بالاحسان إلى والديه.  
والرفق بهما " حملته أمه وهنا على وهن " قال الضحاك: معناه ضعفا على ضعف

أي ضعف نطفة الوالد إلى ضعف نطفة الام. وقيل: هو ما يلحقها بحملها إياه مرة بعد مرة من الضعف. وقيل: بل المعنى شدة الجهد، قال زهير: فان يقولوا بجعل واهن خلق\* لو كان قومك في أسبابه هلكوا (١) وقال ابن عباس "وهن على وهن" أي شدة على شدة. وقيل: ضعف الولد حالا بعد حال، لأنه كان نطفة ثم علقه ثم مضغه ثم عظمها ثم مولودا. وقوله "وفصاله في عامين" يعني فطامه في انقضاء عامين. وقيل: نزلت في سعد بن أبي وقاص حلفت أمه لا تأكل طعاما حتى تموت أو يرجع سعد ابنها فلما رآته بعد ثلاث لا يرجع عن الاسلام أكلت. ثم قال "أن اشكر لي ولوالديك" أي وصيناه بأن اشكر لي على نعمي، واشكر والديك أيضا على ما أنعموا عليك. ثم قال "إلي المصير" فيه تهديد أي إلي مرجعكم، فأجازيكم أيها الناس على حسب عملكم. ثم قال "وإن جاهداك" يعني الوالدين أيها الانسان "على أن تشرك بي" معبودا آخر "فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معرfa" أي أحسن اليهما في الدنيا وارفق بهما. ثم قال "واتبع سبيل من أناب إلي" أي رجع إلي طاعتي من النبي والمؤمنين "ثم إلي مرجعكم" أي منقلبكم "فأنبئكم" أي أخبركم "بما كنتم تعملون" في دار الدنيا من الاعمال. وأجازيكم عليها بحسبه، وقرأ ابن كثير، إلا ابن فليح "يا بني لا تشرك بالله" بسكون الياء الباقيون بتشديدها وكسرها، إلا حفصا فإنه فتحها على أصله "يا بني أقم

---

(١) هو زهير بن أبي سلمى. ديوانه (دار بيروت) ٥١ وروايته (فلن) بدل (فان)

الصلاة " بفتح الياء، وابن كثير إلا قبلا وحفص، الباقون بكسر الياء. فوجه السكون أنه أجرى الوصل كالوقوف، ووجه الفتح على الإضافة، وحذف ما قبلها لاجتماع ثلاث يا آت.. والكسر على الاجتزاء بها من ياء الإضافة، وعندنا أن الرضاع بعد الحولين يحرم لقوله " وفصاله في عامين " ولقوله عليه السلام لا رضاع بعد الحولين.  
قوله تعالى:

\* (يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السماوات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير (١٦) يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور (١٧) ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور (١٨) واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير (١٩) ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السماوات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير) \* (٢٠) خمس آيات بلا خلاف.

(٢٧٧)

قرأ ابن كثير وعاصم وابن عامر " ولا تصعر " بغير ألف في التصغير.  
الباقون " تصاعر " بألف. وقرأ أهل المدينة " مثقال حبة " رفعا. الباقون نصباً  
من رفعه جعل (كان) بمعنى حدث، ووقع، ولم يجعل لها خبراً. ومن نصب  
فعلى أنه خبر (كان) والاسم مضمّر فيها أي إن تك الحبة مثقال. وقرأ نافع  
وأبو جعفر وابن كثير وأبو عمرو وحفص عن عاصم " نعمه " على لفظ الجمع.  
الباقون " نعمة " على التوحيد.

يقول الله تعالى مخبراً عن لقمان ووصيته لابنه، وأنه قال " يا بني أنها  
إن تك مثقال حبة من خردل " من خير أو شر (فتكن) عطف على الشرط  
فلذلك جزمه. وتقديره: إن تلك الحبة لو كانت في جوف صخرة، وهي الحجر  
العظيم أو تكون في السماوات أو الأرض " يأت بها الله " ويحاسب عليها  
ويجازي لأنه لا يخفى عليه شيء منها، ولا يتعذر عليه الاتيان بها أي موضع  
كانت، لأنه قادر لنفسه لا يعجزه شيء عالم لنفسه لا تخفى عليه خافية.  
وقوله " يأت بها الله " معناه إنه يجازي بها ويواقف عليها فكأنه أتى بها  
وإن كانت أفعال العباد لا يصح إعادتها، ولو صح إعادتها لما كانت مقدورة لله.  
وإنما أراد ما قلناه، وفي ذلك غاية التهديد والحث على الاخذ بالحزم. والهاء  
في قوله " انها " قيل: انها عماد وهو الضمير على شريطة التفسير. وقيل:  
(إنها) كناية عن الخطيئة أو الفعل التي تقتضي الجزاء، وهي المضمرة في تلك  
وإنما أنت مثقال، لأنه مضاف إلى مؤنث وهي الحبة، كما قيل: ذهبت بعض  
أصابعه. وكما قيل:

[وتشرق بالقول الذي قد أذعته] شرقت صدر القناة من الدم (١)

---

(١) قائله الأعشى، ديوانه ١٨٣، واللسان (شرق)

والصخرة وإن كانت في الأرض أو في السماء، فذكر السماوات والأرض بعدها مبالغة كقوله " اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق " (١) وقد قال بعض المفسرين: ان الصخرة خارجة عن السماوات والأرض، وهو أيضا جائز. وقرأ قتادة " فتكن في صخرة " بكسر الكاف مخففا من (وكن يكن) أي جعل الصخرة كالوكنة. وهو عش الطائر. ذكره ابن خالويه. وحكاه عن ابن مجاهد سماعا، واستحسنه.

وقوله " ان الله لطيف خبير " قال قتادة: معناه - ها هنا - لطيف باستخراجها، خبير بمستقرها. واللطيف القادر الذي لا يحفو عن عمل شيء، لان من القادرين من يحفو عن عمل أشياء كثيرة كإخراج الجزء الذي لا يتجزأ وتأليفه إلى مثله، فهو فإن كان قادرا عليه، فهو ممتنع منه، لأنه يحفو عن عمل مثله. والخبير العالم وفيه مبالغة في الصفة، مشتق من الخبر. ولم يزل الله خبيرا عالما بوجوه ما يصح أن يخبر به، والمثقال مقدار يساوي غيره في الوزن، فمقدار الحبة مقدار حبة في الوزن. وقد صار بالعرف عبارة عن وزن الدينار، فإذا قيل: مثقال كافور أو عنبر، فمعناه مقدار الدينار بالوزن.

ثم حكى ما قاله لقمان لابنه أيضا قال له " يا بني أقم الصلاة " أي دم عليها وأقم حدودها وشرائطها " وأمر بالمعروف " والمعروف هو الطاعات " وانه عن المنكر " وهي القبائح سواء كانت قبائح عقلية أو شرعية " واصبر على ما أصابك " من الناس في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من المشقة والأذى وفي ذلك دلالة على وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وإن كان فيه

---

(١) سورة ٩٦ العلق آية ٢



بعض المشقة. ثم قال " إن ذلك " أي ما ذكره من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر " من عزم الأمور " من العقد الصحيح على فعل الحسن بدلا من القبيح، والعزم العقد على الامر لتوطين النفس على فعله وهي الإرادة المتقدمة للفعل بأكثر من وقت، لان التلون في الرأي يناقض العزم. قال الله تعالى " فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل " (١).

ثم حكى ما قال لقمان لابنه، فإنه قال له أيضا " ولا تصعر خدك للناس " ومعناه لا تعرض بوجهك عن الناس تكبرا - ذكره ابن عباس - واصل الصعر داء يأخذ الإبل في أعناقها أو رؤسها حتى يلفت أعناقها فتشبه به الرجل المتكبر على الناس. وقال عمر بن جني الثعلبي واصله المبرد إلى الفرزدق: وكنا إذا الجبار صعر خده \* أقمنا له من مثله فتقوما (٢)

قال أبو علي الفارسي: يجوز أن يكون تصعر وتصاعر بمعنى، كقولهم ضعف وضاعف، قال أبو الحسن (لا تصاعر) لغة أهل الحجاز و (لا تصعر) لغة بني تميم. والمعنى ولا تتكبر، ولا تعرض عنهم تكبرا " ولا تمش في الأرض مرحا " أي مشي مختال متكبر " ان الله لا يحب كل مختال فخور " فالاختيال مشية البطر، قال مجاهد: المختال المتكبر، والفخر ذكر المناقب للتطاول بها على السامع، يقال: فخر يفخر فخرا وفاخره مفاخرة وفخارا، وتفاخرا تفاخرا وافتخر افتخارا. ثم قال له " واقصد في مشيك " أي اجعل مشيك مشي قصد، لا تمشي مشي مختال ولا متكبر " واغضض من صوتك " أي لا ترفع صوتك متطاولا لأنه مذموم " ان انكر الأصوات لصوت الحمير " قال الفراء: معناه إن أشد

(١) سورة ٤٦ الأحقاف آية ٣٥

(٢) مجاز القرآن ٢ / ١٧٢

الأصوات. وقال غيره: معناه أقبح الأصوات - في قول مجاهد - كما يقال: هذا وجه منكر. ثم نبههم على وجوه نعم الله على خلقه. فقال " ألم تروا ان الله سخر لكم ما في السماوات وما في الأرض " أي ذلله لكم تتصرفون فيه بحسب ما تريدون من أنواع الحالات من الثمار والبهائم، وغير ذلك " وأسبغ عليكم نعمه " ظاهرة أي وسع عليكم نعمه، والسابغ الواسع الذي يفضل عن مقدار القوت. وقوله " ظاهرة وباطنة " أي من نعمه ما هو ظاهر لكم لا يمكنكم جحده: من خلقكم، وأحيائكم وأقذاركم، وخلق الشهوة فيكم وضروب نعمه، ومنها ما هو باطن مستور لا يعرفها إلا من أمعن النظر فيها وقيل: النعم الباطنة مصالح الدين والدنيا، مما لا يشعرون به. وقيل: سخر لكم ما في السماوات من شمس وقمر ونجم وسحاب، وما في الأرض من دابة وشجر وثمار، وغير ذلك مما تنتفعون به في أقواتكم ومصالحكم. ثم قال تعالى \* (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم) \* أي يخاصم ولا علم له بما يقوله، ويجادل فيه \* (ولا هدى) \* أي ولا حجة على صحة ما يقوله \* (ولا كتاب منير) \* أي، ولا كتاب من عند الله منير أي ظاهر عليه نور وهدى. قوله تعالى:

\* (وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير (٢١) ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك

بالعروة الوثقى وإلى الله عاقبة الأمور (٢٢) ومن كفر فلا يحزنك كفره إلينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا إن الله عليم بذات الصدور (٢٣) نمتعهم قليلا ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ (٢٤) ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون \* (٢٥) خمس آيات بلا خلاف.

حكى الله سبحانه عن الكفار وسوء اختيارهم أنه \* (إذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله) \* من القرآن والاحكام واعملوا بموجبه واقتدوا به \* (قالوا) \* في الجواب عن ذلك \* (بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا) \* من عبادة الأصنام، ولا نتبع ذلك، فقال الله تعالى منكرنا عليهم \* (أو لو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير) \* ومعناه إنكم تتبعون ما وجدتم عليه آباءكم، ولو كان ذلك يدعوكم إلى عذاب جهنم!. وادخل على واو العطف ألف الاستفهام على وجه الإنكار. ثم قال \* (ومن يسلم وجهه إلى الله) \* أي يوجه طاعته إلى الله ويقصد وجهه بها دون الرياء والسمعة \* (وهو محسن) \* أي لا يخلط طاعته بالمعاصي \* (فقد استمسك بالعروة الوثقى) \* أي من فعل ما وصفه فقد تعلق بالعروة الوثيقة التي لا يخشى انتقاضها، والتوثق امتناع سبب الانتقاض، لان البناء الموثق قد جعل على امتناع سبب الانتقاض، وما ليس بموثق على سبب الانتقاض. ثم قال \* (والى الله عاقبة الأمور) \* أي إليه ترجع أواخر الأمور على وجه

لا يكون لاحد التصرف فيها، ولا الأمر والنهي.  
 ثم قال لنبيه \* (ومن كفر) \* يا محمد من هؤلاء الناس \* (فلا يحزنك كفره) \*  
 أي لا يغمك ذلك \* (الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا) \* أي نعلمهم بأعمالهم  
 ونجازيهم على معاصيهم بالعقاب، \* (إن الله عليم بذات الصدور) \* أي بما تضره  
 الصدور، لا يخفى عليه شئ منها. ثم قال \* (نمتعهم قليلا) \* أي نتركهم يتمتعون  
 في هذه الدنيا مدة قليلة \* (ثم نضطرهم) \* أي نصيرهم مكرهين \* (إلى عذاب  
 غليظ) \* يغلظ عليهم ويصعب وهو عذاب النار. ثم قال \* (ولئن سألتهم)  
 يعني هؤلاء الذين كفروا بآيات الله \* (من خلق السماوات والأرض) \*؟ ليقولن  
 في جواب ذلك: الله خلق ذلك، لأنهم لا يمكنهم أن يقولوا خلق ذلك  
 الأصنام والأوثان، لأنهم يقرون بالنشأة الأولى، ولأنهم لو قالوا ذلك لعلم  
 ضرورة بطلان قولهم، فقل عند ذلك يا محمد \* (الحمد لله) \* على هدايته وتوفيقه  
 لنا بالمعرفة له \* (بل أكثرهم لا يعلمون) \* انكم وفقكم الله لمعرفته.  
 قوله تعالى:

\* (لله ما في السماوات والأرض إن الله هو الغني الحميد (٢٦)  
 ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده  
 سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم (٢٧)  
 ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة إن الله سميع بصير (٢٨)  
 ألم تر أن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر

الشمس والقمر كل يجري إلى أجل مسمى وأن الله بما تعملون  
خبير (٢٩) ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه  
الباطل وأن الله هو العلي الكبير) \* (٣٠) خمس آيات بلا خلاف.  
قرأ أبو عمرو ويعقوب وابن شاهي \* (والبحر يمدّه) \* نصبا. الباؤون  
رفعا. من نصبه عطفه على \* (ما) \* في قوله \* (أن ما) \* لان موضعها نصب ب \* (أن) \*  
لان الكلام لم يتم عند قوله \* (أقلام) \* فأشبه المعطوف قبل الخبر. قال ابن خالويه:  
وهذا من حذف أبي عمرو، وجودة تمييزه. وإنما لم يتم الكلام مع الاتيان بالخبر  
لان (لو) يحتاج إلى جواب. ومن رفع استأنف الكلام.  
اخبر الله تعالى أن له جميع ما في السماوات والأرض ملك له يتصرف  
فيه بحسب إرادته لا يجوز لاحد الاعتراض عليه. ثم اخبر انه تعالى \* (هو)  
الغني) \* الذي لا يحتاج إلى شئ من جميع المخلوقات كما يحتاج غيره من الاحياء  
المخلوقين وأنه \* (الحميد) \* مع ذات، يعني المستحق للحمد العظيم، ونقيضه الدميم  
ويقال (محمود) بمعنى حميد. ومعناه أنه أهل الحمد.  
ثم قال تعالى \* (ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من  
بعده سبعة أبحر) \* وفيه حذف، لان المعنى يكتب به كلام الله \* (ما نفدت  
كلمات الله) \* والآية تقتضي انه ليس لكلمات الله نهاية بالحكم، لأنه يقدر منها  
على ما لا نهاية له. وقال قوم: المعنى ان وجه الحكمة وعجيب الصنعة وإتقانها  
لا ينفد، وليس المراد به الكلام. وقال أبو عبيدة: المراد بالبحر - ههنا -  
العذب، لان المالح لا يثبت الأفلام. وقال ابن عباس: نزلت الآية جوابا

لليهود، لما قالوا قد أوتينا التوراة، وفيها كل الحكمة، فبين الله تعالى أن ما يقدر عليه من الكلمات لا حصر لولا نهاية. والشجر جمع شجرة مثل ثمرة وتمر، وهو كل نبات يقوم على ساق ويورق الأغصان. ومنه اشتقت المشجرة بين الناس في الامر. ومنه قوله \* (في ما شجر بينهم) \* وشجر تشجيروا وتشاجروا تشاجرا، ومد البحر إذا جرى غيره إليه حالا بعد حال. ومنه المد والجزر. ومد النهر ومده نهر آخر يمهده مدا. وقال الفراء: يقولون: أمددتك ألفا فمددت.

\* (ان الله عزيز حكيم) \* معناه عزيز في انتقامه من أعدائه \* (حكيم) \* في أفعاله. ثم قال \* (ما خلقكم) \* معشر الخلق \* (ولا بعثكم إلا كنفس واحدة) \* أي إلا كبعث نفس واحدة أي لا يشق عليه ابتداء جميع الخلق ولا إعادتهم بعد إفنائهم، وأن جميع ذلك من سعة قدرة الله كالنفس الواحدة. إذ المراد أن خلقها لا يشق عليه.

وقوله \* (إن الله سميع) \* أي يسمع ما يقول القائلون في ذلك \* (بصير) \* بما يضمرونه في قوله " ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة " وفي ذلك تهديد على المخالفة فيه. ثم قال " ألم تر " يا محمد، والمراد به جميع المكلفين " أن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل " قال قتادة: معناه ينقص من الليل في النهار، ومن النهار في الليل. وقال غيره: معناه إن كل واحد منهما يتعقب الآخر \* (وسخر الشمس والقمر كل يجري) \* لأنهما يجريان على وتيرة واحدة لا يختلفان بحسب ما سخرهما له، كل ذلك يجري \* (إلى أجل مسمى) \* قدره الله ان يفنيه فيه. وقال الحسن: الأجل المسمى القيامة \* (وإن الله) \* عطف على \* (ألم تر) \* فلذلك نصبه، وتقديره: وتعلم \* (أن الله بما تعملون خبير) \* من

قرأ بالياء - وهو عياش عن أبي عمرو - أراد الاخبار. ومن قرأ بالتاء حملة على الخطاب. وهو الأظهر. والمعنى \* (ان الله بما تعملون) \* معشر المكلفين \* (خبير) \* أي عالم، فيجازيكم بحسب ذلك ليطابق قوله \* (ألم تر أن الله يولج الليل في النهار) \* ثم قال \* (ذلك بأن الله هو الحق) \* الذي يجب توجيهِ العبادة إليه \* (وأن ما تدعون من دونه الباطل) \*. ومن قرأ بالياء فعلى الاخبار عنهم. ومن قرأ بالتاء على وجه الخطاب.

يقول الله تعالى: ألم تعلم أن ما يدعون هؤلاء الكفار من الأصنام هو الباطل. ومن قرأ بالياء فعلى: قل لهم يا محمد \* (وأن الله هو العلي الكبير) \* فالعلي هو الذي علا على الأشياء واقتدر عليها، والكبير معناه العظيم في صفاته لا يستحق صفاته غيره تعالى. وذكر أبو عبيدة - في كتاب المجاز - ان البحر المذكور في الآية البحر العذب، لان المالح لا ينبت الأقلام. قوله تعالى:

\* (ألم تر أن الفلك تجري في البحر بنعمة الله ليريكم من آياته إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور (٣١) وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين \* فلما نجيهم إلى البر فمنهم مقتصد وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار كفور (٣٢) يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا إن وعد الله حق فلا تغرنكم

الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور (٣٣) إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير) \* (٣٤).

خمس آيات بصرى وشامي وأربع فيما عداهما عدوا \* (مخلصين له الدين) \* ولم يعدده الباقون.

يقول الله تعالى مخاطبا لنبيه صلى الله عليه وآله والمراد به جميع المكلفين منبها لهم على جهات نعمه التي أنعم بها عليهم وما يدلهم على أنه يستحق العبادة خالصا، فقال \* (ألم تر) \* ومعناه ألم تعلم \* (ان الفلك) \* وهي السفن تجري في البحر بنعمة الله عليكم \* (ليريكمن آياته) \* اي ليريكم بعض أدلته الدالة على وحدانيته، ووجه الدلالة في ذلك ان الله تعالى يجري الفلك بالرياح التي يرسلها في الوجوه التي تريدون المسير فيها، ولو اجتمع جميع الخلق ليجروا الفلك في بعض الجهات مخالفا لجهة الرياح لما قدروا على ذلك. وفي ذلك أعظم دلالة على أن المجري لها بالرياح هو القادر الذي لا يعجزه شيء، وذلك بعض الأدلة التي تدل على وحدانيته، فلذلك قال \* (من آياته) \* ثم قال \* (إن في ذلك لآيات) \* يعني في تسخير الفلك وإجرائها في البحر على ما بيناه لدلالات \* (لكل صبار) \* يعني الصبار على مشاق التكليف. وعلى ألم المصائب، وأذى الكفار \* (شكور) \* لنعم الله عليهم وأضاف الآيات إليهم لما كانوا هم المنتفعين بها، وإنما ذكر \* (كل صبار شكور) \* لان الصبر عليه بأمر الله، والشكر لنعم الله من أفضل



ما في المؤمن. وقال الشعبي: الصبر نصف الايمان، والشكر نصف الايمان فكأنه قال: لكل مؤمن.

ثم قال تعالى \* (وإذا غشيهم موج) \* يعني إذا غشي أصحاب السفن الراكبي البحر موج، وهو هيجان البحر \* (كالظلل) \* أي الماء في ارتفاعه وتغطيته ما تحته كالظلل، قال النابغة الجعدي: يصف البحر: يغاشيهن اخضر ذو ظلال \* على حافته فلق الدنان (١)

شبه الموج لأنه يجيء منه شيء بعد شيء بالسحاب الذي يركب بعضه فوق بعض، ويكون اسودا بما فيه من الماء " دعوا الله مخلصين له الدين " أي طاعة العبادة، فالإخلاص أفراد المعنى من كل شائب كان من غيره، أي يخلصون الدعاء في هذه الحال لله تعالى دون الأصنام وجميع ما يعبدونه من دون الله " فلما نجاهم " أي خلصهم إلى البر وسلمهم من هول البحر " فمنهم مقتصد " قال قتادة: يعني منهم مقتصد في قوله مضمّر لكفره. وقال الحسن: المقتصد المؤمن. وقيل: مقتصد على طريقة مستقيمة " وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار كفور " فالختار الغدار بعهدده أقبح الغدر، وهو صاحب ختل وختر أي غدر قال عمرو ابن معدي كرب:

فإنك لو رأيت أبا عمير \* ملأت يديك من غدر وختر (٢)  
وقال الحسن ومجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد: الختار الغدار، ثم خاطب تعالى جميع المكلفين من الناس فقال " يا أيها الناس اتقوا ربكم " أمرهم باجتنب معاصيه خوفا من عقابه " واخشوا يوما لا يجزي والد عن

---

(١) مجاز القرآن ٢ / ١٢٩

(٢) مجاز القرآن ٢ / ١٢٩

ولده... " يعني يوم القيامة الذي لا يغني فيه أحد عن أحد، لا والد عن ولده ولا ولد عن والده، يقال: جزيت عنك أجزى إذا أغنيت عنك. وفيه لغة أخرى: أجزأ يجزئ من أجزأت بالهمزة. ثم قال " ان وعد الله حق " اي الذي وعدته من الثواب والعقاب حق لا خلف فيه " فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور " قال مجاهد وقتادة والضحاك: الغرور الشيطان. وقال سعيد بن جبير: هو يمينك المغفرة في عمل المعصية. قال أبو عبيدة: الغرور كل شئ غرك حتى تعصي الله، وتترك ما أمرك به الله، شيطاناً كان أو غيره، فهو غرور. وهو أحسن، لأنه أعم. ثم قال تعالى " إن الله عنده علم الساعة " يعني وقت قيام القيامة يعلمه تعالى لا يعلمه سواه " وينزل الغيث " أي وهو الذي يعلم وقت نزول الغيث بعينه وهو الذي " يعلم ما في الأرحام " من ذكر أو أنثى " وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت " يقال: بأي أرض وبأية أرض. من قال: بأي، فلان تأنيث الأرض بالصيغة لا باللفظ. ومن قال: بأية أرض فلان الأرض مؤنثة. والمعنى انه لا يعلم موت الانسان في أي موضع من البلاد يكون سواه. وقد روى عن النبي صلى الله عليه وآله إن هذه الخمسة أشياء مما لا يعلمها غيره تعالى على التفصيل والتحقيق

" إن الله عليم " بتفصيل ذلك " خبير " به لا يخفي عليه شئ من ذلك. وسأل البلخي نفسه، فقال: إذا قلت: إن من اعتقد الشئ على ما هو به تقليداً أو تخميناً أو تنجيماً يكون عالماً، فلو أن إنساناً اعتقد ان امرأة تلد ذكراً أو رجلاً يموت في بلد بعينه أو يكسب في الغد كذا، فوافق ذلك اعتقاده، فيجب

أن يكون عالماً، ويبتل الاختصاص في الآية؟! وأجاب: إن ذلك وإن كان جائزاً، فإنه لا يقع لظاهر الآية. وهذا غير صحيح، لأن من المعلوم ضرورة أن الإنسان يخبر شيئاً فيعتقده، فيكون على ما اعتقده من هذه الأشياء الخمسة. وإنما لا يكون علماً، لأنه لا تسكن نفسه إلى ذلك، فأما المنع من وقوعه فمعلوم خلافه.

(٢٩٠)

### ٣٢ - سورة السجدة

مكية في قول قتادة ومجاهد وغيرهما. وقال الكلبي ومقاتل: ثلاث آيات منها مدنية قوله " أفمن كان مؤمنا " إلى تمام ثلاث آيات. وهي ثلاثون آية كوفي وحجازي وشامي. وتسع وعشرون آية بصري.

بسم الله الرحمن الرحيم

\* (ألم (١) تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين (٢)  
أم يقولون افتراه بل هو الحق من ربك لتنذر قوما ما أتاهم  
من نذير من قبلك لعلهم يهتدون (٣) الله الذي خلق السماوات  
والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش مالكم  
من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون (٤) يدبر الأمر من  
السما إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف  
سنة مما تعدون) \* (٥).

(٢٩١)

خمس آيات كوفي وأربع فيما عداه عدوا " ألم " آية ولم يعدها الباقون.  
روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه كان يقرأ في كل ليلة سورة السجدة " ألم تنزيل " و " تبارك الذي بيده الملك " .  
و " تنزيل " رفع على أنه خبر ابتداء محذوف، وتقديره " ألم " هو تنزيل.  
ويجوز أن يكون (تنزيل) رفعا بالابتداء، وخبره " لا ريب فيه " ذكره الزجاج.  
وقد تكرر القول بأن أوائل أمثال هذه السور أقوى الأقوال فيها انها أسماء  
للسورة، ورجحناه على غيره من الأقوال. والتلفظ بحروف الهجاء ينبغي أن يكون  
على الوقف، لأنها مبنية على السكون من حيث كانت حكاية للأصوات.  
وقوله " تنزيل الكتاب " أي هذه الآيات هي تنزيل الكتاب الذي  
وعدتم به " لا ريب فيه " أي لا شك فيه أنه وحي من الله. والمعنى أنه لا ريب  
فيه عند المهتدين، وإن كان ارتاب به خلق من المبطلين. وهو مثل قول  
القائل: لا ريب في هذا انه ذهب أي عند من رآه واعتبره. وقيل: معنى  
" لا ريب فيه " خبر والمراد به النهي، والمعنى لا ترتابوا به، والريب الشك.  
وقيل: هو أقبح الشك. ووجوه الحكم في الكتاب البيان عن كل ما تدعو الحكمة  
إلى تمييز الحق فيه من الباطل بالبرهان عليه مما يحتاج إليه في الدين الذي يرضى  
به رب العالمين، وهو على وجهين: حجة، وموعظة، واعتماد الحجة على تبين ما يؤدي  
إلى العلم بصحة الامر، واعتماد الموعظة على الترغيب والترهيب، وفي الموعظة  
من جهة التحذير بما تضمنه أي يقرب ما في السورة المسمى به من الحكم، وفيه  
حجة على العبد من جهة انه قد دل به على ما يجب أنه يعتقد تعظيمه وبعمل به.  
وقوله " من رب العالمين " أي هو تنزيل من عند الله الذي خلق الخلائق.  
وقوله " أم يقولون افتراه " فهذه (أم) منقطعة، ومعناها (بل) وتقديره:

بل يقولون افتراه، ففيها معنى (بل) والألف إذا كانت معادلة فمعناها (أو) مع الاستفهام، و (افتراه) معناه افتعله، بل قال تعالى ليس الأمر على ما قالوه " بل هو الحق " من عند الله والحق هو كل شيء كان معتقده على ما هو به مما يدعو العقل إليه واستحقاق المدح عليه. وتعظيمه الكتاب حق، لأن من اعتقد أنه من عند الله كان معتقده على ما هو به. والباطل نقيض الحق، وهو ما كان معتقده لا على ما هو به.

وقوله " بل هو الحق من ربك " فيه دلالة على بطلان مذهب المجبرة لأن الله تعالى أنزله ليهتدي به الخلق لا ليضلوا به عن الدين، والمجبرة تزعم أنه أراد ضلال الكفار عن الدين فيجب كونه منزلا ليضل الكفار عن الدين. وقوله " لتندر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك " لا ينافي قوله " وإن من أمة إلا خلا فيها نذير " (١) لأن الحسن، قال: المعنى وإن من أمة أهلكت بالعذاب إلا من بعد أن جاءهم نذير ينذرهم بما حل بهم. وهذا خطاب للنبي صلى الله عليه وآله يقول الله تعالى له " لتندر " أي لتخوف يا محمد " قوما " لم يأتهم

مخوف قبلك، يعني أهل الفترة من العرب، فكانوا كأنهم في غفلة عما لزمهم من حق نعم الله وما خلقهم له من العبادة. وقد كان إسماعيل عليه السلام نذيرا لمن أرسل إليه.

ثم قال " الله الذي خلق السماوات والأرض " أي اخترعهما وأنشأها وخلق " ما بينهما في ستة أيام " أي في ما قدره ستة أيام، لأنه قبل خلق الشمس لم يكن ليل ولا نهار. وقوله " ثم استوى على العرش " أي استوى عليه بالقهر والاستعلاء، وقد فسرناه في ما مضى (٢) ودخلت " ثم " على (استوى على العرش)

---

(١) سورة ٣٥ فاطر آية ٢٤

(٢) انظر ٤ / ٤٥٢

وإن كان مستعليا على الأشياء قبلها، كما دخلت حتى في قوله " ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرى " (١) وتقديره ثم صح معنى استوى على العرش باحدثه، وكذلك حتى يصح معنى " نعلم المجاهدين " أي معنى وصفهم بهذا وذلك لا يكون إلا بعد وجود الجهاد من جهتهم.

وقوله " مالكم من دونه من ولي ولا شفيع " نفى منه تعالى أن يكون للخلق ناصر ينصرهم من دون الله أو شفيع يشفع لهم، كما كانوا يقولون: نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى.

ثم قال " أفلا تتذكرون " في ما قلناه وتعتبرون به، فتعلموا صحة ما بيناه لكم. وقوله " يدبر الامر من السماء إلى الأرض " معناه ان الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في هذه المدة يدبر الأمور كلها، ويقدرها على حسب إرادته في ما بين السماء والأرض، وينزله مع الملك إلى الأرض " ثم يعرج إليه " يعني الملك يصعد إلى المكان الذي أمره الله تعالى أن يعرج إليه، كما قال إبراهيم: " اني ذاهب إلى ربي " (٢) أي ارض الشام التي امرني ربي. ولم يكن الله بأرض الشام، ومثله قوله تعالى " ومن بخرج من بيته مهاجرا إلى أنه ورسوله " (٣) يريد إلى المدينة. ولم يكن الله في المدينة. وقوله " في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون " قال ابن عباس، والضحاك: معناه يوم كان مقداره لو ساره غير الملك ألف سنة مما يعده البشر. وقيل: معناه خمس مئة عام نزول وخمس مئة عام صعود، فذلك ألف سنة. وقال قوم: يجوز أن يكون يوم القيامة يوما له أول وليس له آخر. وقته أوقاتا يسمى بعضها الف سنة وبعضها خمسين الف

(١) سورة ٤٧ محمد آية ٣١

(٢) سورة ٣٧ الصافات آية ٩٩

(٣) سورة ٤ النساء آية ٩٩

سنة. وقيل: ان معنى " وإن يوما عند ربك كألف سنة " انه فعل في يوم واحد من الأيام الستة التي خلق فيها السماوات والأرض ما لو كان يجوز أن يفعله غيره. لما فعله إلا في ألف سنة. وقيل: ان معناه إن كل يوم من الأيام الستة التي خلق فيها السماوات كألف سنة من أيام الدنيا. قوله تعالى:

\* (ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم (٦) الذي أحسن كل شئ خلقه وبدأ خلق الانسان من طين (٧) ثم جعل نسله من سلاله من ماء مهين (٨) ثم سويه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والابصار والأفئدة قليلا ما تشكرون (٩) وقالوا إذا ضللنا في الأرض إنا لفي خلق جديد \* بل هم بلبقاء ربهم كافرون) \* (١٠) خمس آيات عراقي لم يعدوا " جديد " آية. وست في ما عداه، لأنهم عدوا " جديد " آية.

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر " أحسن كل شئ خلقه " باسكان اللام. الباقون بفتحها. من سكن اللام فعلى تقدير: الذي أحسن خلق كل شئ اي جعلهم يحسنونه والمعنى انه ألهمهم جميع ما يحتاجون إليه. قال الزجاج: ويجوز أن يكون على البدل، والمعنى: أحسن كل شئ. ويجوز أن يكون على المصدر وتقديره الذي خلق كل شئ خلقه. ومن فتح اللام جعله فعلا ماضيا، ومعناه



أحسن الله كل شيء خلقه على إرادته ومشيئته، وأحسن الإنسان وخلقته في أحسن صورة. وقيل: معناه إن وجه الحكمة قائم في جميع أفعاله، ووجوه القبح منتفية منها، ووجه الدلالة قائم فيها على صانعها، وكونه عالما. والضمير في قوله " خلقه " كناية عن اسم الله.

لما أخبر الله تعالى أنه الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام واستولى على العرش، وأنه الذي يدبر الأمور ما بين السماوات والأرض بين - ههنا - أن الذي يفعل ذلك ويقدر عليه هو " عالم الغيب والشهادة " أي يعلم السر والعلانية " العزيز " في انتقامه من أعدائه " الرحيم " بعباده، المنعم عليهم، و (الغيب) خفاء الشيء عن الإدراك. والشهادة ظهوره للإدراك فكأنه قال: يعلم ما يصح أن يشاهد، وما لا يصح أن يشاهد فيدخل في ذلك المعدوم والحياة والموت والقدرة وجميع ما لا يصح عليه الرؤية. والعزيز: هو القادر على منع غيره ولا يقدر الغير على منعه، وأصله المنع من قولهم: من عزب، من غلب سلب، لأن من غلب أسيره فمنعه أخذ سلبه.

ثم قال الذي أحسن كل شيء خلقه، ومعنى ذلك في جميع ما خلقه الله تعالى وأوجده فيه وجه من وجوه الحكمة، وليس فيه وجه من وجوه القبح. وذلك يدل على أن الكفر والضلال وسائر القبائح ليست من خلقه. ولفظة (كل) وإن كانت شاملة للأشياء كلها، فالمراد به الخصوص - ههنا - لأنه أراد ما خلقه الله تعالى من مقدوراته دون مقدور غيره، ونصب قوله " خلقه " بالبدل من قوله " كل شيء " كما قال الشاعر:  
وظعني إليك الليل حضنيه انني \* لتلك إذا هاب الهداي فعول (١)

---

(١) مجاز القرآن ٢ / ١٣٠

وتقديره وظعني حضني الليل إليك. وقال الآخر:  
كأن هندا ثناياها وبهجتها \* يوم التقينا على ادحال دباب (١)  
والمعنى كأن ثنايا هند وبهجة هند. وقوله " وبدأ خلق الانسان من طين "  
أي ابتداء خلق الانسان من طين، يريد انه خلق آدم الذي هو أول الخلق  
من طين، لان الله تعالى خلق آدم من تراب، فقلبه طينا، ثم قلب الطين  
حيوانا، وكذلك قال " إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم  
قال له كن فيكون " (٢) وقال - ههنا - و " وبدأ خلق الانسان من طين "  
وكل ذلك لما في التصريفيين دليل وقوله " ثم جعل نسله من سلالة " يعني نسل  
الانسان الذي هو آدم وولده من سلالة، وهي الصفوة التي تنسل من غيرها  
خارجة، قال الشاعر:

فجاءت به غضب الأديم غضنفرا \* سلالة فرج كان غير حصين (٣)  
" من ماء مهين " قال قتادة: المهين الضعيف. وهو (فعيل) من المهنة.  
وقوله " ثم سواه " أي عدله ورتب جوارحه " ونفخ فيه " يعني في  
ذلك المخلوق \* (من روحه) \* فأضافه إلى نفسه إضافة اختصاص وإضافة ملك على  
وجه التشريف. ثم قال " وجعل لكم " معاشر الخلق " السمع " لتسمعوا به  
الأصوات " والابصار " لتبصروا بها المرئيات " والأفئدة " أي وخلق لكم  
القلوب لتعقلوا بها \* (قليلا ما تشكرون) \* أي تشكرون نعم الله قليلا من كثير  
و (ما) زائدة، ويجوز أن تكون مصدرية، والتقدير قليلا شكركم، لان نعم

---

(١) مجاز القرآن ٢ / ١٣٠

(٢) سورة ٣ آل عمران آية ٥٩

(٣) مر تخريجه في ٧ / ٣٥٣

الله لا تحصي. ثم حكى عن الكفار فقال \* (وقالوا أنذا ضللنا في الأرض) \* وفيه لغتان فتح اللام وكسرهما، وكل شيء غلب عليه غيره حتى يغيب فيه، فقد ضل فيه، قال الأخطل:

كنت القذي في موج اكدر مزبد \* قذف الآتي به فضل ضللا (١)  
وقال مجاهد وقتادة: معنى \* (ضللنا) \* هلكنا. وقال أبو عبيدة: همدنا فلم يوجد لهم دم ولا لحم \* (أئنا لفي خلق جديد) \* حكاية عن تعجبهم وقولهم كيف نخلق خلقا جديدا، وقد هلكنا وتمزقت أجسامنا. ثم قال \* (بل) \* هؤلاء الكفار \* (بلقاء ربهم) \* بالعذاب والعقاب \* (كافرون) \* أي جاحدون، فلذلك قالوا: إذا ضللنا في الأرض أئنا لفي خلق جديد، جعل \* (إذا) \* منصوبة ب (ضللنا) وتكون في معنى الشرط، ولا توصل إلا بذكر الفاء بعدها، لان \* (إذا) \* قد وليها الفعل الماضي ولا يجوز أن تنصب (إذا) بما بعدها إذ لا خلاف بين النحويين فيه. وقرأ الحسن \* (صللنا) \* بالصاد غير منقوطة. ومعناه أحد شيئين: أحدهما - انتنا وتغيرنا وتغيرت صورنا، يقال صل اللحم، وأصل إذا أنتن، والثاني - صللنا صرنا من جنس الصلة وهي الأرض اليابسة. قوله تعالى:

\* (قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون (١١) ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون (١٢) ولو

شئنا لآتيننا كل نفس هديها ولكن حق القول مني لأملأن  
جهنم من الجنة والناس أجمعين (١٣) فذوقوا بما نسيتم لقاء  
يومكم هذا إنا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم  
تعملون (١٤) إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجدا  
وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون) \* (١٥) خمس آيات بلا خلاف.  
أمر الله نبيه صلى الله عليه وآله أن يخاطب المكلفين بأن يقول لهم " يتوفاكم ملك الموت "

أي يقبض أرواحكم، قال قتادة يتوفاكم ومعه أعوان من الملائكة، والتوفي  
أخذ الشيء على تمام، قال الراجز:  
ان بني أدرد ليسوا من أحد \* ولا توفاهم قريش في العدد (١)  
ومنه قوله " الله يتوفى الأنفس حين موتها " (٢) ويقال: استوفى الدين  
إذا قبضه على كماله، فملك الموت يتوفى الانسان باخذ روحه على تمام فيخرج بها  
إلى حيث امره الله تعالى. وقوله " يتوفاكم " يقتضي أن روح الانسان هي الانسان  
فالإضافة فيها وقعت كما وقعت في نفس الانسان، والملك مشتق من الالوكة  
وهي الرسالة كما قال الهذلي.  
الكني إليها وخير الرسو \* ل أعلمهم بنواحي الخبر (٣)  
وقوله " الذي وكل بكم " صفة للملك الذي يتوفى الأنفس، وأن الله

---

(١) مر في ٣ / ٣٠٤ و ٤ / ١٦٩

(٢) سورة ٣٩ الزمر آية ٤٢

(٣) مر في ٨ / ١١

قد وكله بمعنى فوض إليه قبض الأرواح. والتوكيل تفويض الامر إلى غيره للقيام به، وكله توكيلا، وتوكل عليه توكللا، ووكله يوكله وكالة. وقوله " ثم إلى ربكم ترجعون " معناه إنكم إلى جزاء الله من الثواب والعقاب تردون. وإنما جعل الرجوع إلى الجزاء رجوعا إليه تفخيما للامر. وقيل: معناه تردون إلى أن لا يملك لكم أحد ضرا ولا نفعا إلا الله تعالى. وفيه تعظيم لهذه الحال. واقتضى الوعيد. ثم قال لنبيه صلى الله عليه وآله " ولو ترى " يا محمد " إذ المجرمون " فجواب (لو) محذوف وتقديره: ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤسهم إذا بعثوا، من الندم على تفريطهم في الايمان لرأيتم ما تعتبرون به. والخطاب للنبي صلى الله عليه وآله والمراد به الأمة " ناكسوا رؤسهم " من الغم. وقيل: من الحياء والخزي مما ارتكبه من المعاصي " عند ربهم " يعني يوم القيامة الذي يتولى الله تعالى حساب خلقه. وفي الكلام حذف لان تقديره قائلين " ربنا أبصرنا وسمعنا " ومعناه أبصرنا الرشد وسمعنا الحق. وقيل: معناه أبصرنا صدق وعدك وسمعنا تصديق رسلك. وقيل معناه: إنا كنا بمنزلة العمي، فقد أبصرنا، وبمنزلة الصم، فسمعنا " فارجعنا " أي ردنا إلى دار التكليف " نعمل صالحا " من الطاعات غير الذي كنا نعمل من المعاصي " إنا موقنون " اليوم لا نرتاب بشئ من الحق والرسالة. ثم قال تعالى مخبرا عن نفسه " ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها " ومعناه الاخبار عن قدرته انه يقدر على إلجائهم إلى الايمان بان يفعل أمرا من الأمور يلجئهم إلى الاقرار بتوحيد الله، لكن ذلك يبطل الغرض بالتكليف، لان المقصود استحقاق الثواب، والالغاء لا يثبت معه استحقاق الثواب وقال الجبائي يجوز أن يكون المراد ولو شئنا لأجبناهم إلى ما سألوا ولرددتهم إلى دار التكليف

ليعملوا بالطاعات " ولكن حق القول مني " أن أجازيهم بالعقاب، ولا أردهم وقيل: ولو شئنا لهديناهم إلى الجنة " ولكن حق القول مني " أي أخبرت وأوعدت أنني " لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين " بكفرهم بالله وجحدهم وحدانيته وكفرانهم نعمه. ثم حكى تعالى ما يقال لمن تقدم ذكره الذين طلبوا الرجوع إلى دار التكليف، فإنه يقال لهم يوم القيامة، إذا حصلوا في العذاب " فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا " أي إنما فعلتم فعل من نسي لقاء جزاء هذا اليوم، فتركتكم ما أمركم الله به وعصيتموه " أنا نسيناكم " أي فعلنا معكم جزاء على ذلك فعل من نسيكم يعني من ثوابه، وترككم من نعيمه. والنسيان الترك. ومنه قوله " ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي " (١) وقال النابغة: سفود شرب نسوه عند مفتاد (٢)

أي تركوه فلم يستعملوه، قال المبرد، لأنه لو كان المراد النسيان الذي هو ضد الذكر لجاز أن يكونوا استعملوه " وذوقوا عذاب الخلد " الذي لا فناء له جزاء " بما كنتم تعملون " من المعاصي.

ثم أخبر تعالى عن حال المؤمنين ووصفهم بأن المؤمن على الحقيقة الكامل الايمان بآيات الله وبحججه " هم الذين إذا ذكروا " بحجج الله وتليت عليهم آياته خروا سجدا شكرا على ما هداهم لمعرفة وأنعم عليهم من فنون نعمه ونزهوا الله تعالى عما لا يليق به من الصفات وعن الشرك به حامدين لربهم غير مستكبرين ولا مستنكفين من الطاعة.

---

(١) سورة ٢٠ طه آية ١١٥

(٢) مر هذا البيت كاملا في ٦ / ٨٧

قوله تعالى:

\* (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون (١٦) فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون (١٧) أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستون (١٨) أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون (١٩) وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون) \* (٢٠) خمس آيات بلا خلاف.

قرأ " أخفي " باسكان الياء حمزة ويعقوب. الباقون - بفتح الياء - من سكن الياء جعله فعلا مستقبلا وحجته قراءة عبد الله " ما تخفي لهم " ومن فتح جعله فعلا ماضيا على ما لم يسم فاعله، فعلى قراءة حمزة (ما) نصب مفعول به، وعلى ما في القرآن إن موضع (ما) رفع بما لم يسم فاعله. والله فاعله و \* (قرة أعين) \* شئ أعده الله لعباده لم يطلعهم عليه في دنياهم، كما قال النبي صلى الله عليه وآله (هو)

مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر) وصف الله تعالى المؤمنين الذين ذكرهم في الآية الأولى في هذه الآية بأن قال: وهم الذين لا يستنكفون عن عبادته " تتجافى جنوبهم عن المضاجع " أي يرتفعون عن

مواضعهم التي ينامون عليها فالتجافي تعاطي الارتفاع عن الشيء، ومثله النبو  
يقال جفا عنه يحفو جفاء إذا نبا عنه. وتجافى عنه يتجافى تجافيا، واستجفاه استجفاء  
والمضجع موضع الاضجاع، والاضطجاع هو القاء النفس " يدعون ربهم "  
أي داعين ربهم الذي خلقهم وأوجدهم \* (خوفا) \* من عذابه يسألونه المغفرة  
\* (وطمعا) \* في ثوابه. وانتصب \* (خوفا، وطمعا) \* على أنه مفعول له أي للخوف  
وللطمع \* (ومما رزقناهم ينفقون) \* في طاعة الله وسبيل ثوابه. ووجه المدح بذلك  
أن هؤلاء المؤمنين يقطعهم اشتغالهم بالدعاء لله عن طيب المضطجع لما يأملون به  
من الخير والبركة من الله تعالى، لأن آمالهم مصروفة إليه، واتكالهم في أمورهم  
عليه، وقال الشاعر في التجافي:

وصاحبي ذات هباب دمشق \* وابن ملاط متجاف ادفق (١)  
أي متنح عن كركرتها، وقال أنس وقتادة: انه مدح قوما كانوا يتنفلون  
بين المغرب والعشاء. وقال الضحاك: انهم كانوا يذكرون الله بالدعاء والتعظيم  
وقال قتادة: \* (خوفا) \* من عذاب الله \* (وطمعا) \* في رحمة الله \* (ومما رزقناهم  
ينفقون) \* في طاعة الله. وقال أبو جعفر، وأبو عبد الله عليهما السلام الآية متناولة لمن  
يقوم إلى صلاة الليل عن لذيذ مضجعه وقت السحر، وبه قال معاذ والحسن  
ومجاهد. وقال عبد الله بن رواحة في صفة النبي صلى الله عليه وآله:  
يبست يجافي جنبه عن فراشه \* إذا استثقلت بالمشركين المضاجع  
ثم قال تعالى \* (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين) \* تحتل (ما) في  
قوله \* (ما أخفي) \* أن تكون بمعنى الذي ويكون موضعها نصب، ويحتل أن  
تكون بمعنى (أن) ويكون موضعها الرفع، وتكون الجملة في موضع نصب، والمعنى

---

(١) مجاز القرآن ٢ / ١٣٢



ليس يعلم أحد كنه ما أعد الله لهؤلاء المؤمنين الذين تقدم وصفهم من أنواع اللذات والأشياء التي تفر أعينهم بها على كنه معرفتها. وقولهم قرت عيناه أي فرحها الله. لان المستبشر الضاحك يخرج من عينه ماء بارد من شؤونه. والباكي جزعا يخرج من عينيه ماء سخن من الكبد، ومنه قولهم: سخنت عينه - بكسر الخاء - \* (جزاء بما كانوا يعملون) \* من الطاعات في دار التكليف، وإنما نفى العلم عنهم مع أن المؤمن يعلم أنه مستحق للثواب، لان العلم بالشئ يكون من وجهين: أحدهما - ان يعلم الشئ على طريق الجملة، وهو الذي يحصل للمؤمن في دار التكليف.

والآخر - ان يحصل على طريق التفصيل، وذلك موقوف على مشاهدتهم للثواب الذي يروونه عند زوال التكليف وحضور الثواب. ثم قال تعالى \* (أفمن كان مؤمنا) \* مصدقا بالله عارفا به وبأنبيائه عاملا بما أوجبه الله عليه وندبه إليه \* (كمن كان فاسقا) \* خارجا عن طاعة الله بارتكاب معاصيه على وجه الانكار لذلك، فلذلك جاء به على لفظ الاستفهام، ثم اخبر تعالى بأنهم \* (لا يستوون) \* قط، لان منزلة المؤمن الثواب وأنواع اللذات، ومنزلة الفاسق العذاب وفنون العقاب. ثم فسر ذلك بما قال بعده فقال \* (اما الذين آمنوا) \* بالله وصدقوه وصدقوا أنبياءه \* (وعملوا الصالحات) \* وهي الطاعات مع ذلك \* (فلهم جنات المأوى) \* فالمأوى المقام أي لهم هذه البساتين التي وعدهم الله بها يأوون إليها \* (نزلا بما كانوا يعملون) \* أي في مواضع لهم ينزلون فيها مكافأة لهم على طاعاتهم التي عملوها. وقال الحسن: \* (نزلا) \* أي عطاء نزلوه \* (وأما الذين فسقوا) \* بخروجهم عن طاعة الله إلى معاصيه \* (فمأواهم النار) \* يأوون إليها نعوذ بالله منها \* (كلما أرادوا ان يخرجوا منها) \* أي كلما كادوا وهموا

بالخروج منها لما يلحقهم من العذاب \* (أعيدوا فيها) \* أي ردوا فيها وقال الحسن: كلما كادوا الخروج منها لأنها ترميهم بلهبها ضربوا بمقامع حتى يعودوا فيها، وقيل: لهم مع ذلك على وجه التقريع والتبكيث \* (ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون) \* أي العذاب الذي كنتم به تجحدون في دار الدنيا ولا تصدقون به. وقال ابن أبي ليلى: نزلت الآية في رجل من قريش وعلي عليه السلام وقال غيره: إن هذه الآيات نزلت في علي ابن أبي طالب عليه السلام والوليد بن عقبة بن أبي معيط، فالمؤمن المراد به علي عليه السلام والوليد بن عقبة، روي أنه لقيه يوما فقال لعلي: أنا أبسط منك لسانا واحد منك سنانا، فقال علي: عليه السلام ليس كما قلت يا فاسق. فنزل قوله \* (أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا....) \* فقال قتادة: والله ما استووا، لا في الدنيا ولا في الآخرة ولا عند الموت. قوله تعالى:

\* (ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون (٢١) ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها إنا من المجرمين منتقمون (٢٢) ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه وجعلناه هدى لبني إسرائيل (٢٣) وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون (٢٤) إن ربك هو يفصل بينهم يوم القيمة فيما كانوا

فيه يختلفون) \* (٢٥) خمس آيات بلا خلاف.

قرأ حمزة والكسائي ورويس \* (لما صبروا) \* بكسر اللام والتخفيف أي لصبرهم، الباكون بالتشديد وفتح اللام بمعنى حين صبروا.

اقسم الله تعالى في هذه الآية، لان اللام في قوله \* (ولنديقنهم) \* هي التي يتلقى بها القسم، وكذلك النون الثقيلة، بأنه يذيق هؤلاء الفساق الذين تقدم وصفهم العذاب الأدنى بعض ما يستحقونه. وقيل: العذاب الأدنى هو العذاب الأصغر وهو عذاب الدنيا بالقتل والسبي والقحط والفقر والمرض والسقم وما جرى هذا المجرى. وقيل: هو الحدود. وقيل: عذاب القبر. عن جعفر بن محمد عليهما السلام: ان العذاب الأدنى هو القحط، والأكبر خروج المهدي بالسيف. والعذاب الأكبر عند المفسرين هو عذاب الآخرة بالنار التي يستفزع الانسان بالآلام وفي الأدنى معنى الأقرب. وقد يكون الأدنى من الأشياء في الحسن، وهو أن يفعل على أنه ليس فيه ظلم لاحد إذا فعل للشهوة، والأدنى في القبح ما يفعل وفيه ظلم يسير اتباعا للشهوة، والأعلى في الحسن هو ما ليس فوقه ما هو أعلى منه يستحق به العبادة. والأدنى في العذاب أكبر في الآلام، لان العذاب استمرار الألم، وليس فوق عذاب الكفر عذاب، لان عذاب الفسق دونه. وقال ابن عباس: وأبي بن كعب والحسن: العذاب الأدنى مصائب الدنيا. وقال ابن مسعود: هو القتل يوم بدر. والعذاب الأكبر عذاب الآخرة. وهو قول الحسن ومجاهد وابن زيد وابن مسعود.

وقوله \* (لعلهم يرجعون) \* إخبار منه تعالى أنه يفعل بهم ما ذكره من العذاب الأدنى، ليرجعوا عن معاصي الله إلى طاعته ويتوبوا منها. وهو قول

عبد الله وأبي العالية وقتادة.

ثم قال الله تعالى على وجه التقريع لهم والتبكيت " ومن أظلم " لنفسه بارتكاب المعاصي وإدخالها في استحقاق العقاب " ممن ذكر بآيات ربه " أي ينبه على حججه تعالى التي توصله إلى معرفته ومعرفة ثوابه، " ثم أعرض عنها " جانبا، ولم ينظر فيها. ثم قال " إنا من المجرمين " الذين يفعلون المعاصي بقطع الطاعات وتركها " منتقمون " بأن نعذبهم بعذاب النار.

ثم أخبر تعالى فقال " ولقد آتينا موسى الكتاب " يعني التوراة " فلا تكن في مرية من لقاءه " أي في شك من لقاءه يعني لقاء موسى ليلة الاسراء بك إلى السماء - على ما ذكره ابن عباس - وقيل: فلا تكن في مرية من لقاء موسى في الآخرة، وقال الزجاج: فلا تكن يا محمد في مرية من لقاء موسى الكتاب. والمرية الشك. وقال الحسن: فلا تكن في شك من لقاء الأذى، كما لقي موسى كأنه قال: فلا تكن في شك من أن تلقى كما لقي موسى " وجعلناه هدى لبني إسرائيل " قال قتادة: وجعلنا موسى هاديا لبني إسرائيل، وضع المصدر في موضع الحال. وقال الحسن: معناه جعلنا الكتاب هاديا لهم " وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا " قال قتادة: معناه جعلنا منهم رؤساء في الخير يقتدى بهم يهدون إلى فعل الخير بأمر الله " لما صبروا " قيل: فيه حكاية الجزاء، وتقديره قيل لهم: إن صبرتم جعلناكم أئمة، فلما صبروا جعلوا أئمة - ذكره الزجاج - و " كانوا بآياتنا " أي بحججنا " يوقنون " أي لا يشكون فيه. واليقين وجدان النفس بالثقة على خلاف ما كانت عليه من الاضطراب والحيرة.

ثم قال لنبيه " إن ربك " يا محمد " هو " الذي " يفصل بينهم يوم القيامة " أي يحكم بينهم، يعني بين المؤمن والكافر والفاسق " في ما كانوا فيه يختلفون "

في دار الدنيا من التصديق بالله وبرسوله والايمان بالبعث والنشور وغير ذلك.  
قوله تعالى:

\* (أولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إن في ذلك لآيات أفلا يسمعون (٢٦) أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون (٢٧) ويقولون متى هذا الفتح إن كنتم صادقين (٢٨) قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون (٢٩) فأعرض عنهم وانتظر إنهم منتظرون) \* (٣٠) خمس آيات بلا خلاف.

القراء كلهم على الياء في قوله " أولم يهد لهم " بمعنى أولم يهد إهلاكنا لهم لمن مضى من القرون. وقرئ بالنون بمعنى الاخبار عن الله تعالى أنه الذي بين لهم هلاك الماضين وأرشدهم بذلك إلى الحق وأتباعه، فأضافه إلى نفسه. يقول الله تعالى منبهاً لخلقها على وجه الاعتبار بحججه " أو لم يهد لهم " ومعناه أو لم يبصرهم ويرشدهم من غوايتهم، يقال: هداه يهديه في الدين هدى، وهدى إلى الطريق هداية، واهتدى إذا قبل الهداية. والواجب من الهدى: هو ما يؤدي إلى ما ليس للعبد عنه غنى في دينه، فاللطف على هذا هدى. والنظر المؤدي إلى معرفة الله هدى. وفاعل " يهد " مضمر فيه،

وتقديره أو لم يهد لهم إهلاكنا من أهلكتناهم من القرون الماضية جزاء على كفرهم بالله وارتكابهم لمعاصيه، ولا يجوز أن يكون فاعل " يهد " كم " في قوله " كم أهلكتنا لان " كم " لا يعمل فيها ما قبلها إلا حروف الإضافة، لأنها على تقدير الاستفهام الذي له صدر الكلام، وأجاز الفراء أن يكون فاعل " يهد " كم " ولم يجره البصريون.

وقوله " يمشون في مساكنهم " اي أهلكتناهم بغتة وهم متشاغلين بنفوسهم ويمشون في منازلهم. ثم قال " إن في ذلك لآيات " أي لحججا واضحات " أفلا يسمعون " ومعناه أفلا يتدبرون ما يسمعون من هذه الآيات، لان من لا يتدبر ما يسمعه، ولا يفكر فيه. فكأنه لم يسمعه. ثم نبههم على وجه آخر فقال " أو لم يروا " ومعناه أو لم يعلموا " أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعاً تأكل منه انعامهم وأنفسهم " فالسوق الحث على السير، ساقه يسوقه سوقاً، فهو سائق، يقول الله تعالى نسوق ماء المطر إلى هذه الأرض الجرز، فنبت به ضروباً من النبات الذي يتغذى به الانسان والانعام وغيرهم والأرض الجرز هي الأرض اليابسة التي ليس فيها نبات، انقطع ذلك لانقطاع الأمطار، وهو مشتق من قولهم: سيف جراز أي قطاع، لا يلقي على شيء إلا قطعه وناقة جراز، إذا كانت تأكل كل شيء لأنها لا تبقي شيئاً إلا قطعته بفيها وأرض جروز، وهي التي لا تبقي على ظهرها شيئاً إلا أهلكته، كالناقة الجراز ورجل جروز أكول، قال الراجز:

خب جروز إذا جاع بكا \* يأكل التمر ولا يلقي النوى (١)  
وفيه أربع لغات أرض جرز - بضم الجيم والراء، وبضم الجيم واسكان

---

(١) تفسير القرطبي ١٤ / ١١٠

الراء وبفتح الجيم والراء، وبفتح الجيم واسكان الراء.  
وقال ابن عباس \* (نسوق الماء) \* بالسيول، لأنها مواضع عالية، قال وهي:  
قرى بين اليمن والشام. ثم قال \* (أفلا يبصرون) \* بأن يفكروا في ذلك  
فيدلهم على أنه لا يقدر على ذلك أحد غير الله الذي لا شريك له. ثم حكى  
عنهم أنهم \* (يقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين) \* مستعجلين لما وعد الله  
تعالى من الفصل بينهم في قوله \* (ان ربك هو يفصل بينهم) \* يعنون متى يجيء  
فتح الحكم بينا وبينكم في الثواب والعقاب، والفتح القضاء والحكم، وقيل: انه  
أراد به فتح مكة، فعلى هذا قوله \* (يوم الفتح) \* يوم فتح مكة \* (لا ينفع الذين  
كفروا إيمانهم) \* لا يليق به. وقيل: لا ينفع الذين قبلهم خلد - من بني كنانة -  
إيمانهم. والتأويل هو الأول، فقال الله تعالى لنبيه محمد \* (قل) \* لهم يا محمد \* (يوم  
الفتح) \* أي يوم القضاء والفصل. وقال مجاهد: يوم القيامة \* (لا ينفع الذين  
كفروا) \* بآيات الله \* (إيمانهم) \* لان التكليف قد زال عنهم، ومعارفهم تحصل  
ضرورة \* (ولا هم ينظرون) \* أي ولا يؤخرون أيضا، فلا ينبغي ان يستعجلوا  
مجيئه. ثم قال لنبيه صلى الله عليه وآله \* (فأعرض عنهم) \* يا محمد، فإنه لا ينفع فيهم  
الدعاء والوعظ. وقيل: كان ذلك قبل أن يؤمر بالجهاد. وقيل: أعرض  
عن أذاهم \* (وانتظر) \* حكم الله تعالى فيهم وإهلاكه لهم \* (فإنهم منتظرون) \*  
أيضا الموت الذي يؤديهم إلى ذلك. وقيل: انه سيأتيهم ذلك، فكأنهم  
كانوا ينتظرونه.

### ٣٣ - سورة الأحزاب

مدنية في قول مجاهد والحسن وهي ثلاث وسبعون آية بلا خلاف.

بسم الله الرحمن الرحيم

\* (يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين

إن الله كان عليهما حكيمًا (١) واتبع ما يوحى إليك من ربك إن

الله كان بما تعملون خبيرًا (٢) وتوكل على الله وكفى بالله

وكيلًا (٣) ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل

أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم وما جعل أدعياءكم

أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي

السبيل (٤) أدعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا

آبائهم فإخوانكم في الدين ومواليكم وليس عليكم جناح

(٣١١)



فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا  
رحيما) \* (٥) خمس آيات.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو، ونافع وأبو جعفر \* (اللاء) \* بهمزة ليس  
بعدها ياء، إلا أن أبا عمرو لين الهمزة. وقرأ ابن عامر وأهل الكوفة بهمزة  
بعدها ياء، وقرأ \* (تظهرون) \* بفتح التاء مشددة الظاء بغير ألف - ابن كثير  
ونافع وأبو عمرو - وقرأ عاصم إلا الكسائي عنه \* (تظاهرون) \* بضم التاء خفيفة  
الظاء والف بعدها. وقرأ ابن عامر بتشديد الظاء والألف وفتح التاء. فمن  
قرأ \* (تظاهرون) \* بتشديد الظاء أراد تتظاهرون، فأدغم إحدى التاءين في  
الظاء. ومن قرأ بغير الف مشدداً أراد تتظاهرون، وادغم إحدى التاءين في  
الظاء، وعاصم جعل الفعل بين اثنين. فقال \* (تظاهرون) \* بضم التاء وتخفيف  
الظاء مع الألف. وقرأ أبو عمرو \* (بما يعملون خبيرا) \* و \* (بما يعملون بصيرا) \*  
بالياء فيهما. الباقيون بالتاء. وجه قراءة أبي عمرو قوله " ولا تطع الكافرين  
والمنافقين " بأن الله يعلم ما يفعلونه، فيجازيهم بحسبه، ووجه التاء الخطاب لهم.  
هذا خطاب من الله تعالى للنبي صلى الله عليه وآله والمراد به جميع الأمة كما قال " يا أيها  
النبي إذا طلقتم " (١) فخصه بالخطاب، وأراد به جميع المكلفين، يأمرهم الله  
بتقواه، وتجنب معاصيه، وفعل طاعاته، فمنهاهم عن طاعة الكافرين الذين يجحدون  
نعم الله ويتخذون معه إلها سواه، ومثل ذلك نهاه عن طاعة المنافقين ومتابعتهم  
لما يريدونه.

وسبب نزول الآية أن أبا سفيان وجماعة من الكفار قدموا على النبي صلى الله عليه وآله

---

(١) سورة ٦٥ الطلاق آية ١

المدينة، ودعوه إلى أشياء عرضوها عليه، فأراد المسلمون قتلهم. فأنزل الله سبحانه " يا أيها النبي اتق الله " في نقض العهد، وقتل هؤلاء الكفار " ولا نطع الكافرين " في ما يدعونك إليه ولا " المنافقين " في قتلهم ونقض العهد. والمنافق هو الذي يظهر الايمان ويطن الكفر، والكافر هو الذي يظهر الكفر ويطنه.

ثم قال " إن الله كان عليما حكيما " في ما يوحى إليك من أمرهم ويأمرك بالطاعة وترك المعصية في متابعتهم في ما يريدونه ولما نهاهم عن متابعة الكفار والمنافقين قال " واتبع ما يوحى إليك من ربك " امره ان يتبع الذي يوحى الله إليه من أمره ونهيه، فعلى موجب هذه الآية لا يجوز لاحد أن يطيع الكفار والمنافقين، وإن دعوهم إلى الحق، ولكن يفعل الحق، لأنه حق لا لأجل دعائهم إليه " إن الله كان بما تعملون خبيرا " تهديدا لهم، لان المراد أنه لا يخفى عليه شئ من أعمالكم

فيجازيكم بحسبها إن كان سوءا عاقبكم، وإن كان طاعة أثابكم عليها. ومن قرأ - بالياء - أراد الاخبار عن الكفار والخطاب متوجه إلى النبي صلى الله عليه وآله. ومن قرأ - بالتاء - خاطب الجميع. ثم أمر النبي صلى الله عليه وآله والمراد به جميع المكلفين فقال " وتوكل على

الله وكفى بالله وكيلا " أمرهم ان يتوكلوا على الله ويفوضوا أمورهم إليه، فان الله تعالى كاف في ما يوكل إليه. و (الوكيل) القائم بالتدبير لغيره بدعاء من له ذلك إليه، فالحكمة تدعو إلى أن الله تعالى القائم بتدبير عباده، فهو وكيل عليهم من أوكد الوجوه.

ثم قال تعالى " ما جعل الله لرجل من قبيلين في جوفه " قال ابن عباس: كان المنافقون يقولون: لمحمد قلبان، فأكذبهم الله. وقال مجاهد وقتادة، وهو

في رواية عن ابن عباس: أنه كان رجل من قريش يدعى ذا القليلين من دهائه وهو أبو معمر جميل بن أسد، فنزلت هذه الآية فيه. وقال الحسن: كان رجل يقول: لي نفس تأمرني ونفس تنهاني، فأنزل الله فيه هذه الآية. وقال الزهري: هو مثل في أن هذا ممتنع كامتناع أن يكون ابن غيرك ابنك. وروي عن جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: ما جعل الله لرجل من قبلين في جوفه يحب بهذا قوما ويحب بهذا أعداءهم. ولا يمكن أن يكون لإنسان واحد قلبان في جوفه، لأنه كان يمكن أن يوصل إنسانان فيجعلان إنسانا واحدا، وقد يمكن أن يوصلا بما لا يخرجهما عن أن يكونا إنسانين، وليس ذلك إلا من جهة القلب الواحد أن القليلين، لأنه إذا جعل لهما قلبان يريد أحدهما بقلبه مالا يريد الآخر ويشتهي مالا يشتهي الآخر، ويعلم مالا يعلم الآخر فهما حيان لا محالة، وليسا حيا واحدا. وقال الرمانى: لا يجوز أن توجد الإرادة والمعرفة في جزئين من القلب أو أجزاء وإنما يصح أن توجد في جزء واحد، قال: لأن ما يوجد في جزئين بمنزلة ما يوجد في قلبين، وقد بطل أن يكون لإنسان واحد قلبان. وهذا الذي ذكره ليس بصحيح، لأنه لا يمتنع أن يوجد معنيان مختلفان في جزئين من القلب، لأنهما وإن وجدا في جزئين فالحالان الصادران عنهما يرجعان إلى الجملة وهي جملة واحدة وليسا يوجبان الصفة للمحل الواحد فيتنافى، فعلى هذا لا يجوز أن يوجد في جزئين من القلب معنيان ضدان، لاستحالة اجتماع معنهما في الحي الواحد، ويجوز أن يوجد معنيان مختلفان أو مثلان في جزئين من القلب ويوجبان الصفتين للحي الواحد، وعلى هذا القياس ليس يمتنع أن يوجد قلبان في جوف واحد إذا كان ما يوجد فيهما يرجع إلى حي واحد، وإنما المتنافي أن يرجع ما يوجد منهما إلى حيين، وذلك محال.

وقوله " وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم " أي ليس نساؤكم وأزواجكم إذا قُلتن لهن أنتن علي كظهر أمي يصرن أمهاتكم على الحقيقة لان أمهاتكم على الحقيقة هن اللائي ولدنكم وأرضعنكم. وقال قتادة: إذا قال لزوجته أنت علي كظهر أمي، فهو مظاهر، وعليه الكفارة. وعندنا إن الظهار لا يقع إلا أن تكون المرأة طاهرا، ولم يقربها في ذلك الطهر بجماع، ويحضر شاهدان رجلان مسلمان، ثم يقول لها أنت علي كظهر أمي، ويقصد التحريم. فإذا قال ذلك حرم عليها وحرمت عليه أن يطأها حتى يكفر. وإن اختل شيء من شرائطه، فلا يقع ظهار أصلا.

وقوله " وما جعل أدعياءكم أبناءكم " قال قتادة ومجاهد وابن زيد: نزلت في زيد بن حارثة، فإنه كان يدعى ابن رسول الله، والأدعياء جمع دعي، وهو الذي تبناه الإنسان. وبين الله تعالى أن ذلك ليس بابن علي الحقيقة، ولذلك قال في آية أخرى " ما كان محمد أبا أحد من رجالكم " (١) وقوله " ذلكم قولكم بأفواهكم " يعني أن قولكم في الدعي أنه ابن الرجل قول تقولونه بألسنتكم لا حقيقة له عند الله. ثم قال " والله يقول الحق " في ما بينه " وهو يهدي السبيل " يعني طريق الحق الذي يفضي بكم إلى الثواب. ثم أمر المكلفين بأن يدعوا الأدعياء " لأبائهم " الذين ولدوهم وينسبونهم إليهم أو إلى من ولدوا على فراشهم " اقسط " أي، فإن ذلك اعدل عند الله، واقسط بمعنى اعدل " فإن لم تعلموا آباءهم " ولا تعرفوهم بأعيانهم فهم \* (أخوانكم في الدين) \* أي في الملة فادعوههم بذلك \* (ومواليكم) \* أي بنو عمكم أو لكم ولأههم إذا كنتم أعتقتموهم من رق. ثم قال " وليس عليكم جناح " أي حرج " في ما أخطأتم به " فنسبتموه

---

(١) سورة ٣٣ الأحزاب آية ٤٠

إلى من انتمي إليه وإن الله لا يؤاخذكم به " ولكن ما تعمدت قلوبكم " فقصدتموه من ذلك وأردتموه هو الذي تؤاخذون به، وموضع (ما) جر، تقديره ولكن في ما تعمدت قلوبكم " وكان الله غفورا رحيمًا " يغفر لكم ما لم تتعمدوا من ذلك، ويستره عليكم ويرحمكم بترك مؤاخذتكم به.  
قوله تعالى:

\* (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفًا كان ذلك في الكتاب مسطورًا (٦) وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقًا غليظًا (٧) ليستل الصادقين عن صدقهم وأعد للكافرين عذابًا أليمًا (٨) يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنود فأرسلنا عليهم ريحًا وجنودًا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرًا (٩) إذ جاءكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذا زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا) \* (١٠) خمس آيات.

قرأ بن كثير والكسائي وحفص عن عاصم " الظنونا " بألف في الوقف دون  
الوصل. وقرأ نافع وأبو جعفر وأبو بكر عن عاصم وابن عامر - بالألف - فيهما  
وقرأ أبو عمرو ويعقوب وحمزة - بغير الف - فيهما وفي المصحف بألف.  
أثبت الألف أثبته لأجل الفواصل التي يطلب بها تشاكل المقاطع، ولأن الألف  
ثابتة في المصاحف، فاتبعوا المصحف، ومن حذف قال: لأن هذا الألف  
يكون بدلا من التنوين في حال الوقف، فإذا دخلت الألف واللام أسقطت  
التنوين، فقط أيضا ما هو بدل منه، ولأن مثل ذلك إنما يجوز في القوافي  
وذلك لا يليق بالقرآن، قال الشاعر:

أقلى اللوم عاذل والعتابا \* [وقولي ان أصبت لقد أصابا (١)]  
أخبر الله تعالى ان " لنبي " صلى الله عليه وآله " أولى بالمؤمنين من أنفسهم " بمعنى  
أحق بتدبيرهم، وبأن يختاروا ما دعاهم إليه. وأحق بأن يحكم فيهم بما لا يحكم  
به الواحد في نفسه لوجوب طاعته التي هي مقرونة بطاعة الله، وهو أولى في  
ذلك وأحق من نفس الانسان، لأنها ربما دعت إلى اتباع الهوى، ولأن  
النبي صلى الله عليه وآله لا يدعو إلا إلى طاعة الله، وطاعة الله أولى ان تختار على طاعة  
غيره.

وواحد الأنفس نفس، وهي خاصة الحيوان الحساسة المدركة التي هي أنفس  
ما فيه. ويحتمل أن يكون اشتقاقه من التنفس، وهو التروح، لأن من شأنها  
التنفس به، ويحتمل أن يكون مأخوذا من النفاسة، لأنها أجل ما فيه وأكرمها.  
ثم قال " وأزواجه أمهاتكم " والمعنى أنهن كالأمهات في الحرمة، وتحريم العقد  
عليهن. ثم قال " وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين  
والمهاجرين " أولوا الأرحام هم أولوا الأنساب. لما ذكر الله أن أزواج النبي أمهاتهم

(١) قائله جرير ديوانه ٥٨ وسيبويه ٢ / ٢٨، ٢٩٩

في الحكم من جهة عظم الحرمة، قال " وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض " أي الا ما بين الله في كتابه مما لا يجوز لأزواج النبي صلى الله عليه وآله أن يدعين أمهات المؤمنين. وقال قتادة: كان الناس يتوارثون بالهجرة فلا يرث الاعرابي المسلم المهاجر حتى نزلت الآية. وقيل: إنهم كانوا يتوارثون بالمؤاخاة الأولى. ثم نسخ ذلك، فبين الله تعالى أن " أولى الأرحام بعضهم أولى ببعض " أي من كان قرباه أقرب فهو أحق بالميراث من الأبعد، وظاهر ذلك يمنع أن يرث مع البنت والام أحد من الاخوة والأخوات، لان البنت والام أقرب من الاخوة والأخوات، وكذلك يمنع أن يرث مع الأخت أحد من العمومة والعمات وأولادهم، لأنها أقرب، والخبر المروي في هذا الباب أن (ما أبقت الفرائض فلاولي عصبه ذكر) خبر واحد مطعون على سنده، لا يترك لأجله ظاهر القرآن الذي بين فيه ان أولى الأرحام الأقرب منهم أولى من الأبعد " في كتاب الله من المؤمنين " المؤاخين والمهاجرين.

وقوله " إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفًا " استثناء منقطع، ومعناه لكن إن فعلتم إلى أوليائكم معروفًا من المؤمنين وحلفائكم ما يعرف حسنه وصوابه فهو حسن، ولا يكون على وجه نهى الله تعالى عنه، ولا أذن فيه. وقال مجاهد معروفًا من الوصية لهم بشئ، والعقل عنهم والنصرة لهم، ولا يجوز أن يكونوا القرابة المشركين على ما قال بعضهم، لقوله " لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء " (١) وقد أجاز كثير من الفقهاء الوصية للقرابات الكفار. وعندنا ان ذلك جائز للوالدين والولد.

وقوله " كان ذلك في الكتاب مسطورا " يعني أن ما ذكره الله كان مكتوبا

---

(١) سورة ٦٠ الممتحنة آية ١

في الكتاب المحفوظ أثبتته الله وأطلع عليه ملائكته لما لهم في ذلك من اللطف فلا يجوز خلاف ذلك، وقيل: مسطورا في القرآن. و (من) يحتمل أمرين: أحدهما - أن يكون دخلت ل (أولى) أي بعضكم أولى ببعض من المؤمنين والثاني - أن يكون التقدير، وأولوا الأرحام من المؤمنين والمهاجرين أولى بالميراث.

وقوله " وإذ أخذنا من النبيين " تقديره واذكر يا محمد حين اخذ الله من النبيين ميثاقهم، قال ابن عباس: الميثاق العهد والميثاق الغليظ اليمين بالله تعالى على الوفاء بما حملوا. وقوله " ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم واخذنا منهم ميثاقا غليظا " يعني ما عهد الله تعالى إلى الأنبياء المذكورين وأمرهم به من اخلاص العبادة له، وخلع الأنداد من دونه، والعمل بما أوجبه عليهم وندبهم إليه، ونهاهم عن معاصيه، والاخلال بواجباته. وقال البلخي: معناه ما أمرهم الله به من أداء الرسالة والقيام بها.

وقوله " ليسأل الصادقين عن صدقهم " قال مجاهد: معناه فعل ذلك ليسأل الأنبياء المرسلين ما الذي أجاب به أممكم، ويجوز ان يحمل على عمومهم في كل صادق، ويكون فيه تهديد للكاذب، فان الصادق إذا سئل عن صدقه على أي وجه قال فيجازي بحسبه، فكيف يكون صورة الكاذب.

ثم قال " واعد للكافرين عذابا أليما " أي أعد لهم عذابا مؤلما، وهو عذاب النار - نعوذ بالله منها.

ثم خاطب المؤمنين فقال " يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنود " أي في حال ما جاءكم جنود يعني يوم الأحزاب، وهو يوم الخندق حيث اجتمعت العرب على قتال النبي صلى الله عليه وآله قريش وغطفان وبنو قريظة



وتضافروا على ذلك " فأرسلنا عليهم " اي فأرسل الله تعالى عليهم نصره  
لنبيه ونعمة على المؤمنين " ريحا " استقبلتهم ورمت في أعينهم الحصباء واكفئت  
قدورهم وأطفئت نيرانهم، وقلعت بيوتهم واطنابهم وارسل الله عليهم " جنودا " من  
الملائكة نصره للمؤمنين، روى ذلك يزيد بن رومان " لم تروها " اي لم  
تروا الملائكة أنتم بأعينكم، لأنها أجسام شفافة لا يصح إدراكها " وكان الله بما  
تعملون بصيرا " من قرء بالياء أراد ان الله عالم بما يعمله الكفار. ومن قرأ  
بالتاء وجه الخطاب إلى المؤمنين.

ثم قال واذكر " إذ جاؤكم " يعني جنود المشركين \* (من فوقكم) \* وهم  
عينة بن حصين بن بدر في أهل نجد \* (ومن أسفل منكم) \* وهم أبو سفيان في  
قريش وواجهتهم قريظة، وهو قول مجاهد: \* (وإذ زاغت الابصار) \* أي اذكر  
إذ عدلت الابصار عن مقرها. قال قتادة معناه: شخصت من الخوف \* (وبلغت  
القلوب الحناجر) \* أي نأت عن أماكنها من الخوف. وقيل: قال المسلمون:  
يا رسول الله بلغت القلوب الحناجر فهل من شئ نقوله. قال: نعم قولوا  
\* (اللهم استر عورتنا وأمن روعتنا) \* فضرب الله وجوه أعدائه بريح الصبا، فهزمهم  
الله بها، والحناجر جمع حنجرة، وهي الحلق، قيل: لان الرئة عند الخوف  
تصعد حتى تلحق بالحلق \* (وتظنون بالله الظنون) \* قال الحسن: كانت الظنون  
مختلفة، فظن المنافقون انه يستأصل، وظن المؤمنون انه سينصر. وقيل: كانت  
الريح شديدة البرد تمنع المشركين من الحرب وكانت الملائكة تفقد بعضهم  
عن بعض.

قوله تعالى:

\* (هنا لك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا (١١) وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا (١٢) وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا (١٣) ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها وما تلبثوا بها إلا يسيرا (١٤) ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار وكان عهد الله مسئولا) \* (١٥) خمس آيات.

قرأ حفص عن عاصم \* (لا مقام) \* بضم الميم أي لا إقامة لكم. الباقر - بفتح الميم يعني لا موضع لكم تقومون فيه. وقرأ ابن كثير ونافع وأبو جعفر وابن عامر \* (لاتوها) \* قصرا بمعنى لجأوها. الباقر بالمد، يعني لأعطوها. وقالوا: هو أليق بقوله " ثم سئلوا الفتنة " لان العطاء يطابق سؤال السائل. لما وصف الله تعالى شدة الامر يوم الخندق، وخوف الناس وأن القلوب بلغت الحناجر من الرعب. قال \* (هنالك ابتلي المؤمنون) \* أي اختبروا ليظهر بذلك حسن نياتهم وصبرهم على ما أمرهم الله به من جهاد أعدائه و (هنا) للقريب

من المكان و (هنا لك) للبعيد منه، و (هناك) للمتوسط بين القريب والبعيد  
وسيله سبيل (ذا. وذاك وذلك).

والابتلاء إظهار ما في النفس من خير أو شر، ومثله الاختبار والامتحان  
والبلاء النعمة، لإظهار الخير على صاحبه، والبلاء النعمة لإظهار الشر عليه.  
وقوله \* (وزلزلوا زلزالا شديدا) \* معناه وحركوا بهذا الامتحان تحريكا  
عظيما، فالزلال الاضطراب العظيم ومنه قوله " إذا زلزلت الأرض زلزالها " والزلزلة  
اضطراب الأرض. وقيل: انه مضاعف زل، وزلزه غيره. والشدة قوة تدرك  
بالحاسة، لان القوة التي هي القدرة لا تدرك بالحاسة، وإنما تعلم بالدلالة، فلذلك  
يوصف تعالى بأنه قوي، ولا يوصف بأنه شديد.

ثم قال واذكر يا محمد \* (إذ يقول المنافقون) \* الذين باطنهم الكفر وظاهرهم  
الايمان \* (والذين في قلوبهم مرض) \* أي شك من الايمان بالله ورسوله \* (ما وعدنا  
الله ورسوله) \* اي لم يعدنا الله ورسوله من الظفر والظهور على الدين \* (إلا  
غرورا) \* وقيل: ان النبي صلى الله عليه وآله بشرهم بأنه يفتح عليهم مدائن كسرى وبلاد  
قيصر وغير ذلك من الفتوح، فقالوا: يعدنا بهذا، والواحد منا لا يقدر على أن  
يخرج ليقضي حاجة \* (ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا) \* غرانا به، فالغرور  
ايهام المحبوب بالمكر، يقال: غره يغره غرورا، فهو غار، والغرور الشيطان  
قال الحارث بن حلزة:

لم يغروكم غرورا ولكن \* يرفع الآل جمعهم والضحاء  
وقال يزيد بن رومان: الذي قال هذا القول معتب بن قشيرة وقال العتابي:  
ليس عاقل يقول: إن الله وعد غرورا، لكنهم لما كذبوا رسوله وشكوا في  
خبره، فكأنهم كذبوا الله، وإذا نسبوا الرسول بأنه غرهم، فقد نسبوا الله إلى

ذلك في المعنى، وإن لم يصرحوا به.  
ثم قال واذكر يا محمد \* (إذ قالت طائفة منهم) \* يعني من المنافقين \* (يا أهل يثرب) \* أي يا أهل المدينة، قيل: ان يثرب اسم ارض المدينة. وقال أبو عبيدة: إن المدينة الرسول في ناحية من يثرب. وقيل: يثرب هي المدينة نفسها \* (لا مقام لكم) \* أي ليس لكم مكان تقومون فيه للقتال. ومن ضم أراد: لا إقامة لكم - ذكره الأخفش - وقال يزيد بن رومان: القائل لذلك أوس بن قبطي. ومن وافقه على رأيه \* (فارجعوا) \* أي أمرهم بالرجوع إلى منازلهم. وحكى ان جماعة منهم جاؤوا إلى النبي صلى الله عليه وآله فاستأذنوه للرجوع. وقالوا \* (إن بيوتنا عورة) \*

أي هي مكشوفة نخشى عليها السرقة - ذكره ابن عباس ومجاهد - فكذبهم الله تعالى في قوله \* (وما هي بعورة...) \* وليس يريدون بهذا القول إلا الفرار، والهرب من القتال.

ثم قال \* (ولو دخلت عليهم من أقطارها) \* أي من نواحيها يعني المدينة أو البيوت، فهو جمع قطر، وهو الناحية \* (ثم سئلوا الفتنة) \* يعني الكفر والضلال وقيل: انهم لو دعوا إلى القتال على وجه الحمية والعصبية لجأوا إليها - على قراءة من قصر - ومن مد أراد لأعطوا ما سئلوا إعطاءه من ذلك \* (وما تلبثوا بها إلا يسيرا) \* قال الفراء: وما تلبثوا بالمدينة إلا قليلا حتى يهلكوا. وقال قتادة: معناه وما احتبسوا عن الإجابة إلى الكفر إلا قليلا.

ثم قال \* (ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل) \* يعني عندما بايعوا النبي صلى الله عليه وآله وحلفوا له انهم ينصرونه ويدفعون عنه، كما يدفعون عن نفوسهم، وانهم \* (لا يولون الادبار) \* أي لا يفرون من الزحف \* (وكان عهد الله مسؤولا) \* يعني العهد الذي عاهدوا الله عليه، وحلفوا له به يسألهم عن الوفاء به يوم القيامة.

قوله تعالى:

\* (قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذا لا تمتعون إلا قليلا (١٦) قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا (١٧) قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ولا يأتون بالبأس إلا قليلا (١٨) أشحة عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا (١٩) يحسبون الأحزاب لم يذهبوا وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بأدون في الاعراب يسئلون عن أنبيائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلا) \* (٢٠) خمس آيات.

لما اخبر الله تعالى عن المنافقين الذين استأذنوا النبي صلى الله عليه وآله في الرجوع واعتلوا بأن بيوتهم يخاف عليها، وكذبهم الله في ذلك، وبين أنهم يريدون

الهرب، قال لنبيه صلى الله عليه وآله \* (قل) \* لهم \* (لن ينفعكم الفرار إن فررتم) \* يعني الهرب إن هربتم \* (من الموت أو القتل) \* فإنه لا بد من واحد منهما، وإن هربتم وبقيتم بعده فلا تبقون \* (ولا تتمتعون إلا قليلا) \* من الزمان. ثم لا بد من الموت. والفرار الذهاب عن الشيء خوفا منه، ومثله الهرب، فر يفر فرارا وأفتر إذا باعد بين شفتيه كتباعد الفار، وإنما فرق الله بين الموت والقتل لأن القتل غير الموت، فالقتل نقض بينة الحي، والموت ضد الحياة عند من أثبتته معنى، والقتل يقدر عليه غير الله، وإنما رفع بعد (اذن) لوقوع (اذن) بين الواو والفعل، فصارت بمنزلة ما لم يقع بعده الفعل، كقولك أنا آتيك اذن لأنه مما يجوز فيه الالغاء بأنه يصح الاستدراك، كالأستدراك بالظن، وقد اعملت بعد (ان) في قوله:

لا تتركني فيهم شطيرا \* إني اذن أهلك أو اطيروا (١)  
ثم قال لنبيه صلى الله عليه وآله قل لهم يا محمد من الذي يمنعكم من الله ان أراد أن يفعل بكم سوءا يعني عذابا أو أراد بكم رحمة، فان أحدا لا يقدر على منعه مما يريد الله فعله به (ولا يجدون) هؤلاء \* (لهم من دون الله وليا) \* ينصرهم \* (ولا نصيرا) \* يدفع عنهم، ثم قال تعالى \* (قد يعلم الله المعوقين منكم) \* يعني الذين يعوقون غيرهم عن القتال ويشبطونهم عنه، فالتعويق التثبيط والشغل للعود عن أمر من الأمور، فكأن هؤلاء يدعون اخوانهم من المنافقين إلى القعود عن الجهاد ويشغلونهم لينصرفوا عنه \* (والقائلين لاخوانهم هلموا إلينا) \* أي يعلم القائلين لهم تعالوا \* (ولا يأتون البأس) \* يعني الحرب \* (إلا قليلا) \* أي ان يكلفوا الحضور إلى القتال فلا يحضرون إلا قدر ما يوهمون أنهم معكم، ولا يقاتلون

(١) قائله نهشل بن حري، اللسان (شطر)

معكم، فهو تعالى عالم بأحوال هؤلاء، لا يخفى عليه شيء منها. ثم قال \* (أشحة عليكم) \* بالغنيمة والنفقة في سبيل الله - في قول قتادة: ومجاهد - ونصبه على تقدير يأتونه أشحة وإن شئت على الذم. وقال ابن إسحاق \* (أشحة عليكم) \* بالضغن الذي في أنفسهم، فهو نصب على الحال - في قول الزجاج - وفي قول غيره على المصدر، وتقديره يشحون عليكم أشحة \* (فإذا جاء الخوف) \* يعني الفرع \* (رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت) \* يعني من شدة ما يخافون يلحقهم مثل ما يلحق من شارف الموت وأحواله، ويغشى عليه \* (فإذا ذهب الخوف) \* والفرع \* (سلقوكم بالسنة حداد) \* أي خصموكم طلبا للغنيمة أشد مخاصمة. وقال الحسن: سلقوكم حاوروكم يقال: خطيب مصقع ومسلق أي بليغ في الخطابة فصيح فيها \* (أشحة على الخير) \* يعني الغنيمة. ثم قال \* (أولئك) \* يعني من تقدم وصفه \* (لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم) \* يعني نفع أعمالهم على وجوه لا يستحق عليها الثواب لأنهم لا يقصدون بها وجه الله. ثم قال \* (وكان ذلك) \* يعني احباط أعمالهم. وقيل: وكان نفاقهم \* (على الله يسيرا) \* قليلا. ثم وصف هؤلاء المنافقين الذين تقدم ذكرهم بالجن، فقال \* (يحسبون الأحزاب) \* الذين انهزموا ورجعوا من شدة فزعهم انهم \* (لم يذهبوا) \* بعد. وقيل: لفرط جهلهم يعتقدون انهم لم يذهبوا بعد \* (وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بأدون في الاعراب) \* أي وإن جاؤوا الأحزاب تمنوا أن يكونوا في البوادي مع الاعراب \* (يسألون عن انبائكم) \* أي أخباركم ولا يكونون معكم فيتربصون بكم الدوائر ويتوقعون الهلاك. ثم قال لنبه \* (ولو كانوا) \* يعني هؤلاء المنافقون معكم " وفيكم ما قاتلوا إلا قليلا " أي قدرا يسيرا ليوهموا أنهم في جملتكم، لا لينصروكم ويجاهدوا معكم. وقال

عاصم الجحدري: يساءلون عن انبائكم بتشديد السين بمعنى يتساءلون، فيسأل بعضهم بعضا، وهو شاذ لا يقرأ به. وقرأ طلحة بن مصرف " يودوا لو أنهم بدى في الاعراب " جمع باد، مثل غاز وغزى، وهي أيضا شاذة لا يقرأ بها. و (هلم) بمعنى أقبل وأهل الحجاز يقولون للواحد والاثنين والجمع والأنثى (هلم) بلفظ واحد، وإنما هي (لم) ضمت إليها (ها) التي للتنبيه، ثم حذفت الألف من (ها) إذ صار شيئا واحدا، كقولهم (ويلمه) واصله (ويل أمه) فلما جعلوهما شيئا واحدا حذفوا، وغيروا. وأما بنوا تميم فيصرفونه تصریف الفعل، فيقولون: هلم يا رجل وهلم يا رجلا، وهلموا يا رجال وهلمي يا امرأة وهلميا يا امرأتان، وهلمن يا نساء، إلا أنهم يفتحون آخر الواحد البتة، فيقولون: هلم يا رجل وهلم يا امرأة. قوله تعالى:

\* (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا) (٢١) ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما (٢٢) من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا (٢٣) ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم إن الله كان عفورا رحيفا (٢٤)



ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا) \* (٢٥) خمس آيات.  
قرأ عاصم " أسوة " - بضم الهمزة - الباقون بكسرها، وهما لغتان. والكسر أكثر. ومثله (كسوة، وكسوة، ورشوة ورشوة)  
هذا خطاب من الله تعالى للمكلفين، يقول لهم: ان لكم معاشر المكلفين  
" في رسول الله أسوة حسنة " أي اقتداء حسن، في جميع ما يقوله ويفعله متى فعلتم مثله كان ذلك حسنا، والمراد بذلك الحث على الجهاد والصبر عليه في حروبه، والتسليية لهم في ما ينالهم من المصائب، فان النبي صلى الله عليه وآله شج رأسه وكسرت رباعيته في يوم أحد وقتل عمه حمزة. فالتأسي به في الصبر على جميع ذلك من الأسوة الحسنة. وذلك يدل على أن الاقتداء بجميع افعال النبي صلى الله عليه وآله حسن

جائز إلا ما قام الدليل على خلافه، ولا يدل على وجوب الاقتداء به في افعاله.  
وإنما يعلم ذلك بدليل آخر. فالأسوة حال لصاحبها يقتدي بها غيره في ما يقول به، فالأسوة تكون في إنسان وهي أسوة لغيره، فمن تأسى بالحسن ففعله حسن " لمن كان يرجو الله " فالرجاء توقع الخير، فرجاء الله توقع الخير من قبله ومثل الرجاء الطمع والأمل، ومتى طمع الانسان في الخير من قبل الله، فيكون راجيا له.

وقوله " وذكر الله كثيرا " معناه يذكره تعالى بجميع صفاته، ويدعوه بها فيستحق بذلك الثواب من جهته.  
ثم قال وقد عاد تعالى إلى ذكر المؤمنين وانهم حين عاينوا الأحزاب التي اجتمعت على قتال النبي صلى الله عليه وآله وتظافروا عليه، وهم أبو سفيان ومن معه من

المشركين " قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله " من الجهاد في سبيله " وصدق الله ورسوله " في ما أخبرا به، لان النبي صلى الله عليه وآله كان أخبرهم انه يتظاهر عليكم الأحزاب، ويقاثلونكم فلما رآهم المؤمنون تبينوا صدق قوله وكان ذلك معجزا له " وما زادهم " مشاهدة عدوهم " إلا إيمانا " وتصديقا بالله ورسوله " وتسليما " لامره. ثم بين ان " من المؤمنين رجالا صدقوا ما عاهدوا الله عليه " من مجاهدة عدوه، وألا يولوا الادبار. وقيل: ذلك يوم تأخروا عن بدر، ثم عاهدوا ألا يفارقوا النبي صلى الله عليه وآله في غزواته. وقوله " فمنهم من قضى نحبه " أي منهم من صبر حتى قتل في سبيل الله، وخرج إلى ثواب ربه " ومنهم من ينتظر " ذلك " وما بدلوا تبديلا " أي لم يبدلوا الايمان بالنفاق ولا العهد بالحنث. وروي أن الآية نزلت في حمزة بن عبد المطلب، وجعفر بن أبي طالب، وعلي بن أبي طالب عليه السلام فالذي قضى نحبه حمزة، وجعفر والذي ينتظر علي عليه السلام ثم بين تعالى انه يجزي الصادقين على صدقهم في تنزيه فوعدهم بالثواب الدائم والنعيم المقيم. وقوله \* (ويعذب المنافقين إن شاء) \* لا يدل على أن ما يجب غفرانه من الكبائر عند التوبة يجوز تعليقه بالمشيئة، لان على مذهبنا إنما جاز ذلك، لأنه لا يجب اسقاط العقاب بالتوبة عقلا، وإنما جاز ذلك وعلمناه بالسمع وإن الله يتفضل بذلك. وقوله " أو يتوب عليهم " معناه إن شاء قبل توبتهم وأسقط عقابهم. إذا تابوا، وإن شاء لم يقبل ذلك. وذلك اخبار عن مقتضى العقل. وأما مع ورود السمع وهو قوله " وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات " (١) فنقطع على أنه تعالى يغفر مع حصول التوبة.

---

(١) سورة ٤٢ الشورى آية ٢٥

وقوله " إن الله كان غفورا رحيمًا " يؤكد ذلك لأنه إنما يكون فيه مدح إذا غفر ماله المؤاخذة به، ويرحم من يستحق العقاب. وأما من يجب غفران ذنبه ويجب رحمته، فلا مدح في ذلك. وقال قوم: معناه " ويعذب المنافقين إن شاء " بعذاب عاجل في الدنيا أو يتوبوا، قالوا: وإنما علق بالشرط في قوله " إن شاء أو يتوب عليهم " لأنه علم أن من المنافقين من يتوب، فقيّد الكلام ليصح - المعنى - ذكره الجبائي - وقيل: إن الذي وعد الله المؤمنين في الأحزاب هو أنه وعدهم إذا لقوا المشركين ظفروا بهم واستعلوا عليهم في نحو قوله " ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون " (١) مع فرض الجهاد. وقيل: إن الذي وعدهم الله به في قوله " أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب " (٢) - ذكره قتادة - و (النحب) النذر أي قضى نذره الذي كان نذره في ما عاهد الله عليه. وقال مجاهد: قضى نجه أي عهده. وقيل: إن المؤمنين كانوا نذروا إذا لقوا حزبا مع رسول الله أن يثبتوا ولا ينهزموا، وقال الحسن: قضى نجه أي مات على ما عاهد عليه، والنحب الموت كقول ذي الرمة:

قضى نجه في ملتقى الخيل هوبر (٣)

أي منيته. وهو بر اسم رجل والنحب الخطر العظيم قال جرير:  
بطخفة جالدنا الملوك وخيلنا \* عشية بسطام جرين على نحب (٤)

(١) سورة ٩ التوبة آية ٣٤ وسورة ٦١ الصف آية ٩

(٢) سورة ٢ البقرة آية ٢١٤

(٣) مجاز القرآن ٢ / ١٣٦ الشاهد (٧١٨)

(٤) ديوانه ٥٤ ومجاز القرآن ٢ / ١٣٥

أي على خطر والنحب المد في السير يوما وليلة، قال الفرزدق.  
وإذ نحببت كلب على الناس أنهم\* أحق نتاج الماجد المتكرم (١)  
ثم اخبر تعالى أنه رد المشركين من الأحزاب عن قتال النبي صلى الله عليه وآله بغیظهم  
الذي جاؤوا به وخيبهم لم ينالوا خيرا أملوه من الظفر بالنبي صلى الله عليه وآله وبالمؤمنين  
" وكفى الله المؤمنين القتال " عند رجوعهم، وقيل وكفى الله المؤمنين القتال  
بالريح والملائكة. وقيل: وكفى الله المؤمنين القتال بعلي عليه السلام وهي قراءة ابن  
مسعود، وكذلك هو في مصحفه، في قتله عمرو بن عبد ود، وكان ذلك سبب  
هزيمة القوم. " وكان الله قويا عزيزا " أي قادرا لا يغالب، وعزيزا لا يقهر،  
لأنه قوي في سعة مقدوره، عزيز في انتقامه.  
قوله تعالى:

\* (وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصبيهم وقذف  
في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا (٢٦) وأورثكم  
أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطؤها وكان الله على كل  
شيء قديرا (٢٧) يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة  
الدنيا وزينتها فتعالين أمتعن وأسرحن سراحا جميلا (٢٨)  
وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد

---

(١) ديوانه ٢ / ٧٥٩ وتفسير القرطبي ١٤ / ١٥٨ ومجاز القرآن ٢ / ١٣٦

للمحسنات منكن أجرا عظيما (٢٩) يا نساء النبي من يأت  
منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك  
على الله يسيرا) \* (٣٠) خمس آيات.

قرأ ابن كثير، وابن عامر " نضعف " بالنون وتشديد العين " العذاب "   
نصبا، أسند الفعل إلى الله تعالى. وقرأ أبو عمرو " يضعف " بالياء وتشديد العين   
بلا ألف على ما لم يسم فاعله. الباقون (يضاعف) بالياء والألف.   
والذي عليه أكثر المفسرين إن المعني بقوله " وانزل الذين ظاهروهم من   
أهل الكتاب " هم بنو قريظة من اليهود، وكانوا نقضوا العهد بينهم وبين   
النبي صلى الله عليه وآله وعاونوا أبا سفيان، فلما هزم الأحزاب امر النبي صلى الله عليه   
وآله مناديه بأن

ينادي لا يصلين أحد العصر إلا ببني قريظة، لان جبرائيل عليه السلام نزل عليه   
وقال إن الملائكة لم تضع أسلحتها بعد، ففيهم من لحق ذلك بعد وصلى العصر   
في الوقت، وفيهم من صلاها قبل ذلك. وكل صوبه رسول الله. ثم حكم سعد   
ابن معاذ فيهم رضوا بحكمه، فحكم سعد أن تقتل الرجال، وتسبى الذراري والنساء   
ونقسم الأموال وتكون الأرض للمهاجرين دون الأنصار، فقبل له في ذلك   
فقال لكم دار، وليس للمهاجرين دار، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله حكم فيهم   
بحكم

الله تعالى، وفي بعض الأخبار لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة، وهو   
جمع رقيق اسم من أسماء السماء الدنيا. وقال الحسن: الآية نزلت في بني النضير   
والأول أصح وأليق بسياق الآيات، لان بني النضير لم يكن لهم في قتال   
الأحزاب شيء، وكانوا قد انجلوا قبل ذلك.

والمظاهرة المعاونة، وهي زيادة القوة بأن يكون المعاون ظهرا لصاحبه في الدفع عنه، والظهر المعين. وفي قراءة ابن مسعود أزروهم، ومعناه عاونوهم. والصياصي الحصون التي يمتنع بها واحدها صيصية. ويقال جذ الله صيصية فلان أي حصنه الذي يمتنع به. والصيصية قرن البقرة وشوكة الديك أيضا، وهي شوكة الحائك أيضا، قال الشاعر:

[ما راعني إلا الرماح تنوشه] \* كوقع الصياصي في النسيج الممدد (١)  
وقوله " وقذف في قلوبهم الرعب " أي ألقى في قلوبهم يعني اليهود والمشركون خوفا من النبي صلى الله عليه وآله " فريقا تقتلون " منهم يعني الرجال " وتأسرون فريقا " يعني النساء والذراري ثم قال " وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم " يعني ديار بني قريظة وأرضهم وأموالهم. جعلها الله للمسلمين مع ذلك ونقلها إليهم " وأرضا لم تطؤها " معناه وأورثكم أرضا لم تطؤها، قال الحسن: هي أرض فارس والروم. وقال قتادة: هي مكة. وقال يزيد بن رومان وابن زيد: هي خيبر " وكان الله على كل قديرا " أي قادرا على تورثكم أرض هؤلاء وأموالهم ونصركم وغير ذلك. إلى ههنا انتهت قصة الأحزاب. ثم انتقل إلى خطاب النبي صلى الله عليه وآله فقال له " يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعن وأسرحن سراحا جميلا " قال الحسن لم يكن ذلك تخيير طلاق، إنما هو تخيير بين الدنيا والآخرة. وكان لنزول الآية سبب معروف من بعض أزواج النبي صلى الله عليه وآله فعاتبهن الله تعالى وخيرهن بين المقام مع النبي صلى الله عليه وآله واختيار ما عند الله من الثواب ونعيم الأبد

---

(١) تفسير القرطبي ١٤ / ١٦١ ومجاز القرآن ٢ / ١٦١ ويروى (فجئت إليه والرماح تنوشه)

ومن مفارقتة بالطلاق وتعجيل المنافع يأخذونها، وبين ذلك بقوله " وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار والآخرة، فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما " وقيد ذلك بالمحسنات لعلمه أن فيهن من ربما ارتكبت ما يستحق به الخروج عن ولاية الله تعويلا على ما وعد الله تعالى به من النعيم، فزجرهن بالتهديد المذكور في الآية.

وروي أن سبب نزول هذه الآية أن كل واحدة من نسائه طلبت شيئا فسألت أم سلمة سترا معلقا وسألت ميمونة حلة وسألت زينب بنت جحش بردا يمانيا وسألت أم حبيبة ثوبا سحوانيا وسألت حفصة ثوبا من ثياب مصر وسألت حويرية معجرا وسألت سودة قطيفة خيرية، فلم يقدر على ذلك، لان الله تعالى كان خيره بين ملك الدنيا ونعيم الآخرة فاختر الآخرة. وقال: (اللهم أحيني مسكينا وأمتني مسكينا واحشني مسكينا في جملة المساكين) فحينئذ أمره الله تعالى بتخيير النساء، فاخترن الله ورسوله فعوضهن الله عن ذلك أن جعلهن أمهات المؤمنين. وقيل: وأمر الله أن لا يطلقهن ولا يتزوج عليهن بقوله " لا يحل لك النساء من بعد " (١) ذكره ابن زيد.

ثم خاطب نساء النبي صلى الله عليه وآله فقال " يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة يضاعف لها العذاب " من شدد أراد التكثير، ومن أثبت الألف أراد من المضاعفة، ومن قرأ بالنون أضاف الفعل إلى الله، لان الفاعل لذلك هو الله وإنما جاز ان يضعف عقابهن بالمعصية لعظم قدرهن، وأن معصيتهن تقع على وجه يستحق بها ضعف ما يستحق غيرهن، كما أن طاعاتهن يستحق بها ضعف

---

(١) آية ٥٢ من هذه السورة

ما يستحق به غيرهن، من حيث كن قدرة في الاعمال وأسوة في ذلك. ثم اخبر تعالى أن تضعيف ذلك عليه يسير سهل. والضعف مثل الشئ الذي يضم إليه، ضاعفته ازددت عليه مثله، ومنه الضعف، وهو نقصان القوة بأن يذهب أحد ضعفيها، فهو ذهاب ضعف القوة. قال أبو عبيدة: يضاعف لها ضعفين أي يجعل لها العذاب ثلاثة أعدتة لان ضعف الشئ مثله، وضعفي الشئ مثلاه ومجاز يضاعف أن يجعل إلى الشئ شيئا حتى يكون ثلاثة، فأما من قرأ \* (يضعف) \* أراد أن يجعل الشئ شيئين، وذكر بعضهم أن ذلك غلط على أبي عمرو في تشديد يضعف، لان ذلك نقل عنه على حكاية الفرق بين يضاعف ويضعف بالتشديد، وليس بينهما فرق، لان المضاعفة والتضعيف شئ واحد وإنما قرأ أبو عمرو \* (يضعف) \* بضم الياء وتسكين الضاد وتخفيف العين وفتحها والفرق يقع بين هذه وبين يضاعف لأنك تقول لمن أعطاك درهما فأعطيته مكانه درهمين: أضعفت لك العطية، فان أعطيته مكان درهم خمسة أو ستة قلت ضاعفت له العطية وضعفت بالتشديد أيضا، فلما رأى أبو عمرو أن من أحسن من أزواج النبي أعطي أجرين علم أن من أذنب منهن عوقب عقوبتين، فقرأ يضعف لها العذاب ضعفين.

وكان الحسن لا يرى التخيير شيئا. وقال: إنما خيرن بين الدنيا والآخرة لا في الطلاق، وكذلك عندنا ان الخيار ليس بشئ غير أن أصحابنا قالوا إنما كان ذلك لنبي الله خاصة، ولما خيرهن لو اخترن أنفسهن لبن، فلما غيره فلا يجوز له ذلك. وقال قتادة: خيرهن الله تعالى بين الدنيا والآخرة في شئ كن أردن من الدنيا. وقال عكرمة: في غيرة كانت غارتها عائشة، وكان تحتها يومئذ تسع نسوة خمس من قريش: عائشة، وحفصة، وأم حبيبة بنت أبي سفيان



وأم سلمة بن أبي أمية، وسودة بنت زمعة. وكان تحته صفية بنت حي ابن خطب وميمونة بنت الحارث الهلالية، وزينب بنت جحش الأسدية، وجويرية بنت الحارث من بني المصطلق، فلما اخترن الله ورسوله والدار الآخرة، فرح بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله.

قوله تعالى:

\* (ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقا كريما (٣١) يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا (٣٢) وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا (٣٣) واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفا خبيرا (٣٤) إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات

(٣٣٦)

والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات  
أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما) \* (٣٥) خمس آيات.  
قرأ حمزة والكسائي " ومن يقنت منكن لله ورسوله ويعمل صالحا " بالياء  
فيهما على اللفظ، لان لفظة (من مذكر. الباقون " ومن يقنت " - بالياء - حملا  
على اللفظ " وتعمل " بالتاء حملا على المعنى، لان المعنى من النساء، فكنى بلفظ  
التأنيث، ولأنه قد ظهر علامة التأنيث في قوله " منكن " فكأن الرد عليه أولى  
من رده على اللفظ. وروي في الشواذ " ومن تقنت " بالتاء حملا على المعنى  
وذلك جائز في العربية غير أنه ليس بمعروف، ولا يقرأ به. وقرأ عاصم ونافع  
" وقرن " بفتح القاف بمعنى أقرون " في بيوتكن " من قررت في المكان أقر  
قرارا إلا أنه نقل حركة العين إلى القاف، فانفتحت وسقطت الراء الأولى  
لالتقاء الساكنين كقولهم: في ظللت ظلت. وفي أحسست أحست، وقالوا  
في يحططن من الجبل يحطن. وقال الزجاج: فيه لغتان (قررت في المكان  
وأقررت). الباقون بكسر القاف بمعنى كن أهل وقر، أي هدوء وسكينة  
من وقر فلان في منزله يقر وقورا إذا هدأ فيه واطمأن. ويجوز أن يكون المراد  
الاستقرار، على لغة حكاها الزجاج والكسائي.  
لما تهدد الله تعالى نساء النبي صلى الله عليه وآله بأن من يأت منهن بفاحشة ظاهرة من  
ارتكاب محظور، وما نهى الله تعالى عنه انه يضاعف لها العذاب ضعفين لوقوع  
أفعالهن على وجه يستحق به ذلك من حيث كن سواء أسوة يتأسى بهن غيرهن  
ورغبهن في هذه الآية بأن قال " ومن يقنت منكن " أي من داوم منكن على

الطاعة لله ورسوله " وتعمل " مع ذلك الافعال " صالحا نؤتها " اي يعطيها الله " أجرها مرتين " كما لو عصت عاقبها ضعفين. والقنوت المداومة على العمل فمن داوم على العمل لله فهو مطيع. ومنه القنوت في صلاة الوتر، وهو المداومة على الدعاء المعروف. والعمل الصالح هو المستقيم الذي يحسن أن يحمد عليه ويستحق به الثواب. والاجر الجزاء على العمل، وهو الثواب، آجره يأجره اجرا والاجر مرتين ليس يجب بالوعد بل إنما هو مستحق، لان أفعالهن تقع على وجه يستحق مثلي ما لو استحق الغير، لأنه في مقابلة العذاب ضعفين، ولا يجوز أن يضاعف ضعفين إلا مستحقا، وكذلك الثواب المقابل له.

وقوله " واعتدنا لها رزقا كريما " معنى اعتدنا أعددنا، وأبدل من احدى الدالين تاء. والرزق الكريم هو الثواب الذي لا يحسن الابتداء بمثله.

ثم قال " يا نساء النبي لستن كأحد من النساء " إنما قال كأحد، ولم يقل كواحدة لان أحدا نفي عام للمذكر والمؤنث والواحد والجماعة أي لا يشبهكن أحد من النساء في جلاله القدر وعظم المنزلة ولمكانكن من رسول الله صلى الله عليه وآله بشرط أن تتقين عقاب الله باجتناب معاصيه، وامتنال أوامره. وإنما شرط ذلك بالالتقاء لئلا يعولن على ذلك، فيرتكبن المعاصي، ولولا الشرط كان يكون اغراء لهن بالمعاصي، وذلك لا يجوز على الله تعالى.

ثم قال لهن " فلا تخضعن بالقول " أي لا تلين كلامكن للرجال، بل يكون جزلا قويا لئلا يطمع من في قلبه مرض. قال قتادة: ومعناه من في قلبه نفاق. وقال عكرمة: من في قلبه شهوة للزنا.

ثم قال لهن " وقلن قولا معروفا " مستقيما جميلا بريئا من التهمة بعيدا من الريبة موافقا للدين والاسلام. ثم أمرهن بالاستقرار في بيوتهن وألا يتبرجن

تبرج الجاهلية - على قراءة من فتح القاف. ومن كسر أرادكن وقورات عليكن  
سكينة ووقار " ولا تبرجن " قال قتادة: التبرج التبخر والتكبر، وقال غيره:  
هو اظهار المحاسن للرجال.

وقوله " تبرج الجاهلية الأول " نصب تبرج على المصدر والمعنى مثل  
تبرج الجاهلية الأولى، وهو ما كان قبل الاسلام. وقيل ما كان بين آدم ونوح.  
وقيل ما كان بين موسى وعيسى، وقيل ما كان بين عيسى ومحمد. وقيل ما كان  
بفعله أهل الجاهلية، لأنهم كانوا يجوزون لامرأة واحدة رجلا وخلا  
فللزوج النصف السفلائي وللخل الفوقاني من القبيل والمعانقة، فنهى الله تعالى  
عن ذلك أزواج النبي صلى الله عليه وآله واشتقاق التبرج من البرج وهو السعة في العين  
وطعنة برجاء اي واسعة وفي أسنانه برج إذا تفرق ما بينها. واما الجاهلية  
الأخرى، فهو ما يعمل بعد الاسلام بعمل أولئك.  
ثم أمرهن بإقامة الصلاة والدوام عليها بشروطها وإيتاء الزكاة لمن وجبت  
عليه، وأمرهن بطاعة الله وطاعة رسوله، في ما يأمرانهن به. ثم قال  
" إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا " روى أبو  
سعيد الخدري وأنس بن مالك وعائشة وأم سلمة وواثلة بن الأسقع أن الآية  
نزلت في النبي صلى الله عليه وآله وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وأهل  
البيت نصب

على النداء أو على المدح، فروي عن أم سلمة انها قالت إن النبي صلى الله عليه وآله كان  
في بيتي فاستدعى عليا وفاطمة والحسن والحسين، وجللهم بعباء خييرية، ثم قال:  
اللهم هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، فأنزل الله تعالى  
قوله " إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا " فقالت  
أم سلمة قلت: يا رسول الله هل انا من أهل بيتك؟ فقال: لا، ولكنك

إلى خير.

واستدل أصحابنا بهذه الآية على أن في جملة أهل البيت معصوما لا يجوز عليه الغلط وإن اجماعهم لا يكون إلا صوابا بأن قالوا ليس يخلو إرادة الله لإذهاب الرجس عن أهل البيت من أن يكون هو ما أراد منهم من فعل الطاعات واجتناب المعاصي، أو يكون عبارة عن أنه اذهب عنهم الرجس بأن فعل لهم لطفًا اختاروا عنده الامتناع من القبائح. والأول لا يجوز أن يكون مرادا، لأن هذه الإرادة حاصلة مع جميع المكلفين، فلا اختصاص لأهل البيت في ذلك ولا خلاف أن الله تعالى خص بهذه الآية أهل البيت بأمر لم يشركهم فيه غيرهم فكيف يحمل على ما يبطل هذا التخصيص ويخرج الآية من أن يكون لهم فيها فضيلة ومزية على غيرهم؟! على أن لفظة (إنما) تجري مجرى ليس، وقد دللنا على ذلك في ما تقدم وحكيناه عن جماعة من أهل اللغة، كالزجاج وغيره، فيكون تلخيص الكلام: ليس يريد الله إلا إذهاب الرجس على هذا الحد عن أهل البيت، فدل ذلك على أن إذهاب الرجس قد حصل فيهم. وذلك يدل على عصمتهم، وإذا ثبت عصمتهم ثبت ما أردناه.

وقال عكرمة هي في أزواج النبي خاصة. وهذا غلط، لأنه لو كانت الآية فيهن خاصة لكني عنهن بكناية المؤنث، كما فعل في جميع ما تقدم من الآيات نحو قوله " وقرن في بيوتكن ولا تبرجن، وأطعن الله وأقمن الصلاة وآتين الزكاة " فذكر جميع ذلك بكناية المؤنث، فكان يجب أن يقول إنما يريد الله ليذهب عنكن الرجس أهل البيت ويطهركن، فلما كنا بكناية المذكر دل على أن النساء لا مدخل لهن فيها.

وفي الناس من حمل الآية على النساء ومن ذكرناه من أهل البيت هربا

مما قلناه. وقال: إذا اجتمع المذكر والمؤنث غلب المذكر، فكفى عنهم بكناية المذكر. وهذا يبطل بما بيناه من الرواية عن أم سلمة وما يقتضيه من كون من تناولته معصوما. والنساء خارجات عن ذلك. وقد استوفينا الكلام في ذلك - في هذه الآيات - في كتاب الإمامة من أراده وقف عليه هناك. ثم عاد تعالى إلى ذكر النساء فأمرهن بأن يذكرن الله تعالى بصفاته، وبالدعاء والتضرع إليه، وان يفكرون في آيات الله التي تتلى في بيوتهن من القرآن المنزل، ويعملن بها وبما فيها من الحكمة " ان الله كان لطيفا " في تدبير خلقه، وفي إيصال المنافع الدينية والدنيوية إليهم " خيرا " اي عالما بما يكون منهم، وبما يصلحهم وبما يفسدهم، وأمرهم بأن يفعلوا ما فيه صلاحهم واجتناب ما فيه فسادهم.

ثم اخبر تعالى ب " إن المسلمين والمسلمات " وهم الذين استسلموا لأوامر الله وانقادوا له، وأظهروا الشهادتين، وعملوا بموجبه " والمؤمنين والمؤمنات " فالاسلام والايمان واحد، عند أكثر المفسرين، وإنما كرر لاختلاف اللفظين. وفي الناس من قال: المؤمن هو الذي فعل جميع الواجبات، وانتهى عن جميع المقبحات، والمسلم هو الملتزم لشرائط الاسلام المستسلم لها و " القانتين والقانتات " يعني الدائمين على الاعمال الصالحات " والصادقين " في أقوالهم " والصادقات " مثل ذات " والصابرين والصابرات " على طاعة الله وعلى ما يبتليهم لله من المصائب وما يأمرهم به من الجهاد في سبيله " والخاشعين " يعني المتواضعين غير المتكبرين " والخاشعات " مثل ذلك " والمتصدقين " يعني الذين يخرجون الصدقات والزكوات " والمتصدقات " مثل ذلك " والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم " من الزنا وارتكاب أنواع الفجور والحافظات " فروجهن

وحذف من الثاني لدلالة الكلام عليه " والذاكرين الله كثيرا والذاكرات " الله كثيرا، وحذف مثل ما قلناه. ثم قال " أعد الله لهم " يعني من قدم ذكرهم ووصفهم " مغفرة واجرا عظيما " يعني ثوابا جزيلا. لا يوازيه شيء. وقيل: إن سبب نزول هذه الآية أن أم سلمة قالت: يا رسول الله ما للرجال يذكرون في القرآن ولا يذكر النساء؟ فنزلت الآية. فلذلك قال " ان المسلمين والمسلمات " وإن كن المسلمات داخلات في قوله " المسلمين " تغليبا للمذكر فذكرهن بلفظ يخصهن إزالة للشبهة. قوله تعالى:

\* (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالا مبينا (٣٦) وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشي الناس والله أحق أن تخشيه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا (٣٧) ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الدين خلو من قبل وكان أمر الله قدرا مقدورا (٣٨) الذين يبلغون رسالات

الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله وكفى بالله حسيبا (٣٩)  
ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين  
وكان الله بكل شيء عليما) \* (٤٠) خمس آيات.  
قرأ أهل الكوفة " أن يكون لهم الخيرة " بالياء، لان التأنيث غير حقيقي.  
الباقون بالتاء لتأنيث الخيرة. والخيرة جمع خير وحكي خيرة بفتح الياء وسكونها  
وقرأ عاصم " وخاتم " بفتح التاء. الباكون بكسرهما. وهو الأقوى، لأنه مشتق من  
ختم، فهو خاتم. وقال الحسن: خاتم وهو الذي ختم به الأنبياء. وقيل: هما  
لغتان - فتح التاء وكسرهما - وفيه لغة ثالثة (خاتام) وقرئ به في الشواذ.  
وحكي أيضا (ختام).

وروي عن ابن عباس، وذهب إليه مجاهد، وقتادة أنه نزل قوله " وما  
كان لمؤمن ولا مؤمنة.... " الآية، في زينب بنت جحش، لما خطبها رسول  
الله صلى الله عليه وآله لزيد بن حارثة فامتنعت لنسبها من قريش وإن زيدا كان عبدا،  
فأنزل الله الآية فرضيت به. وقال ابن زيد: نزلت في أم كلثوم بنت عقبة  
ابن أبي معيط، وكانت وهبت نفسها لرسول الله صلى الله عليه وآله فزوجها زيد بن  
حارثة.

بين الله تعالى في هذه الآية انه لم يكن " لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله  
ورسوله امرا " بمعنى إلزاما وحكما " أن يكون لهم الخيرة " اي ليس لهم ان  
يتخيروا مع امر الله بشئ يترك به ما امر به إلى ما لم يأذن فيه. والخيرة إرادة  
اختيار الشئ على غيره. وفي ذلك دلالة على فساد مذهب المجبرة في القضاء  
والقدر، لأنه لو كان الله تعالى قضى المعاصي لم يكن لاحد الخيرة، ولوجب



عليه الوفاء به. ومن خالف في ذلك كان عاصيا، وذلك خلاف الاجماع.  
ثم قال " ومن يعص الله ورسوله " في ما قضيا به وامرا به وخالفهما " فقد  
ضل " عن الحق وخاب عنه " ضلالا مبينا " أي ظاهرا.  
ثم خاطب النبي صلى الله عليه وآله فقال واذكر يا محمد حين " تقول للذي أنعم الله  
عليه " يعني بالهداية إلى الايمان " وأنعمت عليه " بالعنق " أمسك عليك  
زوجك " اي احبسها، ولا تطلقها، لان زيدا جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله مخاصما  
زوجته

زينب بنت جحش على أن يطلقها، فوعظه النبي صلى الله عليه وآله، وقال له: لا تطلقها  
وامسكها " واتق الله " في مفارقتها " وتخفي في نفسك ما الله مبديه " فالذي  
اخفى في نفسه انه إن طلقها زيد تزوجها وخشي من إظهار هذا للناس، وكان  
الله تعالى امره بتزوجها إذا طلقها زيد، فقال الله تعالى له ان تركت إظهار هذا  
خشية الناس فترك اضماره خشية الله أحق وأولى. وقال الحسن: معناه وتخشي  
عيب الناس. وروي عن عائشة انها قالت لو كنتم رسول الله صلى الله عليه وآله شيئا من  
الوحي لكنتم " وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشي الناس والله أحق ان  
تخشاه " وقيل: إن زيدا لما جاء مخاصما زوجته، فرآها النبي صلى الله عليه وآله  
استحسنها

وتمنى ان يفارقها زيد حتى يتزوجها، فكنتم. قال البلخي: وهذا جائز، لان  
هذا التمني هو ما طبع الله عليه البشر، فلا شيء على أحد إذا تمنى شيئا استحسنه.  
ثم قال تعالى \* (فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها) \* فالوطر الإرب والحاجة  
وقضاء الشهوة يقال: لي في هذا وطرا، أي حاجة وشهوة، قال الشاعر:  
ودعني قبل ان أودعه \* لما قضى من شبابنا وطرا (١)  
وقال آخر:

---

(١) مجاز القرآن ٢ / ١٦٠

وكيف ثوأي بالمدينة بعدما \* قضى وطرا منها جميل بن معمر  
وقوله \* (زوجناكها) \* يعني لما طلق زيد امرأته زينب بنت جحش اذن  
الله تعالى لنبيه في تزويجها، وأراد بذلك نسخ ما كان عليه أهل الجاهلية من  
تحريم زوجة الدعي على ما بيناه، وهو قوله \* (لكي لا يكون على المؤمنين حرج) \*  
اي اثم في أزواج أدعيائهم أن يتزوجوهن \* (إذا قضوا) \* الأدعياء \* (منهن  
وطرا) \* وفارقوهن، فبين الله تعالى ان الغرض بهذا ان لا يكون المتبنى به إذا  
طلق المرأة يجري مجرى تحريم امرأة الابن إذا طلقت أو مات عنها الابن.  
وقوله \* (وكان امر الله مفعولا) \* معناه وكان تزويج النبي صلى الله عليه وآله زينب بنت  
جحش كائنا لا محالة.

واستدل بقوله \* (وكان أمر الله مفعولا) \* على حدوث كلام الله، لان  
الله تعالى قص كلامه. وقد بين أنه مفعول، والمفعول والمحدث واحد. ثم  
قال تعالى \* (ما كان على النبي من حرج في ما فرض الله له) \* أي لم يكن عليه إثم  
في ما قدره الله أن يتزوج زينب بنت جحش التي كانت زوجة زيد، وإن كان  
دعيا له، وفي جمعه بين التسع. وقال \* (سنة الله في الذين خلوا من قبل) \* أي  
ما أمرنا به محمدا من هذه السنن والعادات مثل سنة من تقدم من الأنبياء، وما  
أمرهم الله تعالى به. لأنه تعالى أباح لكل نبي شيئا خصه به ورفع به شأنه من  
بين سائر الأمم \* (وكان أمر الله قدرا مقدورا) \* فالقدر المقدور هو ما كان  
على مقدار ما تقدم من غير زيادة ولا نقصان، قال الشاعر:  
واعلم بان ذا الجلال قد قدر \* في الصحف الأولى التي كان سطر (١)

---

(١) مر تخريجه في ٦ / ٤٩٢

وقوله \* (الذين يبلغون رسالات الله) \* ولا يكتُمونها بل يؤدونها إلى من  
بعثوا إليهم \* (ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله) \* أي لا يخافون سوى الله أحدا  
وقوله \* (وكفى بالله حسيبا) \* أي كافيا ومجازيا. ثم قال \* (ما كان محمد أبا أحد  
من رجالكم) \* نزلت في زيد بن حارثة لأنهم كانوا يسمونه: زيد بن محمد، فبين  
الله تعالى ان النبي ليس ب (أب أحد) منهم من الرجال وإنما هو أبو القاسم  
والطيب والمطهر وإبراهيم، وكلهم درجوا في الصغر. ذكره قتادة. ثم قال  
\* (ولكن) \* كان \* (رسول الله) \* ونصب باضمار (كان) وتقديره ولكن كان  
رسول الله صلى الله عليه وآله، وروى عبد الوارث عن أبي عمرو \* (ولكن) \* بالتحديد  
\* (رسول الله) \* نصب ب (لكن) \* (وخاتم النبيين) \* أي آخرهم، لأنه لا نبي  
بعده إلى يوم القيامة \* (وكان الله بكل شيء عليم) \* أي عالما لا يخفى عليه شيء  
مما يصلح العباد. وقيل إنما ذكر \* (وخاتم النبيين) \* ههنا، لان المعنى أن من  
لا يصلح بهذا النبي الذي هو آخر الأنبياء، فهو مأیوس من صلاحه من حيث إنه  
ليس بعده نبي يصلح به الخلق. ومن استدل بهذه الآية، وهي قوله \* (ما كان  
محمد أبا أحد من رجالكم) \* على أنه لم يكن الحسن والحسين عليهما السلام ابنيه، فقد  
أبعد، لان الحسن والحسين كانا طفلين، كما أنه كان أبا إبراهيم وإنما  
بقي أن لا يكون أبا للرجال البالغين.  
قوله تعالى:

\* (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا) (٤١)  
وسبحوه بكرة وأصيلا (٤٢) هو الذي يصلي عليكم وملائكته  
ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما (٤٣)

تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما (٤٤) يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا (٤٥) وداعيا إلى الله بأذنه وسراجا منيرا (٤٦) وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا (٤٧) ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذيتهم توكل على الله وكفى بالله وكيلا \* (٤٨) ثمان آيات.

هذا خطاب من الله تعالى للمؤمنين المصدقين بوحدانيته المقرين بصدق أنبيائه، يأمرهم بأن يذكروا الله ذكرا كثيرا، والذكر الكثير أن نذكره بصفاته التي يختص بها، ولا يشاركه فيها غيره، ونزّهه عما لا يليق به. وروي في أخبارنا أن من قال: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ثلاثين مرة، فقد ذكر الله كثيرا، وكل صفة لله تعالى فهي صفة تعظيم، وإذا ذكر بأنه شيء وجب أن يقال: إنه شيء لا كالأشياء، وكذلك أحد ليس كمثله شيء وكذلك القديم هو الأول قبل كل شيء، والباقي بعد فناء كل شيء. ولا يجوز أن يذكر بفعل ليس فيه تعظيم، لأن جميع ما يفعله يستحق به الحمد والوصف بالجميل على جهة التعظيم، مثل الذكر بالغنى والكرم بما يوجب اتساع النعم، والذكر احضار معنى الصفة للنفس إما بايجاد المعنى في النفس ابتداء من غير طلب. والآخر بالطلب من جهة الفكر. والذكر قد يجمع العلم، وقد يجمع الشك. والعلم لا يجمع الشك في الشيء على وجه واحد. والذكر أيضا يضاد السهو، ولا يضاد الشك، كما يضاده العلم. وقوله \* (وسبحوه بكرة وأصيلا) \*

أمر لهم بأن ينزهوا الله تعالى عن كل قبيح وجميع ما لا يليق به، بالغداة

والعشي: قال قتادة: يعني صلاة الغداة وصلاة العصر، والأصيل العشي وجمعه أصائل، ويقال أصل وآصال، وهو أصل الليل أي أوله ومبدؤه، وقوله \* (هو الذي يصلي عليكم وملائكته) \* يترحم عليكم بإيجاب الرحمة، ويصلي عليكم بالثناء والاستغفار، فالأول كالثناء، والثاني دعاء. وقيل: معناه يشني عليكم بطريقة الدعاء، كقوله عليك رحمتي ومغفرتي. وقيل: معناه هو الذي يوجب عليكم الصلاة، وهي الدعاء بالخير، ويوجب الملائكة بفعل الدعاء، وهذا مما يختلف فيه معنى صفة الله تعالى وصفة العباد، كتواب بمعنى كثير القبول للتوبة وتواب بمعنى كثير فعل التوبة. وقال الأعشى:

عليك مثل الذي صليت فاعتصمي \* يوما فان لجنب المرئ مضطجعا (١)  
فمن رفع (مثل) فإنما دعا لها مثل ما دعت له. ومن نصب أمرها بأن ترداد من الدعاء أي عليك بمثل ما قلت. وقوله \* (ليخرجكم من الظلمات إلى النور) \* معناه ليخرجكم من الجهل بالله إلى معرفته، فشبه الجهل بالظلمات، والمعرفة بالنور، وإنما شبه العلم بالنور، لأنه يقود إلى الجنة، فهو كالنور. والكفر يقود إلى النار - نعوذ بالله منها - وقال ابن زيد: معناه ليخرجكم من الضلالة إلى الهدى.

ثم أخبر تعالى انه \* (كان بالمؤمنين رحيما) \* حين قبل توبتهم وخلصهم من العقاب إلى الثواب بما لطف لهم في فعله. وقوله \* (تحيتهم يوم يلقونه سلام) \* أي يحيي بعضهم بعضا يوم يلقون ثواب الله بأن يقولوا السلامة لكم من جميع الآفات والفوز بنعيم ثواب الله. ولقاء الله لقاء ثوابه لا رؤيته، لأنه بمنزلة قوله

---

(١) ديوانه (دار بيروت) ١٠٦ وقد مر في ٥ / ٣٣١ من هذا الكتاب

\* (فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه) \* (١) وبمنزلة قول النبي صلى الله عليه وآله (من)

حلف على يمين كاذبة يقتطع بها مال امرئ مسلم لقي الله وهو عليه غضبان) ولا خلاف أن هؤلاء لا يرون الله. وقوله \* (وأعد لهم أجرا كريما) \* أي ثوابا جزيلا. ثم خاطب النبي صلى الله عليه وآله فقال \* (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا) \* أي شاهدا على أمتك في ما يفعلونه من طاعة الله أو معصيته أو إيمان به أو كفر، لتشهد لهم يوم القيامة أو عليهم، فأجازيهم بحسبه، ومبشرا لهم بالجنة وثواب الأبد إن أطاعوني واجتنبوا معصيتي. \* (ونذيرا) \* أي مخوفا من النار وعقاب الأبد بارتكاب المعاصي وترك الواجبات \* (وداعيا) \* أي وبعثناك داعيا لهم تدعوهم \* (إلى الله باذنه) \* والاقرار بوحدانيته وامتنال ما أمرهم به، والانتها عن نهائهم عنه \* (وسراجا منيرا) \* أي أنت بمنزلة السراج الذي يهتدي به الخلق. والمنير هو الذي يصدر النور من جهته إما بفعله، وإما لأنه سبب له، فالقمر منير، والسراج منير بهذا المعنى، والله منير السماوات والأرض. وقال الزجاج \* (وداعيا إلى الله باذنه وسراجا) \* وبعثناك ذا سراج، وحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه وأراد بالسراج القرآن الذي يحتاجون إلى العمل به. ثم امر نبيه صلى الله عليه وآله بأن \* (يبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا) \* أي زيادة على ما يستحقونه من الثواب كثيرا، ثم نهاه عن طاعة الكفار الجاحدين لله والمنكرين لنبوته فقال \* (ولا تطع الكافرين) \* الذين يتظاهرون بالكفر، ولا "المنافقين" الذين يظهرون الاسلام، ويبطنون الكفر، ولا تساعدكم على ما يردونه \* (ودع أذاهم) \* أي اعرض عن أذاهم. فانا أكفيك أمرهم إذا توكلت علي، وعملت بطاعتي فان جميعهم في سلطاني

---

(١) سورة ٩ التوبة آية ٧٨

بمنزلة ما هو في قبضة غيري. ثم قال \* (وتوكل على الله) أي اسند أمرك إليه واكتف به \* (وكفى بالله وكيلا) \* أي كافيا ومتكفلا ما يسنده إليه. وقوله \* (وشاهدا ومبشرا ونذيرا، وداعيا، وسراجا) \* كل ذلك نصب على الحال. قوله تعالى:

\* (يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فمالكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا) (٤٩) يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيماهم لكي لا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما) \* (٥٠) آيتان. قرأ حمزة والكسائي \* (تماسوهن) \* بآلف. الباقون بلا الف. وقد مضى تفسيره في البقرة (١).

---

(١) انظر ٢ / ٢٦٨ - ٢٧٢

خاطب الله نبيه بأنه إذا نكح واحد من من المؤمنين المصدقين بوحدانيته المقرين بنبوة نبيه مؤمنة نكاحا صحيحا، ثم طلقها قبل ان يمسها بمعنى قبل ان يدخل بها بأنه لا عدة عليها منه، ويجوز لها أن تتزوج بغيره في الحال. وأمرهم أن يمتعوها ويسرحوها سراحا جميلا، إلى بيت أهلها. وهذه المتعة واجبة إن كان لم يسم لها مهرا وإن كان سمي لها مهر ألزمه نصف المهر، ويستحب المتعة مع ذلك، وفيه خلاف. وقال ابن عباس: إن كان سمي لها صداقا فليس لها إلا نصف المهر، وإن لم يكن سمي لها صداقا متعها على قدر عسره أو يسره وهو السراح الجميل. وهذا مثل قولنا سواء. وحكي عن ابن عباس أن هذه الآية نسخت بإيجاب المهر المذكور في البقرة (١) ومثله روي عن سعيد بن المسيب والصحيح الأول. ثم خاطب النبي صلى الله عليه وآله فقال \* (يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن) \* يعني مهورهن، لان النكاح لا ينفك من المهر واحللنا لك ما ملكت من الإماء أن تجمع منهن ما شئت \* (مما أفاء الله عليك) \* من الغنائم والأنفال \* (وبنات عمك) \* أي واحللنا لك بنات عمك \* (وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك) \* أن تعقد عليهن وتعطيهن مهورهن.

ثم قال \* (وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي) \* فالقراء كلهم على كسر (ان) على أنه شرط، وقرأ الحسن بفتحها على أنه بمعنى أحللنا لك لان وهبت، والمعنى واحد، لأنه بمنزلة قولك سرتني إن ملكت وسرتني أي سرتني ما ملكت \* (إن أراد النبي) \* واحللنا لك المرأة إذا وهبت نفسها لك إن أردتها ورغبت فيها. فروي عن ابن عباس انه لا تحل امرأة بغير مهر وإن وهبت نفسها إلا للنبي



صلى الله عليه وآله خاصة. وقال ابن عباس: لم يكن عند النبي امرأة وهبت نفسها له، وفي رواية أخرى عن ابن عباس أنه كانت عنده ميمونة بنت الحارث بلا مهر وكانت وهبت نفسها للنبي. وروى عن علي بن الحسين عليه السلام أنها امرأة من بني أسد يقال لها أم شريك. وقال الشعبي: هي امرأة من الأنصار. وقيل زينب بنت خزيمة من الأنصار. وعندنا أن النكاح بلفظ الهبة لا يصح وإنما كان ذلك للنبي صلى الله عليه وآله خاصة. وقال قوم: يصح غير أنه يلزم المهر إذا دخل بها، وإنما جاز بلا مهر للنبي صلى الله عليه وآله خاصة غير أنه يبين حجة ما قلناه. قوله \* (إن أراد النبي

أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين) \* فبين أن هذا الضرب من النكاح خاص له دون غيره من المؤمنين. وقوله \* (قد علمنا ما فرضنا عليهم) \* يعني على المؤمنين \* (في أزواجهم) \* قال قتادة: معناه أي لا نكاح إلا بولي وشاهدين وصدق وألا يتجاوز الأربع. وقال مجاهد: ما فرضنا عليهم ألا يتزوجوا أكثر من أربع. وقال قوم \* (ما فرضنا عليهم في أزواجهم) \* من النفقة والقسمة وغير ذلك. وعندنا أن الشاهدين ليسا من شرط صحة انعقاد العقد، ولا الولي إذا كانت المرأة بالغة رشيدة، لأنها ولية نفسها. والمعنى على مذهبنا إنا قد علمنا ما فرضنا على الأزواج من مهرهن ونفقتهن وغير ذلك ومن الحقوق مع \* (ما ملكت أيماهم) \* (ما) في موضع جر لأنها عطف على (في) وتقديره: في أزواجهم وفي ما ملكت أيماهم \* (لكيلا يكون عليك حرج) \* إذا تزوجت المرأة بغير مهر إذا وهبت لك نفسها وأردتها. ثم قال \* (وكان الله غفورا رحيمًا) \* أي سائرا للذنوب على المسيئين رحيمًا بهم ومنعما عليهم.

قوله تعالى:

\* (ترجي من تشاء منهم وتؤوي إليك من تشاء ومن ابتغيت  
ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تقرأ عينهن ولا يحزن  
ويرضين بما آتيتهن كلهن والله يعلم ما في قلوبكم وكان الله  
عليما حليما (٥١) لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل  
بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك وكان الله  
على كل شيء رقيبا (٥٢) يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت  
النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا  
دعيتهم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث  
إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من  
الحق وإذا سألتموهن متاعا فسئلوهن من وراء حجاب ذلكم  
أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا  
أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله  
عظيما (٥٣) إن تبدوا شيئا أو تخفوه فإن الله كان بكل شيء

(٣٥٣)

عليما (٥٤) لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا إخوانهن  
ولا أبناء إخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت  
أيمانهن واثقين الله إن الله كان على كل شيء شهيدا) \* (٥٥)  
خمس آيات.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو بكر عن عاصم \* (ترجئ) \*  
مهموزة. الباقون بغير همز. من همز خففها ومن ترك الهمز لين، وهما لغتان  
يقال: أرجئت وأرجيت. وقرأ أبو عمرو وحده \* (لا تحل) \* بالتاء. الباقون  
بالياء. فمن قرأ بالتاء، فلان النساء مؤنثة. ومن قرأ بالياء حملة على اللفظ  
لان المعنى: لا يحل لك شيء من النساء.

هذا خطاب من الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وآله يخيره في نسائه بين أن يرجئ  
منهن من شاء أي تؤخر وتبعد. قال ابن عباس: خيره الله بين طلاقهن  
وإمساكنهن. وقال قوم: معناه تترك نكاح من شئت وتنكح من شئت من  
نساء أمتك. وقال مجاهد: معناه تعزل من شئت من نسائك فلا تأتيها  
وتأتي من شئت من نسائك فلا تقسم لها، فعلى هذا يكون القسم ساقطا عنه  
فكان ممن أرجى ميمونة وأم حبيبة وصفية وسودة، فكان يقسم لهن من نفسه  
وماله ما شاء، وكان ممن يأوي عائشة وحفصة وأم سلمة وزينب، فكان يقسم  
نفسه وماله بينهن بالسوية. وقال زيد بن أسلم: نزلت في اللاتي وهبن أنفسهن  
فقال الله له تزوج من شئت منهن واترك من شئت، وهو اختيار الطبري  
وهو أليق بما تقدم. فالارجاء هو التأخير وهو من تباعد وقت الشيء عن

وقت غيره ومنه الارحاء في فساق أهل الصلاة، وهو تأخير حكمهم بالعقاب إلى الله \* (وتؤوي منهن من تشاء) \* فلا إيواء: ضم القادر غيره من الأحياء الذين من جنس ما يعقل إلى غيره أو ناحيته، تقول آويت الإنسان آويه إيواء وأوى هو يأوي أويا إذا انضم إلى مأواه.

وقوله \* (ومن ابتغيت) \* يعني من طلبت \* (ممن عزلت) \* قال قتادة: كان نبي الله يقسم بين أزواجه فأحل الله تعالى له ترك ذلك. وقيل \* (ومن ابتغيت) \* أصابته ممن كنت عزلت عن ذلك من نسائك. وقال الحسن \* (ترجي من تشاء منهن) \* تذكر المرأة للتزويج ثم ترجيها فلا تتزوجها \* (فلا جناح عليك) \* أي لا جناح عليك في ابتغاء من شئت وإرجاء من عزلت وإيواء من شئت \* (ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن) \* أي أقرب إذا علمن أن الرخصة من قبل الله كان ذلك أقر لعينهن، وإنهن لا يطلقن وأشد لسرورهن وهو قول قتادة. وقيل \* (ذلك أدنى أن تقر أعينهن) \* إذا طمعت في ردها إلى فراشها بعد عزلها \* (ويرضين بما آتيتهن كلهن) \* رفع (كلهن) على تأكيد الضمير وهو النون في (يرضين) لا يجوز غير ذلك، لأن المعنى عليه. ثم قال \* (والله يعلم ما في قلوبكم) \* من الرضا والسخط والميل إلى بعض النساء دون بعض \* (وكان الله عليما) \* بذلك \* (حليما) \* عن أن يعاجل أحدا بالعقوبة.

وقوله \* (لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن) \* قال ابن عباس والحسن: بعد التسع اللاتي كن عنده واخترنه مكافأة لهن على اختيارهن الله ورسوله. وقال أبي بن كعب لا يحل لك من بعد أي حرم عليك ما عدا اللواتي ذكرن بالتحليل في " إنا أحللنا لك... " الآية. وهن ست أجناس النساء اللاتي هاجرن معك وإعطائهن مهورهن وبنات عمه وبنات عماته وبنات خاله

وبنات خالاته اللاتي هاجرن معه، ومن وهبت نفسها له بجميع ما شاء من العدد، ولا يحل له غيرهن من النساء. وقال مجاهد: " لا يحل لك النساء " من أهل الكتاب ويحل لك المسلمات.

وروى أن حكم هذه الآية نسخ، وأبيح له ما شاء من النساء أي جنس أراد، وكم أراد، فروي عن عائشة أنها قالت: لم يخرج النبي صلى الله عليه وآله من دار الدنيا حتى حلل الله له ما أراد من النساء، وهو مذهب أكثر الفقهاء. وهو المروي عن أصحابنا في أخبارنا.

" ولا ان تبدل بهن من أزواج " قال ابن زيد: معناه أن تعطي زوجتك لغيرك وتأخذ زوجته. لأن أهل الجاهلية كانوا يتبادلون الزوجات. وقيل: معناه تطلق واحدة وتتزوج أخرى بعدها " ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك " استثناء الإمام أي اللاتي تملكهن من جملة ما حرم عليه من النساء " وكان الله على كل شيء رقيبا " أي عالما حافظا، فالرقيب الحفيظ - في قول الحسن وقتادة - قال الشاعر:

لواحد الرقباء للضرباء أيديهم نواهد (١)

ثم خاطب المؤمنين فقال " يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم " نهاهم عن دخول دور النبي بغير إذن " إلى طعام غير ناظرين إناه " أي بلوغه، وكان يداريهم، وهو نصب على الحال، يقال في الطعام: أناى يأني إذا بلغ حال النضج، قال الشاعر [الشباني].  
تمحضت المنون له بيوم \* اني ولكل حادثة تمام (٢)  
وقال الحطيئة:

---

(١) مجاز القرآن ٢ / ١٤٠

(٢) تفسير القرطبي ١٤ / ٢٢٦

وأخرت العشاء إلى سبيل \* أو الشعري فطال بي الاناء (١)  
وقال البصريون: لا يجوز (غير ناظرين) بالجر على صفة (طعام) لان  
الصفة إذا جرت على غير من هي له لم يضمم الضمير، وأجاز ذلك الفراء  
وانشد الأعشى:

فقلت له هذه هاتها. الينا بأدماء مقتادها (٢).

والمعنى على يدي من اقتادها، وقال الكسائي: سمعت العرب تقول: يدك  
باسطها، أي أنت. وقال الزجاج: لو جر (غير) لقال: إلى طعام غير ناظرين  
إنه أنتم، لا يجوز إلا ذلك. والمعنى غير منتظرين بلوغ الطعام.  
ثم قال "ولكن إذا دعيتم فادخلوا" والمعنى إذا دعيتم إلى طعام فادخلوا  
"فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث" أي تفرقوا ولا تقيموا ولا  
تستأنسوا بطول الحديث، وإنما منعوا من الاستئناس من أجل طول الحديث  
لان الجلوس يقتضي ذلك، والاستئناس هو ضد الاستيحاش، والانس ضد  
الوحشة، وبين تعالى فقال "لان ذلك" الاستئناس بطول الجلوس "كان  
يؤذي النبي فيستحيي منكم" أي من الحاضرين، فيسكت على مضض ومشقة  
"والله لا يستحيي من الحق" ثم قال "وإذا سألتموهن متاعا" يعني إذا  
سألتهم أزواج النبي شيئا تحتاجون إليه "فاسألوهن من وراء حجاب" وستر  
"ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن" من الميل إلى الفجور.  
ثم قال "وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله" قال أبو عبيدة (كان) زائدة  
والمعنى ليس "لكم ان تؤذوا رسول الله" بطول الجلوس عنده، ومكالمة نسائه

---

(١) تفسير القرطبي ١٤ / ٢٢٦

(٢) ديوانه (دار بيروت) روايته:

فقلنا له هذه هاتها \* بأدماء في حبل مقتادها

" ولا " يحل لكم أيضا " أن تنكحوا أزواجه من بعده ابدا " لأنهن صرن بمنزلة أمهاتكم في التحريم. وقال السدي: لما نزل الحجاب قال رجل من بني تميم أنحجب من بنات عمنا إن مات عرسنا بهن، فنزل قوله " ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده ابدا إن ذلكم " إن فعلتموه " كان عند الله عظيما ".  
ثم قال لهم " إن تبدوا شيئا " أي إن أظهرتموه من مواقعة النساء " أو تخفوه فإن الله كان بكل شيء عليما " لا يخفى عليه شيء من أعمالكم لا ظاهرة ولا باطنة. ثم استثنى لأزواج النبي صلى الله عليه وآله من يجوز لها محادثتهم ومكالمتهم، فقال " لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا إخوانهن ولا أبناء إخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت أيمانهن " ولم يذكر العم والخال لأنه مفهوم من الكلام، لأن قرباتهم واحدة، لأنهن لا يحللن لواحد من المذكورين بعقد نكاح على وجه، فهن محرم لهن " ولا نسائهن ولا ما ملكت أيمانهن " قال قوم: من النساء والرجال. وقال آخرون من النساء خاصة. وهو الأصح. وقال مجاهد: رفع الجناح - ههنا - في وضع الجلباب للمذكورين. وقال قتادة: في ترك الاحتجاب، ثم أمرهن بأن يتقين الله ويتركن معاصيه فقال " واتقين الله إن الله كان على كل شيء شهيدا " أي عالما لا يخفى عليه شيء من ذلك. وقال الشعبي وعكرمة: وإنما لم يذكر العم والخال، لئلا ينعتهن لأبنائهما. وكان سبب نزول الآية لما نزل الحجاب، قوله " فاسألوهن من وراء حجاب " قال آباء النساء وأبنائهن: ونحن أيضا مثل ذلك، فأنزل الله الآية وبين أن حكم هؤلاء بخلاف حكم الأجانب.

قوله تعالى: \* (إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما (٥٦) إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا (٥٧) والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً (٥٨) يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما (٥٩) لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا) \* (٦٠) خمس آيات يقول الله تعالى مخبرا انه يصلي وملائكته على النبي صلى الله عليه وآله وصلاة الله تعالى هو ما فعله به من كراماته وتفضيله وإعلاء درجاته ورفع منازلته وثنائه عليه وغير ذلك من أنواع إكرامه. وصلاة الملائكة عليه مسألتهم الله تعالى أن يفعل به مثل ذلك، وزعم بعضهم أن " يصلون " فيه ضمير الملائكة دون اسم الله مع إقراره بأن الله سبحانه يصلي على النبي لكنه يذهب في ذلك إلى أنه في افراده بالذكر تعظيما، ذكره الجبائي.



ثم امر تعالى المؤمنين المصدقين بوحدانيته المقرين بنبوة نبيه أن يصلوا أيضا عليه، وهو أن يقولوا: اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم - في قول ابن عباس.

ثم أمر المؤمنين أيضا، ان يسلموا لامره تعالى وأمر رسوله تسليما، في جميع ما يأمرهم به. والتسليم هو الدعاء بالسلامة كقولهم سلمك الله. والسلام عليك ورحمة الله وبركاته. وكقولك: السلام عليك يا رسول الله.

ثم اخبر تعالى " ان الذين يؤذون الله ورسوله " وأذى الله يقال هو اذى أوليائه، وإنما أضافه إلى نفسه تعظيما لأوليائه ومبالغة في عظم المعصية به " لعنهم الله " أي يستحقون اللعنة من الله، لان معنى " لعنهم الله " أي حل بهم وبال اللعن بالابعاد من رحمة الله. وقول القائل: لعن الله فلانا معناه

الدعاء عليه بالابعاد من رحمته. وقوله " في الدنيا والآخرة " أي هم مبعدون من رحمته تعال في الدنيا والآخرة، ومع ذلك " أعد لهم " في الآخرة " عذابا مهينا " اي مذلا لهم. والهوان الاحتقار، يقال: أهانه إهانة، وإنما وصف العذاب بأنه مهين، لأنه تعالى يهين الكافرين والفاسقين به، حتى يظهر الذلة فيه

عند العقاب.

ثم قال " والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا " يعني يؤذونهم من غير استحقاق على شئ فعلوه يستوجبون به ذلك " فقد احتملوا بهتاننا.... " .

وكان سبب نزول الآية ان قوما من الزناة كانوا يمشون في الطرقات فإذا رأوا امرأة غمزوها. وقال النقاش: نزلت في قوم كانوا يؤذون عليا عليه السلام وقيل: نزلت في من تكلم في عائشة في قصة الافك.

وقوله " فقد احتملوا بهتاننا " اي كذبا " واثما مبينا " اي ظاهرا - ثم  
خاطب النبي صلى الله عليه وآله يقوله " يا أيها النبي " وأمره بأن يقول لأزواجه وبناته  
ونساء المؤمنين، ويأمرهم بأن يدين عليهم من جلايبهن، فالجلايب جمع  
جلباب وهو خمار المرأة وهي المقنعة تغطي جبيتها ورأسها إذا خرجت لحاجة  
بخلاف خروج الإمام اللاتي يخرجن مكشفات الرأس والجباه - في قول ابن  
عباس ومجاهد - وقال الحسن: الجلايب الملاحف تدينها المرأة على وجهها  
" ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين " ثم قال " وكان الله غفورا رحيمًا "  
اي ستار الذنوب على عباده " رحيمًا " بهم.

ثم قال لنبيه صلى الله عليه وآله " لئن لم ينته المنافقون " أي لئن لم يرجعوا " والذين  
في قلوبهم مرض " اي شك ونفاق. وقيل: شهوة الزنا " والمرجفون في  
المدينة " فالارجاف إشاعة الباطل للاعتماد به. والمرجفون هم الذين كانوا يطرحون  
الاخبار الكاذبة بما يشغلون به قلوب المؤمنين " لنغرينك بهم " يا محمد، والاعراء  
الدعاء إلى تناول الشيء بالتحريض عليه أغراه يغريه إغراء وغري به يغري مثل  
أولع به كأنه أخذ بلزومه. وقيل: معناه لنسلطنك عليهم - في قول  
ابن عباس -.

وقوله " ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا " يعني ينفون عن المدينة ولا  
يجاورونك يا محمد فيها.

قوله تعالى:

\* (ملعونين أين ما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا) (٦١) سنة

الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا (٦٢)  
يسئلك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله وما يدريك  
لعل الساعة تكون قريبا (٦٣) إن الله لعن الكافرين وأعد لهم  
سعيرا (٦٤) خالدون فيها أبدا لا يجدون وليا ولا نصيرا) \* (٦٥)  
خمس آيات.

لما أخبر الله تعالى، وتوعد " المنافقين والذين في قلوبهم مرض " أي شك  
" والمرجفون في المدينة " بما يشغل قلوب المؤمنين وأنهم إن لم يتوبوا عن ذلك  
نفوا عنها، وصفهم بأنهم " ملعونين " أي مبعدون " أينما ثقفوا " ونصب  
(ملعونين) على الحال من الضمير في قوله " يجاورونك " وقيل: انه نصب على  
الذم، والصفة ل (قليل)، كأنه قال: إلا أذلاء ملعونين، (وأينما) منصوب  
ب (ثقفوا)، وانجزم به (ثقفوا) على طريق الجزاء. وإنما جاز ذلك، لان  
الجازم في الأصل (إن) المحذوفة. وصار (أينما) تقوم مقامها، وتغني عنها  
ولا يجوز ان يعمل فيه (اخذوا) لأنه جواب الجزاء، ولا يعمل الجواب فيها  
قبل الشرط، لئلا يختلط أحد الامرين بالآخر.  
وفي الآية دلالة على أنهم انتهوا، وإلا كان يوقع الاغراء بهم ويجعلهم  
بالصفة التي ذكرها.

وقوله " سنة الله التي قد خلت من قبل " فالسنة الطريقة في تدبير الحكيم  
ومنه سنة رسول الله، وهي الطريقة التي أجراها بأمر الله تعالى، فأضيفت إليه

لأنه فعلها بأمر الله. واصل السنة الطريقة. ومن عمل الشيء مرة أو مرتين لا يقال: إن ذلك سنة، لأن السنة الطريقة الجارية، ولا تكون جارية بمالا يعتد به من العمل القليل، وسنة الله في المتمردين في الكفر - الذين لا يقلع أحد منهم ولا من نسلهم - الإهلاك في العذاب في الدنيا والآخرة. وقوله " ولن تجد لسنة الله تبديلا " معناه إن السنة التي أراد الله أن يسنها في عباده لا يتهياً لأحد تغييرها، ولا قلبها عن وجهها لأنه تعالى القادر الذي لا يتهياً لأحد منعه مما أراد فعله.

ثم قال " يسألك الناس عن الساعة " يعني عن يوم القيامة " قل " لهم " إنما علمها عند الله " لا يعلمها أحد غيره " وما يدريك " يا محمد " لعل الساعة تكون قريباً " مجيئها.

ثم قال تعالى مخبراً " إن الله لعن الكافرين " يعني أبعدهم من رحمته " وأعد لهم سعيراً " يعني النار التي تستعر وتلتهب " خالدين فيها أبداً " أي مؤبدين فيها لا يخرجون منها " ولا يجدون ولياً " ينصرهم من دون الله " ولا نصيراً " يدفع عنهم.

واستدل قوم بذلك على النار أنها مخلوقة الآن، لأن ما لا يكون مخلوقاً لا يكون معداً. وهذا ضعيف، لأنه يجوز أن يكون المراد إن الجنة والنار معدتان في الحكم كائنتان لا محالة، فلا يمكن الاعتماد على ذلك. قوله تعالى:

\* (يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول (٦٦) وقالوا ربنا إنا أطعنا ساداتنا وكبراءنا

فأضلونا السبيلا (٦٧) ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم  
لعنا كبيرا (٦٨) يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا  
موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وحيها) \* (٦٩)  
آيات أربع.

قرأ ابن عامر ويعقوب " ساداتنا " بألف بعد الدال. الباقر بن غير الف  
على جمع التكسير، والأول على جمع الجمع، وقرأ عاصم وابن عامر - في رواية  
الداحوني عن هشام " لعنا كبيرا " بالباء. الباقر بن الثاء.  
العامل في قوله " يوم تقلب " قوله " واعد لهم سعيرا... يوم تقلب وجوههم "  
فالتقلب تصريف الشيء في الجهات، ومثله التنقل من جهة إلى جهة فهؤلاء  
تقلب وجوههم في النار، لأنه أبلغ في ما يصل إليهم من العذاب. وقوله " يقولون  
يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا " حكاية ما يقول هؤلاء الكفار الذين تقلب  
وجوههم في النار، فإنهم يقولون متمنين: يا ليتنا كنا أطعنا الله في ما أمرنا به  
ونهانا عنه، ويا ليتنا أطعنا الرسول في ما دعانا إليه. وحكى أيضا انهم يقولون  
يا " ربنا إنا أطعنا " في ما فعلنا " ساداتنا وكبراءنا " والسادة جمع سيد، وهو  
الملك المعظم الذي يملك تدبير السواد الأعظم، ويقال للجمع الأكثر السواد  
الأعظم يراد به السواد المنافي لشدة البياض والضياء الأعظم " فأضلونا السبيلا "  
يعني هؤلاء الرؤساء أضلونا عن سبيل الحق.

وقيل الآية نزلت في الاثني عشر الذين أطعموا الكفار يوم بدر من  
قريش. ثم حكى انهم يقولون " ربنا آتهم ضعفين من العذاب " لضلالهم في

نفوسهم وإضلالهم إيانا. وقيل معناه عذاب الدنيا والآخرة " والعنهم لعنا كثيرا " أي مرة بعد أخرى. ومن قرأ بالبلاء أراد اللعن الذي هو أكبر من لعن الفاسق، لان لعنة الكافر أعظم.

ثم خاطب تعالى المؤمنين فقال " يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى " أي لا تؤذوا نبيكم مثل ما أؤذي موسى يعني آذاه قومه بعيب أضافوه إليه لم يقم حجة بتعيبه. وقيل: إن الآية نزلت في المنافقين عابوا النبي صلى الله عليه وآله باصطفائه صفيه بنت حي، فنهاهم الله عن ذلك. واختلف المفسرون في العيب الذي أضافه قوم موسى إليه. فقال قوم: انهم آذوا موسى بأن أشاعوا أن هارون قتله موسى فأحياه الله - عز وجل - حتى أخبرهم ان موسى لم يقتله وأن الله تعالى هو الذي أماته عند انقضاء أجله، وهو معنى قوله " فبرأه الله مما قالوا " وقيل: انهم قالوا: إنه أبرص. وقيل: انهم أضافوه إلى أنه أدر الخصيتين، فبرأه الله من ذلك، وأجاز البلخي حديث الصخرة التي ترك موسى ثيابه عليها على أن يكون ذلك معجزا له. وقال قوم: ذلك لا يجوز لان فيه اشتهار النبي وابداء سوءاته على رؤس الاشهاد. وذلك ينفر عنه، فبرأه الله من ذلك.

وقوله " وكان عند الله وجيها " أي عظيم القدر، رفيع المنزلة إذا سأل الله تعالى شيئا أعطاه. وأثبت الألف في قوله " الرسولا.... والسبيلا " لأجل الفواصل في رؤس الآي تشبيها بالقوافي. قوله تعالى:

\* (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقلوا قولا سديدا (٧٠))

يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله  
فقد فاز فوزا عظيما (٧١) إنا عرضنا الأمانة على السماوات  
والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها  
الإنسان إنه كان ظلوما جهولا (٧٢) ليعذب الله المنافقين  
والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين  
والمؤمنات وكان الله غفورا رحيمًا \* (٧٣) أربع آيات.  
أمر الله تعالى المصدقين بوحدانيته المقرين بنبوة نبيه بأن يتقوا عقابه  
باجتناب معاصيه وفعل واجباته وأن يقولوا " قولا سديدا " أي صوابا بريئا  
من الفساد خالصا من شائب الكذب والتمويه واللغو. وقوله " يصلح لكم  
أعمالكم " جزم بأنه جواب للامر، وفيه معنى الجزاء. وتقديره: إن فعلتم  
ما أمرتكم به يصلح لكم أعمالكم. وإصلاحه أعمال العباد أن يلطف لهم فيها حتى  
تستقيم على الطريقة السليمة من الفساد، وذلك مما لا يصح إلا في صفات الله  
تعالى، لأنه القادر الذي لا يعجزه شئ العالم الذي لا يخفى عليه شئ " ويغفر  
لكم ذنوبكم " قيل: إنما وعد الله بغفران الذنوب عند القول السديد، ولم يذكر  
التوبة، لأن التوبة داخلة في الأقوال السديدة، كما يدخل فيه تجنب الكذب في  
كل الأمور فيدخل فيه الدعاء إلى الحق وترك الكفر والهزل واجتناب  
الكلام القبيح.

ثم قال " ومن يطع الله ورسوله " في ما أمراه به ونهياه عنه ودعواه إليه

" فقد فاز فوزا عظيما " أي أفلح فلاحا عظيما، لأنه يفوز بالجنة، والثواب الدائم. وقيل: معناه فقد ظفر بالكرامة من الله والرضوان، وهو الفوز العظيم. ثم اخبر تعالى بأنه عرض الأمانة على السماوات والأرض، فالأمانة هي العقد الذي يلزم الوفاء به مما من شأنه أن يؤتمن على صاحبه، وقد عظم الله شأن الأمانة في هذه الآية وأمر بالوفاء بها، وهو الذي امر به في أول سورة المائدة وعنه بقوله " يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود " وقيل في قوله " عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال " مع أن هذه الأشياء جمادات لا يصح تكليفها أقوال:

أحدها - ان المراد عرضنا على أهل السماوات وأهل الأرض وأهل الجبال وثانيها - ان المعني في ذلك تفخيم شأن الأمانة وتعظيم حقها، وأن من عظم منزلتها انها لو عرضت على الجبال والسماوات والأرض مع عظمها، وكانت تعلم بأمورها لأشفقت منها، غير أنه خرج مخرج الواقع لأنه أبلغ من المقدر. وقوله " فأبين ان يحملنها " أي منعن ان يحملن الأمانة " وأشفقن منها " أي خفن من حملها " وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا " أي ظلوما لنفسه بارتكاب المعاصي، جهولا بموضع الأمانة واستحقاق العقاب على ارتكاب المعاصي وقال ابن عباس: معنى الأمانة الطاعة لله، وقيل لها أمانة لان العبد أوتمن عليها بالتمكين منها ومن تركها. وقال تعالى " ليلوكم أيكم أحسن عملا " (١) فرغب في الأحسن، وزهد في تركه. وقيل: من الأمانة ان المرأة أوتمنت على فرجها والرجل على فرجه ان يحفظاهما من الفاحشة. وقيل: الأمانة ما خلق الله تعالى في هذه الأشياء من الدلائل على ربوبيته وظهور ذلك منها، كأنهم أظهروها

---

(١) سورة ١١ هود آية ٧



والانسان جحد ذلك وكفر به. وفائدة هذا العرض إظهار ما يجب من حفظها وعظم المعصية في تضييعها.

وقيل معنى " حملها الانسان " أي خانها، لان من خلق الأمانة فقد حملها وكذلك كل من اثم فقد حمل الاثم، كما قال تعالى " وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم " (١) وقال البلخي: يجوز أن يكون معنى العرض والإباء ليس هو ما يفهم بظاهر الكلام، بل إنما أراد تعالى أن يخبر بعظم شأن الأمانة وجلالة قدرها " وفضاعة خيانتها وترك أدائها، وأنه لو وجد السماوات مع عظمها لا تحملها وإن الانسان حملها، وليس الانسان - ههنا - واحدا بعينه، ولا هو المطيع المؤمن، بل هو كل من خان الأمانة ولم يرد الحق فيها، وحمل الانسان الأمانة هو ضمانه القيام بها وإداء الحق فيها، لان ذلك طاعة منه لله، واتباع لامره والله لا يعتب على طاعته وما امر به ودعا إليه لكن معنى " حملها " انه احتملها ثم خانها ولم يؤد الحق فيها، كأنه حملها فذهب بها واحتمل وزرها، كما يقولون فلان أكل أمانته أي خان فيها، والعرب تقول: سألت الربع، وخاطبت الدار فأجابني بكذا، وقالت كذا، وربما قالوا: فلم يجب، وامتنعت من الجواب.

وليس هناك سؤال ولا جواب، وإنما هو اخبار عن الحال التي تدل عليه، وعبر عنه بذكر السؤال والجواب، كما قال تعالى " اثتيا طوعا لو كرها " للسماوات والأرض " قالتا أتينا طائعين " (٢) وهو تعالى لا يخاطب من لا يفهم ولا يعقل، وقال تعالى \* (لقد جئتم شيئا إذا تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا) \* (٣) ونحن نعلم أن السماوات لم تشعر بما كان من

(١) سورة ٢٩ العنكبوت آية ١٣

(٢) سورة ٤١ حم السجدة (فصلت) آية ١٢

(٣) سورة ١٩ مريم آية ٩١ - ٩٢

الكفار وانه لا سبيل لها إلى الانفطار في ذات نفسها، ويقول القائل أتيت  
بكذب لا تحتمله الجبال الراسيات، قال الشاعر:  
فقال لي البحر إذ جئته \* كيف يحيز ضرير ضريرا  
وقال جرير:

لما اتى خبر الزبير تواضعت \* سور المدينة والجبال الخشع (١)  
وقال آخر:

فأجهشت للتوباد حين رأيت \* وكبر للرحمن حين رأني  
فقلت له أين الذين عهدتهم \* بجنيك في حضن وطيب زمان  
فقال مضوا فاستودعوني بلادهم \* ومن ذا الذي يبقى على الحدثان  
والتوباد جبل، وقال آخر:  
امتلاً الحوض وقال قطني \* مهلاً رويدا قد ملأت بطني (٢)  
وقال بعض المحدثين:

يا قصر ويحك هل أوعيت من خبر \* فقال هل خبر أنبأ من العبر  
قد كان يسكنني قوم ذو خطر \* بادوا على الدهر والأيام والغير  
وقد أتاني وقرب العهد يذكرني \* منصور أمتكم في الشوك والشجر  
حتى أناخ على بابي فقلت له \* أما كفاك الذي نبئت من خبري  
إن لا أكن قلته نطقاً فقد كتبت \* به الحوادث في صخري وفي حجري  
خطاً قديماً جليلاً غير ذي عوج \* يقرأ بكل لسان ظاهر الأثر

---

(١) ديوانه ٢٧٠ وقد مر في ١ / ٣١٢، ٢٠٤ و ٧ / ١٥٢، ٢٠٩

(٢) مر في ١ / ٤٣١

فحلني ثم أفناه الزمان ولم يطق \* دفاعا لما قد حم من قدر  
وكلهم قائل لي أنت لي ولمن \* خلفت من ولدي حظرا على البشر  
فما تملئ بنو الآباء بعدهم \* ولا هم سكنوا إلا على غرر  
وقد قال بعض الحكماء: سل الأرض من شق أنهارك وغرس أشجارك  
وجنى ثمارك؟ فإن لم تجبك حوارا أجابتك اعتبارا، والعرض على وجوه  
يقال: عرضت المال والعمل على فلان، فهذا بالقول والخطاب، وعرضت هذا  
الامر على فكري البارحة، وهذا أمر إن عرض على العقول لم تقبله، ومنه  
قولهم: عرضت الناقة على الحوض، يريدون عرضت الحوض على الناقة  
و (الاباء) على وجوه: فمنه الامتناع وإن لم يكن قصد لذلك، ومنه ألا يصلح  
لما يريده، تقول: أردت سل سيفي فأبى علي. وتقول: هذه الأرض تأبى  
الزرع والغرس أي لا تصلح لهما، فعلى هذا يكون معنى قوله " فأبين أن  
يحملنها " أي لا تصلح لحملها، وليس في طباعها حمل ذلك، لأنه لا يصلح لحمل  
الأمانة إلا من كان حيا عالما قادرا سميعا بصيرا. بل لا يلزم أن يكون سميعا  
بصيرا، وإنما يكفي أن يكون حيا عالما قادرا. وقال قوم: معناه إنا عرضنا  
الأمانة على أهل السماوات وأهل الأرض وأهل الجبال، كما قال " فما بكت عليهم  
السماوات والأرض " (١) يعني أهل السماء وأهل الأرض، فأبوا حملها على أن  
يؤدوا حق الله فيها إشفاقا من التقصير في ذلك \* (وحملها الانسان) \* يعني الكافر  
جهلا بحق الله واستخفافا بعرضه \* (إنه كان ظلوما) \* لنفسه \* (جهولا) \* بما يلزمه  
القيام بحق الله، وإنما قال \* (فأبين) \* ولم يقل: فأبوا حملا على اللفظ، ولم يردده  
إلى معنى الآدميين، كما قال \* (والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين) \* (٢) وقوله

(١) سورة ٤٤ الدخان آية ٢٩

(٢) سورة ١٢ يوسف آية ٤

\* (فضلت أعناقهم لها خاضعين) \* (١) حملا على المعنى دون اللفظ، وكل ذلك واضح بحمد الله.  
ثم قال \* (ليعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات) \* يعني بتضييع الأمانة، وقال الحسن وقتادة: كلاهما خانا الأمانة \* (ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات) \* بحفظهما الأمانة لأنهما كليهما أديا الأمانة \* (وكان الله غفورا رحيمًا) \* أي ستارا لعيوب خلقه رحيمًا بهم في إسقاط عقابهم إذا تابوا ورجعوا إلى الطاعة.

---

(١) سورة ٢٦ الشعراء آية ٤

(٣٧١)

### ٣٤ - سورة سبأ

مكية في قول مجاهد وقتادة: والحسن وغيرهم ليس فيها ناسخ ولا منسوخ.  
وقيل إن آية واحدة منها مدنية، وهي قوله " وترى الذين أوتوا.... "   
وهي أربع وخمسون آية عند الكل إلا الشامي فإنها عنده خمس وخمسون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

\* (الحمد لله الذي له ما في السماوات وما في الأرض وله  
الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير (١) يعلم ما يلج في  
الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو  
الرحيم الغفور (٢) وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل  
بلى وربي لتأتينكم عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في  
السماوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب  
مبين (٣) ليحزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم

(٣٧٢)

مغفرة ورزق كريم (٤) والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك لهم عذاب من رجز أليم) \* (٥) خمس آيات.

قرأ حمزة والكسائي "علام الغيب" بتشديد اللام وألف بعدها وخفض الميم. وقرأه أهل المدينة وابن عامر ورويس بألف قبل اللام وتخفيف اللام وكسرها ورفع الميم. الباقيون كذلك إلا أنهم خفضوا الميم، وهم ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وخلف وروح. وقرأ ابن كثير وحفص ويعقوب \* (من رجز اليم) \* برفع الميم - ههنا - وفي الجاثية، و \* (معجزين) \* قد مضى ذكره، (١) وقرأ الكسائي وحده (يعزب) بكسر الزاي. الباقيون بضمها. و \* (الحمد) \* رفع بالابتداء و \* (لله) \* خبره.

والحمد هو الشكر، والشكر هو الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم. والحمد هو الوصف بالجميل على جهة التعظيم، ونقيضه الذم، وهو الوصف بالقبيح على جهة التحقير، ولا يستحق الحمد إلا على الاحسان، فلما كان احسان الله لا يوازيه احسان أحد من المخلوقين، فكذلك لا يستحق الحمد أحد من المخلوقين مثل ما يستحقه، وكذلك يبلغ شكره إلى حد العبادة ولا يستحق العبادة سوى الله تعالى، وإن استحق بعضنا على بعض الشكر والحمد.

ومعنى قوله \* (الحمد لله) \* أي قولوا \* (الحمد لله الذي له ما في السماوات وما في الأرض) \* معناه الذي يملك التصرف في جميع ما في السماوات، وجميع ما في الأرض، وليس لاحد منعه منه ولا الاعتراض عليه \* (وله الحمد) \* في الأولى يعني بما أنعم عليه من فنون الاحسان و \* (في الآخرة) \* بما يفعل بهم من الثواب

والعوض وضروب التفضل في الآخرة، والآخرة وإن كانت ليست دار تكليف فلا يسقط فيها الحمد والاعتراف بنعم الله تعالى، بل العباد ملجأون إلى فعل ذلك لمعرفة الضرورية بنعم الله تعالى عليهم وما يفعل من العقاب بالمستحقين فيه أيضا إحسان لما للمكلفين به في دار الدنيا من الألفاظ والزجر عن المعاصي ويفعل الله العقاب بهم لكونه مستحقا على معاصيه في دار الدنيا، ومن حمد أهل الجنة قولهم: الحمد لله الذي صدقنا وعده. وقولهم: الحمد لله الذي هدانا لهذا. وقيل: إنما يحمده أهل الآخرة من غير تكليف على وجه السرور به \* (وهو الحكيم) \* في جميع أفعاله، لأنها كلها واقعة موقع الحكمة \* (الخبير) \* العالم بجميع المعلومات. ثم وصف نفسه بأنه \* (يعلم ما يلج في الأرض) \* من سائر أنواع الأشياء \* (وما يخرج منها) \* كذلك. وقال الحسن: معناه يعلم ما يلج في الأرض من المطر، وما يخرج منها من النبات، والولوج الدخول، ولج يلج ولوجا، قال الشاعر:

رأيت القوافي يلجن موالجا \* تضايق عنه ان تولجه الابر (١)  
ومعنى \* (ما ينزل من السماء) \* قال الحسن: يعني من الماء \* (وما يعرج فيها) \* من ملك فهو يجري جميع ذلك على تدبير عالم به وتوجه المصلحة فيه. ثم حكى عن الكفار أنهم يقولون \* (لا تأتينا الساعة) \* يعني القيامة تكذبا للنبي صلى الله عليه وآله في ذلك ف \* (قل) \* لهم يا محمد \* (بلى) \* تأتاكم \* (و) \* حق الله

\* (ربي) \* الذي خلقتني وأخرجني من العدم إلى الوجود \* (لتأتينكم) \* الساعة \* (عالم الغيب) \* من جر \* (عالم) \* جعله صفة لقوله \* (وربي) \* وهو في موضع جربوا والقسم. ومن رفعه، فعلى انه خبر ابتداء محذوف، وتقديره هو عالم

الغيب. ومن قرأ \* (علام) \* أراد المبالغة في وصفه بأنه عالم الغيب، والغيب كل شيء غاب عن العباد علمه \* (لا يعزب عنه) \* أي لا يفوته \* (مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض) \* بل هو عالم بجميع ذلك، يقال: عزب عنه الشيء يعزب ويعزب لغتان، في المضارع \* (ولا أصغر من ذلك ولا أكبر) \* أي ولا يعزب عنه علم ما هو أصغر من مثقال ذرة، ولا علم ما هو أكبر منه \* (إلا في كتاب مبين) \* يعني اللوح المحفوظ الذي أثبت الله تعالى فيه جميع ما هو كائن إلى يوم القيامة ليطلع عليه ملائكته، فيكون لطفًا لهم، ويكون للمكلفين أيضًا في الاخبار عنه لطف لهم.

ثم بين أنه إنما أثبت ذلك في الكتاب المبين \* (ليجزي) \* على ذلك \* (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) \* بنعيم الجنة وهو قوله \* (أولئك لهم مغفرة) \* لذنوبهم وستر لها، ولهم مع ذلك \* (رزق كريم) \* قال قتادة: الرزق الكريم الجنة. وقال غيره: هو الهنيئ الذي ليس فيه تنغيص، ولا تكدير. ثم بين أن الذين يسعون في آيات الله وحججه \* (معاجزين) \* له أي متعاونين مجاهدين في إبطال آياته \* (أولئك لهم عذاب) \* على ذلك \* (من رجز اليم) \* فمن جر \* (أليم) \* جعله صفة \* (رجز) \* والرجز هو الرجز، وقال قوم: هو شيء العذاب وقال آخرون: هو العذاب. والرجز بضم الراء الصنم ومنه قوله \* (والرجز فاهجر) \* (١) وقال أبو عبيدة \* (معاجزين) \* بمعنى سابقين و \* (معجزين) \* معناه مشبطين - في قول الزجاج. قوله تعالى: \* (ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك

---

(١) سورة ٧٤ المدثر آية ٥



هو الحق ويهدي إلى صراط العزيز الحميد (٦) وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد (٧) أفترى على الله كذبا أم به جنة بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد (٨) أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء إن في ذلك لآية لكل عبد منيب (٩) ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد (١٠) أن أعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحا إني بما تعملون بصير \* (١١) ست آيات.

قرأ حمزة والكسائي \* (إن يشأ يخسف بهم) \* بالياء كناية عن الله تعالى أنه إن شاء خسف. الباقيون بالنون كناية على أنه إخبار منه تعالى عن نفسه. يقول الله تعالى مخبرا أن الذين أوتوا العلم والمعرفة بوحداية الله تعالى. قال قتادة: هم أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وقال غيره: يجوز أن يكون المراد كل من

أوتي العلم بالدين، وهو الأولى، لأنه أعم \* (الذي أنزل إليك من ربك) \* يعني القرآن \* (هو الحق) \* ف \* (الذي) \* في موضع نصب بأنه المفعول ب \* (يرى) \* وقوله \* (هو) \* فصل، ويسميه الكوفيون عمادا، قال الشاعر:

ليت الشباب هو الرجيع إلى الفتى \* والشيب كان هو البدء الأول  
أنشده الكسائي على أن \* (هو) \* الأول عماد والثاني اسم. و \* (الحق) \* هو الفعول  
الثاني، و \* (يرى) \* في الآية بمعنى \* (يعلم) \* وموضعه يحتمل أن يكون نصبا عطفا على  
\* (ليجزى) \* ويحتمل أن يكون رفعا بالاستئناف، وإيتاء العلم اعطاؤه إما بخلق العلم  
أو بنصب الأدلة المسببة له، فهو لطف الله تعالى لهم بما أداهم إلى العلم، فكان كأنه قد  
أتاهم \* (الذي أنزل إليك) \* يعني القرآن وما أنزله الله عليه من الاحكام يعلمونه  
حقا صحيحا لمعرفتهم بالله وآياته الدالة على صدق نبيه \* (ويهدي) \* يعني القرآن  
ويرشد إلى \* (صراط العزيز الحميد) \* يعني إلى دين الله القادر الذي لا يغالب،  
والحميد يعني المحمود على جميع أفعاله، وهو الله تعالى.  
ثم حكى ان الكفار يقول بعضهم لبعض \* (هل ندلكم على) \* ونرشدكم  
إلى \* (رجل ينبئكم) \* أي يخبركم \* (إذا مزقتم كل ممزق) \* أي مزقت أعضاؤكم  
بعد الموت، وصرتم ترابا ورميما \* (إنكم لفي خلق جديد) \* ابتداء بأن لم يعمل  
فيها \* (ينبئكم) \* لأنه لو أعمل فيها لنصبها، يعيدكم ويحييكم، ويقولون: هذا على  
وجه الاستبعاد له والتعجب من هذا القول. ومعنى \* (مزقتم) \* بليتم وتقطعت  
أجسامكم. والعامل في (إذ) يقول - في قول الزجاج - وتقديره هل ندلكم على رجل  
يقول لكم إنكم إذا مزقتم تبعثون، وبكون (إذا) بمعنى الجزاء تعمل فيها التي  
تليها، قال قيس:

إذا قصرت أسيفنا كان وصلها \* خطانا إلى أعدائنا فنضارب  
والمعنى يكن وصلها، فلذلك جزم فنضارب. وقيل العامل فيه معنى الجملة  
كأنه قيل: يجدد خلقكم، ولا يجوز أن يعمل فيه ما بعد لام الابتداء، ولا ما

بعد ان لأنها حروف لا تتصرف في نفسها ولا في معمولها. وقوله " أفترى على الله كذبا " قال قوم: اسقط ألف الاستفهام من (أفترى) لدلالة (أم) عليه. وقال الرماني: هذا غلط، لان الف الاستفهام لا تحذف إلا في ضرورة وإنما القراءة بقطع الألف، فألف الاستفهام ثابتة وألف (افتعل) سقطت، لأنها زائدة، ومثله قوله \* (بيدي استكبرت) \* (١) وقوله \* (أصطفى النبات) \* (٢) وقوله " سواء عليهم استغفرت لهم " (٣) ونظائره كثيرة. ولم يفصل بينها بمدة لان الثانية مكسورة ففارق همزة " آله خير اما يشركون " (٤) ولو لم تقطع لكان خبرا بعده استفهام، والمعنى إن هؤلاء الكفار الذين يتعجبون من قول النبي صلى الله عليه وآله إن الله يعيد الخلق بعد إماتتهم خلقا جديدا، هل كذب على الله متعمدا " أم به جنة " يعنون جنونا فيتكلم بما لا يعلم فقال الله تعالى ليس كما يقولون: " بل الذين لا يوقنون " أي لا يصدقون بالآخرة وبما فيها من الثواب والعقاب " في العذاب والضلال البعيد " يعني العدول البعيد عن الحق، فلذلك يقولون ما يقولون، بل نبههم على صحة ما يقول النبي صلى الله عليه وآله من الإعادة فقال " أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض " فيفكروا فيه ويعتبروا به وإن الله تعالى خلقه واخترعه وأنه " ان نشأ نخسف بهم الأرض " من تحت أرجلهم " أو نسقط عليهم كسفا " يعني قطعة من السماء ثم قال " إن في ذلك لآية " ودلالة " لكل عبد منيب " أي راجع إلى الله تعالى. ووجه التنبيه بالآية أن ينظروا فيعلموا أن السماء تحيط بهم، والأرض حاملة لهم، وفهم في قبضتنا " إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم السماء " أفما يحذرون

- 
- (١) سورة ٣٨ ص آية ٧٥  
(٢) سورة ٣٧ الصافات آية ١٥٣  
(٣) سورة ٦٣ المنافقون آية ٦  
(٤) سورة ٢٧ النمل آية ٥٩

هذا فيرتدعون عن التكذيب بآيات الله. و (المنيب) المقبل التائب - في قول قتادة -.

ثم اخبر تعالى فقال " ولقد آتينا داود " يعني أعطاه " منا فضلا " من عند الله. وقيل: معناه النبوة. وقيل: الزبور. وقيل: حسن الصوت. وقيل: هو ما فسرته أي قلنا " يا جبال أوبي معه " ومعناه أنه نادى الجبال وأمرها بأن أوبي معه أي ارجعي بالتسبيح معه، قال الشاعر:

يومان يوم مقامات وأندية \* ويوم سير إلى الأعداء تأويب (١)  
أي رجوع بعد رجوع. وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك: أمر الله الجبال أن تسبح معه إذا سبح " والطير " في نصبه وجهان: أحدهما وسخرنا الطير والثاني - بالعطف على موضع المنادى الأول كما قال الشاعر:  
ألا يا زيد والضحاك سيرا \* [فقد جاوزتما حد الطريق] (٢)  
والأول أقوى عندهم لأن الحمل على لفظة المنادى أشكل. ويكون كقولهم (أطعمتها تبنا وماء باردا) أي وسقيتها.

وقيل معنى " أوبي " سيري معه حيث شاء، وليس المعنى إن الله خاطب الجبال، وهي جماد بذلك، بل المراد أنه فعل في الجبال ما لو كانت حية قادرة لكان يتأنى منها ذلك.

وقوله " وألنا له الحديد " قال قتادة: كان الحديد في يده مثل الشمع يصرفه كيف يشاء من غير نار ولا تطريق. ثم قال وقلنا له " أن اعمل سابغات " وهي الدروع التامة والسابغ التام من اللباس، ومنه اسباغ النعمة إتمامها، وثوب سابغ تام " وقدر في السرد " معناه لا تجعل الحلقة واسعة لا تقي صاحبها

---

(١) تفسير الطبري ٢٢ / ٤١

(٢) تفسير الطبري ٢٢ / ٤١

وسرد الحديد نظمه. وقيل: السرد حلق الدرع - في قول ابن عباس وابن زيد - قال الشاعر:

أجاد السدي سردها وأدالها (١)

وقال قتادة: السرد المسامير التي في حلق الدرع، وهو مأخوذ من سرد الكلام سرده يسرده سردا إذا تابع بين بعض حروفه وبعض كالتابعة في الحلق والمسامير، ومنه السرد للطعام وغيره للاستتباع في خروج ما ليس منه، قال الشاعر:

وعليهما مسرودتان قضاهما \* داود أو صنع السوابغ تبع (٢)

ويقولون: درع مسرودة أي مسمورة الحلق. وقيل: معنى "وقدر في السرد" عدل المسمار في الحلقة لا يدق فينكسر أو يغلظ فيفصم، ذكره مجاهد والحكم. "واعملوا صالحا" أمر لهم بأن يعملوا الأعمال الحسنة التي ليست قبيحة وما يكون بفعله مطيعا لله "إني بما تعملون بصير" أي عالم بما تفعلونه، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، فالبصير العليم بالأمور بما يتبين في تميزه بعضه من بعض وكان الكسائي يدغم الفاء في الباء في قوله "ان نشأ نخسف بهم" وهذا لا يجوز عند البصريين، لان الفاء من باطن الشفة العليا، واطرف الثنايا العليا، والباء يخرج من بين الشفتين، ولان الفاء فيه نفس، فإذا أدغم في الباء بطل، وأيضا فهو من مخرج التاء، فكما لا يجوز ادغامه في التاء، فكذلك لا يجوز ادغامه في الباء، وأجاز ذلك الفراء. وأما إدغام التاء في الفاء، فلا خلاف فيه.

---

(١) تفسير الطبري ٢٢ / ٤١

(٢) مر في ٧ / ١٩٠

قوله تعالى:

\* (ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير (١٢) يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادي الشكور (١٣) فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين (١٤) لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور) \* (١٥).

خمس آيات شامي، لأنهم عدوا " عن يمين وشمال " وأربع في ما عداه، لأنهم لم يعدوا ذلك.

قرأ نافع " من سآته " بغير همز. الباقون " من سآته " بالهمزة. وقرأ الكسائي وحده " مسكنهم " بكسر الكاف. وقرأ حمزة بفتحها. الباقون (مساكنهم) على الجمع. ونصب الريح في قوله " ولسليمان الريح " على تقدير:

وسخرنا لسليمان الريح. وقرأ أبو بكر عن عاصم بضم الحاء، والمعنى في ذلك أنه أضاف الريح إليه إضافة الملك يصرفه كيف شاء. وقوله " غدوها شهر ورواحها شهر " قال قتادة: كان مسيرها به إلى انتصاف النهار مقدار مسير شهر " ورواحها شهر " من انتصاف النهار إلى الليل - في مقدار مسير شهر - وقال الحسن كان يغدو من الشام إلى بيت المقدس، فيقيل بإصطخر من أرض أصبهان ويروح منها، فيكون بكابل.

وقوله " واسلنا له عين القطر " قال ابن عباس وقتادة: أذبنا له النحاس والقطر النحاس. ثم قال " ومن الجن من يعمل بين يديه بأذن ربه " أي بأمر الله " ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير " معناه من يعدل من هؤلاء الجن الذين سخرناهم لسليمان حتى يعملوا بين يديه عما أمرهم الله به من طاعته " نذقه من عذاب السعير " يعني عذاب النار تقول: زاغ يزيع زيعا وأزاعه إزاعة.

ثم أخبر تعالى أن الجن الذين سخرهم الله لسليمان " يعملون له ما يشاء من محاريب " قيل: معناه شريف البيوت. وقال قتادة: قصور ومساجد، قال المير: لا يسمى محرابا إلا ما يرتقى إليه بدرج، لقوله " إذ تسوروا المحراب " (١) قال عدى بن زيد:

كدمي العاج في المحاريب أو \* كالبيض في الروض زهره مستنير (٢)  
وقال وضاح اليمن:

ربة محراب إذا جئتها \* لم القها أو ارتقي سلما (٣)

---

(١) سورة ٣٨ ص آية ٢١

(٢) تفسير الطبري ٢٢ / ٤٣ والقرطبي ١٤ / ٢٧١

(٣) مجاز القرآن ٢ / ١٤٤

و " تماثيل " جمع تمثال وهو صورة. فبين أنهم كانوا يعملون أي صورة أرادها سليمان. وقال قوم: كانوا يعملون له صورة الملائكة. وقال آخرون: كانوا يعملون له صورة السباع والبهائم على كرسیه ليكون أهيب له، فذكر أنهم صوروا أسدين وفوق عمودي الكرسي نسرین، فكان إذا أراد صعود الكرسي بسط له الأسد ذراعه، فإذا علا فوق الكرسي نشر النسران جناحيهما، فظللا عليه لئلا يسقط عليه شيء من الشمس، ويقال: إن ذلك ممالا يعرفه أحد من الناس، فلما حاول بخت نصر صعود الكرسي بعد سليمان حين غلب على بني إسرائيل لم يعرف كيف كان يصعد سليمان، فرفع الأسد ذراعه فضرب ساقه ففقدتها فوق موضع مغشياً عليه، فما جسر أحد بعده أن يصعد على ذلك الكرسي. " وجفان كالجواب " واحدها جفنة وهي القصعة الكبيرة، والجوابي جمع جابية، وهي الحوض الذي يجئ الماء فيه، قال أبو علي النحوي: إثبات الياء مع الألف واللام أجود، وحذفها يجوز، وقال الأعشى في جفنة: تروح على آل المحلق جفنة \* كجابية الشيخ العراقي تفهق (١) وقال آخر:

فصبحت جابية صها وجا \* كأنه جلد السماء خارجا (٢)  
وقال ابن عباس: الجوابي الحياض " وقدور راسيات " يعني عاليات ثابتات لا تنزل، ثم نادى آل داود وأمرهم بالشكر على ما أنعم عليهم من هذه النعمة العجيبة التي أنعم بها عليهم، لأن نعمته على داود نعمة عليهم، فقال " اعملوا آل داود شكرا " ثم قال تعالى " وقليل من عبادي الشكور " أي من يشكر نعمي قليل، والأكثر يجحدون نعم الله لجهلهم به، وتركهم معرفته.

---

(١) تفسير القرطبي ١٤ / ٢٧٥

(٢) تفسير الطبري ٢٢ / ٤٣



ثم اخبر تعالى أنه لما قضى على سليمان الموت وقدره عليه وقبضه إليه لم يعلموا بذلك من حاله حتى دلهم على موته دابة الأرض وهي الأرضة، فأكلت عصاه فانكسرت، فوقع لأنه روي أنه قبض وهو في الصلاة، وكان قال للجن اعملوا ما دمتم تروني قائما، واتكأ على عصاه من قيام، وقبضه الله إليه وبقي مدة فيجئ الجن فيطالعونه فيرونه قائما فيعودون فيعملون إلى أن دبت الأرضة فأكلت عصاه فوقع وخر، فعلموا حينئذ موته وتبينت الجن أن لو كانوا يعلمون ما غاب عنهم من موت سليمان لم يلبثوا في العذاب الذي أهانهم وأذلهم والمنسأة العصا الكبيرة التي يسوق بها الراعي غنمه قال أبو عبيدة: معنى " تبينت الجن " أي أبانت الجن للناس " أن لو كانوا " الجن " يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين " والمنسأة أصلها الهمزة من نسأت إلى سقت، وقد يترك الهمز، قال الشاعر:

إذا دببت على المنسأة من هرم \* فقد تباعد عنك اللهو والغزل (١)  
إلا أنه يترك همزها، كما يترك في (البرية) وهي من برأت، وقيل: إنه كان متوكئا على عصاه سنة لا يدرك أنه مات. وقيل: المعنى " فلما خر تبينت " جماعة من عوام " الجن " أغواهم مردتهم أن المتمردين " لو كانوا يعلمون الغيب " لأنهم كانوا يقولون لهم نحن نعلم الغيب، وفي قراءة أهل البيت " فلما خر تبينت الانس أن لو كان الجن يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين " قالوا: لان الجن كانت تعلم أنها لا تعلم الغيب قبل ذلك. وإنما تبينت الانس ذلك من حال الجن.  
ثم اخبر تعالى فقال " لقد كان لسبأ في مسكنهم آية " أي دلالة وعلامة

---

(١) تفسير الطبري ٢٢ / ٤٤ والقرطبي ١٤ / ٢٧٩

ف (سبأ) قيل: إنه أبو عرب اليمن كلها، فقد تسمى به القبيلة نحو هذه تميم. فمن قرأ على التوحيد، فلانه يدل على القليل والكثير. ومن جمع أراد المساكن المختلفة، والفرق بين فتح الكاف وبين كسرها في (مسكنهم) أن الفتح تفيد المصدر، والكسر تفيد الموضع، وقيل: إنهما لغتان في الموضع. والآيتان قيل: إنهم لم يكن بينهما شيء من هوام الأرض، نحو البق والبرغوث والعقرب وغير ذلك. وكان الغريب إذا دخل بلدهم وفي ثيابه قمل متن فهذه آية. والثانية أن المرأة كانت تأخذ على رأسها مكتلا فيمتلئ بالفواكه من غير أن تمس بيدها شيئا، ثم فسر الآيتين فقال " جنتان " أي هي جنتان. " عن يمين وشمال " قيل: عن يمين الوادي وشماله. " كلوا من رزق ربكم " أي كلوا من رزق الله الذي رزقكم في هاتين الجنتين، فلفظه لفظ الامر والمراد به الإباحة " واشكروا له " هذه النعمة التي أنعم بها عليكم. ثم بين أن تلك الجنتين " بلدة طيبة " التربة. وقيل البلدة الطيبة صنعاء أرضها طيبة ليس فيها سبخة و " رب غفور ".

قوله تعالى:

\* (فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشئ من سدر قليل (١٦) ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور (١٧) وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير

سيروا فيها ليالي وأياما آمنين (١٨) فقالوا ربنا باعد بين  
أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل  
ممزق إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور (١٩) ولقد صدق  
عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين) \* (٢٠)  
خمس آيات بلا خلاف.

قرأ أبو عمرو " ذواتي أكل خمط " مضافا. الباقون " أكل خمط " منونا.  
والاختيار عندهم التنوين، لان الاكل نفس الخمط والشئ لا يضاف إلى  
نفسه، ومن أضاف قال (الخمط) هو جنس مخصوص من المأكولات، والاكل أشياء  
مختلفة فأضيفت إلى الخمط، كما تضاف الأنواع إلى الأجناس، والخمط ثمر الأراك  
وهو البربر أيضا، واحدها بربرة وسميت به جارية عائشة. والبربر شجر السواك  
و (الأثل) شجر، واحدها أثلة.

وقرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر " وهل نجازى " بالنون " إلا الكفور "  
نصبا أضافوا الفعل إلى الله تعالى. الباقون - بالياء - على ما لم يسم فاعله  
" الكفور " بالرفع، وقرأ أبو عمرو وابن كثير " بعد بين أسفارنا " بالتشديد  
من التباعد. الباقون " باعد " من المباعدة على لفظ الامر، إلا يعقوب، فإنه  
قرأ " باعد " على لفظ الخبر، لأنهم لما سألوا أن يبعد الله بينهم، ففعل ذلك  
بينهم جاز حينئذ الاخبار بأنه تعالى فعل ذلك. وقرأ أهل الكوفة (ولقد صدق)  
بتشديد الدال. الباقون بتخفيفها.  
لما اخبر الله سبحانه عن " سبأ " وهي القبيلة من اليمن انه أنعم عليهم

بالجنتين وبالبلدة الطيبة، وأمرهم بشكر نعمه " فأعرضوا " عن ذلك، فلم يشكروه وكفروه وجحدوا نعمه، ولم يقبلوا ممن دعاهم إلى الله من أنبيائه ورسله جازاهم الله على ذلك بأن أرسل عليهم سيل العرم، وسلبهم تلك النعمة وانزل بهم البلية، فالسيل الماء الكثير الذي لا يمكن ضبطه ولا دفعه، وقيل: انه كانت تجتمع مياه وسيول في هذا الوادي فسدوه بين جبلين بالحجارة والقار وجعلوا له أبواباً يأخذون منه ما شاءوا، فلما تركوا أمر الله بعث عليهم جرداً فنقبه فأغرق الله عليهم جنتهم وأفسد أرضهم. وقيل: العرم: ماء كثير أرسله الله في السد فشقه وهدمه. قال الراجز:

أقبل سيل جاء من أمر الله \* يجرّد حرد الجنة المغله (١)  
وقيل: ان العرم المسناة التي تحبس الماء، واحدها عرمة وهو مأخوذ من عرامة الماء وهو ذهابه كل مذهب، قال الأعشى!  
ففي ذاك للمؤتسي أسوة \* ومأرب قفى عليه العرم  
رجام بنته لهم حمية \* إذا جاء مأوهم لم ترم (٢)  
وقيل: كان سببه زيادة الماء حتى غرقوا. وقيل: كان سببه نقب جرد  
نقب عليهم السكر. وقيل العرم السكر. وقيل المطر الشديد. وقيل هو اسم وادي  
وقيل: هو الجرد الذي نقب السكر، قال كثير:  
أيادي سبا يا عزما كنت بعدكم \* فلم يحل للعينين بعدك منظر (٣)  
وقال آخر:  
من صادر أو وارد أيدي سبا (٤)

---

(١) اللسان (غلل)

(٢) تفسير الطبري ٢٢ / ٤٧

(٣) اللسان (صبأ) وروايته (منزل) بدل (منظر) (٤) اللسان (سبأ)

وقال جرير:

الواردون وتتم في ذرى سبأ \* قد عض أعناقهم جلد الجواميس (١)  
ثم قال " وبدلناهم بجنتيهم " التي فيها أنواع الفواكه والخيرات " جنتين "  
أخراوين وسماها جنتين لازدواج الكلام، كما قال " ومكروا ومكر الله " (٢)  
و " يخادعون الله وهو خادعهم " (٣) " ذواتي أكل خمط " أي صاحبتني خمط  
فالأكل جني الثمار الذي يؤكل، والخمط نبت قد أخذ طعما من المرارة حتى  
لا يمكن أكله - في قول الزجاج - وقال أبو عبيدة هو كل شجر ذي شوك.  
وقال ابن عباس والحسن: هو شجر الأراك، وهو معروف. والأثل الطرفا  
قال قتادة: بدلوا بخير الشجر شر الشجر، فالخمط شجر له ثمر مر. والأثل ضرب  
من الخشب كالطرفا، إلا أنه أكبر. وقيل: الأثل التمر " وشئ من سدر  
قليل " أي فيهما مع الخمط، والأثل قليل من السدر.  
ثم قال " ذلك جزيناهم بما كفروا " في نعم الله " وهل نجازي " بهذا الجزاء  
" إلا الكفور " من كفر نعم الله، فمن قرأ بالنون فلقوله " جزيناهم ". ولا يمكن  
الاستدلال بذلك على أن مرتكب الكبيرة كافر من حيث هو معذب، لأن الله  
تعالى بين أنه لا يجازي بهذا النوع من العذاب الذي هو الاستئصال إلا من هو  
كافر، وإن جاز أن يعذب الفاسق بغير ذلك من العذاب. وقال الفراء: المجازاة  
المكافأة، ومن الثواب الجزاء، تقول: جازاه على معصيته، وجزاه على طاعته.  
وقال غيره: لا فرق بينهما.  
ثم بين تعالى أنه جعل بين سبأ، وبين القرى التي بارك فيها. قال قتادة

(١) مر تخريجه في ٦ / ٣٨٨

(٢) سورة ٣ آل عمران آية ٥٤

(٣) سورة ٤ النساء آية ١٤١

ومجاهد: هي قرى الشام، وقال ابن عباس: هي بيت المقدس " قرى ظاهرة " قال قتادة: معناه متواصلة، لأنه يظهر الثانية من الأولى لقربها منها " وقدرنا فيها السير " معناه جعل بين القرية الأولى والثانية مسيرة يوم لراحة المسافر ونزوله فيها " سيروا فيها ليالي وأياما آمنين " لا تخافون جوعا ولا عطشا ولا ظلما من أحد، كأنه قيل لهم سيروا كذا، فقالوا " ربنا باعد بين أسفارنا " معناه إنهم نظروا وملوا النعمة، فقالوا لو كان جني ثمارنا أبعد مما هي كان أجدر أن نشتهي، كما قالت بنو إسرائيل " فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها " (١) بدلا من المن والسلوى " وظلموا أنفسهم " بارتكاب المعاصي " فجعلناهم أحاديث " فضرب بهم المثل فيقال (تفرقوا أيادي سبأ) أي تشتتوا أعظم تشتت قال الشعبي: أما غسان فلحقوا بالشام، وأما الأنصار فلحقوا بيشرب، وأما خزاعة فلحقوا بتهامة، وأما الأزدي فلحقوا بعمان. وقيل: معنى " جعلناهم أحاديث " أي أهلكناهم وألهمنا الناس حديثهم ليعتبروا " ومزقناهم كل ممزق " قال ابن عباس: مزقوا بين الشام وسبأ كل ممزق.

ثم قال تعالى " إن " في ما ذكر " لآيات " ودلالات " لكل صبار شكور " أي صبار على الشدائد شكور على النعماء. ثم قال تعالى " ولقد صدق عليهم إبليس " صدق " ظنه " فيهم بإجابتهم إلى معصية الله وقبولهم منه " فاتبعوه " بأجمعهم " إلا فريقا من المؤمنين " العارفين بالله وبوحدانيته، فخالفوه فلم يتبعوه. فمن شدد (صدق) اسند الفعل إلى إبليس وجعل الظن المفعول به، لأن إبليس لما قال تظننا \* (ولآمرنهم

---

(١) سورة ٢ البقرة آية ٦١

فليبتكن آذان الانعام) \* (١) فلما تبعه قوم على ذلك صدق ظنه. ومن خفف  
فالمعنى مثله، لأنهما لغتان يقال: صدقت زيدا وصدقته، وكذبت  
وكذبتة وينشد:

وصدقتني وكذبتني \* والمرء ينفعه كذابه (٢)  
وقرأ أبو الهجهاج \* (إبليس) \* بالنصب \* (ظنه) \* بالرفع جعل الظن الفاعل  
وإبليس المفعول به، وذلك جائز عند النحويين. لأنهم يقولون: صدقني ظني  
وكذبني إلا أنه شاذ لا يقرأ به، وقيل: ان إبليس لما أغوى آدم قال ذريته  
أولى بأن أغويهم، وقال \* (لاحتكن ذريته إلا قليلا) \* (٣) فصدق ذلك ظنه  
حتى تابعوه. وقال \* (فوعزتكم لأغوينهم أجمعين) \* (٤) وكانت أجابتهم له  
تصديقا لظنه.

قوله تعالى:

\* (وما كان له عليهم من سلطان إلا لنعلم من يؤمن  
بالآخرة ممن هو منها في شك وربك على كل شيء حفيظ (٢١)  
قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في  
السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وماله منهم من  
ظهير (٢٢) ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له حتى إذا فزع

---

(١) سورة ٤ النساء آية ١١٨

(٢) اللسان (صدق)

(٣) سورة ١٧ الاسرى آية ٦٢

(٤) سورة ٢٨ ص آية ٨٢

عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي  
الكبير (٢٣) قل من يرزقكم من السماوات والأرض قل الله  
وإننا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين (٢٤) قل لا تسئلون  
عما أجرمنا ولا نسئل عما تعملون) \* (٢٥) خمس آيات بلا خلاف.  
قرأ ابن عمر وحمزة والكسائي وخلف، والأعشى والبرجي عن أبي بكر  
\* (أذن له) \* بضم الهمزة، الباقون بفتحها. وقرأ ابن عامر ويعقوب \* (فزع) \*  
بفتح الفاء والزاي. الباقون \* (فزع) \* بضم الفاء وكسر الزاي. فمن فتح الهمزة  
من \* (أذن) \* فمعناه أذن الله له، ومن ضمها جعله لما لم يسم فاعله، يقال:  
أذنت للرجل في ما يفعله أي أعلمته وأذنته أيضا، وأذن زيد إلى عمرو، إذا  
استمع إليه. روي في الحديث ما أذن الله لشيء قط كأذنه لنبي حسن الصوت  
يتغنّى بالقرآن. ومثل ذلك القول في فزع عن قلوبهم، ومعنى فزع. قال أبو  
عبدة: فزع عن قلوبهم نفس عنها. وقال أبو الحسن: المعنى حكى عنها. وقال  
أبو عبدة: معناه أذهب، وقال قوم: الذين فزع عن قلوبهم الملائكة، ويقال:  
فزع وفزع إذا أزيل الفزع عنها، ومثله جاء في (افعل) يقولون: أشكاه إذا  
أزال عنه ما يشكو منه انشد أبو زيد:  
تمد بالأعناق أو تلويها \* وتشتكي لو أننا نشكيها (١)  
والمعنى فلما ان اشكيت أزال الشكوى، كذلك فزع وفزع أزال الفزع  
وقال قتادة: معنى فزع عن قلوبهم خلا من قلوبهم، قال يوحى الله تعالى إلى

---

(١) اللسان (شكا) وروايته (تثنيها) بدل (تلويها)



جبرائيل فيعرف الملائكة، ويفزع عن أن يكون شئ من امر الساعة، فإذا  
\* (خلا عن قلوبهم) \* وعلموا أن ذلك ليس من امر الساعة \* (قالوا ماذا قال  
ربكم قالوا الحق) \* وتقديره قالوا قال الحق. فمن قرأ بفتح الفاء أسند الفعل  
إلى الله، ومن ضمها بنى الفعل للمفعول به، وكان الجار والمجرور في موضع  
رفع. وقال الحسن: فزع بمعنى كشف الفزع عن قلوبهم، وفزعت منه، والمفزع  
على ضربين: أحدهما - من ينزل به الافزاع. الثاني - من يكشف عنه الفزع.  
وقوله \* (وفزع) \* له معنيان أحدهما بمعنى ذعر، والثاني - أزال الفزع  
وقال اليربوعي:

حللنا الكتيب من زرود لنفزعاً

أي لنغيث. لما اخبر الله تعالى ان إبليس صدق ظنه في الكفار بإجابتهم له  
إلى ما دعاهم إليه من المعاصي بين انه لم يكن لإبليس عليهم سلطان. و (من)  
زائدة تدخل مع النفي نحو قولهم ما جاءني من أحد. والسلطان الحجة، فبين  
بهذا ان الشيطان لم يقدر على أكثر من أن يغويهم ويوسوس إليهم ويزين لهم  
المعاصي، ويحرضهم عليها. وقوله \* (إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها  
في شك) \* تقديره إنا لم نمكنه من اغوائهم ووسوستهم إلا لنميز من يقبل منهم  
ومن يمتنع ويأبى متابعتهم، فنعذب من تابعه ونثيب من خالفه، فعبّر عن تمييزه  
بين الفريقين بالعلم، وهو التمييز مجرداً، لأنه لا يكون العذاب والثواب إلا بعد  
وقوع ما يستحقون به ذلك، فأما العلم، فالله تعالى عالم بأحوالهم، وما يكون  
منها في ما لم يزل، وقيل: إن معناه إلا لنعلم طاعتهم موجودة أو عصيانهم إن  
عصوا فنجازيهم بحسبها، لأنه تعالى لا يجازي أحداً على ما يعلم من حاله إلا بعد  
ان يقع منهم ما يستحق به من ثواب أو عقاب، وقيل: معناه إلا لنعامل معاملة

من كآنه لا يعلم، وإنما نعمل لنعلم \* (من يؤمن بالآخرة) \* أي من يصدق بها ويعترف ممن يشك فيها ويرتاب.

ثم قال \* (وربك) \* يا محمد \* (على كل شئ حفيظ) \* أي رقيب عالم لا يفوته علم شئ من أحوالهم من إيمانهم وكفرهم أو شكهم. ثم أمر نبيه صلى الله عليه وآله بأن يقول لهؤلاء الكفار \* (ادعوا الذين زعمتم من دون الله) \* أنهم آلهة ومعبود، هل يستجيبون لكم؟ إلى ما تسألونهم، لأنه لا يستحق العبادة إلا من كان قادرا على إجابة من يدعو. ثم أخبر تعالى عنها فقال \* (لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض وما لهم فيها من شرك) \* يعني وما لله في السماوات والأرض شريك \* (وماله منهم من ظهير) \* أي معاون، والملك هو القدرة على ما للقادر عليه التصرف فيه، وليس لاحد منعه منه، وذلك - في الحقيقة - لا يستحق الوصف به مطلقا إلا الله، لأن كل من عداه يجوز أن يمنع على وجهه.

ثم أخبر تعالى فقال \* (ولا تنفع الشفاعة عنده) \* أي عند الله \* (إلا لمن اذن) \* الله \* (له) \* في الشفاعة من الملائكة والنبيين والأئمة والمؤمنين، لأنهم كانوا يقولون: نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى، فحكم الله تعالى ببطالان ذلك. وقوله \* (حتى إذا فزع عن قلوبهم) \* قال ابن عباس وقتادة: حتى إذا خلي عن قلوبهم الفزع، كقولك رغب عنه أي رفعت الرغبة عنه فلا يرغب، بخلاف رغب فيه، ففي أحد الأمرين وضع وفي الآخر رفع. وقيل: هم الملائكة يلحقهم غشى عن سماع الوحي من الله بالآية العظيمة، فإذا \* (فزع عن قلوبهم) \* أي خلي عنها \* (قالوا ماذا قال ربكم) \* - ذكره ابن مسعود ومسروق وابن عباس في رواية - وقال الحسن: حتى إذا كنف عن قلوب المشركين الفزع، قالت

الملائكة \* (ماذا قال ربكم) \* في الدنيا \* (قالوا) \* قال \* (الحق وهو العلي الكبير) \*

اي الله تعالى المستعلي على الأشياء بقدرته، لا من علو المكان \* (الكبير) \* في أوصافه دون ذاته، لان كبر الذات من صفات الأجسام. ثم قال له \* (قل) \*

لهم \* (من يرزقكم من السماوات والأرض) \* فإنهم لا يمكنهم ان يقولوا يرزقنا آلهتنا التي نعبدھا ف " قل " لهم عند ذلك الذي يرزقكم \* (الله) \* وقل \* (وإنا أو إياكم لعلی هدی أو في ضلال مبين) \* وقيل: إنما قال \* (وإنا أو إياكم) \* على وجه الانصاف في الحجاج دون الشك، كما يقول القائل لغيره: أحدنا كاذب، وإن كان هو عالما بالكاذب، وعلى هذا قال أبو الأسود الدؤلي يمدح أهل البيت:

يقول الأزدلون بنو قشير \* طوال الدهر ما تنسى عليا  
أحب محمدا حبا شديدا \* وعباسا وحمزة والوصيا  
بنو عم النبي وأقربوه \* أحب الناس كلهم اليا  
فان بك حبهم رشدا أصبه \* ولست بمخطئ إن كان غيا (١)

ولم يقل هذا مع أنه كان شاكا في محبتهم، وانه هدى وطاعة، وقال أكثر المفسرين: إن معناه إنا لعلی هدی وإياكم لعلی ضلال وقال أبو عبيدة (أو) بمعنى الواو، كما قال الأعشى:

اتغلبة الفوارس أو رياحا \* عدلت بهم طهية والحشايا (٢)

بمعنى اتغلبة ورياحا

ثم قال \* (قل) \* لهم يا محمد \* (لا تسألون) \* معاشر الكفار \* (عما أجرمنا) \*

اي عما اقترفناه من المعاصي \* (ولا نسأل) \* نحن أيضا \* (عما تعملون) \* أنتم بل كل إنسان يسأل عما يعمل، وهو يجازى على أي فعل فعله دون غيره.

(١) تفسير الطبري ٢٢ / ٥٧

(٢) مجاز القرآن ٢ / ١٤٨

وتقدير قوله " ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له " ان يشفع له، فزرع  
بسماعه أذنه حتى إذا فزرع عن قلوبهم وخلي عنها وكشف الفزرع عنهم قالوا ماذا  
قال ربكم قالت الملائكة قال الحق وهو العلي الكبير.  
قوله تعالى:

\* (قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو  
الفتاح العليم (٢٦) قل أروني الذين ألحقتم به شركاء كلا  
بل هو الله العزيز الحكيم (٢٧) وما أرسلناك إلا كافة للناس  
بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون (٢٨) ويقولون  
متى هذا الوعد إن كنتم صادقين (٢٩) قل لكم ميعاد يوم  
لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون (٣٠) خمس آيات بلا خلاف.  
لما امر الله تعالى نبيه ان يخاطب الكفار ويقول لهم ان كل إنسان يسئل  
عما عمله دون ما عمل غيره، قال له أيضا \* (قل) \* لهم \* (يجمع بيننا ربنا) \* يوم  
القيامة \* (ثم يفتح بيننا) \* اي يحكم والفتح الحكم، والفتاح الحاكم بالحق، لا بالظلم  
\* (وهو الفتاح) \* أي الحاكم \* (العليم) \* بما يحكم به لا يخفى عليه شيء منه.  
ثم قال \* (قل أروني الذين ألحقتم به شركاء) \* تعبدونهم معه وتشركون بينهم  
في العبادة على وجه التوبيخ لهم في ما اعتقدوه من الاشراك مع الله، كما يقول  
القائل لمن أفسد عملا: أرني ما عملته توبيخا له بما أفسده، فإنهم سيفتضحون  
بذلك إذا أشاروا إلى الأصنام والأوثان ويضمونها إلى الله ويشركون بينهما في

العبادة فقال تعالى \* (كلا) \* ومعناه الردع والتنبية أي ارتدعوا عن هذا القول  
وتنبهوا عن ضلالكم \* (بل هو الله) \* الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له  
\* (العزیز) \* یعنی القادر الذي لا يغالب \* (الحکیم) \* في جميع افعاله. وقيل  
\* (العزیز) \* في انتقامه ممن كفر به \* (الحکیم) \* في تدبيره لخلقه، فكيف يكون له  
شريك في ملكه.

ثم قال لنبيه صلى الله عليه وآله \* (وما أرسلناك) \* يا محمد بالرسالة التي حملناكها \* (إلا  
كافة) \* ومعناه أرسلناك إلى الخلق كافة بأجمعهم. وقيل: معناه إلا مانعا لهم  
وكافا لهم من الشرك ودخلت الهاء للمبالغة \* (للناس بشيرا) \* لهم بالجنة أي مبشرا  
بها \* (ونذيرا) \* أي مخوفا بالنار \* (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) \* صدق قولك  
وإنك رسول إليهم، لتفريطهم في النظر في معجزك.

ثم حكى عن الكفار أنهم يستبطنون العذاب الذي يخوفهم به النبي صلى الله عليه وآله  
والمؤمنون، فإنهم كانوا يحذرونهم نزول العذاب عليهم \* (ويقولون متى هذا  
الوعد) \* الذي تعدونا به \* (إن كنتم صادقين) \* في ما تقولونه معاصر المؤمنين  
ثم امره ان يقول لهم في الجواب عن ذلك \* (قل لكم ميعاد يوم) \* ينزل عليكم  
ما وعدتم به من الثواب والعقاب \* (لا تستأخرون عنه ساعة) \* أي لا تؤخرون  
من ذلك اليوم لحظة \* (ولا تستقدمون) \* عليه، وهو يوم القيامة.  
قوله تعالى:

وقال الذين كفروا لنؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين  
يديه ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى

بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم  
لكنا مؤمنين (٣١) قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن  
صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين (٣٢)  
وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار  
إذ تأمرونا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا وأسروا الندامة لما  
رأوا العذاب وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا هل يجزون  
إلا ما كانوا يعملون (٣٣) وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال  
مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون (٣٤) وقالوا نحن أكثر  
أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين (٣٥) خمس آيات بلا خلاف.  
حكى الله تعالى عن الكفار أنهم يقولون لن نصدق بهذا القرآن الذي أنزل  
عليك وتدعيه انه من عند الله ولا بالذي بين يدي القرآن من أمر الآخرة والنشأة  
الثانية، فحجدوا أن يكون القرآن من الله أو أن يكون لما دل عليه من الإعادة  
للجزاء حقيقة. وقيل: معناه الكتب التي قبله من التوراة والإنجيل وغيرهما.  
ثم قال " ولو ترى " يا محمد " إذ " أي حين " الظالمون موقوفون عند  
ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول " أي يرد بعضهم على بعض " يقول  
الذين استضعفوا للذين استكبروا " قيل: كانوا رؤساء الضلالة يأمرون  
الاتباع بعبادة الأوثان لضعفهم عن استخراج صواب الرأي عند أنفسهم،

فالاستضعاف طلب الضعف فكل من يجاهر غيره بما يقتضي ضعفه يقال قد استضعفه، والاستكبار طلب الكبر بغير حق، وكانوا يتعظمون هؤلاء الكفار بالجهل الذي صمموا عليه وصاروا رؤساء فيه ليحققهم به " لولا أنتم لكنا مؤمنين " لكن بسببكم يمنع، فهؤلاء إذا أخبروا عن ظنهم، فقد صدقوا كأنهم قالوا في ما نظن، لأنه هكذا يقتضي ظاهر خبرهم، كما إذا أخبروا عما يفعلونه في المستقبل، فهو اخبار عن عزمهم، ولو كان كذبا لأنكر الله ذلك واتبعه بما يدل على انكاره، كما قال " انظر كيف كذبوا على أنفسهم " (١) ثم حكى ما أجابهم به المستكبرون فإنهم يقولون في جوابهم " أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم ؟! منكرين عليهم قولهم إنهم منعوهم من الايمان بعد تبين الحق فيه، وليس الامر على ما تقولونه " بل كنتم " أنتم " مجرمين " ثم حكى تعالى ما يقول الذين استضعفوا فإنهم يقولون " بل مكر الليل والنهار " معناه مكركم في الليل والنهار - في قول الحسن - كما قال الشاعر:

لقد لمتنا يا أم غيلان في السرى \* ونمت وما ليل المطي بنائم (٢)

أي بنائم فيه. وقيل: كأن الليل والنهار يمكران بطول السلامة فيهما.

و (المترف) المنعم البطر بالنعمة " إذ تأمرونا " أي حين تأمرونا " أن نكفر بالله " أي ان نجحد بالله " ونجعل له أندادا " أي أمثالا في العبادة " وأسروا الندامة " أي أخفوا الندامة بينهم " لما رأوا العذاب " نزل بهم، ولام بعضهم بعضا. وقال الجبائي: معناه أظهروا الندامة، قال: وهذا مشترك. وهذا غلط، لان لفظة الاخفاء هي المشتركة دون لفظ الاسرار، فحمل أحدهما على الآخر قياس في اللغة " وجعلنا الاغلال في أعناق الذين كفروا " الاغلال جمع غل والله

(١) سورة ٦ الانعام آية ٢٤

(٢) مر تخريجه في ٥ / ٦٤٥

تعالى يجعل الغل في رقاب الكفار عقوبة لهم.  
ثم قال موبخا لهم " هل يجزون إلا ما كانوا يعملون " أي يجزون على قدر استحقاقهم لا يجازفون، فلفظه لفظ الاستفهام والمراد به النفي، فكأنه قال: لا يجزون إلا على قدر اعمالهم التي عملوها.

ثم اخبر تعالى انه ما يرسل في قرية نذيرا أي مخوفا بالله في ما مضى إلا إذا سمع أهلها المترفون منهم المنعمون " قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون " أي جاحدون، ثم حكى بأنهم " قالوا نحن أكثر أموالا وأولادا " منكم " وما نحن بمعذيين " على ما تقولونه، لأنه لو أراد عقابنا لما أنعم علينا في الدنيا وجعلنا أغنياء وجعلهم فقراء، فقال الله تعالى ردا عليهم " قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ".

قوله تعالى:

\* (قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن أكثر الناس لا يعلمون (٣٦) وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون (٣٧) والذين يسعون في آياتنا معاجزين أولئك في العذاب محضرون (٣٨) قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين (٣٩) ويوم يحشرهم



جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون) \* (٤٠) خمس آيات بلا خلاف.

قرأ حمزة وحده " وهم في الغرفة آمنون " لقوله تعالى " أولئك يحزون الغرفة بما صبروا " (١) وفي الجنة غرفات وغرف، غير أن العرب تجتزئ بالواحد عن الجماعة إذا كان اسم جنس كما قالوا: أهلك الناس الدينار والدرهم. الباقي على الجمع " غرفات " على وزن (ظلمة، وظلمات) وحجتهم " لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف " (٢).

لما حكى الله تعالى عن الكفار أنهم قالوا: إن الله لا يعذبنا على ما تقولونه لأنه أغنانا في دار الدنيا، ولم يجعلنا فقراء، فكذلك لا يعذبنا في الآخرة، قال الله رداً عليهم " قل " لهم يا محمد " إن ربي " الذي خلقتني " ييسر الرزق " أي يوسع الرزق لمن يشاء على حسب ما يعلم من مصلحته ومصلحة غيره " ويقدر " أي يضيق. وهو مثل قوله " الله ييسر الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر " (٣) أي يوسع ويضيق، ومنه قوله " ومن قدر عليه رزقه " (٤) أي ضيق، وعلى هذا: يحتمل قوله " فظن أن لن نقدر عليه " (٥) أي لن نضيق عليه، فبسط الرزق هو الزيادة فيه على قدر الكفاية، والقدر تضيقه على قدر الكفاية.

ثم قال " ولكن أكثر الناس لا يعلمون " ما قلناه لجهلهم بالله وبحكمته.

---

(١) سورة الفرقان آية ٧٥

(٢) سورة الزمر آية ٢٠

(٣) سورة العنكبوت آية ٦٢

(٤) سورة الطلاق آية ٧

(٥) سورة الأنبياء آية ٨٧

ثم قال تعالى " وما أموالكم " أي ليس أموالكم التي خولتموها " وأولادكم " التي رزقتموها " بالتي تقربكم عندنا زلفى " قال الفراء: (التي) يجوز أن يقع على الأموال والأولاد، لأن الأولاد يعبر عنها ب (التي)، وقال غيره: جاء الخبر بلفظ أحدهما - وإن دخل فيه الآخر، ولو قال بالذي يقربكم لكان جائزا و (زلفى) قربى، وإنما يقربكم إليه تعالى أفعالكم الجميلة وطاعاته الحسنة. ثم قال " إلا من آمن وعمل صالحا " معناه، لكن من آمن بالله وعرفه وصدق نبيه وعمل الصالحات التي أمره بها، وانتهى عن القبائح التي نهاه عنها، فإن لهؤلاء " جزاء الضعف بما عملوا " ومعناه انه تعالى يجازيهم أضعاف ما عملوا، فإنه يعطي بالواحد عشرة، والضعف من الأضعاف، لأنه اسم جنس يدل على القليل والكثير.

ويجوز في اعراب (جزاء) أربعة أوجه: الرفع والنصب بالتنوين وتركه. وفي (الضعف) ثلاثة أوجه: الجر والنصب والرفع إلا أن القراءة بوجه واحد وهو رفع (جزاء) على الإضافة بلا تنوين، وجر " الضعف " بالإضافة إليه. ثم قال إن هؤلاء مع أن لهم جزاء الضعف على ما عملوه " هم في الغرفات " جمع غرفة وهي العلية " آمنون " فيها لا يخافون شيئا مما يخاف مثله في دار الدنيا. ثم قال " والذين يسعون في آياتنا معاجزين " أي مسابقين: في من قرأه بألف. ومبطلين غيرهم عن افعال الخير عند من قرأه بغير ألف " أولئك في العذاب محضرون " أي يحصلون في عذاب النار. ثم قال " قل " يا محمد " إن ربي ييسط الرزق لمن يشاء " أي يوسعه " ويقدر " أي يضيقه لمن يشاء. وإنما كرر قوله " قل إن ربي ييسط الرزق "

لاختلاف الفائدة، لان الأول على معنى إن ربي ييسط الرزق لمن يشاء ويقدر من غير أن يعلم أكثر الناس لم فعل ذلك، والثاني - بمعنى أن ربي ييسط الرزق لمن يشاء ويقدر له على أن ما انفق في أبواب البر فالله يخلفه عليه وهو قوله " وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه " أي يعطيكم عوضه، وليس المراد ان يخلف في دار الدنيا على كل حال، لان الله يفعل ذلك بحسب المصلحة، وإنما أراد انه يعوض عليه إما في الدنيا بأن يخلف بدله أو يثيب عليه " وهو خير الرازقين " أي الله تعالى خير من يرزق غيره، لأنه يقال: رزق السلطان الجند، ثم قال \* (ويوم يحشرهم جميعا) \* يعني يوم القيامة الذي يبعث الله فيه الخلائق \* (ثم يقول للملائكة) \* الذين عبدتهم جماعة من الكفار \* (أهؤلاء) \* يعني الكفار الذين عبدوهم \* (إياكم كانوا يعبدون) \* على وجه التقرير لهم وإن كان بلفظ الاستفهام، كما قال لعيسى \* (أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله) \* (١) وقرأ حفص \* (ويوم يحشرهم ثم يقول) \* بالياء ردا على قوله \* (قل ان ربي) \* الباقيون بالنون على الجمع. قوله تعالى:

\* (قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون (٤١) فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم

---

(١) سورة ٥ المائدة آية ١١٩

بها تكذبون (٤٢) وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا إلا إفك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين (٤٣) وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير (٤٤) وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم فكذبوا رسلي فكيف كان نكير) \* (٤٥) خمس آيات بلا خلاف.

لما حكى الله تعالى انه يقول للملائكة إن هؤلاء الكفار إياكم كانوا يوجهون عبادتهم، حكى ما يجيب به الملائكة، فإنهم يقولون \* (سبحانك أنت ولينا) \* تنزيها لك أن نعبد سواك، ونتخذ معك معبودا غيرك، ويقولون: أنت يا ربنا ولينا أي ناصرنا وأولى بنا \* (من دونهم) \* يعني دون هؤلاء الكفار ودون كل أحد وأنت الذي تقدر على ذلك من دونهم، فما كنا نرضى بعبادتهم مع علمنا بأنك ربنا وربهم، ما أمرناهم بهذا ولا رضينا به لهم " بل كانوا يعبدون الجن " بطاعتهم إياهم في ما يدعونهم إليه من عبادة الملائكة. وقيل: انهم صوروا لهم صورة قوم من الجن، وقالوا هذه صورة الملائكة فاعبدوها، وهم وإن عبدوا الملائكة، فإن الملائكة لم يرضوا بعبادتهم إياهم ولا دعوهم إليها، والجن دعوهم إلى عبادتهم ورضوا به منهم فتوجه الذم إلى العابد والمعبود، وفي الملائكة لا يستحق الذم غير العابد، فلذلك أضرب عن ذكر الملائكة.

(٤٠٣)

ثم حكى تعالى ما يقول للكفار يوم القيامة، فإنه يقول لهم " فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا " ولا يقدر على ذلك " ونقول للذين ظلموا " نفوسهم بارتكاب المعاصي ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون " أي تجحدونه، ولا تعترفون به. ثم عاد تعالى إلى الحكاية عن حال الكفار في الدنيا فقال " وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات " أي تقرأ عليهم حججنا واضحات من القرآن الذي أنزله على نبيه " قالوا " عند ذلك " ما هذا الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد آباؤكم " أي يمنعكم عن عبادة ما كان يعبد آباؤكم " وقالوا " أيضا " ما هذا " القرآن " إلا إفك مفترى " يعني كذب تخرصه وافتراه " وقال الذين كفروا للحق " يعني القرآن " لما جاءهم إن هذا " أي ليس هذا " إلا سحر مبين " أي ظاهر. والسحر حيلة خفية توهم المعجزة. ثم قال تعالى " وما آتيناهم من كتب يدرسونها " قال الحسن: معناه ما آتيناهم من كتب قبل هذا الكتاب، فصدقوا به وبما فيه ان هذا كما زعموا " وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير " ويجوز أن يكون المراد وما أرسلنا إليهم قبلك يا محمد من نذير إلا وفعلوا به وقالوا له مثل ما قالوا لك، وحذف لدلالة الكلام عليه، وذلك عليه بقوله " وكذب الذين من قبلهم " بما أتاهم الله من الكتب، وبما بعث إليهم من الرسل " وما بلغوا " أي وما بلغ هؤلاء \* (معشار ما آتيناهم) \* أولئك الكفار، قال الحسن: معنى معشار أي عشر، والمعنى ما بلغ الذين ارسل إليهم محمد صلى الله عليه وآله من أهل مكة عشر ما أوتي الأمم قبلهم من القوة والعدة

- في قول ابن عباس وقتادة - \* (فكذبوا رسلي) \* أي كذبوا بآيات الله وجحدوا رسله \* (فكيف كان نكير) \* أي عقوبتي وتغييرى لان الله أهلكهم واستأصلهم وهو نكير الله تعالى في الدنيا.

قوله تعالى:

\* (قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد (٤٦) قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجري إلا على الله وهو على كل شيء شهيد (٤٧) قل إن ربي يقذف بالحق علام الغيوب (٤٨) قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد (٤٩) قل إن ضللت فإنما أضل على نفسي وإن اهتديت فبما يوحي إلي ربي إنه سميع قريب) \* (٥٠) خمس آيات بلا خلاف.

هذا امر من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله أن يقول للكفار \* (إنما أعظكم بواحدة..)\* والمعنى يكفيني منكم أن يقوم الرجل وحده أو هو وغيره ثم تتساءلون هل جربنا على محمد كذبا أو هل رأينا به جنة؟! ففي ذلك دلالة على بطلان ما أنتم عليه وما ذكرتم فيه، فالوعظ الدعاء إلى ما ينبغي أن يرغب في ما ينبغي أن يجوز منه مما يلين القلب إلى الاستجابة للحق بالنبي صلى الله عليه وآله والنبي اجل وأعظم وأكبر داع بما أعطاه الله من الحكمة.

وقوله \* (مثنى وفرادى) \* معناه ان تقوموا اثنين اثنين، وواحدًا واحدًا ليذاكر أحدهما صاحبه، فيستعين برأيه على هذا الامر. ثم يجول بفكرته حتى يكرره حتى يتبين له الحق من الباطل وبني \* (مثنى) \* وإن لم يكن صفة لأنه مما

يصلح ان يوحد، كما قال تعالى \* (أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع) \* (١) وهو - ههنا - في موضع حال، وقال مجاهد في قوله \* (أعظكم بواحدة) \* أي بطاعة الله تعالى وقال غيره (بواحدة) بتوحيد الله خصلة واحدة، فقولوا: لا إله إلا الله. وقوله \* (ثم تفكروا ما بصاحبكم) \* في موضع نصب عطفا على \* (أن تقوموا لله) \* وتفكروا أي وتنظروا وتعتبروا، ليس بصاحبكم يعني محمدا صلى الله عليه وآله \* (من جنة) \* أي جنون، لأنهم كانوا ينسبونه إلى الجنون وحاشاه من ذلك. ثم بين انه ليس \* (إلا نذير) \* إي مخوف من معاصي الله وترك طاعاته \* (بين يدي عذاب شديد) \* يعني عذاب القيامة. ثم قال لنبيه صلى الله عليه وآله يا محمد \* (قل) \* لهم \* (ما سألتكم من أجر فهو لكم) \* وليس \* (أجري إلا على الله) \* والمعنى أني أبلغكم الرسالة، ولا اجر إلى نفسي عرضا من اعراض الدنيا بل ثمرة ذلك لكم، وليس أجري إلا على الله. وقال ابن عباس \* (من أجر) \* أي من مودة، لان النبي صلى الله عليه وآله سأل قريشا أن يكفوا عن أذاه حتى يبلغ رسالات ربه \* (وهو على كل شيء شهيد) \* أي عالم به. ثم قال أيضا \* (قل) \* لهم يا محمد \* (إن ربي يقذف بالحق) \* أي يلقيه على الباطل، كما قال تعالى \* (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه) \* (٢) \* (علام الغيوب) \* إنما رفع بتقدير هو علام الغيوب، ولو نصب على أنه نعت ل (ربي) لكان جائزا، لكن هذا أجود، لأنه جاء بعد تمام الكلام كقوله \* (إن ذلك لحق تخاصم أهل النار) \* (٣) والمعنى انه عالم بجميع ما غاب عن جميع الخلائق علمه.

(١) سورة ٣٥ فاطر آية ١

(٢) سورة ٢١ الأنبياء آية ١٨

(٣) سورة ٣٨ ص آية ٦٤

ثم أمره صلى الله عليه وآله أن يقول لهم قد \* (جاء الحق) \* يعني أمر الله بالاسلام والتوحيد \* (وما يبدئ الباطل وما يعيد) \* لان الحق إذا جاء اذهب الباطل فلم يبق له بقية يبدئ بها ولا يعيد. وقال قتادة: الباطل إبليس لا يبدؤ الخلق ولا يعيدهم. وقيل: إن المراد به كل معبود من دون الله بهذه الصفة. وقال الحسن: وما يبدئ الباطل لأهله خيرا ولا يعيد بخير في الآخرة. ثم قال \* (قل) \* لهم \* (إن ضللت) أي ان عدلت عن الحق \* (فإنما أضل على نفسي) \* لان ضرره يعود علي، لأنني أواخذ به دون غيري \* (وإن اهتديت) \* إلى الحق \* (فبما يوحي إلي ربي إنه سميع قريب) \* أي يسمع دعاء من يدعو قريبا إلى إجابته. وفي الآية دلالة على فساد قول المجبرة، لأنه قال \* (إن ضللت) \* فأضاف الضلال إلى نفسه، ولم يقل فبقضاء ربي وإرادته. قال الزجاج: وما يبدئ الباطل أي اي شئ يبدئ الباطل؟ وأي شئ يعيد؟ ويجوز أن تكون (ما) نافية، والمعنى وليس يبدئ إبليس ولا يعيد. قوله تعالى:

\* (ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب (٥١) وقالوا آمنا به وأنى لهم التناوش من مكان بعيد (٥٢) وقد كفروا به من قبل ويقذفون بالغيب من مكان بعيد (٥٣) وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياءهم من قبل إنهم كانوا في شك مريب) \* (٥٤) أربع آيات بلا خلاف.



قرأ حمزة والكسائي وأبو عمرو \* (التناؤش) \* بالهمز. الباقون بغير همز.  
يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله \* (ولو ترى) \* يا محمد \* (إذ فزعوا) \* من  
العذاب يوم القيامة \* (فلا فوت) \* أي لا مهرب ولا يفوتونه. فالفوت خروج  
وقت الشيء كفوت الصلاة، وفوت وقت التوبة وفوت عمل اليوم بانقضائه.  
والفزع والجزع والخوف والرعب واحد. والفزع يتعاضم في الشدة بحسب أسبابه  
وقوله \* (وأخذوا من مكان قريب) \* قال ابن عباس والضحاك: أخذوا من  
عذاب الدنيا. وقال الحسن: حين يخرجون من قبورهم. وقيل: من بطن  
الأرض إلى ظهرها. والمعنى أنهم إذا بعثوا من قبورهم، ولو ترى فزعهم يا محمد  
حين لا فوت ولا ملجأ. وجواب (لو) محذوف، والتقدير لرأيت ما تعتبر به  
عبرة عظيمة. وقوله \* (وقالوا آمنا به) \* أي يقولون ذلك الوقت آمنا به وصدقنا  
به. فقال تعالى \* (وأنى لهم التناؤش من مكان بعيد) \* قيل: معناه بفوتهم  
تناول التوبة في الآخرة إلى الدنيا، والتناؤش التناول من قولهم نشته أنوشه إذا  
تناولته من قريب قال الشاعر:

فهي تنوش الحوض نوشا من علا \* نوشا به تقطع اجواز الفلا (١)  
وتناوش القوم إذا دنا بعضهم إلى بعض، ولم يلتحم بينهم قتال، وقد  
همز بعضهم، فيجوز أن يكون من هذا، لأن الواو إذا انضمت همزت كقوله  
\* (أقتت) \* (٢) ويجوز أن يكون من النش وهو الإبطاء، وانتاشه اخذ به من  
مكان بعيد، ومثله نأشه قال الشاعر:  
تمنى نئيشا أن يكون أطاعني \* وقد حدثت بعد الأمور أمور (٣)

(١) تفسير الطبري ٢٢ / ٦٥

(٢) سورة ٧٧ المرسلات آية ١١

(٣) تفسير القرطبي ١٤ / ٣١٧

وقال رؤية:

اقحمني جارابي الجاموش \* إليك نأش القدر المنؤش (١)  
\* (وقد كفروا به من قبل ويقذفون بالغيب من مكان بعيد) \* معناه كيف  
تقبل توبتهم أو يردون إلى الدنيا، وقد كفروا بالله ورسله من قبل ذلك، وهو  
قوله \* (بالغيب من مكان بعيد) \* يعني قولهم هو ساحر وهو شاعر وهو مجنون.  
وقيل: هو قولهم لا بعث ولا جنة ولا نار - ذكره قتادة - وقال البلخي: يجوز  
أن يكون أراد أنهم يفعلون ذلك بحجة داحضة وأمر بعيد. وقال قوم:  
يقذفون بالظن ان التوبة تنفعهم يوم القيامة عن مكان بعيد الا ان في العقل انها  
لا تقبل. ثم قال \* (وحيل بينهم وبين ما يشتهون) \* أي فرق بينهم وبين  
شهواتهم، من قبول توبتهم وايصالهم إلى ثواب الجنة أو ردهم إلى دار الدنيا  
\* (كما فعل) \* مثل ذلك \* (باشياعهم من قبل) \* وهو جمع الجمع تقول شيعة وشيع  
وأشياع، ولان أشياعهم تمنوا أيضا مثل ذلك فحيل بينهم وبين تمنيتهم، ثم اخبر  
\* (انهم كانوا في شك من ذلك) \* في الدنيا \* (مريب) \* والريب أقبح الشك  
الذي يرتاب به الناس.  
وقال سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير قوله " ولو ترى إذ فرعوا فلا فوت "  
نزلت في الجيش الذي يخسف بهم بالبيداء فيبقى رجل يخبر الناس بما رآه، ورواه  
حذيفة عن النبي صلى الله عليه وآله

---

(١) مجاز القرآن ٢ / ١٥١

### ٣٥ - سورة فاطر

مكية في قول مجاهد وقتادة: لا ناسخ فيها ولا منسوخ، وبه قال الحسن إلا آيتين قوله " إن الذين يتلون كتاب الله " إلى قوله " الفضل الكبير " وهي خمس وأربعون آية عراقي وحجازي إلا إسماعيل. وست وأربعون في عدد إسماعيل والشاميين.

بسم الله الرحمن الرحيم

\* (الحمد لله فاطر السماوات والأرض جاعل الملائكة رسلا أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير (١) ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم (٢) يا أيها الناس اذكروا نعمت الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو فأنى تؤفكون (٣) وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك

(٤١٠)

وإلى الله ترجع الأمور (٤) يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا  
تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور) \* (٥) خمس  
آيات بلا خلاف.

قرأ حمزة والكسائي " هل من خالق غير الله " جراً على أنه صفة ل (خالق)  
الباقون - بالرفع - على تقدير هل من خالق هو غير الله، ويجوز أن يكون  
التقدير: هل غير الله من خالق، ويجوز أن يكون رفعا على موضع (من)  
وتقديره هل خالق غير الله.

يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله قل يا محمد " الحمد لله " أي الشكر له على  
جميع

نعمه " فاطر السماوات والأرض " أي خالقهما ومخترعهما. والفطر الشق عن  
الشيء باظهاره للحس، ومعنى فطر السماوات والأرض أي خلقهما وأظهرهما  
للحس بعد ان لم تكونا ظاهرتين، وروي عن ابن عباس أنه قال: ما كنت  
أدري ما معنى فطر السماوات حتى احتكم إلي أعرابيان في بئر، فقال أحدهما  
أنا فطرتهما، أي اخترعتها وابتدأتهما. ومن كان خالق السماوات والأرض  
لا يفعل إلا ما يستحق به الشكر والحمد، لأنه غني حكيم، فلا يعدل عما يستحق  
به الحمد إلى ما لا يستحق به ذلك.

وقوله " جاعل الملائكة رسلا " أي جعل الملائكة رسلا بعضهم إلى بعض  
وبعضهم إلى البشر. ثم ذكر أوصافهم وهو أنهم " أولي أجنحة " أي  
أصحاب أجنحة " مثني وثلاث ورباع.... " أي اثنين اثنين وثلاثة ثلاثة  
وأربعة أربعة، فهذه الألفاظ معدولة عن الاثنين والثلاث والأربع، مع أنها

صفات فلذلك ترك صرفها قال الشاعر:  
ولكنما أهلي بواد أنيسه \* ذئاب تبغي الناس مثني وموحد (١)  
وإنما جعلهم أولي أجنحة، ليتمكنوا بها من العروج إلى السماء ومن  
النزول إلى الأرض، قال قتادة: منهم من له جناحان، ومنهم من له ثلاثة ومنهم  
من له أربعة، ثم قال "يزيد في الخلق ما يشاء" قيل حسن الصوت وقيل  
من الأجنحة من حيث خلق للملائكة زيادة عما خلق لسائر الخلق من البشر  
والأمم. فان قيل: الطائر لا يحتاج إلى أكثر من جناحين فما معنى خلق الملائكة  
أولي ثلاث وأربع؟ قيل: يجوز أن يكون كل جناح بعلوه باثنين، ويجوز أن  
يكون للزينة الزائدة، وقد يكون للسمة أجنحة في ظهرها. ثم بين "أن الله  
على كل شيء قدير" أي لا شيء إلا وهو تعالى قادر عليه بعينه أو قادر على مثله.  
ثم قال تعالى "ما يفتح الله للناس من رحمة" معنى (ما) الذي وتقديره  
الذي يفتح الله للناس من نعمة ورحمة "فلا ممسك لها وما يمسك" من نعمة على  
خلقه "فلا مرسل له من بعده" أي من بعد الله "وهو العزيز" يعني القادر  
الذي لا يقهر "الحكيم" في جميع أفعاله، إن أنعم وإن أمسك، لأنه عالم  
بمصالح خلقه لا يفعل إلا ما لهم فيه مصلحة في دينهم أو دنياهم.  
ثم خاطب المؤمنين فقال "يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم" بأن  
خلقكم وأوجدكم وأحياكم وأقدركم وشهاكم، وخلق لكم المنافع التي تنتفعون بها  
"هل من خالق غير الله" تقريراً لهم على أنه لا خالق غير الله في السماوات  
والأرض "يرزقكم من السماء بالمطر ومن الأرض بالنبات" لا إله إلا هو  
أي لا معبود يستحق العبادة سواه تعالى "فأني تؤفكون" أي كيف تقلبون

عن طريق الحق إلى الضلال. وإنما قال " هل من خالق غير الله " وإن كان أحدنا يخلق الشيء لأن هذه الصفة لا تطلق إلا عليه تعالى، فاما غيره فإنها تقيد له. وأيضا فقد فسر ما أراد وهو أنه هل من خالق رازق للخلق من السماوات والأرض غير الله أي لا خالق على هذه الصفة إلا هو. هذا صحيح لأنه لا أحد يقدر على أن يرزق غيره من السماء والأرض بالمطر والنبات وأنواع الثمار.

ثم قال تعالى تعزية للنبي صلى الله عليه وآله وتسلية له عن تكذيب قومه إياه " وإن يكذبوك " يا محمد هؤلاء الكفار " فقد كذبت رسل من قبلك " أرسلهم الله فكذبوهم ولم يقبلوا منهم فلك أسوة بمن كان قبلك " وإلى الله ترجع الأمور " يعني ترد الأمور إلى حيث لا يملك التصرف فيها مطلقا غير الله يوم القيامة. ثم خاطب الخلق فقال " يا أيها الناس إن وعد الله حق " يعني ما وعدهم به من البعث والنشور والجنة والنار صحيح كائن لا محالة " فلا تغرنكم الحياة الدنيا " فتغترون بملاذها وزينتها وتتركون ما أمركم الله به وترتكبون ما نهاكم عنه \* (ولا يغرنكم بالله الغرور) \* فالغرور هو الذي عادته ان يغر غيره، والدنيا وزينتها بهذه الصفة، لان الخلق يغترون بها، وقال الحسن الغرور الشيطان الذي هو إبليس، وهو قول مجاهد. والرزق يطلق على وجهين: أحدهما - ان الله جعله يصلح للغذاء يتغذى به الحيوان وللملبس يلبسونه فالعباد من هذا الوجه لا يأكلون ولا ينتفعون إلا بما جعله الله رزقا لهم. والثاني - انه ملكه الله وحكم انه له فهم يتظالمون من هذا الوجه.

قوله تعالى:

\* (إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير (٦) الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير (٧) أفر من زين له سوء عمله فرآه حسنا فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله عليم بما يصنعون (٨) والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور (٩) من كان يريد العزة فلله العزة جميعا إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور) \* (١٠).

خمس آيات حجازي وكوفي، وست بصري وشامي، عد البصريون والشاميون \* (شديد) \* ولم يعده الباقون.

قرأ أبو جعفر \* (فلا تذهب) \* بضم التاء وكسر الهاء \* (نفسك) \* بنصب السين.

الباقون - بفتح التاء والهاء، ورفع السين.

يقول الله تعالى مخبرا لخلقه من البشر \* (إن الشيطان لكم عدو) \* فيعدل

بكم عن افعال الخير ويدعوكم إلى ما فيه الهلكة، فالعداوة ضد الولاية، ولا يجوز أن يكون أحد عدوا من وجه وليا من وجه، كما لا يجوز أن يكون موجودا من وجه معدوما من وجه، لان الصفتين متنافيتان. ثم أمرهم بأن يتخذوا الشيطان عدوا كما هو عدو لهم، وبين تعالى أن الشيطان ليس يدعو إلا حزبه أي أصحابه وجنده، وهم الذين يقبلون منه ويتبعونه. وبين انه إنما يدعوهم ليكونوا من أصحاب السعير بارتكاب المعاصي والكفر بالله تعالى، والسعير النار المستعرة.

ثم اخبر تعالى \* (إن الذين كفروا) \* بآيات الله ويكذبون رسله \* (لهم عذاب شديد) \* جزاء على كفرهم وتكذيبهم، وإن \* (الذين آمنوا وعملوا) \* الافعال \* (الصالحات لهم مغفرة) \* من الله لذنوبهم ولهم \* (أجر) \* أي ثواب \* (كبير) \* ثم قال مقررًا لهم \* (أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا) \* يعني الكفار زينوا نفوسهم لهم أعمالهم السيئة فتصوروها حسنة أو الشيطان يزنيها لهم فيميلهم إلى الشبهة وترك النظر في الأدلة الدالة على الحق باغوائه حتى يتشاغلوا بما فيه اللذة وطرح الكلفة.

وخبر (من) في قوله \* (أفمن زين له سوء عمله) \* محذوف وتقديره يتحسر عليه، وقيل: إن الخبر قوله \* (فان الله يضل من يشاء) \* إلا أنه وقع \* (من يشاء) \* موقعه. وقيل: جواب \* (أفمن زين) \* محذوف بتقدير: كمن علم الحسن من القبيح، وعمل بما علم. وقيل: كمن هداه الله.

وفي ذلك دلالة على بطلان قول من يقول: إن المعارف ضرورة، لأنه دل على أنهم رأوا اعمالهم السيئة حسنة. وهذا رأي فاسد، ثم قال لنبيه صلى الله عليه وآله ناهيا له \* (فلا تذهب نفسك عليهم) \* يا محمد \* (حسرات) \*. ومن فتح التاء جعل



الفعل للنفس. والحسرة شدة الحزن على ما فات من الامر \* (إن الله عليم بما يصنعون) \* من المعاصي والطاعات فيجازيهم بحسبها. ثم قال \* (والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا) \* أي تنشئه وتجمعه وتجيئ به وتحركه \* (فسقناه) \* إي فساقه الله \* (إلى بلد ميت) \* لم يمطر أي قحط وجذب فيمطر على تلك الأرض فيحيي بذلك الماء والمطر الأرض بعد موتها بالزرع بعد أن لم يكن فيها زرع. ثم قال: كما فعل هذا بهذه الأرض الجدبة القحطة من احيائها بالزرع بعد أن لم يكن فيها زرع مثل ذلك ينشر الخلائق بعد موتهم ويحشرهم إلى الموقف للجزاء من ثواب وعقاب. وقيل: إن الله تعالى إذا أراد احياء الخلق أمطر السماء أربعين يوما فينبت بذلك الخلق نباتا. ثم قال تعالى \* (من كان يريد العزة) \* يعني القدرة على القهر والغلبة \* (فلله العزة جميعا) \* أي له القهر على جميع الأشياء لا يقدر أحد ان يمنعه مما يريد فعله به. وقيل: معناه من كان يريد علم العزة لمن هي، فهي لله. وقيل: معناه من أراد العزة فليطع الله حتى يعزه. وقوله \* (إليه يصعد الكلم الطيب) \* قيل: معناه انه تعالى يقبله ويثيب عليه. وقيل: إليه يصعد اي إلى حيث لا يملك الحكم فيه إلا الله، كما يقال: ارتفع أمرهم إلى القاضي. وقوله \* (والعمل الصالح يرفعه) \* أي يقبله. وقيل: في الضمير الذي في \* (يرفعه) \* ثلاثة أوجه: أحدها - يرفع الكلم الطيب من الفعل. الثاني - يرفعه الكلم الطيب. الثالث - يرفعه الله. ثم قال \* (والذين يمكرون السيئات) \* اي يحتالون لفعل السيئات من الشرك والكبائر. وقيل: هم أصحاب الرياء \* (لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور) \* قال قتادة: معناه مكرهم يفسد. وقيل: معنى يبور يكسد، فلا ينفذ في ما يريدون

وقال مجاهد: هو ما عمل للرياء فإنه يفسد، قال ابن الزبيري:  
يا رسول المليك ان لسانى \* راتق ما فتقت إذ انا بور (١)  
قوله تعالى:

\* (والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا  
وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه وما يعمر من معمر ولا  
ينقص من عمره إلا في كتاب إن ذلك على الله يسير (١١) وما  
يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج  
ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها  
وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم  
تشكرون (١٢) يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر  
الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ذلكم الله ربكم له  
الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير (١٣) إن  
تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم  
القيمة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير (١٤) يا أيها

---

(١) مر تخريجه في ٦ / ٢٩٤ و ٧ / ٤٧٩

الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد (١٥) إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد (١٦) وما ذلك على الله بعزيز \* (١٧) ست آيات بصرى وسبع في ما عداه عدوا \* (بخلق جديد) \* ولم يعده البصريون. قرأ يعقوب ولا \* (ينقص من عمره) \* بفتح الياء وضم القاف. الباكون على ما لم يسم فاعله. وقرأ قتيبة \* (والذين تدعون) \* بالتاء على الخطاب. الباكون بالياء على الخبر.

هذا خطاب من الله سبحانه لجميع خلقه من البشر انه خلقهم من تراب، ويريد ان آدم الذي هو أبوهم ومنه انتسلوا خلقه من تراب ومنه توالدوا. وقيل: إن المراد به جميع الخلق، لأنهم إذا خلقهم من نطفة والنطفة تستحيل من الغذاء، والغذاء يستحيل من التراب، فكأنه خلقهم من تراب، ثم جعل التراب نطفة بتدريج. وعلى الأول يكون قوله " ثم من نطفة " معناه ثم خلق أولاد آدم من نطفة ثم استثنى منه عيسى في قوله " إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب " (١) فقوله " ثم جعلكم أزواجا " أي اشكالا لان الزوج هو الذي معه آخر من شكله، والاثنان زوجان " وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه " معناه ليس تحمل الأنثى من حمل يولد ولا تضعه لتمام ولغير تمام إلا والله تعالى عالم به، لا أن علمه آلة في ذلك، ولا يدل ذلك على أن له علما يعلم به، لان المراد ما ذكرناه من أنه لا يحصل شيء من ذلك إلا وهو عالم به.

وقوله " وما يعمر من معمر " والعمر مدة الأجل للحياة وهو تفضل من

---

(١) سورة ٣ آل عمران آية ٥٩

الله سبحانه وتعالى يختلف مقداره بحسب ما يعلم من مصالح خلقه، كما يختلف الغنى والفقر، والقوة والضعف، والمعنى: وليس يطول عمر أحد ولا ينقص من عمره بأن يذهب بعضه بمضي الليل والنهار إلا وذلك في الكتاب المحفوظ أثبتته الله تعالى قبل كونه. وقال الحسن والضحاك وابن زيد: معنى " ولا ينقص من عمره " أي من عمر معمر آخر، وقال أبو مالك: معناه ولا ينقص من عمره ينقصي ما ينقصي منه. وقال الفراء: هو كقولك: عندي درهم ونصفه أي ومثل نصف الدرهم من غيره.

ثم قال \* (إن ذلك على الله يسير) \* يعني تعمير من يعمره ونقصان من ينقصه وإثبات ذلك في الكتاب سهل على الله غير متعذر.

ثم قال تعالى \* (وما يستوي البحران) \* أي لا يستويان لأن \* (هذا عذب فرات سائغ شرابه) \* أي مرئ شهي \* (وهذا) \* الآخر \* (ملح أجاج) \* فالفرات أعذب العذب والأجاج أشد المر. والأجاج مشتق من أججت النار كأنه يحرق من مرارته. و \* (اللؤلؤ والمرجان) \* (١) يخرج من الملح دون العذب. وقيل: في الملح عيون عذبة، وفي ما بينهما يخرج اللؤلؤ.

ثم قال \* (ومن كل) \* يعني من البحرين العذب والأجاج \* (تأكلون لحما طريا) \* يعني سمكا \* (وتستخرجون حلية تلبسونها) \* من اللؤلؤ والمرجان \* (وترى الفلك) \* يعني السفن \* (فيه مواخر) \* أي تشق الماء في جريانها شقا. وقيل: معناه إنها تذهب وتجئ، بلغة قريش وهذيل. وقال الحسن: يعني مواخير كقوله \* (الفلك المشحون) \* (٢) \* (لتبتغوا من فضله) \* معناه إنه تعالى خلق ذلك لخلق

---

(١) سورة ٥٥ الرحمان آية ٢٢

(٢) سورة ٢٦ الشعراء آية ١١٩ وسورة ٣٦ يس آية ٤١ وسورة ٣٧ الصافات آية ١٤٠

ليتمسوا من فضل الله بركوب البحر للتجارة والمسير فيها طلبا للمنافع  
وما يخرجون منها من أنواع الأشياء لكي يشكروا الله على نعمه ويحمدوه على فضله  
ثم قال \* (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) \* معناه انه ينقص من  
الليل في النهار عند منقلب الصيف، ومن النهار في الليل عند منقلب الشتاء.  
وقيل: معناه انه يدخل كل واحد منهما على صاحبه ويتعقبه \* (وسخر الشمس  
والقمر كل يجري لأجل مسمى) \* قدره الله لهما بحسب ما علم من مصالح خلقه  
إلى الوقت الذي يفنيهما الله فيه. فتسخير الشمس نزولها في بروج مخصوصة في  
أوقات مخصوصة كل فصل منها لنوع آخر من المنافع لا يختلف الحال فيه،  
وتسخير القمر جريانه على وتيرة واحدة، فيستدل به على السنين والشهور  
وذلك يدل على أن مدبره عالم حكيم.  
ثم قال \* (ذلكم الله ربكم) \* الذي يقدر على تسخير الشمس والقمر، وإيلاج  
الليل في النهار والنهار في الليل وخلق البحرين العذب والمالح، ومنع أحدهما  
أن يختلط بالآخر لا يقدر عليه غيره \* (والذين يدعون من دونه) \* وتوجهون  
عبادتكم إليهم من الأصنام والأوثان \* (ما يملكون من قطمير) \* وهو قشر النواة  
- في قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وعطية - فدل على أن من لا يملك هذا  
القدر لا يستحق العبادة ولا يكون إلها.  
ثم قال \* (إن تدعوهم) \* يعني الأصنام \* (لا يسمعون دعاءكم ولو سمعوا  
ما استجابوا لكم) \* لأنها جمادات يستحيل ذلك عليها، ولا يقدر على ضرر  
ولا نفع \* (ويوم القيامة يكفرون بشرككم) \* قيل: إن الله تعالى يحيي الأصنام  
يوم القيامة لينكروا على المشركين، ويوبخوهم على عبادتهم إياهم. وقال  
البلخي: يجوز أن يكون المراد به الملائكة وعيسى. وقوله \* (لا يسمعون)

دعاءكم) \* أي هم بحيث لا يسمعون أو هم مشغولون عنهم لا يلتفتون إليهم ولا يصغون ويجوز أن يكون المراد بها الأصنام ويكون ما يظهرونه من بطلان ما ظنوه كفرا بشرهم وجحدا له كما حصل ما في الجهاد من الدلالة على الله مسبحا له وهو كقولهم: سل الأرض من شق أنهارك وغرس أشجارك وجنى ثمارك، فإن لم تجبك حوارا اجابتك عتبار \* (ولا ينبئك) \* يا محمد بالشئ على حقيقته \* (مثل خبير) \* عالم بما اخبر، والله تعالى هو العالم بالأشياء على حقائقها. ثم قال تعالى \* (يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله) \* أي محتاجون إليه \* (والله هو الغني) \* عن جميع المخلوقات لا تجوز عليه الحاجة، لأنه ليس بجسم فالحاجة من صفة الأجسام \* (الحميد) \* يعني المحمود المستحق للحمد على جميع أفعاله، والله تعالى لا يفعل إلا ما يستحق به حمدا. ثم اخبر تعالى عن قدرته فقال \* (إن يشأ يذهبكم) \* معاشر الخلق ويفنيكم \* (ويأت بخلق) \* آخر \* (جديد) \* وهو ما كان قريب عهد بانقطاع العمل عنه، واصله القطع من جده يجده إذا قطعه. والجد أبو الأب لا نقطاعه عن الولادة بالأب والجد الماضي فيه بقطعه أولا أولا من غير تفتير \* (وما ذلك على الله بعزيز) \* أي بممتنع فالعزيز المنيع بوجه من الوجوه الذي يتعذر معها الفعل. قوله تعالى:

\* (ولا تزر وازرة وزر أخرى وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه

والى الله المصير (١٨) وما يستوي الأعمى والبصير (١٩) ولا  
الظلمات ولا النور (٢٠) ولا الظل ولا الحرور (٢١) وما  
يستوي الاحياء ولا الأموات إن الله يسمع من يشاء وما أنت  
بمسمع من في القبور (٢٢) إن أنت إلا نذير\* (٢٣).  
ست آيات حجازي وكوفي وخمس آيات شامي وأربع آيات بصري عد  
الحجازيون والكوفي والشامي " البصير " و " النور " ولم يعده البصري وعد الحجازيون  
والعراقيون " القبور " ولم يعده الشامي.  
يقول الله تعالى مخبرا حسب ما تقتضيه حكمته وعدله أنه " لا تزر وازرة وزر  
أخرى " معناه أنه لا تحمل حامله حمل أخرى من الذنب، والوزر الثقل، ومنه الوزير  
لتحميله ثقل الملك بما يتحملة من تدبير المملكة، وتقديره أنه لا يؤخذ أحد بذنب  
غيره، وإنما يؤخذ كل مكلف بما يقترفه من الآثم.  
وقوله " وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى "   
معناه وإن تدع مثقلة بالآثام غيرها لتحمل عنها بعض الآثم لا يحمل عنها شيئا  
من آثامها، وإن كان أقرب الناس إليها، لما في ذلك من مشقة حمل الآثام  
ولو تحملته لم يقبل تحملها، لما فيه من مجانبة العدل ومنافاته له، فكل نفس بما  
كسبت رهينة، لا يؤخذ أحد بذنب غيره، ولا يؤخذ إلا بجنايته.  
وقوله " إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب " معناه ليس ينتفع بتخويفك  
يا محمد إلا الذين يخافون ربهم في غيبتهم وخلواتهم فيجتنبون معاصيه في سرهم  
ويصدقون بالآخرة.

وقوله " وأقاموا الصلاة " قال أبو عبيدة في مجازة: اي وقيمون، فوقع الماضي مقام المستقبل، والمعنى يديمون فعلها ويقومون بشرائها. وإنما عطف الماضي على المستقبل إشعارا باختلاف المعنى، لان الحسنة لازمة في كل وقت والصلاة لها أوقات مخصوصة، وأضاف الانذار إلى الذين يخشون ربهم من حيث كانوا هم المنتفعون بها، وإن كان النبي صلى الله عليه وآله ينذر كل مكلف. ثم قال " ومن تزكى " أي فعل الطاعات وقام بما يجب عليه من الزكاة وغيرها من الواجبات فإنما يتزكى لنفسه، لان ثواب ذلك ونفعه عائد عليه. وقوله " وإلى الله المصير " معناه يرجع الخلق كلهم إلى حيث لا يملك الأمر والنهي إلا الله، فيجازي كل مكلف على قدر عمله. وقوله " وما يستوي الأعمى والبصير " معناه لا يتساوى الأعمى عن طريق الحق والعادل عنها، والبصير الذي يهتدي إليها قط، لان الأول يستحق العقاب، والثاني يستحق الثواب " ولا الظلمات ولا النور " يعني وكذلك لا يستوي المؤمن والكافر والمطيع والعاصي فشبه الايمان بالنور والكفر بالظلمات، وكذلك لا يستوي " الظل ولا الحرور " فالظل هو الستر عن موقع الشمس ومنه الظلة، وهي السترة عن موقع الشمس، ومنه قولهم: ظل يفعل كذا إذا فعل نهارا في الوقت الذي يكون للشمس ظل، والحرور السموم وهو الريح الحارة في الشمس، وقال الفراء: الحرور يكون بالليل والنهار والسموم لا يكون إلا بالنهار. وقيل: الظل الجنة والحرور النار " وما يستوي الاحياء ولا الأموات " أي هما أيضا لا يتساويان ولا يتماثلان، فالاسواء حصول أحد الشئيين على مقدار الآخرة، ومنه الاستواء في العود والطريق خلاف الاعوجاج، لممره على مقدار أوله من غير انعدال. وهذه الأمثال أمثال ضربها الله لعبادة الله وعبادة الأوثان، وبين أنه كما



لا تتماثل هذه الأشياء، ولا تتشاكل ولا تتساوى، فكذلك عبادة الله لا تشبه عبادة الأصنام.

ثم قال تعالى " إن الله يسمع من يشاء " ومعناه أن الله ينفع باسماع ذلك من يشاء ممن يعلم أن له لطفاً يفعل به دون غيره " وما أنت بمسمع من في القبور " أي لأنك لا تقدر على نفع الكفار باسماعك إياهم إذا لم يقبلوا، كما لا تسمع من في القبور من الأموات " ان أنت إلا نذير " أي لست إلا نذيراً مخوفاً بالله. شبه الكفار في تركهم قبول ما يسمعون وذهابهم عن تفهمه وتدبره بالموتى، كما شبههم بالصم والعمى، يقال: أصمهم وأعمى أبصارهم ليس أنهم كانوا لا يسمعون ولا يفهمون أو كان النبي صلى الله عليه وآله لا يندرهم لكن على ما بيناه من التشبيه. وقيل في (لا) قولان: أحدهما - أنها زائدة مؤكدة للنفي. الثاني - انها باقية لاستواء كل واحد منهما لصاحبه على التفصيل. فمن قال: إنها زائدة قال في مثل قولهم لا يستوي زيد ولا عمرو في هذا المعنى، فلا تكون هنا إلا زائدة. ومن قال: ليست زائدة، قال تقديره لا يستوي الأعمى والبصير ولا يساوي البصير الأعمى.

قوله تعالى:

\* (إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً وإن من أمة إلا خلا فيها نذير (٢٤) وإن يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسالهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير (٢٥) ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان نكير) \* (٢٦) ثلاث آيات بلا خلاف.

لما قال الله تعالى لنبيه إن أنت إلا نذير، ومعناه لست إلا مخوفا من عقاب الله ومعاصيه قال له " انا أرسلناك " يا محمد " بالحق " أي بالدين الصحيح " بشيرا " أي مبشرا بالجنة وثواب الله لمن أطاعه " ونذيرا " أي مخوفا من عقابه لمن عصاه " وإن من أمة " أي ليس من أمة في ما مضى إلا مضى فيها مخوف من معاصي الله. وقال قوم: المعنى " إلا خلا فيها نذير " منهم وقال آخرون: نذير من غيرهم، وهو رسول إليهم، كما أرسل نبينا صلى الله عليه وآله إلى العرب والعجم. وقال الجبائي: في ذلك دلالة على أنه لا أحد من المكلفين إلا وقد بعث الله إليهم رسولا، وأنه أقام الحجة على جميع الأمم.

ثم قال على وجه التسلية له والتعزية عن تكذيب قومه إياه " فان كذبوك " يا محمد ولم يصدقوك في انك نبي من قبل الله " فقد كذب الذين من قبلهم " من الكفار أنبياء أرسلوا إليهم " جاءتهم رسلهم " من الله " بالبينات " أي الحجج الواضحات " وبالزبر " يعني بالكتب " وبالكتاب المنير " الموضح بمنزلة ما فيه من نور يستضاء به. والزبر هي الكتب، وإنما كرر ذكر الكتاب، وعطف عليه، لاختلاف الصنفين، لان الزبر الكتابة الثابتة كالنقر في الحجر، ثم بين تعالى ان الكفار لما كذبوا رسل الله الذين جاؤهم بالبينات ولم يعترفوا بنبوتهم انه اخذهم بالعذاب وبالعقوبة العاجلة وأهلكهم ودمر عليهم.

قوله تعالى:

\* (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها

وغرايب سود (٢٧) ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور (٢٨) إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور (٢٩) ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور) \* (٣٠) أربع آيات بلا خلاف.

هذا خطاب من الله تعالى لنبيه والمراد به جميع المكلفين منبها لهم على طريق الاستدلال على وحدانيته واختصاصه من الصفات بما لا يختص به سواه بأن قال " ألم تر " يا محمد ومعناه ألم تعلم " ان الله أنزل من السماء ماء " يعني غيثا ومطرا " فأخرجنا به " اخبار منه تعالى عن نفسه انه أخرج بذلك الماء " ثمرات " جمع ثمرة، وهي ما يجتني من الشجر " مختلفا ألوانها " لان فيها الأحمر والأبيض والأصفر والأخضر وغير ذلك ولم يذكر اختلاف طعومها وروائحها لدلالة الكلام عليه. والاختلاف هو امتناع الشيء من أن يسد مسد صاحبه في ما يرجع إلى ذاته ألا ترى أن السواد لا يسد مسد البياض، وذلك لا يقدر عليه سواه تعالى من جميع المخلوقين " ومن الجبال جدد " واحده جده نحو مدة ومدد واما جمع جديد فجدد - بضم الدال - مثل سرير وسرر. والجدد الطرائق \* (بيض وحممر مختلف ألوانها وغرايب سود) \* واحد الغرايب غريب وهو الذي لونه كلون الغراب من شدة سواده، ولذلك قال \* (سود) \* لأنه دل عليه من هذا

الوجه، ثم بين بالافصاح أنها سود، قال امرؤ القيس:  
 كأن سراته وجدة متنه \* كنائن يحرى فوقهن دليص (١)  
 يعني بالجدّة الخطة السوداء تكون في متن الحمار، والكنائن جمع كنانه،  
 والدليص الذي يبرق من الذهب والفضة وما أشبهها، فالجدد هي ألوان الطريق.  
 ثم قال \* (ومن الناس) \* أيضا \* (ومن الدواب) \* التي تدب على وجه الأرض  
 \* (والانعام) \* كالإبل والبقر والغنم \* (مختلف ألوانه) \* أيضا مثل ذلك مما في  
 الجبال والثمار \* (كذلك) \* أي مثل ما قدمنا ذكره.  
 ثم قال \* (إنما يخشى الله من عباده العلماء) \* ومعناه ليس يخاف الله حق  
 خوفه ولا يحذر معاصيه خوفا من عقابه إلا العلماء الذين يعرفون حقيقة ذلك  
 فأما الجهال ومن لا يعرف الله فلا يخافونه مثل ذلك، وكذلك ينظر العلماء في  
 حجج الله وبياناته ويفكرون في ما يفضي بهم إلى معرفته من جميع ما تقدم ذكره  
 ثم اخبر تعالى فقال \* (إن الله عزيز) \* في انتقامه من أعدائه \* (غفور) \*  
 لأولائه والتائبين من خلقه الراجعين إلى طاعته.  
 ثم قال \* (إن الذين يتلون كتاب الله) \* يعني يقرؤون القرآن ويعملون بما  
 فيه \* (وأقاموا الصلاة وانفقوا) \* في طاعة الله \* (مما رزقناهم) \* أي مما رزقهم الله  
 وملكهم التصرف فيه \* (سرا وعلانية) \* أي في حال سرهم، وفي حال  
 علانيتهم \* (يرجون) \* في موضع الحال أي راجين بذلك \* (تجارة لن تبور) \*  
 أي لا تكسد. وقيل: لا تفسد، يقال بارت السوق إذا كسدت وبار الطعام، وبار  
 الشيء إذا فسد، قال الشاعر:

(١) ديوانه (شرح السندوسي) ١٢٤ وروايته (ظهره) بدل (متنه)

يا رسول المليك إن لساني \* راتق ما فتقت إذ أنابور (١)  
ثم بين انهم يقصدون بذلك أن يوفيههم الله أجور ما عملوا من الطاعات  
بالثواب ويزيدهم من فضله زيادة على قدر استحقاقهم، لأنه وعد بأن يعطي  
الواحد عشرة \* (إنه غفور) \* لعباده سائر لذنوبهم \* (شكور) \* معناه إنه يعامل  
بالاحسان معاملة الشاكر. وقال الجبائي: وصفه بأنه شكور مجاز، لان معناه  
انه يجازي على الطاعات.  
قوله تعالى:

\* (والذي أوحينا إليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما  
بين يديه إن الله بعباده لخبير بصير (٣١) ثم أورثنا الكتاب  
الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد  
ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير (٣٢)  
جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا  
ولباسهم فيها حرير (٣٣) وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا  
الحزن إن ربنا لغفور شكور (٣٤) الذي أحلنا دار المقامة  
من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب) \* (٣٥).  
خمس آيات بلا خلاف.

---

(١) قد مر في ٦ / ٢٩٤ و ٧ / ٤٧٩

قرأ أبو عمرو \* (يدخلونها) \* بضم الياء على ما لم يسم فاعله ليشاكل قوله تعالى \* (يحلون) \*. الباقون بفتح الياء، لأنهم إذا أدخلوها فقد دخلوها، والمعنيان متقاربان.

يقول الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وآله \* (والذي أوحينا إليك) \* يا محمد وأنزلناه عليك \* (من الكتاب) \* يعني القرآن \* (هو الحق) \* معناه هو الصحيح الذي معتقده على ما هو به. وضده الباطل، وهو ما كان معتقده لا على ما هو به. والعقل يدعو إلى الحق ويصرف عن الباطل، وقوله \* (مصدقاً لما بين يديه) \* معناه مصدقاً لما قبله من الكتب بأنه جاء موافقاً لما بشرت به تلك الكتب من حاله وحال من أتى به. ثم قال \* (إن الله) \* تعالى بعباده \* (لخبير) \* أي عالم بهم \* (بصير) \* بأحوالهم لا يخفى عليه شئ منها فيجازيهم على استعمال الحق بالثواب وعلى استعمال الباطل بالنار. ثم قال \* (ثم أورثنا الكتاب) \* يعني القرآن أورثناه من اصطفيناه من عبادنا. ومعنى الإرث انتهاء الحكم إليه ومصيره لهم، كما قال تعالى \* (وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون) \* (١) وقيل المراد أورثناهم الايمان بالكتب السالفة وكان الميراث انتقال الشئ من قوم إلى قوم. والأول أصح. والاصطفاء الاختيار باخراج الصفوة من العباد، فاصطفى الله المؤمن يحمل على ثلاث طبقات مؤمن ظالم لنفسه بفعل الصغيرة، ومقتصد بالطاعات في المرتبة الوسطى، وسابق بالخيرات في الدرجة العليا، وهم الذين لم يرتكبوا شيئاً من المعاصي، وكل وعد الله الحسنى، والذين اصطفاهم الله وأورثهم الكتاب قيل: هم الأنبياء فمنهم ظالم لنفسه يعني أصحاب الصغائر. وقيل: هم أصحاب النار، هذا من قول من أجاز على الأنبياء الصغائر دون الكبائر، فأما

---

(١) سورة ٤٣ الزخرف آية ٧٢

من لا يجوز عليهم شيئا من المعاصي أصلا لا صغيرة ولا كبيرة يقول: معنى الآية إن الله تعالى أوثق علم الكتاب الذي هو القرآن الذين اصطفاهم واجتباهم واختارهم على جميع الخلق من الأنبياء المعصومين، والأئمة المنتجبين الذين لا يجوز عليهم الخطأ ولا فعل القبيح لا صغيرا ولا كبيرا، ويكون قوله \* (فمنهم ظالم لنفسه) \* راجعا إلي \* (عباده) \* وتقديره فمن عبادنا ظالم لنفسه، ومن عبادنا مقتصد، ومن عبادنا سابق بالخيرات، لأن من اصطفاه الله لا يكون ظالما لنفسه، فلا يجوز أن ترجع الكناية إلى الذين اصطفينا وقوله " بالخيرات " يعني يعلم من اقتصد أو ظلم نفسه أو سبق بالخيرات.

ثم قال \* (ذلك هو الفضل الكبير) \* يعني السابق بالخيرات هو الفضل العظيم الذي لا شئ فوقه. وقال ابن عباس: الذين أورثهم الله الكتاب هم أمة محمد، ورثهم الله كل كتاب أنزله، فظالمهم يغفر له، ومقتصدهم يحاسبهم حسابا يسيرا وسابقهم يدخلون الجنة بغير حساب. وقال ابن مسعود - بذلك - وكعب الأحمار. وقال الثلاث فرق - المذكورة في هذه الآية كلهم في الجنة. وقال عكرمة عن ابن عباس: إن المصطفين من هذه الأمة الأنبياء، والظالم لنفسه هو المنافق والمقتصد والسابق بالخيرات في الجنة. والمنافق في النار. وقال الحسن ومجاهد: السابق بالخيرات من جميع الناس، والظالم لنفسه أصحاب المشئمة، والمقتصد أصحاب الميمنة من الناس كلهم. وهذا مثل ما قلناه من أن الكناية راجعة إلى العباد دون المصطفين، وقال البلخي: الاصطفاء - ههنا - التكليف دون الثواب، فعلى هذا يجوز أن ترجع الكناية إلى المصطفين.

ثم قال " جنات عدن " فرفع جنات على تفسير الفوز، كأنه قيل: ما ذلك الفوز؟ فقال هي جنات أي جزاء جنات أو دخول جنات، ويجوز أن يكون

بدلاً من الفوز، كأنه قال ذلك جنات أي دخول جنات، والجنات هي البساتين التي يجنّها الشجر، والعدن الإقامة " يدخلونها " يعني من تقدم ذكره من الذين سبقوا بالخيرات والمقتصدين " يحلون فيها " بمعنى يلبسون فيها الحلي " من أساور من ذهب " وأساور جمع أسوار، ومن قال سوار جمعه على أسورة " من ذهب ولؤلؤ " فيمن جر، ومن نصب " لؤلؤا " وهو نافع وعاصم فعلى تقدير ويحلون فيها لؤلؤا " ولباسهم فيها حرير " معناه إن ما يلبسه أهل الجنة من اللباس إبريسم محض.

ثم أخبر تعالى عن حال من يدخل الجنة أنهم إذا دخلوها " قالوا الحمد لله " أي اعترافاً بنعمة الله وشكراً له على نعمه، وهو الاعتراف منهم على وجه الالتجاء، لهم في ذلك سرور لا على وجه التكليف " الذي أذهب عنا الحزن " ومعناه أذهب الغم عنا بخلاف ما كنا عليه في دار الدنيا، وقيل: الحزن الذي أصابهم قبل دخول الجنة، فإنهم يخافون من دخول النار إذا كانوا مستحقين لها، فإذا تفضل الله عليهم بأن يسقط عقابهم ويدخلهم الجنة حمدوا الله على ذلك. وقيل: ما كان ينالهم في دار الدنيا من أنواع الأحزان والاهتمام بأمر المعاش والخوف من الموت وغير ذلك " إن ربنا لغفور شكور " لذنوب عباده إذا تابوا مجاز لهم على شكرهم لنعمه. وقيل: إن مكافاته لهم على الشكر لنعمه والقيام بطاعاته جرى مجرى أن يشكره لهم وإن كان حقيقة لا يجوز عليه تعالى. من حيث كان اعترافاً بالنعمة، ولا يصح عليه تعالى أن يكون منعماً عليه، ثم وصفوا الله تعالى بأن قالوا " الذي أحلنا " أي أنزلنا دار المقامة يعني دار الإقامة وإذا فتحت الميم كان المراد موضع القيام قال الشاعر:



يومان يوم مقامات وأندية \* ويوم سير إلى الأعداء تأويب (١)  
و " من فضله لا يمسننا فيها نصب " يعني تعب. وقال قتادة: معناه وجع  
" ولا يمسننا فيها لغوب " يعني اعياء. وقيل: اللغوب العناء. ومنه قوله تعالى  
" وما مسنا من لغوب " (٢).

قوله تعالى:

\* (والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا  
ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور (٣٦) وهم  
يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل  
أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير  
فذوقوا فما للظالمين من نصير (٣٧) إن الله عالم غيب السماوات  
والأرض إنه عليم بذات الصدور (٣٨) هو الذي جعلكم خلائف  
في الأرض فمن كفر فعليه كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم  
عند ربهم إلا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خسارا (٣٩)  
قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أروني ماذا  
خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السماوات أم آتيناهم كتابا

---

(١) اللسان (أوب)

(٢) سورة ٥٠ ق آية ٣٨

فهم على بينت منه بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضا إلا  
غرورا) \* (٤٠) خمس آيات بلا خلاف.

قرأ أبو عمرو وحده " يجرى " بضم الياء على ما لم يسم فاعله. الباكون.  
بالنون على وجه الاخبار من الله عن نفسه. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص  
" على بينة " بالتوحيد لقوله " قد جاءكم بينة من ربكم " (١) الباكون " بينات "   
على الجمع، لأنها مكتوبة في المصاحف بالألف والتاء، والبينة والبينات القرآن،  
وفي قوله " حتى تأتيهم البينة رسول من الله " (٢) وهو محمد صلى الله عليه وآله. ويقال:  
بان الشيء وأبان إذا تبين، فهو باين ومبين، وأبنته أنا وبينته لا غير والبينة  
وزنها (فيعلة) فاجتمع ياءان فأدغم إحداهما في الأخرى.  
لما اخبر الله تعالى عن أحوال أهل الآخرة وما أعد له لأهل الجنة من  
أنواع الثواب أخبر - ههنا - عن حال الكفار وما أعد لهم من أليم العقاب فقال " والذين  
كفروا " بوحدانية الله ووجدوا نبوة نبيه " لهم نار جهنم "  
عقوبة لهم على كفرهم يعذبون فيها " لا يقضى عليهم فيموتوا " أي لا يحكم  
عليهم بالموت فيموتوا فيستريحوا، يقال قضى فلان إذا مات " ولا يخفف عنهم  
من عذابها " معناه ولا ييسر عليهم عذاب النار ولا يسهل عليهم ومثل هذا  
العذاب ونظيره " كذلك نجرى كل كفور " جاحد لوحدانيته تعالى  
ومكذب لأنبياؤه.  
ثم اخبر تعالى عن حال من هو في النار فقال " وهم يصطرخون فيها " أي

---

(١) سورة ٦ الانعام آية ١٥٧

(٢) سورة ٩٨ البينة آية ٢

يتصايحون بالاستغاثة، فالاصطراخ الصياح والنداء بالاستغاثة، وهو افتعال من الصراخ قلبت التاء طاء لأجل الصاد الساكنة قبلها، وإنما فعل ذلك لتعديل الحروف بحرف وسط بين حرفين يوافق الصاد بالاستعلاء والاطباق ويوافق التاء بالمخرج. ويقولون "ربنا أخرجنا" من عذاب النار "نعمل صالحا" يعني نعمل بالطاعات والاعمال الصالحات التي أمرنا بها "غير الذي كنا نعمل" من المعاصي، فيقول الله لهم - في جوابه تبكيثا لهم وإنكارا عليهم "أو لم نعمركم في دار الدنيا. وقال ابن عباس، ومسروق: العمر الذي ذكره الله أربعون سنة، وفي رواية أخرى ستون سنة، وهو قول علي عليه السلام "ما يتذكر فيه من تذكر" أي عمرناكم مقدار ما يمكن أن يتذكر ويعتبر وينظر ويفكر من يريد أن يتفكر ويتذكر "وجاءكم النذير" يعني المخوف من معاصي الله، قال ابن زيد: يعني به محمدا صلى الله عليه وآله وقال غيره: أراد الشيب. وقيل: الحمى "فذوقوا" معاشر الكفار عقاب كفركم ومعاصيكم "فما للظالمين من نصير" أي ليس لمن ظلم - وبخس نفسه حقها بارتكاب المعاصي - ناصر يدفع عنه العذاب. ثم أخبر تعالى بأنه "عالم غيب السماوات والأرض" لا يخفى عليه شيء مما غاب عن جميع الخلائق علمه "إنه عليم بذات الصدور" ومعناه اتقوا واحذروا أن تضمروا في أنفسكم ما يكرهه الله تعالى، فإنه عليم بما في الصدور لا يخفى عليه شيء منها.

وقوله "هو الذي جعلكم خلائف في الأرض" معناه جعلكم معاشر الكفار أمة بعد أمة وقرنا بعد قرن. وهو قول قتادة "فمن كفر" أي جحد وحدانيته وأنكر نبوة نبيه صلى الله عليه وآله "فعليه" عقاب "كفره" دون غيره "ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقتا" أي لا يزيدهم كفرهم بالله عند الله

إلا أشد البغض لان المقت أشد البغض " ولا يزيد الكافرين " أيضا " كفرهم إلا خسارا " لأنهم يخسرون الجنة ويحصل لهم النار بدلا منها " وذلك هو الخسران المبين " ثم قال موبخا لهم " قل رأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله " قيل: معناه ادعوا شركاءكم في الأموال التي جعلتم لها قسطا من السائبة والوصيلة والانعام والحرث، وهي الأوثان. وقيل: شركاءكم الذين أشركتموهم في العبادة مع الله " أروني ماذا خلقوا من الأرض " معناه أي شئ اخترعوه وأنشؤه فدخل عليكم بذلك شبهة " أم لهم شرك في السماوات؟ " أي لهم شركة في خلق السماوات؟ على وجه المعاونة لله؟ \* (أم آتيناهم كتابا)؟ \* أي أعطيناهم كتابا أمرناهم فيه بما يفعلونه \* (فهم على بينة منه) \* أي من ذلك الكتاب، فان جميع ذلك محال لا يمكنهم ادعاء شئ من ذلك، ولا إقامة حجة ولا شبهة عليه \* (بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضا إلا غرورا) \* ومعناه ليس شئ من ذلك لكم، ليس يعد الظالمون أنفسهم بعضهم بعضا إلا غرورا يغترون به وزورا يتعدون به، يقال: غره يغره غرورا إذا أطمعه في ما لا يطمع فيه.

فان قيل: الآية تدل أن الله سبحانه ينفرد بالخلق دون العباد، لأنه بين أن من تهيأ له الخلق فهو إله.

قلنا: هذا كقوله \* (ألهم أرجل يمشون بها؟ أم لهم أيد يبطشون بها) \* (١) فكما لا يدل على أن من كان له يد أو رجل يكون إلها، فكذلك لا يجب أن يكون من يخلق يكون إلها على أنه بين المراد بالخلق، فقال \* (ماذا خلقوا من الأرض) \* لا يقدر على خلق الأرض ولا على شئ منه إلا الله تعالى على أنا

---

(١) سورة ٧ الأعراف آية ١٩٤

لا نطلق اسم خالق إلا على الله، ونقيده في الواحد منا.  
قوله تعالى:

\* (إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا \* ولئن زالتا  
إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليما غفورا (٤١)  
وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من  
إحدى الأمم فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفورا (٤٢) استكبارا  
في الأرض ومكر السيئ ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله  
فهل ينظرون إلا سنت الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلا \*  
ولن تجد لسنة الله تحويلا (٤٣) أو لم يسيروا في الأرض  
فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم  
قوة وما كان الله ليعجزه من شيء في السماوات ولا في الأرض  
إنه كان عليما قديرا (٤٤) ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا  
ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا  
جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيرا) \* (٤٥).  
خمس آيات كوفي ومكي ومدني الأول. وست شامي، وفي عدد إسماعيل.

(٤٣٦)

وسبع بصري. عد البصري والشامي وإسماعيل \* (تبديلاً) \* وعد البصري قبله \* (تزولاً) \* ولم يعد ذلك الباقيون.

لما بين الله تعالى أن الأصنام لا تقدر على شيء وأن ليس لها شرك في السماوات والأرض، أخبر عن عظيم قدرته وسعة سلطانه فقال \* (إن الله يمسك السماوات) \* بأن يسكنها حالاً بعد حال، ولا يقدر على تسكينها غيره تعالى حال بعد حال، لأنه يسكنها بغير عمد، فالأرضون ساكنة بلا عمد والسماوات ساكنة باسكانه. وهي غير الأفلاك التي تجري فيها النجوم، قال عبد الله بن مسعود ان السماوات لا تدور، ولو كانت تدور لكانت قد زالت. ومنعهما بهذا التسكين من أن تزولا عن مواضعها أو تهوي أو تسقط، ومعنى \* (أن تزولا) \* كراهة أن تزولا. وقال الكوفيون: معناه ألا تزولا عن مراكزهما، فحذف (لا). ثم قال \* (ولئن زالتا) \* معنى (لئن) (لو) ويوضع كل واحد منهما مكان الآخر، لأنهما يجابان بجواب واحد. ومثله \* (ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفراً) \* (١) ومعناه و (لو) ومعنى \* (ولئن زالتا) \* يعني عن مقرهما \* (إن) أمسكهما من أحد من بعده \* أي ليس يسكنها أحد ولا يقدر عليه أحد بعد الله تعالى \* (انه كان حليماً) \* يعني القادر الذي لا يعاجل واحداً بالعقوبة، ولا يحلم إلا قادر، لان من ليس بقادر، لا يصح ان يعاقب، فلا يحلم وإنما حلمه أناة بمن استحق العقوبة \* (غفوراً) \* أي ستارا لذنوبهم إذا تابوا لا يفضحهم بها على رؤس الاشهاد، و (الغفور) الكثير الغفران لذنوب عباده بالتوبة وبالتفضل لمن يشاء منهم.

ثم حكى عن الكفار أنهم \* (أقسموا بالله) \* يعني حلفوا به \* (جهداً أيماهم) \*

---

(١) سورة ٣٠ الروم آية ٥١

أي غاية وسعهم وطاقتهم \* (لئن جاءهم نذير) \* أي مخوف من جهة الله يخوفهم من معاصيه \* (ليكونن أهدي) \* إلى اتباعه والقبول منه \* (من إحدى الأمم) \* الماضية وأسبق إلى اتباعه \* (فلما جاءهم نذير) \* أي محمد صلى الله عليه وآله جاءهم يخوفهم

بالله " ما زادهم " مجيئه " إلا نفورا " أي ازدادوا عند مجيئه نفورا من عن الحق وهربا منه لا أن مجيئه زادهم ذلك. ثم بين تعالى أنهم ينفرون عند مجيئ النبي " استكبارا " أي طلبا للكبر والتجبر على غيرهم " في الأرض " من أن يقرؤا بالحق " ومكر السيئ " أي وحيلة الأفعال القبيحة والمعاصي لأنهم قصدوا بذلك الفرار من اتباع محمد والايمان به، والسيئ الشرك - في قول قتادة - وأضيف إليه كما قال " لحق اليقين " (١) وفي قراءة عبد الله بن مسعود " ومكرا سيئا " وقد سكن حمزة وحده الهمزة. الباقيون جروها بالإضافة. والتسكين لحن عندهم أعني البصريين، لا يجوز ان يقرأ به. وقيل الوجه في تسكين حمزة كثرة الحركات في الكلام، كما قال الشاعر:

إذا اعوججن قلت صاحب قوم

فسكن الباء لكثرة الحركات، والصحيح الأول، لان مثل هذا إنما يجوز في ضرورة الشعر، قال أبو علي النحوي: يجوز أن يكون أجراه في الوصل مجرى الوقف، وتقدير ومكرا المكر السيئ، فأضيف المصدر إلى صفة المصدر، وتقديره ومكروا المكر السيئ بدلالة قوله " ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله " ومعناه لا ينزل بأحد جزاء المكر السيئ إلا بمن فعله " فهل ينتظرون " أي فهل ينتظرون " إلا سنة الأولين " من نزول العقاب بهم وحلول النقمة عليهم جزاء على كفرهم، فان كانوا ينتظرون ذلك " فلن تجد " يا محمد والمراد به

الكفار " لسنة الله تبديلا " أي لا يغير الله عاداته من عقوبة من جحد ربوبيته " ولن تجد لسنة الله تحويلا " ولا يبدلها بغيرها، فالتبديل تصير الشيء مكان غيره، والتحويل تصير الشيء في غير المكان الذي كان فيه، والتغيير تصير الشيء على خلاف ما كان.

ثم قال " أولم يسيروا في الأرض " يعني هؤلاء الكفار الذين أنكروا إهلاك الله الأمم الماضية. أما ساروا في الأرض " فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا " أولئك " أشد منهم " من هؤلاء " قوة وما كان الله ليعجزه من شيء " إذ لم يكن يفوته شيء " في السماوات ولا في الأرض انه كان عليما " عالما بجميع الأشياء \* (قديرا) \* قادرا على مالا نهاية له، ويقدر على أجناس لا يقدرون عليها.

ثم اخبر تعالى ممنا على الناس بتأخير عقابهم بان قال \* (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا) \* أي جزاء على معاصيهم عاجلا \* (ما ترك على ظهرها) \* ظهر الأرض \* (من دابة) \* ندب على رجليها \* (ولكن يؤخرهم إلى أجل) \* يعني إلى الوقت المعلوم الذي قدره لتعذيبهم \* (فإذا جاء أجلهم) \* يعني الوقت المقدر المعلوم \* (فان الله) \* تعالى \* (كان بعباده بصيرا) \* أي عالما بأحوالهم لا يخفى عليه شيء منها فيجازي كل انسان على قدر فعله من طاعة أو معصية، والضمير في قوله \* (على ظهرها) \* عائد إلى الأرض وإن لم يجر لها ذكر لدلالة الكلام عليه، لأنه معلوم أنهم على ظهر الأرض دون غيرها، على أنه قد تقدم قوله \* (أو لم يسيروا في الأرض) \* وفي قوله \* (إن الله يمسك السماوات والأرض) \* فيجوز أن يرد الكناية إليها.



### ٣٦ - سورة يس

في قول مجاهد وقتادة والحسن: ليس فيها ناسخ ولا منسوخ. وقال ابن عباس: آية منها مدنية وهي قوله \* (وإذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله) \* وهي ثلاث وثمانون آية كوفي. واثنان وثمانون آية في ما عداه.

بسم الله الرحمن الرحيم

\* (يس (١) والقرآن الحكيم (٢) إنك لمن المرسلين (٣)

على صراط مستقيم (٤) تنزيل العزيز الرحيم (٥) لتنذر قوما

ما أنذر آباؤهم فهم غافلون (٦) لقد حق القول على أكثرهم فهم

لا يؤمنون (٧) إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي إلى الأذقان

فهم مقمحون (٨) وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا

فأغشيناهم فهم لا يبصرون (٩) وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم

تنذرهم لا يؤمنون) \* (١٠)

عشر آيات كوفي وتسع في ما عداه عد الكوفي (يس) ولم يعده الباقر.

(٤٤٠)

قرأ الكسائي بإمالة الألف من (ياسين) وكذلك حمزة إلا أنه أقل إمالة  
الباقون بغير إمالة. وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وأبو بكر عن عاصم  
\* (تنزيل العزيز الرحيم) \* بالرفع الباكون بالنصب. فمن رفع، فعلى تقدير  
(ذلك) تنزيل العزيز، ومن نصب، فعلى تقدير (نزل) تنزيل العزيز الرحيم.  
وقرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر \* (سدا) \* بفتح السين في الموضعين. الباكون  
بضمها، وهما لغتان، وقال أبو عمرو: وما كان من فعل الله، فهو بالفتح.  
وعد أهل الكوفة (يس) آية ولم يعدوا (طس) لان (طاسين) أشبه قابيل وهابيل  
في الوزن، والحروف الصحاح، ولم يشبهها (ياسين) لان أوله حرف من  
حروف العلة وليس مثل ذلك في الأسماء المفردة، فأشبهه الجملة والكلام التام  
وشاكل ما بعده من رؤس الآي. وقد مضى في ما تقدم أن افتتاح أوائل  
الصور بأمثال هذه الحروف الأقوى فيها أنها أسماء للصور. وقيل: إنها أسماء  
القرآن، وقيل إنها حروف إذا جمعت أنبأت عن اسم الله الأعظم، وغير ذلك من  
الأقاويل لا نطول بذكره. وقال الحسن: معناه يا رجل. وقال محمد بن الحنفية  
(يس) معناه يا إنسان يا محمد، وروي عن علي عليه السلام أنه قال سمي الله تعالى  
النبي صلى الله عليه وآله في القرآن بسبعة أسماء: محمد، وأحمد، وطه، ويس، والمزمل،  
والمدرثر، وعبد الله، وقيل: معناه بالسريانية يا إنسان. وقيل: معناه يا سيد الأولين  
والآخرين. وأخفى النون من (ياسين) الكسائي وأبو بكر عن عاصم. الباكون ببيان  
النون، وهو الأجود لان حروف الهجاء ينوى بها السكت والانقطاع عما  
بعدها. ومن قال بالأول قال لان النون والتنوين إنما يظهران عند حروف الحلق

وليس ههنا شيء منها.  
وقوله \* (والقرآن الحكيم) \* قسم من الله تعالى بهذا القرآن وصفه بأنه  
حكيم من حيث أن فيه الحكمة، فصار ذلك بمنزلة الناطق به للبيان عن الحق الذي  
يعمل به. والحكمة قد تكون المعرفة، وقد تكون ما يدعو إلى المعرفة، وأصله  
المنع من الخلل والفساد، فالمعرفة تدعو إلى ما أدى إلى الحق من برهان أو بيان  
قال الشاعر:

أبني حنفية احكموا سفهاءكم \* إني أخاف عليكم أن اغضبا (١)  
أي امنعواهم. وقال قوم: إنما أقسم الله بالقرآن الحكيم لعظم شأنه وموضع  
العبرة به والفائدة فيه، والمقسم عليه قوله \* (إنك لمن المرسلين) \* أقسم تعالى أن  
النبي صلى الله عليه وآله ممن أرسله الله بالنبوة والرسالة، وأنه \* (على صراط مستقيم) \*

وهو  
طريق الحق المستقيم الذي يؤدي إلى الجنة \* (تنزيل العزيز الرحيم) \* من رفع  
فعلى تقدير ذلك تنزيل، ومن نصب فعلى تقدير نزل تنزيل. وموضع \* (على  
صراط مستقيم) \* يجوز أن يكون رفعا على أنه خبر، كأنه قال إنك على صراط  
مستقيم، ويجوز أن يكون نصبا على الحال للارسال، كأنه قال: أرسلوا  
مستقيما طريقتهم.

وقوله \* (لتنذر قوما) \* معناه إنه أنزل القرآن لتخوف به من معاصي الله  
قوما \* (ما أنذر آباؤهم) \* من قبل أراد به قريشا أنذروا بنبوة محمد، وقيل:  
في معناه قولان:

أحدهما - قال عكرمة: معناه لتنذر قوما مثل الذي أنذر آباؤهم.  
الثاني - قال قتادة: معناه لتنذر قوما لم ينذر آباؤهم قبلهم - يعني في

---

(١) مر في ١ / ١٤٢ و ٢ / ١٨٨ و ٤ / ٤٩٦ و ٥ / ٥١٢ و ٦ / ٤٤٠

زمان الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام \* (فهم غافلون) \* عما تضمنه القرآن وعما أنذر الله من نزول العذاب. ومثل الغفلة السهو، وهو ذهاب المعنى عن النفس ومثله النسيان وهو ذهاب الشيء عن النفس بعد حضوره فيها. ثم اخبر تعالى مقسما انه \* (لقد حق القول على أكثرهم) \* اي وجب باستحقاق العقاب بادخالهم النار \* (فهم لا يؤمنون) \* لذلك، وقد سبق في علم الله. ثم اخبر تعالى فقال \* (إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا) \* أي جعل الغل في أعناقهم وهو جمع عنق \* (فهو إلى الأذقان) \* والأذقان جمع ذقن وهو مجمع اللحيين. وقيل بأيمانهم إلى أذقانهم، فكنى عنها، لأنها معلومة. وقيل: التقدير بالاغلال بالايمان إلى الأذقان فهو محذوف، قال الشاعر:

وما أدري إذا يمت أرضا \* أريد الخير أيهما يليني  
 أالخير الذي أنا أبتغيه \* أم الشر الذي لا يأتيني (١)

\* (فهم مقمحون) \* فالمقمح الغاض بصره بعد رفع رأسه، وقيل هو المقنع وهو الذي يجذب ذقنه حتى يصير في صدره ثم يرفع. والقمح من هذا وهو رفع الشيء إلى الفم، والبعير القامح الذي إذا أوردته الماء في الشتاء رفع رأسه وشال به نصبا لشدة البرد، قال الشاعر:

ونحن على جانبها قعود \* نغض الطرف كالإبل القماح (٢)

وقيل: قد رفعوا رؤسهم وشخصوا بأبصارهم - ذكره مجاهد - ثم قال \* (وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا) \* ومعناه سدا عن الحق - في قول مجاهد وقتادة - أي على جهة الذم لهم، وصفهم بذلك لا أنهم منعوا منه وكذلك ذكر الاغلال كما قال الأفوه الأزدي:

(١) مر في ٢ / ١١٣ و ٥ / ٥٢٩ و ٦ / ٣٩١

(٢) اللسان (قح)

كيف الرشاد إذا ما كنت في نفر \* لهم عن الرشاد اغلال واقيا  
وفي تأويل الآيات قولان:

أحدهما - انه جعل جهلهم وذهابهم عن معرفة الحق غلا وسدا إذ كان المغلول الممنوع من التصرف امامه ووراءه ذاهب عما قد منع منه وحيل بينه وبين الدليل عليه إن الله تعالى لم يجعل الكافر مغلولاً في الحقيقة ولا مسدوداً بين يديه ومن خلفه ولا في عينه غشاوة، كقوله تعالى \* (وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبراً كأن لم يسمعها كأن في اذنيه وقراً) \* (١) شبهه بمن في اذنيه وقر، فعلمنا بهذا التشبيه أنه إنما يريد بوصف الكفار بالوقر والكن والغل والسد التشبيه الذي عناه - ههنا - ولو كان في إذن الكافر وقر على الحقيقة لم يحز تشبيهه بمن في اذنيه وقر، وهو كقولهم للجاهل: حمار وثور، وإنما يريدون المبالغة في وصفه بالجهل، ومعنى (جعلنا) يحتمل وجهين أحدهما - انه كما شبههم بمن جعله مغلولاً مقيداً أجرى عليه صفة الجعل بأنه مشبه للمجعول مغلولاً مقيداً. والثاني - انه أراد البيان عن الحالة التي شبه بها المغلول المقيد، كما يقول القائل: جعلني فلان حماراً وجعلني ميتاً إذا وصفه بالحمارية والموت وشبهه بالحمار والميت وهذا واضح.

والوجه الثاني - في تأويل الآيات انه أراد وصف حالهم في الآخرة، لأنه تعالى يوثقهم في الاغلال والسلاسل، ما قال تعالى \* (خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه) \* (٢) وقال \* (إذ الاغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون) \* (٣) وقال في السد الذي جعله لهم: فلا يبصرون كما قال \* (يوم

(١) سورة ٣١ لقمان آية ٧

(٢) سورة ٦٩ الحاقة آية ٣٠ - ٣١

(٣) سورة ٤٠ المؤمن آية ٧١ - ٧٢

يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل: ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهرة من قبله العذاب) \* (١) وقال \* (ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصماما مأواهم جهنم) \* (٢) فلما كانت هذه حال الكفار في الآخرة، وصف حالهم في الدنيا.

وقوله \* (فهم مقمحون) \* فقد فسرناه في آية أخرى وهي قوله \* (مهطعين مقنعي رؤسهم) \* (٣) والاقناع هو رفع الرأس واشخاصه فقد صح بما بيناه كلا الوجهين في الآية وزالت الشبهة بحمد الله. وقال السدي: إن ناسا من قريش ائتمروا على قتل النبي صلى الله عليه وآله فلما جاءوه جعلت أيديهم إلى أعناقهم فلم يستطيعوا ان يسطوا إليه يدا. وقال قوم: حال الله بينهم وبين ما أرادوا فعبّر عن ذلك بأنه غلت أيديهم. وقال البلخي: يجوز أن يكون المراد \* (جعلنا في أعناقهم اغلالا) \* من الآيات والبيّنات \* (وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا) \* منها \* (فأغشيناهم) \* بها \* (فهم) \* مع ذلك \* (لا يبصرون) \* بدليل قوله \* (أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض) \* (٤) وقرأ ابن مسعود وابن عباس \* (انا جعلنا في ايمانهم اغلالا) \* لان الغل لا يكون في العنق دون اليد، ولا في اليد دون العنق، والمعنى إنا جعلنا في أعناقهم وفي أيمانهم اغلالا وقوله \* (فهى) \* كناية عن الأيدي لا عن الأعناق، لان الغل يجعل اليد تلي الذقن، والعنق والعنق هو مقارب الذقن، لان الغ يجعل العنق إلى الذقن.

(١) سورة ٥٧ الحديد آية ١٣

(٢) سورة ١٧ الاسرى آية ٩٧

(٣) سورة ١٤ إبراهيم آية ٤٣

(٤) سورة ٣٤ سبأ آية ٩

وقرأ الحسن \* (فأغشيناهم) \* بالعين المهملة، وهو ما يلحق من ضعف البصر وقيل: الآية نزلت في أبي جهل، لأنه هم بقتل النبي صلى الله عليه وآله فكان إذا خرج بالليل لا يراه، ويحول الله بينه وبينه. وقيل: السد فعل الانسان، والسد بالضم خلقه تعالى \* (فأغشيناهم فهم لا يبصرون) \* أي حكمنا عليهم بأنهم كمن غشي بصره فهم لا يبصرون لذلك. وقيل: أغشيناهم بظلمة الكفر فهم لا يبصرون الهدى. وقيل: بظلمة الليل فهم لا يبصرون النبي صلى الله عليه وآله. ثم قال \* (سواء عليهم أأنذرتهم) \* يا محمد وخوفتهم \* (أم لم تنذرهم) \* وتخوفهم بالعقاب \* (فهم لا يؤمنون) \* للعناد وترك الالتفات والفكر في ما يخوفهم منه، فاستوى علمه تعالى في تركهم الايمان وعدو لهم عنه إلى الكفر بسوء اختيارهم. قوله تعالى:

\* (إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة وأجر كريم (١١) إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبين (١٢) واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون (١٣) إذا أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون (١٤) قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون) \* (١٥) خمس آيات.

قرأ أبو بكر عن عاصم \* (فعززنا) \* مخففا بمعنى فقهرنا من قولهم: من عزيز  
الباقون بالتشديد يعني قويننا الاثنين بثالث معينا، لما قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله  
إن هؤلاء الكفار لا يؤمنون أبدا وأخبره بأنه سواء عليهم الانذار وترك الانذار  
بين ههنا حال من ينتفع بالانذار فقال \* (إنما تنذر من اتبع الذكر) \* ومعناه  
إنما ينتفع بالانذار وتخويفك من اتبع الذكر، لأن نفس الانذار قد حصل للجميع  
وأضافه - ههنا - إلى من اتبع الذكر لما كانوا المنتفعين به، كما قال \* (هدى  
للمتقين) \*. والذكر المذكور - ههنا - القرآن - في قول قتادة - \* (وخشي الرحمن  
بالغيب) \* قيل في معناه قولان:

أحدهما - وخشي الرحمن وخاف ارتكاب معاصيه في غيبه عن الناس.  
والثاني - وخشي الرحمن في ما غاب عنه من الآخرة وأمرها.

ثم قال لنبيه من هذه صفته \* (فبشره بمغفرة) \* من الله لذنوبه \* (واجر) \* أي  
ثواب \* (كريم) \* وهو ما يفعله الله على وجه الاجلال والاكرام. وقيل: الاجر  
الكريم الجنة.

ثم اخبر تعالى عن نفسه فقال \* (إنا نحن نحي الموتى) \* بعد أن أفيناهم  
\* (ونكتب ما قدموا) \* من طاعاتهم ومعاصيهم في دار الدنيا، وهو قول مجاهد  
وقتادة \* (وآثارهم) \* قال مجاهد: يعني خطاهم إلى المساجد، لأن نبي سلمة من  
الأنصار شكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله بعد منازلهم من المسجد والصلاة مع  
رسول

الله، فنزلت فيهم الآية وقيل: معناه وآثارهم التي تبقى بعدهم ويقتدى  
بهم فيها.

ثم قال \* (وكل شيء أحصيناه في إمام مبين) \* ومعناه أحصيناه في كتاب  
ظاهر، وهو اللوح المحفوظ. والوجه في احصاء ذلك في إمام مبين اعتبار



الملائكة به إذا قابلوا به ما يحدث من الأمور، وكان فيه دليل على معلومات الله على التفصيل.

ثم قال لنبيه صلى الله عليه وآله \* (واضرب لهم مثلاً) \* معناه اذكر لهم مثلاً. وقيل: معناه مثل لهم مثلاً، من قولهم: هؤلاء اضرب أي أمثال. وقوله \* (أصحاب القرية) \* قال عكرمة والفراء: هي أنطاكية \* (إذ جاءها المرسلون) \* أي حيث بعث الله إليهم بالرسول \* (إذ أرسلنا إليهم اثنين) \* يعني رسولين. وقال قوم: كانا رسولي عيسى من حواريه. وقال آخرون: كانا رسولين من رسل الله وهو الظاهر \* (فكذبوهما) \* أي جحدوا نبوتهما \* (فعززنا بثالث) \* أي فعززهما الله بثالث فيمن قرأ بالتشديد وشد ظهرهما به - في قول مجاهد وابن زيد - ومن خفف أراد فغلب الله بثالث أرسله إليهم \* (فقالوا) \* لهم يا أهل القرية \* (إنا إليكم مرسلون) \* أرسلنا الله إليكم \* (قالوا) \* لهم \* (ما أنتم إلا بشر مثلنا) \* أي ليس أنتم إلا بشر أمثالنا، فدخلت عليهم الشبهة فاعتقدوا أنه من حيث إنهم أمثالهم في البشرية لا يصلح أن يكونوا رسلاً كما لا يصلحون هم لذلك \* (وما انزل الرحمن من شيء) \* مما تذكرونه وتدعوننا إليه \* (ان أنتم إلا تكذبون) \* أي ليس أنتم إلا كاذبون على الله ومتخرون عليه في ادعائكم الرسالة، وذهب عنهم معنى \* (اخترناهم على علم على العالمين) \* (١) وأنه تعالى علم من حال هؤلاء صلاحهم للرسالة وتحملهم لأعبائها ولم يعلم ذلك من حالهم بل على خلاف ذلك.

---

(١) سورة ٤٤ الدخان آية ٣٢

قوله تعالى:

\* (قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون (١٦) وما علينا إلا البلاغ المبين (١٧) قالوا إنا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لئرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم (١٨) قالوا طائركم معكم أئن ذكرتم بل أنتم قوم مسرفون (١٩) وجاء من أقصا المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين) \* (٢٠) خمس آيات لما حكى الله تعالى عن أهل القرية انهم قالوا للرسول \* (إن أنتم إلا تكذبون) \* في ادعائكم الرسالة على الله حكى ما أجابهم به الرسول فإنهم \* (قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون) \* ووجه الاحتجاج بذلك انه يلزمهم بقولهم الحذر من مخالفتهم والنظر في معجزاتهم ليعلموا انهم صادقون على الله، ففي ذلك تحذير شديد. ثم قال الرسول لهم أيضا \* (وما علينا إلا البلاغ المبين) \* أي ليس يلزمنا أكثر من البلاغ المبين، والمعنى انه لو جاءكم رسول غيرنا هل كان عليه إلا البلاغ؟ على حد ما بلغنا. والبلاغ مجيء الشيء إلى حد يقف عنده، بلغ الشيء يبلغ بلوغا وبلاغاً، فهو بالغ. ومنه البلاغة، ومثل البلاغ الافهام والايصال. والمبين صفة للبلاغ، وهو الظاهر الذي لا شبهة فيه، فقالوا لهم في الجواب عن ذلك حين عجزوا عن إيراد شبهتهم، وعدلوا عن النظر في معجزهم \* (انا تطيرنا بكم) \* أي تشاءمنا بكم، والتطير التشاؤم. ثم هددوهم فقالوا \* (لئن لم تنتهوا) \* عن

ما تدعونه من النبوة والرسالة \* (لنرجمنكم) \* بالحجارة - في قول قتادة - وقال مجاهد: معناه لنشتمنكم: فالرجم الرمي بالحجارة، يقال: رجم يرحم رجما، ورجم بالغيب ترجيما \* (وليمسنكم منا عذاب اليم) \* عند ذلك، فقال لهم الرسل \* (طائر كم معكم) \* أي الشؤم كله معكم بإقامتكم على الكفر بالله. وقال الفراء: معنى \* (طائر كم معكم) \* أي اعمالكم في رقابكم تجاوزون عليها. وقال المبرد: معنى (طائر كم) حظكم ونصيبكم من الخير والشر. وهو قول أبي عبيدة. والطيبة الشؤم. ومنه قوله صلى الله عليه وآله \* (لا عدوى ولا هامه ولا صقر ولا غلول) \* وفلان لا يطير غرابه، وهو ساكن الطائر، إذا كان ساكنا وقورا، وفلان لا يطور بنا أي لا يقربنا، وما في الدار طوري ولا طوراني أي لا أحد. وعدا فلان طوره إذا جاوز قدره.

وقوله \* (ائن ذكرتم) \* قرأه ابن كثير ونافع وأبو عمرو والمفضل عن عاصم - بهمزة بعدها ياء - وهي همزة بين بين. والباقون بهمزتين مخففتين: إحداهما همزة الاستفهام، والأخرى - همزة (إن) وجواب (ائن ذكرتم) محذوف وتقديره أئن ذكرتم هذا القول. وقال قوم: معناه أئن ذكرتم طائر كم معكم وقال قوم: جعله جزاء قدم خبره عليه لما كان غير مجزوم اللفظ. وقيل: أئن ذكرتم تطيركم قلت ما قلت، \* (بل أنتم قوم مسرفون) \* على نفوسكم، لأنكم تجاوزتم حد العصيان حين كفرتم بالله وبوحدانيته. وقيل: كان اسم صاحب (يس) الذي قتله قومه حبيب بن مري.

حكى الله تعالى انه \* (جاء من أقصى المدينة رجل يسعى) \* أي رجل من أبعد المدينة جاء يعدوا ويشدد \* (فقال يا قوم اتبعوا المرسلين) \* الذين أرسلهم الله إليكم واقروا بنبوتهم وبرسالتهم. وقرأ أبو جعفر (أئن) بفتح الهمزة الثانية.

وبه قال زوين بن حبيش. ومعناه لان ذكرتم. الباكون بكسرهما. وقرأ أبو جعفر (ذكرتم) بالتخفيف. الباكون بتشديدها. قوله تعالى:

\* (اتبعوا من لا يسئلكم أجرا وهم مهتدون (٢١) ومالي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون (٢٢) أتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون (٢٣) إني إذا لفي ضلال مبين (٢٤) إني آمنت بربكم فاسمعون (٢٥) قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون (٢٦) بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين (٢٧) وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين (٢٨) إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم خامدون (٢٩) يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزؤن) \* (٣٠) عشر آيات. قرأ أبو جعفر \* (ان كانت إلا صيحة) \* بالرفع في الموضعين جعلها اسم (كان). الباكون بالنصب على أنها خبر كان. لما حكى الله تعالى ما قال لهؤلاء الكفار الرجل الذي جاءهم من أقصى المدينة وأمرهم بأن يتبعوا الرسل قال لهم أيضا \* (اتبعوا) \* معاشر الكفار \* (من)

لا يسألكم أجرا) \* أي لا يطلب الاجر والجزاء والمكافأة على ما يدعوكم إليه ويحثكم عليه، وإنما يدعوكم نصيحة لكم \* (وهم) \* مع ذلك \* (مهتدون) \* إلى طريق الحق سالكون سبيله. ثم قال لهم الذي وعظهم وحثهم على طاعة الله واتباع رسله \* (ومالي لا أعبد الذي فطرني) \* ومعناه ولم لا أ عبد الله واتبع رسله، ومالي لا أعبد الذي فطرني، ومعناه ولم لا أ عبد الله الذي خلقني وابتداني وهداني \* (واليه ترجعون) \* أي الذي تردون إليه يوم القيامة حيث لا يملك الأمر والنهي غيره. ثم قال لهم منكرا على قومه عبادتهم غير الله \* (أأخذ) \* أنا على قولكم \* (من دون الله) \* الذي فطرني وأنعم علي \* (آلهة) \* اعبدوهم؟! فهذه همزة الاستفهام والمراد بها الانكار، لأنه لا جواب لها على أصلهم إلا ما هو منكر في العقول ثم قال \* (إن يردني الرحمن بضر) \* معناه ان أراد الله إهلاكى والاضرار بي لا ينفعني شفاعة هذه الآلهة شيئا، ولا يقدررون على انقاذي من ذلك الضرر. ولا يغنون عني شيئا في هذا الباب. وإذا كانوا بهذه الصفة كيف يستحقون العبادّة؟!

ثم قال \* (إني إذا لفي ضلال مبين) \* أي إذا لو فعلت ما تفعلونه وتدعون إليه من عبادة غير الله أكن في عدول عن الحق. والوجه في هذا الاحتجاج أن العبادة لا يستحقها إلا من أنعم بأصول النعم ويفعل من التفضل مالا يوازيه نعم منعم، فإذا كانت هذه الأصنام لا يصح فيها ذلك كيف تستحق العبادة؟! ثم قال مخبرا عن نفسه مخاطبا لقومه \* (إني آمنت) \* أي صدقت \* (بربكم) \* الذي خلقكم وأخرجكم من العدم إلى الوجود \* (فاسمعون) \* مني هذا القول. وقيل: انه خاطب الرسل بهذا القول ليشهدوا له بذلك عند الله. وقال ابن مسعود: إن قومه لما سمعوا منه هذا القول وطؤه بأرجلهم حتى مات. وقال

قتادة: رجموه حتى قتلوه. وقال الحسن: لما أراد القوم أن يقتلوه رفعه الله إليه فهو في الجنة، ولا يموت إلا بفناء السماء وهلاك الجنة. قال مجاهد: مثل ذلك. وقالوا الجنة التي دخلها يجوز هلاكها. وقال قوم: إنهم قتلوه إلا أن الله أحياه وادخله الجنة وقال الحسن \* (من بعده) \* يعني من بعد رفعه. وقال غيره: من بعد قتله.

ثم حكى الله تعالى ما يقول الملائكة لهذا الداعي من البشارة له بعد موته فإنهم يقولون له \* (ادخل الجنة) \* مثابا مستحقا للثواب الجزيل على إيمانك بالله فيقول حينئذ \* (يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي) \* من الذنوب \* (وجعلني من المكرمين) \* عنده. فهذا المؤمن تمنى أن يعلم قومه بما أعطاه الله تعالى فيرغبوا فيه ويؤمنوا به لينالوا مثله. والاكرام هو اعطاء المنزلة الرفيعة على وجه التعظيم والتبجيل. وقد فاز من أكرمه الله بالرضوان، كما قال تعالى \* (ورضوان من الله أكبر) \* () لأنه سبب يؤدي إلى الجنة.

ثم حكى ما قال وانزل بهؤلاء الكفار من العذاب والاستئصال، فقال \* (وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء) \* أي كان إهلاكهم عن آخرهم بأيسر أمر: صيحة واحدة حتى صاروا خامدين ذكره ابن مسعود ومعنى "خامدين" هالكين بتلف أنفسهم، والمعنى إنا لم نستعن على إهلاكهم بانزال الجند من السماء "وما كنا منزلين" لهم ليهلكوهم، وما كان إهلاكهم "إلا صيحة واحدة" عظيمة فحين سمعوها هلكوا من عظمها، وماتوا من فزعها.

وقوله "يا حسرة على العباد" قيل: هو قول الذي جاء من أقصى المدينة

---

(١) سورة ٩ التوبة آية ٧٣

- ذكره البلخي - وقال غيره: معناه يحتمل شيئين:  
أحدهما - يا حسرة من العباد على أنفسهم - ذكره قتادة ومجاهد - .  
الثاني - انهم قد حلوا محل من يتحسر عليه. وقال ابن عباس: معناه يا ويل  
للعباد " ما يأتيهم من رسول " أي ليس يأتيهم من رسول من عند الله " إلا  
كانوا به يستهزؤون " أي يسخرون منه ويهزؤون به، والذي حكى الله تعالى عنه  
مخاطبا قومه هو ما قدمنا ذكره: حبيب بن مري - في أقوال المفسرين.  
قوله تعالى:

\* (ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم إليهم  
لا يرجعون (٣١) وإن كل لما جميع لدينا محضرون (٣٢)  
وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه  
يأكلون (٣٣) وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا  
فيها من العيون (٣٤) ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا  
يشكرون) \* (٣٥) خمس آيات بلا خلاف.  
قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة " لما " بتشديد الميم، الباقون بتخفيفها.  
وقرأ أهل المدينة " الميتة " بالتشديد، لأنه يقال: لما كان حيا ومات ميت  
بالتشديد، ولما لم يكن حيا بالتخفيف - ذكره الفراء - وقرأ أهل الكوفة إلا  
حفصا " وما عملت " بغير هاء. الباقون بالهاء. من قرأ (لما) بالتخفيف فإنه  
يكون (ما) في قوله (لما) صلة مؤكدة، وتكون (ان) هي المخففة من الثقيلة

وتقديره، وإن كل لجميع لدينا محضرون، ومن قرأ بالتشديد يحتمل شيئين:  
أحدهما - أن يكون بمعنى (إلا) وتقديره وإن كل إلا لجميع لدينا محضرون  
وتكون (إن) بمعنى الجحد، وكأنه جحد دخل على جحد، فخرج إلى معنى  
الاثبات. ومثله في الاستعمال سألتك لما فعلت، بمعنى الا فعلت.

والوجه الثاني - أن يكون معنى (لما) بمعنى (لمن ما) فحذفت إحدى  
الميمات، لأجل التضعيف كما قال الشاعر:

غداة طفت علماء بكر بن وائل \* وعجنا صدور الخيل نحو تميم  
أراد على الماء، فحذف لالتقاء المضاعف، وأما (ما) في قوله " وما عملت  
أيديهم " يحتمل ثلاثة أوجه:

أحدها - أن يكون بمعنى الجحد. وتقديره ليأكلوا من ثمره، ولم تعمله  
أيديهم، ويقوى ذلك قوله " أفرايتم ما تحرثون أنتم تزرعونه أم نحن  
الزارعون " (١).

والثاني - أن يكون بمعنى الذي.

والثالث - أن يكون مع ما بعده بمعنى المصدر، فعلى هذا يكون في موضع  
جر، وتقديره ليأكلوا من ثمره ومن الذي عملته أو من عمل أيديهم من أنواع  
الطعوم الذي أنبتوه، والذي غرسوه، ومن الذي يطحنونه ويخبزونه، فمن  
أثبت الهاء أو حذفها تبع المصاحف، لان المصاحف مختلفة. والهاء عائدة على  
(ما) و (عملت) صلتها. ومن حذف اختصر، لأنها للمفعول به، وكل  
مفعول يجوز حذفه، كقوله " ما ودعك ربك وما قلى " (٢) يريد وما قلاك

(١) سورة ٥٦ الواقعة آية ٦٣ - ٦٤

(٢) سورة ٩٣ الضحى آية ٣



ومثله " منهم من كلم الله " (١) يريد كلمه الله، وكقوله " أهذا الذي بعث الله رسولا " (٢) يريد بعثه الله.

يقول الله تعالى منبها للكفار على وجه الاستدلال على وحدانيته بأن يقول " ألم يروا " ومعناه ألم يعلم هؤلاء الكفار " كم أهلكنا قبلهم من القرون " فمعنى (كم) ههنا للتكثير، ويفسرهما (من القرون) وتقديره ألم يروا كم قرنا أهلكنا قبلهم من القرون، وموضع (كم) نصب ب (يروا) - في قول الكوفيين، وعند البصريين ب (أهلكنا) على تقدير القرون أهلكنا أو أكثر " انهم إليهم لا يرجعون " ونصب (انهم) لأنه مفعول (ألم يروا) وكسره الحسن على وجه الاستئناف، ووجه الاحتجاج بذلك هو انه قيل لهم: انظروا لم لا يرجعون فإنكم تجدون ذلك في قبضة مالكم يردهم في الآخرة إذا شاء ردهم، لأنه لا يخلو اهلاكم اما بالاتفاق من غير إضافة أو بالطبيعة أو بحى قادر، ولو كان بالاتفاق أو بالطبيعة لم يمتنع ان يرجعوا إلى الدنيا، فإذا بطل ذلك، ثبت أن إهلاكهم بحى قادر إذا شاء ردهم وإذا شاء لم يردهم. ووجه التذكر بكثرة المهلكين أي انكم ستصيرون إلى مثل حالهم، فانظروا لأنفسكم واحذروا أن يأتىكم الا هلاك، وأنتم في غفلة عما يراد بكم.

والقرون جمع (قرن) وأهل كل عصر يسمى قرنا، لاقترانهم في الوجود والقرن - بكسر القاف - هو المقاوم في الحرب، ومنه قرن الشاة لمقارنته القرن الآخر، وكذلك كل ذي قرنين. وقال قتادة " انهم إليهم لا يرجعون " عاد وشمود، وقرون بين ذلك كثيرة. ثم قال وهؤلاء الذين لا يرجعون كلهم " لدينا محضرون " يوم القيامة يحضرهم الله ويبعثهم ليجازيهم على اعمالهم.

---

(١) سورة ٢ البقرة آية ٢٥٣

(٢) سورة ٢٥ الفرقان آية ٤١

وقوله \* (وآية لهم) \* على ذلك أي دلالة وحجة قاطعة \* (الأرض) \* يعني  
هي الأرض \* (الميتة) \* القحطة المجذبة وهي التي لا تنبت \* (أحييناها) \* بالنبات  
\* (وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون) \* من أنواع ما يأكلون \* (وجعلنا فيها) \* أي  
وخلقنا في الأرض \* (جنات) \* يعني بساتين \* (من نخيل) \* جمع نخل \* (وأعناب) \*  
جمع عنب \* (وفجرنا فيها) \* في تلك الجنات \* (من العيون) \* وهي عيون الماء  
تنبع فيها وتجري ثم بين انه إنما خلق ذلك \* (ليأكلوا من ثمره) \* أي غرضنا نفعهم  
بذلك وانتفاعهم بأكل ثمار تلك الجنات \* (وما عملته أيديهم) \* أي ولم تعمل  
تلك الثمار أيديهم إذا (ما) كانت بمعنى النفي، وإذا كانت معناها معنى الذي يكون  
تقديره، والذي عملته أيديهم من أنواع الأشياء المتخذة من النخل والعنب  
وكثرة منافعه. وقوله \* (من ثمره) \* رد الكناية إلى أحدهما كما قال \* (والذين  
يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله) \* (١) كما قال الشاعر:  
نحن بما عندنا وأنت بما \* عندك راض والرأي مختلف (٢)  
وقوله \* (أفلا تشكرون) \* معناه هلا تشكرونه على هذه النعم التي عددتها.  
قوله تعالى:

\* (سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض  
ومن أنفسهم ومما لا يعلمون (٣٦) وآية لهم الليل نسلخ منه  
النهار فإذا هم مظلّمون (٣٧) والشمس تجري لمستقر لها ذلك

(١) سورة ٩ التوبة آية ٣٥

(٢) مرفي ١ / ١١٧، ٢٢٠، ٢٦٣ و ٥ / ٢٤٦، ٢٨٩

تقدير العزيز العليم (٣٨) والقمر قدرناه منازل حتى عاد  
كالعرجون القديم (٣٩) لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا  
الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون) \* (٤٠) خمس آيات بلا خلاف.  
قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وروح " والقمر قدرناه " رفعا على الاستئناف  
لان الفعل مشغول بالضمير العائد إلى القمر. وقال أبو علي: الأجود أن يكون  
رفعا على تقدير وآية لهم القمر قدرناه، لأنه أشبه بالجمل قبلها. ومن رفعه بالابتداء  
جعل (لهم) صفة للنكرة والخبر مضمرة، وتقديره " وآية لهم " في المشاهدة أو  
الوجود، ويكون قوله " الليل نسلخ منه النهار " تفسير للآية. الباكون  
بالنصب بتقدير فعل مضمرة، ما بعده تفسيره، وتقديره: وقدرنا القمر قدرناه.  
يقول الله تعالى منزلها نفسه ومعظما لها ودالا بأنه هو الذي يستحق الحمد  
بما نبه بقوله " سبحان الذي " أي تنزيها للذي " خلق الأزواج كلها " أي  
تعظيما وتبجيلا له بجميع ما خلق من الأزواج، وهي الأشكال، والحيوان على  
مشاكلة الذكر للأنثى، وكذلك النخل والحبوب اشكال، والتين والكرم ونحوه  
اشكال، فلذلك قال " مما تنبت الأرض " يعني من سائر النبات " ومن  
أنفسهم " من الذكر والأنثى " ومما لا يعلمون " مما لم يشاهدوه ولم يصل  
خبره إليهم.

ثم قال " وآية لهم " يعني دلالة وحجة على صحة ذلك " الليل نسلخ منه  
النار " أي نخرج منه النهار " فإذا هم مظلّمون " أي داخلون في الظلمة لا ضياء

لهم فيه بالشمس، فالسلخ إخراج الشيء من لباسه، ومنه إخراج الحيوان من جلده، يقال سلخ يسلمخ سلخا فهو سالخ، ومنه قوله \* (فانسلخ منها) \* (١) أي فخرج منها خروج الشيء مما لا بسه، ثم قال \* (والشمس تجري لمستقر لها) \* آية أخرى. وقيل في معنى المستقر ثلاثة أقوال:

أحدها - لانتهاؤ أمرها عند انقضاء الدنيا.

الثاني - قال قتادة: لوقت واحد لها لا تعدوه ولا تختلف.

الثالث - إلى ابعاد منازلها في الغروب. وقال المبرد معنى \* (لمستقر لها) \* أي إلى. ومن قال الشمس لا تستقر بل تتحرك أبدا قال معنى \* (لمستقر لها) \* أنها كلما انتهت إلى منقلب الصيف عادت في الرجوع وإذا بلغت منقلب الشتاء عادت إلى الصعود. ثم قال \* (ذلك تقدير العزيز العليم) \* أي من قدر الشمس على ذلك إلا القادر الذي لا يضام، العالم بما يفعله؟، ثم قال \* (والقمر قدرناه) \* فمن رفع عطف على قوله \* (والشمس تجري) \* ومن نصب قدر له فعلا يفسره وقوله \* (قدرناه منازل) \* كل يوم ينزل منزلا غير المنزل الأول لا يختلف حاله إلى أن يقطع الفلك \* (حتى عاد كالعرجون القديم) \* فالعرجون العذق الذي فيه الشماريخ، فإذا تقادم عهده ييس وتقوس، فشبه به. وقال الفراء: العرجون ما بين الشماريخ إلى المنابت في النخلة من العذق، والقديم الذي اشرف على حول. وقوله \* (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر) \* حتى يكون نقصان ضوءها كنقصان القمر، وقال أبو صالح: معناه لا يدرك أحدهما ضوء الآخر، وقيل معناه: \* (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر) \* في سرعة سيره \* (ولا الليل سابق النهار) \* أي ولا يسبق الليل النهار. وقيل: إن أحدهما لا يذهب إلى معنى

---

(١) سورة ٧ الأعراف آية ١٧٤

الآخر وكل له مقادير قدرها الله عليه. ثم قال \* (وكل في فلك يسبحون) \* يعني الشمس والقمر والكواكب يسبحون في الفلك. وإنما جمعها بالواو والنون لها أضاف إليها أفعال الآدميين. وقيل: الفلك مواضع النجوم من الهواء الذي يجري فيه. ومعنى يسبحون يسرون فيه بانبساط، وكل ما انبسط في شيء فقد سبح فيه، ومنه السباحة في الماء. قوله تعالى:

\* (وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون (٤١) وخلقنا لهم من مثله ما يركبون (٤٢) وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون (٤٣) إلا رحمة منا ومتاعا إلى حين (٤٤) وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون (٤٥) خمس آيات بلا خلاف. قرأ أهل المدينة وابن عامر ويعقوب \* (ذرياتهم) \* على الجمع. الباقر \* (ذريتهم) \* على التوحيد.

يقول الله تعالى ممتنا على خلقه بضروب نعمه، ودالا لهم على وحدانيته بأن حمل ذريتهم في الفلك المشحون. وقيل: معنى \* (حملنا ذريتهم) \* أي قويناهم وهديناهم، كما يقول القائل: حملني فلان إذا أعطاه ما يحمل عليه أو هداه إلى ما يحمل عليه. ومن جمع (ذرياتهم) فلان كل واحد له ذرية. ومن وحد فلانه لفظ جنس يدل على القليل والكثير، فالحمل منع الشيء أن يذهب إلي

جهة السفلى، يقال: حملة حملا، فهو حامل والشئ محمول. و (الذرية) فعلية من الذر. وقيل: هو مشتق من (الذرء) الذي هو الخلق. وقد بيناه في ما مضى (١) والفلك السفن، لأنها تدور في الماء، ومنه الفلكة لأنها تدور بالمغزل والفلك لأنه يدور بالنجوم، وفلك ثدي المرأة إذا استدار و (المشحون) المملوء يقال: شحنت الثغر بالرجال أشحنه شحنا إذا ملأته، ومنه الشحنة، لأنه يملأ بهم البلد، وإنما خص الذرية - وهم الصبيان والنساء - باللفظ، لأنهم لا قوة لهم على السفر كما يقوى الرجال، فسخر الله لهم السفن بما جعلها على الماء وعدل الريح ليتمكن الحمل في البحر، وجعل الإبل في البر. وقال قتادة والضحاك: المعني بقوله " حملنا ذريتهم في الفلك المشحون " سفينة نوح. و " خلقنا لهم من مثله ما يركبون " قال ابن عباس، وهو قول مجاهد: ان المراد به الإبل وهي سفن البر.

وقوله " وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم " معناه إنا لو شئنا إذا حملناهم في السفن أن نغرقهم فعلنا " فلا صريخ لهم " أي لا مغيث لهم ولا صارخ بالاستغاثة قال الشاعر:

كنا إذا ما اتانا صارخ فزع \* كان الصراخ له قرع الطنابيب  
أي لا شئ اعانته إلا الجد في نصرته، والطنبوب عظم الساق. وقيل:  
معنى الصريخ المعين عند الصراخ بالاستغاثة، وكأنه قال: لا معين لهم يعينهم عند ذلك " ولا هم ينقذون " أي ولا يخلصون أيضا من الغرق إذا أردناه. وقوله " إلا رحمة منا " معناه إلا أن نرحمهم رحمة منا ونمتعهم " متاعا " ويحتمل إلا لرحمة منا، فيكون مفعولا له، و " إلى حين " أي إلى وقت ما قدرناه

(١) انظر ٢ / ٤٤١ و ٣ / ١٢٤ و ٤ / ٣٠٣ و ٥ / ٣٢، ٤٨

لاهلاكهم وتقضي آجالهم، ونخلصهم في الحال من أهوال البحر.  
وقوله " وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم " قال قتادة: معناه ما بين  
أيديكم من عذاب الله لمن خلا قبلكم اتقوا مثله باجتناب معاصيه " وما خلفكم "  
من أمر الساعة " لعلكم ترحمون " لكي ترحموا عند ذلك وحذف الجواب،  
كأنه إذا قيل: لهم هذا اعرضوا. وقال مجاهد: معنى " ما بين أيديكم " هو  
ما يأتي من الذنوب اجتنبوه في المستقبل " وما خلفكم " يعني ما مضى من ذنوبكم  
تلافوه بالتوبة لترحموا.  
قوله تعالى:

\* (وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها  
معرضين (٤٦) وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين  
كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه إن أنتم إلا في  
ضلال مبين (٤٧) ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين (٤٨)  
ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون (٤٩) فلا  
يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون) \* (٥٠) خمس آيات بلا خلاف.  
قرأ ابن كثير وأبو عمرو " يخصمون " بفتح الخاء وتشديد الصاد إلا أن  
أبا عمرو يختلس حركة الخاء. وقرأ نافع - بفتح الياء وتسكين الخاء مشدد  
الصاد - يجمع بين ساكنين. وقرأ ابن عامر وعاصم والكسائي - بفتح الياء وكسر  
الخاء وتشديد الصاد - وقرأ حمزة - بفتح الياء وتسكين الخاء وتخفيف الصاد -

فمعنى هذه القراءة: وهم يخصمون عند أنفسهم في دفع النشأة الثانية والقراءتان الأوليتان بمعنى يختصمون، فأدغمت الياء في الصاد بعد أن أسكنت. فمن أسكن الخاء، فلأنها في الأصل ساكنة، ومن فتحها نقل حركة الياء إليها. ومن كسر الخاء اتبع كسرتها كسرة الصاد. وفي القراء من كسر الياء اتباعاً لكسرة الخاء، كما قالوا يهدي، وهو يجيء عن أبي بكر.

يقول: الله تعالى مخبراً عن عناد هؤلاء الكفار وشدة جهلهم بأنه \* (ما تأتيهم من آية) \* أي دلالة وحجة من حجج الله و (من) تزداد في النفي إذا أريد بها الاستغراق، كقولهم: ما جاءني من أحد ومعناه ما جاءني أحد. و (من) الثانية للتبعية، لأنه ليس كل آيات الله جاءتهم، غير أنه تعالى قال ليس تأتيهم من آية أي آية كانت \* (من آيات ربهم إلا كانوا) \* هؤلاء الكفار \* (عنها معرضين) \* أي ذاهبين عنها وتاركين لها ومعرضين عن النظر فيها، وكل من اعرض عن الداعي إلى كتاب الله وآياته التي نصبها لعباده ليعرفوه بها فقد ضل عن الهدى وخسر الدنيا والآخرة.

ثم أخبر تعالى أنه إذا قيل لهم: أيضا \* (انفقوا مما رزقكم الله) \* في طاعته واخرجوا ما أوجب الله عليكم في أموالكم - من الزكوات وغيرها وضعوها في مواضعها \* (قال الذين كفروا) \* بوحدانية الله وجحدوا ربوبيته وكذبوا بنبوة نبيه \* (أنطعم من لو يشاء الله أطعمه) \* احتجاجاً منهم في منع الحقوق، بأن يقولوا كيف نطعم من الله قادر على إطعامه؟! ولو شاء إطعامه أطعمه، فإذا لم يطعمه دل على أنه لم يشأ إطعامه فنحن إذا أحق بذلك. وذهب عليهم أن الله تعبدهم بذلك، لما فيه من المصلحة واللفظ في فعل الواجبات وترك المقبحات، فلذلك كلفهم إطعام غيرهم. و (الرزق) هو ما خلق الله لخلقه لينتفعوا به على وجه



لا يكون لاحد منعه منه فعلى هذا الوجه لا يكون الحرام رزقا، فان الله تعالى قد منع منه بالنهي وقد سمي رزقا ما يصلح للانتفاع به مجازا، فعلى هذا ليس كل ما رزقه الله العبد جعل له الانفاق منه والتصرف فيه، وعلى الأول - وهو الأصح - جعل له ذلك. ثم قال لنبه صلى الله عليه وآله قل لهم يا محمد \* (إن أنتم إلا في ضلال مبين) \* أي ليس لكم هداية وما أنتم إلا في ذهاب عن الحق وعدول عنه بين، فعلى هذا قول من قال: هو من قول الله تعالى صحيح. وقال قوم: هو من قول المشركين كأنهم لما قالوا: أنطعم من لو يشاء الله أطعمه؟ قالوا لرسله ليس أنتم إلا في ضلال مبين في ما تدعوننا إليه. ثم اخبر تعالى عن الكفار انهم \* (يقولون متى هذا الوعد) \* الذي تعدنا به من نزول العذاب بنا استهزاء بخبره صلى الله عليه وآله وخبر المؤمنين وتجريا على الله \* (إن)

كنتم صادقين) \* في ما تدعوننا إليه وتخوفونا منه. فقال الله تعالى في جوابهم \* (ما ينظرون) \* أي لا ينتظرون \* (إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون) \* في هل ينزل العذاب بهم أم لا؟ وإنما جعلهم منتظرين لما قالوا: متى هذا الوعد، لأن من يلتمس الوعد يكون منتظرا لما وعد به \* (تأخذهم) \* في حال خصامهم \* (فلا يستطيعون توصية) \* أي لا يقدر بعضهم على أن يوصي إلى بعض \* (ولا إلى أهلهم يرجعون) \* أي لا يردون إلى أهلهم فيوصون إليهم. والصيحة التي تأخذهم هي الصيحة الأولى في الدنيا عند قيام الساعة \* (تأتيهم بغتة) \* والرجل يسقي أبله وآخر يبيع سلعته على عادتهم في تصرفاتهم، فإذا أخذتهم ونزلت بهم لم يستطيعوا توصية ولم يرجعوا إلى أهلهم للمعاجلة، وروي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال (هي ثلاث نفخات: نفخة الفزع، ونفخة الصعق، ونفخة القيام لرب العالمين).

قوله تعالى:

\* (ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون (٥١)  
قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق  
المرسلون (٥٢) إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا  
محضرون (٥٣) فالיום لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون إلا ما  
كنتم تعملون (٥٤) إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون (٥٥)  
هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون (٥٦) لهم فيها  
فاكهة ولهم ما يدعون (٥٧) سلام قولاً من رب رحيم (٥٨)  
وامتازوا اليوم أيها المجرمون (٥٩) ألم أعهد إليكم يا بني آدم  
أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين) \* (٦٠) عشر آيات بلا خلاف  
قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو " في شغل " خفيفة. الباقيون بضم الغين  
مثقلة " وهما لغتان. وقرأ أبو جعفر " فكهون " بغير ألف حيث وقع، وافقه  
حفص والداحوني عن ابن ذكوان في (المطففين). وقرأ أهل الكوفة إلا عاصما  
" في ضلل " على أنه جمع ظلة مثل ظلمة وظلم وتحفة وتحف، الباقيون " في ظلال "  
مثل برمة وبرام، وقلة وقلال. وقيل: هو جمع ظل وضلال، وهو الكن، كما

قال \* (يتفيؤ ظلاله) \* (١) وقال أبو عبيدة: هو جمع الظل أظلال. يقول الله تعالى مخبرا \* (ونفخ في الصور) \* وقيل: إن الصور قرن ينفخ فيه إسرافيل فيخرج من جوفه صوت عظيم يميل العباد إليه، لأنه كالداعي لهم إلى نفسه. وقال أبو عبيدة: الصور جمع صورة مثل بسرة وبسر، ولو جعلوه مثل (ظلمة، وظلم) لقالوا: صور بفتح الواو، وهو مشتق من الميل، صاره يصوره صورا إذا أماله ومنه قوله \* (فصرهن إليك) \* (٢) أي أملهن إليك ومنه الصورة، لأنها تميل إلى مثلها بالمشاكلة. وقوله \* (فإذا هم من الأحداث) \* وهو جمع جدث، وهو القبر، فلغة أهل العالية بالثاء، ولغة أهل السافلة بالفاء يقولون: جدف إلى ربهم ينسلون أي يسرعون والنسول الاسراع في الخروج كما قال الشاعر:

عسلان الذئب أمسى قاربا \* برد الليل عليه فنسل (٣)

يقال: نسل ينسل وينسل نسولا، قال امرؤ القيس:

وإن تك قد ساءتكم مني خليقة \* فسلي ثيابي من ثيابك تنسل (٤)

وقال قتادة: الموتة بين النفختين. ثم حكى ما يقول الخلائق إذا حشروا، فإنهم \* (يقولون يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا) \* أي من حشرنا من منامنا الذي كنا فيه نياما، ثم يقولون \* (هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) \* في ما أخبرونا عن هذا المقام وعن هذا البعث. فان قيل: هذا ينافي قول المسلمين الذين يقولون: الكافر يعذب في قبره، لأنه لو كان معذبا لما كان في المنام!. قيل: يحتمل أن يكون العذاب في القبر ولا يتصل إلى يوم البعث، فتكون النومة

(١) سورة ١٦ النحل آية ٤٨

(٢) سورة ٢ البقرة آية ٢٦٠

(٣) مر في ٧ / ٢٧٩

(٤) مر في ٧ / ٢٧٩

بين الحاليين. يحتمل لو كان متصلا أن يكون ذلك عبارة عن عظم ما يشاهدونه ويحضرون فيه يوم القيامة، فكأنهم كانوا قبل ذلك في مرقد، وإن كانوا في عذاب لما كان قليلا بالإضافة إلى الحاضر. وقال قتادة: قوله \* (هذا ما وعد الرحمن) \* حكاية قول المؤمن. وقال ابن زيد والجبائي: هو قول الكفار، وهو أشبه بالظاهر، لأنه تعالى حكى عنهم أنهم يقولون: يا ويلنا، والمؤمن لا يدعو بالويل لعلمه بماله من نعيم الجنة. وقال الفراء: هو من قول الملائكة. وقال تعالى مخبرا عن سرعة بعثهم وسرعة اجتماعهم \* (إن كانت إلا صيحة واحدة) \* والمعنى ليست المدة إلا مدة صيحة واحدة \* (فإذا هم جميع لدينا محضرون) \* ثم حكى تعالى ما يقوله - عزل وجل - يومئذ للخلائق فإنه يقول لهم \* (فاليوم لا تظلم نفس شيئا) \* أي لا ينقص من له حق من حقه شيئا من ثواب أو عوض أو غير ذلك، ولا يفعل به مالا يستحقه من العقاب بل الأمور جارية على العدل \* (ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون) \* ومعناه لا يجازى الإنسان إلا على قدر عمله، إن كان عاملا بالطاعة جوزي بالثواب. وإن كان عاصيا جوزي بالعقاب على قدر عمله من غير زيادة عليه ولا نقصان، إلا أن يتفضل الله باسقاط عقابه. ثم قال تعالى \* (إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون) \* يعني يشغلهم النعيم الذي يغمرهم بسرورهم به عن غيره. وقال ابن مسعود وابن عباس: الشغل كناية عن افتضاض الأبكاء. وقيل استماع الألحان \* (فاكهون) \* قال ابن عباس: معناه فرحون. وقال مجاهد: عجبون، وقيل: ذو فاكهة، كما يقال لاحم شاحم أي ذو لحم وشحم، وعاسل ذو عسل، قال الحطيئة:

وعززتني وزعمت انك لابن في الصيف تأمر (١)  
أي ذو لبن وتمر. وقيل: فاكه وفكه مثل حاذر وحذر. والفكه الذي  
يتمرى بالشئ.

ثم اخبر عن حال أهل الجنة فقال \* (هم وأزواجهم في ظلال على  
الأرائك) \* فالأزواج جمع زوجة وهي حرة الرجل الذي يحل له وطؤها. ويقال  
للمرأة زوج أيضا بغير هاء في الموضع الذي لا يلتبس بالذكر، والظلال الستار  
عن وهج الشمس وسمومها، فأهل الجنة في مثل ذلك الحال في الطيبة من  
الظلال الذي لا حرق فيه ولا برد. وقيل: الظل الكن وجمعه ظلال. وقيل  
هو جمع ظلة وظلال، مثل قلة وقلال، ومن قرأ ظلل، فعلى وزن ظلمة  
وظلم، وقلة وقلل. والأرائك جمع أريكة وهي الوسادة، وجمعها وسائد،  
ويجمع أيضا أرك كقولهم سفينة وسفن وسفائن، وهذه جلسة الملوك العظماء من  
الناس. وقيل الأرائك الفرش، قال ذو الرمة:

خودا جفت في السير حتى كأنما \* يباشرن بالمعزاء مس الأرائك (٢)  
وقال عكرمة وقتادة: الأرائك الحجال على السرر \* (متكئون) \* فمتكئ  
مفتعل من توكأت، إلا أن الواو أبدلت تاء. ثم قال \* (لهم فيها) \* في الجنة  
\* (فاكهة، ولهم ما يدعون) \* أي ما يتمنون، وقال أبو عبيدة: يقول العرب:  
ادع على ما شئت أي تمن ما شئت، وقيل: معناه إن من ادعى شيئا فهو  
له بحكم الله تعالى، لأنه قد هذبت طباعهم، فلا يدعون إلا ما يحسن منهم.  
وقوله \* (سلام قولاً من رب رحيم) \* معناه ولهم سلام قولاً من رب رحيم

(١) مجاز القرآن ٢ / ١٦٤

(٢) مجاز القرآن ١ / ٤٠١ و ٢ / ١٦٤

يسمعه من الله تعالى ويؤذنه بدوام الامن والسلامة ودوامهما مع سبوغ النعمة والكرامة. ثم يقول للعصاة \* (امتازوا اليوم أيها المجرمون) \* ومعناه انفصلوا معاشر العصاة وامتازوا، الذين اجترموا وارتكبوا من المعاصي من جملة المؤمنين، وقال قتادة: معناه اعتزلوا معاشر العصاة عن كل خير، يقال تميز الشيء تميزا، وميزته تميزا، وأنماز انميازا.

ثم حكى ما يقول تعالى لهم فإنه يقول لهم \* (ألم أعهد إليكم يا بني آدم) \* يعني على لسان أنبيائه \* (ان لا تعبدوا الشيطان) \* فجعل عبادتهم للأوثان بأمر الشيطان عبادة له \* (إنه لكم عدو مبين) \* أي، وقلت لكم أن الشيطان لكم عدو مبين أي ظاهرة عداوته لكم.

قوله تعالى:

\* (وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم (٦١) ولقد أضل منكم جبلا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون (٦٢) هذه جهنم التي كنتم توعدون (٦٣) اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون (٦٤) اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون) \* (٦٥) خمس آيات بلا خلاف.

قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وخلف ورويس \* (جبلا) \* بضم الجيم والباء خفيفة اللام. وقرأ نافع وأبو جعفر وعاصم بكسر الجيم والباء مشددة. وقرأ أبو عمرو وابن عامر بضم الجيم ساكنة الباء خفيفة. هذه كلها لغات

والمعنى واحد. قال النوري يقال: جبلا وجبلا وجبلا. وحكى غيره التشديد.

لما حكى الله تعالى ما يقوله الكفار يوم القيامة ويواقفهم عليه من أنه عهد إليهم أن لا تعبدوا الشيطان وأنه عدوهم، حكى انه كان أمرهم أيضا بأن يعبدوا الله وأن عبادته صراط مستقيم، فوضف عبادته تعالى بأنه طريق مستقيم من حيث كان طريقا مستقيما إلى الجنة. وأنه لا تخليط فيه ولا تعريج. ثم قال \* (ولقد أضل منكم) \* يعني أضل عن الدين الشيطان منكم \* (جبلا كثيرا) \* أي خلقا كثيرا وإضلاله إياهم هو إغواؤه لهم، كما أضل السامري قوم موسى لما دعاهم إلى عبادة العجل، فكان الاضلال على هذا الوجه قبيحا، فأما إضلال الله تعالى للكفار عن طريق الجنة إلى طريق النار أو إضلالهم بمعنى الحكم عليهم بالضلال، فهو حسن. وأمر الشيطان بالضلال الذي يقع معه القبول إضلال كما يسمى الامر بالاهتداء الذي يقع عنده القبول هدى. وفي الآية دلالة على بطلان مذهب المجبرة في إرادة الله اضلالهم، لان ذلك أضر عليهم من إرادة الشيطان وأشد عليهم في إيجاد العداوة قبل أن يكفروا. و (الجبل) الجمع الذين جبلوا على خليقة، وجبلوا أي طبعوا. وأصل الجبل الطبع ومنه جبلت التراب بالماء إذا صيرته طينا يصلح أن يطبع فيه، ومنه الجبل لأنه مطبوع على الثبات \* (أفلم تكونوا تعقلون) \* أنه يغويكم ويصدكم عن دين الحق فتنتبهون عليه، فهو بصورة الاستفهام ومعناه الانكار عليهم والتبكييت لهم.

ثم يقول الله لهم \* (هذه جهنم التي كنتم توعدون) \* بها في دار التكليف حاضرة تشاهدونها \* (اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون) \* معناه الزموا العذاب

بها، وأصل الصلوة للزوم فمنه المصلي الذي يجيء في أثر السابق للزومه أثره والصلوان مكتنفا ذنب الفرس للزومها وموضعها. وقولهم: صلى على عاداتها للزومه الدعاء، وسميت الصلاة صلاة للزوم الدعاء فيها. وقوله \* (بما كنتم تكفرون) \* أي جزاء على كفركم بالله ووجدكم لوحدانيته وتكذيبكم أنبياءه. ثم أخبر تعالى بأنه يختم على أفواه الكفار يوم القيامة فلا يقدرّون على الكلام والنطق " وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون " قيل: في معنى شهادة الأيدي قولان:

أحدهما - إن الله تعالى يخلقها خلقة يمكنها أن تتكلم وتنطق وتعترف بذنوبها والثاني - أنه يجعل الله فيها كلاما ونسبه إليها لما ظهر من جهتها، وقال قوم: أنه يظهر فيها من الامارات ما تدل على أن أصحابها عصوا وجنوا بها أقبح الجنايات فسمى ذلك شهادة، كما يقال: عينك تشهد لسهرك، وقال الشاعر:

امتأ الحوض وقال قطني \* مهلا رويدا قد ملأت بطني (١)  
وغير ذلك مما قد بيناه في ما تقدم، وكل ذلك جائز، وقال آخر:  
وقالت له العينان سمعا وطاعة \* وحدثتا كالدرا لما يثقب (٢)  
قوله تعالى:

\* (ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنى  
يصرون (٦٦) ولو نشاء لمسخناهم على مكائنتهم فما استطاعوا

---

(١) مر في ١ / ٤٣١ (٢) مر في ١ / ٤٣ و ٦ / ٤٥



مضيا ولا يرجعون (٦٧) ومن نعمده ننكسه في الخلق أفلا يعقلون  
(٦٨) وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن  
مبين (٦٩) لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين (٧٠)  
خمس آيات بلا خلاف.

قرأ أبو بكر عن عاصم \* (مكاناتهم) \* على الجمع. الباقر على التوحيد،  
لأنه يدل على القليل والكثير. وقرأ عاصم وحمزة \* (ننكسه) \* بضم النون  
الأولى وفتح الثانية وتشديد الكاف. الباقر بفتح النون الأولى وتخفيف الثانية  
وتخفيف الكاف، وهما لغتان تقول: نكست ونكست مثل رددت ورددت غير أن  
التشديد للتكثير، والتخفيف يحتمل القليل والكثير، وقال أبو عمرو  
بالتشديد إن ترك الرجل من دأبه، وبالتخفيف ان يرده إلى أرذل العمر، ففرق  
بينهما. وقرأ نافع وأبوا جعفر والداخوني عن هشام والنقار ويعقوب \* (أفلا  
تعقلون) \* بالتاء. الباقر بالياء، والأول على الخطاب، والثاني على الخبر  
عن الغائب. وقرأ أهل المدينة وابن عامر " لتندر " بالتاء. الباقر بالياء.  
يقول الله تعالى مخبرا عن قدرته على إهلاك هؤلاء الكفار الذين جحدوا  
وحدانيته وعبدوا سواه وجحدوا رسله إنا \* (لو نشاء لطمسنا على أعينهم) \*  
قال ابن عباس: معناه إنا لو شئنا أعميناهم عن الهدى. وقال الحسن وقتادة:  
معناه لتركناهم عميا يترددون والطمس محو الشيء حتى يذهب أثره، فالطمس  
على العين كالطمس على الكتاب، ومثله الطمس على المال: إذهابه حتى لا يقع  
على إدراكه \* (فاستبقوا الصراط) \* ومعناه طلبوا النجاة. والسبق إليها ولا بصر

لهم \* (فانى تبصرون) وقيل: معناه فاستبقوا الطريق إلى منازلهم فلم يهتدوا إليها. وقال ابن عباس: معناه طلبوا طريق الحق وقد عموا عنها. والطمس على العين إذهاب الشق الذي بين الجفنتين، كما تطمس الريح الأثر يقال أعمى مطموس، وطمس أي عمي \* (فاستبقوا) \* معناه فابتدروا، وهذا بيان من الله أنهم في قبضته، وهو قادر على ما يريد بهم، فليحذروا تنكيله بهم. ثم قال زيادة في التحذير والارهاب \* (ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم) \* والمسح قلب الصورة إلى خلقة مشوهة كما مسخ قوما قردة وخنازير، والمسح نهاية التنكيل. وقال الحسن وقتادة: معناه لمسخناهم على مقعدهم على أرجلهم والمكانة والمكان واحد، ولو فعلنا بهم ذلك \* (فما استطاعوا مضيا) \* أي لما قدروا أن يذهبوا أصلا ولا أن يجيئوا ثم قال \* (ومن نعمه ننكسه في الخلق) \* معناه إن من طولنا عمره نصيره بعد القوة إلى الضعف وبعد زيادة الجسم إلى النقصان وبعد الجدة والطراوة إلى البلى والخلاقة. وقيل معناه: نصيره ونرده إلى حال الهرم التي تشبه حال الصبي وغروب العلم وضعف القوى ذكره قتادة. وقوله \* (أفلا تعقلون) \* يعني ما ذكرناه بأن تفكروا فيه فتعرفوا صحة ما قلناه.

ثم اخبر تعالى عن نبيه صلى الله عليه وآله فقال \* (وما علمناه الشعر وما ينبغي له) \* ومعناه ما علمناه الشعر لأننا لو علمناه ذلك لدخلت به الشبهة على قوم في ما اتى به من القرآن وأنه قدر على ذلك لما في طبعه من الفطنة للشعر. وقيل: لما لم يعط الله نبيه العلم بالشعر وإنشائه لم يكن قد علمه الشعر، لأنه الذي

يعطي فطنة ذلك من يشاء من عباده. ثم قال \* (إن هو إلا ذكر وقرآن مبين) \* يعني ليس الذي أنزلناه عليه شعرا بل ليس إلا ذكر من الله \* (وقرآن مبين لتندر به) \* يعني واضح، وفعلنا ذلك وغرضنا أن تنذر به أي تخوف به من معاصي الله \* (من كان حيا) \* قيل: معناه من كان مؤمنا، لان الكافر شبهه ومثله بالأموات في قوله \* (أموات غير أحياء) \* (١) ويقويه قوله \* (ويحق القول على الكافرين) \* ويجوز أن يكون أراد من كان حيا عاقلا دون من كل جمادا لا يعقل، ويحق القول على الكافرين إذا لم يقبلوه وخالفوا فيه. ومن قرأ بالتاء وجه الخطاب إلى النبي صلى الله عليه وآله لأنه الذي يخوف. ومن قرأ بالياء معناه إن الله الذي يخوفهم ويرهبهم بالقرآن، لأنه الذي أنشأه، ويجوز أن يكون القرآن هو الذي ينذر من حيث تضمن الانذار. قوله تعالى:

\* (أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون (٧١) وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون (٧٢) ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون (٧٣) واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون (٧٤) لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون) \* (٧٦) خمس آيات بلا خلاف. يقول الله تعالى منبها لخلقها على الاستدلال على معرفته \* (أولم يروا) \*

---

(١) سورة ١٦ النحل آية ٢١

ومعناه أو لم يعلموا \* (أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا انعاما) \* ومعناه إنا عملناه من غير أن نكله إلى غيرنا، فهو بمنزلة ما يعملها العباد بأيديهم في أنهم تولوا فعله ولم يكلوه إلى غيرهم، وتقديره أنا تولينا خلق الانعام لهم بأنفسنا. والانعام جمع النعم، وهي الإبل والبقر والغنم \* (فهم لها مالكون) \* معناه. لو لم يخلق ذلك لما صح ملكهم لها، وكذلك سائر أملاك العباد بهذه الصفة فهو المنعم على عباده بكل ما ملكوه، وبحسب ما ينتفعون به يكون حاله حال المنعم. واليد في اللغة على أربعة أقسام: أحدهما - الجارحة. والثاني - النعمة. والثالث - القوة. والرابع - بمعنى تحقيق الإضافة. تقول: له عندي يد بيضاء أي نعمة، وتلقى قولي باليدين أي بالقوة والتقبل، وقول الشاعر: دعوت لما نابني مسورا \* فلبى فلبى يدي مسور فهذا بمعنى تحقيق الإضافة. وتقول هذا ما جنت يدك، وما كسبت يدك أي ما كسبت أنت.

وقوله \* (وذللناها لهم) فتذليل الانعام تسخيرها بالانقياد ورفع النفور لان الوحشي من الحيوان نفور، والانسي مذلل بما جعله الله فيه من الانس والسكون، ورفع عنه من الاستيحاش والنفور. وقوله \* (فمنها ركوبهم ومنها يأكلون) \* قسمة الانعام، فان الله تعالى جعل منها ما يركب ومنها ما يذبح وينتفع بلحمه ويؤكل، فالركوب - بفتح الراء - صفة. يقال: دابة ركوب أي تصلح للركوب، والركوب - بضم الراء - مصدر ركبت. وقرأت عائشة \* (فمنها ركوبتهم) \* مثل الحلوبة. وقوله \* (ولهم فيها منافع ومشارب) \* فمن منافعها لبس أصوافها وشرب ألبانها واكل لحومها وركوب ظهورها إلى غير ذلك من أنواع المنافع الكثيرة فيها. ثم قال \* (أفلا تشكرون) \* الله على هذه

النعم المختلفة المتقنة.

ثم اخبر عن حال الكفار فقال \* (واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون) \* يعبدونها لكي ينصروهم. ثم قال تعالى \* (فلا يستطيعون نصرهم) \* يعني هذه الآلهة التي اتخذوها وعبدوها لا تقدر على نصرهم والدفع عنهم ما ينزل بهم من عذاب الله \* (وهم لهم جند محضرون) \* ومعناه إن هذه الآلهة معهم في النار محضرون، لأن كل حزب مع ما عبد من الأوثان في النار، كما قال \* (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم) \* إلا من استثناه بقوله \* (إن الذين سبقوا لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيها وهم في ما اشتهت أنفسهم خالدون) \* (١) فاما الأصنام فان الله تعالى يجعلها مع من عبدها في النار، فلا الجند يدفعون عنها الاحراق بالنار ولا هم يدفع عنهم العذاب. وقال قتادة: يعني وهم لهم جند محضرون أي وهم يغضبون للأوثان في الدنيا. قوله تعالى:

\* (فلا يحزنك قولهم إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون) (٧٦)  
أو لم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين (٧٧)  
وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم (٧٨) قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم (٧٩) الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا

---

(١) سورة ٢١ الأنبياء آية ٩٨ - ١٠١ - ١٠٢

(٤٧٦)

أنتم منه توقدون (٨٠) أوليس الذي خلق السماوات والأرض  
بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم (٨١) إنما  
أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون (٨٢) فسبحان الذي  
بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون) \* (٨٣) ثمان آيات بلا خلاف.  
قرأ رويس \* (يقدر) \* بالياء وجعله فعلاً مستقبلاً. وقرأ الكسائي وابن  
عباس \* (فيكون) \* نصبا عطفاً على \* (أن نقول.... فيكون) \* الباقيون بالرفع  
بتقدير، فهو يكون.

هذا خطاب من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله على وجه التسلية له عن تكذيب  
قومه إياه، فقال \* (فلا يحزنك قولهم) \* وضم الياء نافع، وحزن وأحزن  
لغتان. والحزن ألم القلب بما يرد عليه مما ينافي الطبع، ومثله الغم، وضده  
السرور والفرح والمعني في صرف الحزن عن النبي صلى الله عليه وآله في كفر قوميه هو  
أن ضرر كفرهم عائد عليهم، لأنهم يعاقبون به دون غيرهم. ثم قال \* (أنا  
نعلم ما يسرون وما يعلنون) \* أي ما يظهرونه وما يبتطنونه فنجازي كلا  
منهم على قدره لا يخفى علينا شيء منها. ثم قال منبهاً لخلقها على الاستدلال  
على صحة الإعادة والنشأة الثانية، فقال \* (أولم ير الإنسان) \* ومعناه أولم  
يعلم \* (أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين) \* ومعناه إنا نقلناه من  
النطفة إلى العلقه ومن العلقه إلى المضغة ومن المضغة إلى العظم ومن العظم  
إلى أن جعلناه خلقاً سوياً وجعلنا فيه الروح وأخرجناه من بطن أمه وربينا  
ونقلناه من حال إلى حال إلى أن كمل عقله وصار متكلماً خصيماً عليماً،

فمن قدر على جميع ذلك كيف لا يقدر على الإعادة، وهي أسهل من جميع ذلك؟! ولا يجوز أن يكون خلق الانسان ولا خالق له، ولا أن يكون واقعا بالطبيعة، لأنها في حكم الموات في أنها ليست حية قادرة، ومن كان كذلك لا يصح منه الفعل ولا أن يكون كذلك بالاتفاق لان المحدث لا بد له من محدث قادر وإذا كان محكما فلا بد من كونه عالما.

وفي الآية دلالة على صحة استعمال النظر، لان الله تعالى أقام الحجة على المشركين بقياس النشأة الثانية على النشأة الأولى، وأنه يلزم من أقر بالأولى أن يقر بالثانية.

ثم حكى تعالى عن بعض الكفار انه \* (ضرب لنا) \* أي ضرب لله \* (مثلا ونسي خلقه) \* كيف كان في الابتداء \* (فقال من يحيي العظام وهي رميم) \* فقال قتادة، ومجاهد: كان القائل أبي بن خلف. وقال سعيد بن جبيرة: هو العاص بن وابل السهمي. وقال ابن عباس: هو عبد الله بن أبي ابن سلول. وقال الحسن: جاء أمية إلى النبي صلى الله عليه وآله بعظم بال قد بلي، فقال يا محمد أترعم ان الله يبعث هذا بعدما بلي!. قال: نعم، فنزلت الآية. والرميم هو البالي، فقال الله تعالى في الرد عليه \* (قل) \* يا محمد لهذا المتعجب من الإعادة \* (يحييها الذي أنشأها أول مرة) \* لان من قدر على الاختراع لما يبقى من غير تغيير عن صفة القادر، فهو على اعادته قادر لا محالة \* (وهو بكل خلق عليم) \* أي عالم بكل جنس من أجناس الخلق. ثم وصف نفسه فقال \* (الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون) \* فبين أن من قدر على أن يجعل في الشجر الا حضر الذي هو في غاية الرطوبة نارا حامية مع تضاد النار للرطوبة حتى إذا احتاج الانسان حك بعضه ببعض وهو

المزح والغفار وغير ذلك من أنواع الشجر فيخرج منه النار وينقذح، فمن قدر على ذلك لا يقدر الإعادة؟! ثم نبههم على دليل آخر فقال \* (أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم) \* ومعناه من قدر على اختراع السماوات والأرض كيف لا يقدر على أمثاله؟! وقد ثبت أن من شأن القادر على الشيء أن يكون قادرا على جنس مثله وجنس ضده. ودخول الباء في خبر (ليس) لتأكيد النفي.

ثم قال تعالى مجيبا عن هذا النفي فقال \* (بلى وهو الخلاق العليم) \* أي هو خالق لذلك عالم بكيفية الإعادة.

ثم قال تعالى \* (إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) \* والمعنى بذلك الاخبار عن سهولة الفعل عليه وانه إذا أراد فعل شيء فعله بمنزلة ما يقول للشيء كن فيكون في الحال، وهو مثل قول الشاعر:

وقالت له العينان سمعا وطاعة \* وحدرتا كالدرا لما يثقب (١)

وإنما اخبر عن سرعة دمه دون أن يكون قبولا على الحقيقة. \* (فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء) \* ومعناه تنزيها له عن نفي القدرة على الإعادة وغير ذلك مما لا يليق به الذي يقدر على الملك، وفيه مبالغة \* (واليه ترجعون) \*

يوم القيامة الذي لا يملك فيه الأمر والنهي سواه، فيجازيكم على قدر اعمالكم من الطاعات والمعاصي بالثواب والعقاب.

(١) مر في ١ / ٤٣١ و ٦ / ٤٥ و ٨ / ٤٧١



### ٣٧ - سورة الصافات

مكية في قول مجاهد وقتادة والحسن وهي مئة واثنان وثمانون آية في المدنيين وإحدى وثمانون في البصري وليس فيها ناسخ ومنسوخ.

بسم الله الرحمن الرحيم

\* (والصافات صفا (١) فالزاجرات زجرا (٢) فالتاليات

ذكر (٣) إن إلهكم لواحد (٤) رب السماوات والأرض وما

بينهما ورب المشارق (٥) إنا زينا السماء الدنيا بزينة

الكواكب (٦) وحفظا من كل شيطان مارد (٧) لا يسمعون

إلى الملاء الأعلى ويقذفون من كل جانب (٨) دحورا ولهم عذاب

واصب (٩) إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب) \* (١٠)

عشر آيات بلا خلاف.

ادغم أبو عمرو - إذا أدرج - التاء في الصاد، والتاء في الزاي، والتاء

في الذال في قوله \* (والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكر) \* لقرب

مخرجهما إذا كانا من كلمتين، وافقه حمزة في جميع ذلك. الباقون بالاظهار لان قبل التاء حرفا ساكنا، وهو الألف، لان مخارجها متغايرة. وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر \* (بزينة الكواكب) \* ولذلك كان يجوز أن يقرأ برفع الكواكب غير أنه لم يقرأ به أحد، ولو قرئ به لجاز. وقرأ أبو بكر عن عاصم \* (بزينة) \* منونا \* (الكواكب) \* نصبا على معنى تزيينا الكواكب. الباقون \* (بزينة) \* منونا \* (الكواكب) \* خفضا على البدل، وهو بدل الشيء من غيره، وهو بعينه، لان الزينة هي الكواكب، وهو بدل المعرفة من النكرة، ومثله قوله \* (لنسفعا بالناصية ناصية) \* (١) فأبدل النكرة من المعرفة. وقرأ الكسائي وحمزة وخلف وحفص عن عاصم \* (لا يسمعون) \* بالتشديد، وأصله لا يتسمعون، فأدغم التاء في السين. الباقون بالتخفيف لان معنى سمعت إلى فلان وتسمعت إلى فلان واحد. وإنما يقولون تسمعت فلانا بمعنى أدركت كلامه بغير (إلى). ومن شدد كرر، لثلا يشته. قال ابن عباس: كانوا لا يتسمعون ولا يسمعون. هذه أقسام من الله تعالى بالأشياء التي ذكرها، وقد بينا أن له تعالى أن يقسم بما شاء من خلقه، وليس لخلقه أن يحلفوا إلا بالله. وقيل إنما جاز أن يقسم تعالى بهذه الأشياء، لأنها تنبئ عن تعظيمه بما فيها من القدرة الدالة على ربها. وقال قوم: التقدير: ورب الصفات، وحذف لما ثبت من أن التعظيم بالقسم لله. وجواب القسم قوله \* (إن الهكم لواحد) \* وقال مسروق وقتادة والسدي: إن الصفات هم الملائكة مصطفون في السماء

(١) سورة ٩٦ العلق آية ١٥

يسبحون الله. وقيل: صفوف الملائكة في صلاتهم عند ربهم - ذكره الحسن - وقيل: هم الملائكة تصف أجنحتها في الهواء واقفة حتى يأمرها الله بما يريد، كما قال \* (وإننا لنحن الصافون) \* (١) وقال أبو عبيدة: كل شئ من السماء والأرض لم يضم قطريه فهو صاف، ومنه قوله \* (والطير صافات) \* (٢) إذا نشرت أجنحتها، والصفات جمع الجمع، لأنه جمع صافة. وقوله \* (فالزاجرات زجرا) \* قال السدي ومجاهد: هم الملائكة يزجرون الخلق عن المعاصي زجرا يوصل الله مفهومه إلى قلوب العباد، كما يوصل مفهوم اغواء الشيطان إلى قلوبهم ليصح التكليف، وقيل: إنها تزجر السحاب في سوقها. وقال قتادة: \* (الزاجرات زجرا) \* آيات القرآن تزجر عن معاصي الله تعالى، والزجر الصرف عن الشئ لخوف الذم والعقاب، وقد يكون الصرف عن الشئ بالذم فقط على معنى انه من فعله استحق الذم. وقوله \* (فالتاليات ذكرا) \* قيل فيه ثلاثة أقوال: أحدها - قال مجاهد والسدي: هم الملائكة تقرأ كتب الله. وقال قتادة: هو ما يتلى في القرآن. وقال قوم: يجوز أن يكون جماعة الذين يتلون القرآن. وإنما قال \* (فالتاليات ذكرا) \* ولم يقل تلوا، كما قال \* (فالزاجرات زجرا) \* لان التالي قد يكون بمعنى التابع تقول: تلوت فلانا إذا تبعته بمعنى جئت بعده، ومنه قوله \* (والقمر إذا تلاها) \* (٣) فلما كان مشتركا، بينه بما يزيل الابهام، وكل هذه اقسام على أن الإله الذي يستحق العبادة واحد لا شريك له. وقوله \* (رب السماوات والأرض وما

(١) آية ١٦٥ من هذا السورة

(٢) سورة ٢٤ النور آية ٤١

(٣) سورة ٩١ الشمس آية ٢

بينهما ورب المشارق) \* معناه إن إلهكم الذي يستحق العبادة واحد وهو الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما من سائر الأجناس من الحيوان والنبات والجماد \* (ورب المشارق) \* ومعناه ويملك التصرف فيها، والمشارق هي مشارق الشمس، وهي مطالعها بعدد أيام السنة ثلاثمائة وستون مشرقا وثلاثمائة وستون مغربا، ذكره السدي.

ثم اخبر تعالى عن نفسه، فقال \* (إنا زينا السماء الدنيا) \* والتزيين التحسين للشيء وجعله صورة تميل إليها النفس، فإله تعالى زين السماء الدنيا على وجه يمتع الرائي لها، وفي ذلك النعمة على العباد مع ما لهم فيها من المنفعة بالفكر فيها والاستدلال على صانعها. والكواكب هي النجوم كالقدر والسماء بها زينة قال النابغة.

بأنك شمس والملوك كواكب \* إذا طلعت لم يبق منهن كوكب وقوله \* (وحفظا من كل شيطان مارد) \* معناه وحفظناها حفظا. والحفظ المنع من ذهاب الشيء، ومنه حفظ القرآن بالدرس المانع من ذهابه. والمارد الخارج إلى الفساد العظيم، وهو وصف للشياطين وهم المردة، وأصله الانجراد، ومنه الأمرد، والمارد المتجرد من الخير، وقوله \* (لا يسمعون) \* من شدد أراد لا يسمعون وأدغم التاء في السين، ومن خفف أراد أيضا لا يسمعون في المعنى \* (إلى الملا الأعلى) \* يعني الملائكة الذين هم في السماء وقوله \* (ويقذفون من كل جانب) \* معناه يرمون بالشهب من كل جانب إذا أرادوا الصعود إلى السماء للاستماع \* (دحورا) \* أي دفعا لهم بعنف، يقال: دحرت دحرا ودحورا، وإنما جاز أن يريدوا استراق السمع مع علمهم بأنهم لا يصلون، وانهم يحرقون بالشهب، لأنهم تارة يسلمون إذا لم يكن من

الملائكة هناك شئ لا يجوز أن يقفوا عليه، وتارة يهلكون كراكب البحر في وقت يطمع في السلامة.

وقوله \* (ولهم عذاب واصب) \* قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد: معناه إن لهم مع ذلك أيضا عذابا دائما يوم القيامة، ومنه قوله تعالى \* (وله الدين واصبا) \* (١) أي دائما قال أبو الأسود:

لا ابتغي الحمد القليل بقاؤه \* يوما بدم الدهر اجمع واصبا (٢)  
أي دائما. وقوله \* (إلا من خطف الخطفة) \* لما أخبر الله تعالى أن الشياطين لا يستمعون إلى الملا الأعلى ولا يصغون إليهم أخبر أنهم متى راموا رموا من كل جانب دفعا لهم على أشد الوجوه. ثم قال \* (إلا من خطف الخطفة) \* أي استلب السماع استلابا، والخطفة الاستلاب بسرعة، فمتى فعل أحدهم ذلك \* (اتبعه شهاب ثاقب) \* قال قتادة: والشهاب كالعمود من نار، وثاقب مضى كأنه يثقب بضوئه يقال أثقب نارك واستثقت النار إذا استوقدت وأضاءت، ومنه قولهم: حسب ثاقب أي مضى شريف، قال أبو الأسود:

أذاع به في الناس حتى كأنه \* بعلياء نار أوقدت بثقوب (٣)  
أي بحيث يضيئ ويعلو.

قوله تعالى:

\* (فاستفتهم أهم أشد خلقا أم من خلقنا إنا خلقناهم من

---

(١) سورة ١٦ النحل آية ٥٢

(٢) مر في ٦ / ٣٩٠

(٣) مجاز القرآن ١ / ١٣٣ و ٢ / ١٦٧

طين لازب (١١) بل عجبت ويسخرون (١٢) وإذا ذكروا  
لا يذكرون (١٣) وإذا رأوا آية يستسخرون (٤) وقالوا إن  
هذا إلا سحر مبين (١٥) إذا متنا وكنا ترابا وعظاما إنا  
لمبعوثون (١٦) أو آباؤنا الأولون (١٧) قل نعم وأنتم  
داخرون (١٨) فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم ينظرون (١٩)  
وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين \* (٢٠) عشر آيات بلا خلاف.  
قرأ أهل الكوفة إلا عاصما \* (بل عجبت) \* بضم التاء. الباكون بفتحها.  
قال أبو علي: من فتح التاء أراد: بل عجبت يا محمد من إنكارهم البعث أو من  
نزول الوحي على قلبك وهم يسخرون، ومن ضم قال: معناه إن إنكار  
البعث مع بيان القدرة على الابتداء وظهور ذلك من غير استدلال عجيب  
عندك. وقال قوم: إن ذلك اخبار من الله عن نفسه بأنه عجيب، وذلك  
كما قال \* (وإن تعجب فعجب قولهم) \* (١). وهذا غير صحيح، لأن الله  
تعالى عالم بالأشياء كلها على تفاصيلها، وإنما يعجب من خفي عليه أسباب  
الأشياء، وقوله \* (فعجب قولهم) \* معناه عندكم. وقرأ ابن عامر \* (إذا) \* على  
الخبر. الباكون على الاستفهام على أصولهم في التحقيق والتخفيف والفصل  
وقرأ \* (إنا) \* على الخبر أهل المدينة والكسائي ويعقوب. وقرأ الباكون  
بهمزتين على أصولهم في التحقيق والتليين والفصل. وقرأ أهل المدينة وابن

---

(١) سورة ١٣ الرعد آية ٥

عامر \* (أو آباؤنا) \* بسكون الواو - هنا وفي الواقعة - إلا أن ورشا على أصله في إلقاء حركة الهمزة على الواو. الباقون بفتح الواو.

وهذا خطاب من الله تعالى لنبيه يأمره بأن يستفتي هؤلاء الكفار وهو أن يسألهم أن يحكموا بما تقتضيه عقولهم، ويعدلوا عن الهوى واتباعه، فالاستفتاء طلب الحكم \* (أهم أشد خلقاً أم من خلقنا) \* يعني من قبلهم من الأمم الماضية والقرون الخالية، فإنه تعالى قد أهلك الأمم الماضية الذين هم أشد خلقاً منهم لكفرهم، ولهم مثل ذلك إن أقاموا على الكفر. وقيل: المعنى أهم أشد خلقاً منهم بكفرهم، وهم مثل ذلك أم من خلقنا من الملائكة والسموات والأرضين، فقال: أم من خلقنا، لأن الملائكة تعقل، فغلب ذلك على ما لا يعقل من السموات، والشدة قوة الفتل وهو بخلاف القدرة والقوة. وكل شدة قوة، وليس كل قوة شدة، وأشد خلقاً ما كان فيه قوة يمنع بها فتله إلى المراد به.

ثم أخبر تعالى أنه خلقهم من طين لازب. والمراد أنه خلق آدم من طين، وإن هؤلاء نسله وذريته، فكأنهم خلقوا من طين، ومعنى \* (لازب) \* لازم فأبدلت الميم باء، لأنها من مخرجها، يقولون: طين لازب وطين لازم قال النابغة:

ولا يحسبون الخير لا شر بعده \* ولا يحسبون الشر ضربة لازب (١)  
وبعض بني عقيل يبدلون من الزاي تاء. فيقولون: لاتب، ويقولون: لزب، ولتب، ويقال: لزب يلزب لزوبا. وقال ابن عباس: اللازب الملتصق من الطين الحر الجيد. وقال قتادة: هو الذي يلزق باليد. وقال مجاهد: معناه لازق: وقيل:

---

(١) مجاز القرآن ٢ / ١٦٧ القرطبي ١٥ / ٦٩

معناه من طين علك خلق آدم منه ونسب ولده إليه. وقوله \* (بل عجبت ويسخرون) \* فمن ضم التاء أراد أن النبي صلى الله عليه وآله أمره الله أن يخبر عن نفسه انه عجب من هذا القرآن حين أعطيه، وسخر منه أهل الضلالة. قال المبرد: وتقديره قل بل عجبت. ومن فتح التاء أراد ان الله تعالى خاطبه بذلك. والعجب تغير النفس بما خفي فيه السبب في: ما لم تجر به العادة، يقال: عجب يعجب عجباً وتعجب تعجباً. والمعنى في الضم على ما روي عن علي عليه السلام وابن مسعود ليس على أنه بعجب كما يعجب، لان الله تعالى عالم بالأشياء على حقائقها، وإنما المعنى انه يجازي على العجب كما قال \* (فيسخرون منهم سخر الله منهم) \* (١) (ومكروا ومكر الله) \* (٢) ويجوز أن يكون المعنى قد حلوا محل من يعجب منهم. والفتح على عجب النبي صلى الله عليه وآله \* (ويسخرون) \* معناه يهزؤون بدعائك إياهم إلى الله. والنظر في دلائله وآياته. \* (وإذا ذكروا) \* بآيات الله وحججه وخوفوا بها \* (لا يذكرون) \* أي لا يتفكرون، ولا ينتفعون بها \* (وإذا رأوا آية) \* من آيات الله تعالى \* (يستسخرون) \* أي يسخرون وهما لغتان. وقيل: معناه يطلب بعضهم من بعض أن يسخروا ويهزؤا بآيات الله، فيقولون ليس هذا الذي تدعوننا إليه من القرآن وتدعيه أنه من عند الله \* (إلا سحر مبين) \* أي ظاهر بين. وحكى انهم يقولون أيضاً \* (إذا متنا وكنا ترابا وعظاما إنا لمبعوثون) \* بعد ذلك ومحشورون ومجازون؟! \* (أو آباؤنا الأولون) \* الذين تقدمونا بهاه الصفة، واللفظ لفظ الاستفهام والمراد بذلك التهزي والاستبعاد لان يكون

(١) سورة ٩ التوبة آية ٨٠  
(٢) سورة ٣ آل عمران آية ٥٤



هذا حقيقة وصحيحا. فمن فتح الواو فلأنها واو العطف دخل عليها ألف الاستفهام، فقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله \* (قل) \* لهم \* (نعم) \* الامر على ذلك، فإنكم تحشرون وتساءلون وتجاوزون على اعمالكم من الطاعات بالجنة والثواب، وعلى المعاصي بالنار والعقاب فيها \* (وأنتم داخرون) \* أي صاغرون أذلاء - وهو قول الحسن وقتادة والسدي - وقيل: الداخر الصاغر الذليل أشد الصغر والصاغر الذليل لصغر قدره.

ثم قال أيضا وقل لهم \* (فإنما هي زجرة واحدة) \* فقال الحسن: يعني النفخة الثانية. والزجرة الصرفة عن الشيء بالمخافة، فكأنهم زجروا عن الحال التي هم عليها إلى المصير إلى الموقف للجزاء والحساب \* (فإذا هم ينظرون) \* أي يشاهدون ذلك ويرونه. وقيل: معناه فإذا هم أحياء ينتظرون ما ينزل بهم من عذاب الله وعقابه، ويقولون معترفين على نفوسهم بالعصيان \* (يا ويلنا هذا يوم الدين) \* أي يوم الجزاء والحساب. و (الويل) كلمة يقولها القائل إذا وقع في الهلكة، ومثله يا ويلتي، ويا حسرتي، ويا عجباً. وقال الزجاج: والمعنى في جميع ذلك ان هذه الأشياء حسن نداؤها على وجه التنبيه والتعظيم على عظم الحال، والمعني يا عجب اقبل ويا حسرة اقبلي فإنه من أو انك وأوقاتك، ومثله قوله \* (يا ويلتي ألد وانا عجوز) \* (١) وقوله \* (يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله) \* (٢).

قوله تعالى:

\* (هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون (٢١) أحشروا

---

(١) سورة ١١ هود آية ٧٢

(٢) سورة ٣٩ الزمر آية ٥٦

الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون (٢٢) من دون الله  
فاهدوهم إلى صراط الجحيم (٢٣) وقفوهم إنهم مسؤولون (٢٤)  
ما لكم لا تنصرون (٢٥) بل هم اليوم مستسلمون (٢٦) وأقبل  
بعضهم على بعض يتسائلون (٢٧) قالوا إنكم كنتم تأتوننا عن  
اليمين (٢٨) قالوا بل لم تكونوا مؤمنين (٢٩) وما كان لنا  
عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين) \* (٣٠)  
عشر آيات في الكوفي والمدنيين عدوا قوله \* (وما كانوا يعبدون) \* رأس  
آية. والبصريون لم يعدوها، فهي عندهم تسع آيات.  
لما أخبر الله تعالى عن الكفار أنهم إذا حشروا وشاهدوا القيامة وقالوا  
\* (يا ويلنا هذا يوم الدين) \* يعني الجزاء حكى ما يقول الله لهم فإنه تعالى يقول  
لهم \* (هذا يوم الفصل) \* بين الخلائق والحكم وتميز الحق من الباطل على  
وجه يظهر لجميعهم الحال فيه. وأنه تعالى يدخل المطيعين الجنة على وجه  
الأكرام والأعظام، ويدخل العصاة النار على وجه الإهانة والاذلال \* (هذا  
هو يوم الفصل) \* وهو اليوم \* (الذي كنتم) \* معاشر الكفار \* (به تكذبون) \*  
وتجحدونه وتقابلون من أخبر عنه بالكذب وتنسبونه إلى ضد الصدق  
ثم حكى ما يقول الله للملائكة المتولين لسوق الكفار إلى النار، فإنه

يقول لهم " أحشروا الذين ظلموا " أنفسهم بارتكاب المعاصي بمعنى اجمعوهم من كل جهة، فالكفار يحشرون من قبورهم إلى أرض الموقف للجزاء والحساب، ثم يساق الظالمون مع ما كانوا يعبدون من الأوثان والطواغيت إلى النار وكذلك أزواجهم الذين كانوا على مثل حالهم من الكفر والضلال وقال ابن عباس ومجاهد وابن زيد: معنى " وأزواجهم " أشباههم، وهو من قوله " وكنتم أزواجا ثلاثة " (١) أي اشكالا واشباها. وقال قتادة: معناه وأشياعهم من الكفار. وقيل: من الاتباع. وقال الحسن: يعني " وأزواجهم " المشركات. وقيل: اتباعهم على الكفر من نسائهم. وقوله " فاهدوهم إلى صراط الجحيم " إنما عبر عن ذلك بالهداية من حيث كان بدلا من الهداية إلى الجنة، كما قال " فبشرهم بعذاب اليم " (٢) لهذه العلة من حيث إن البشارة بالعذاب الأليم وقعت لهم بدلا من البشارة بالنعيم، يقال: هديته الطريق أي دللته عليها وأهديت الهدية. ثم حكى الله تعالى ما يقوله للملائكة الموكلين بهم فإنه يقول لهم " وقفوهم " أي قفوا هؤلاء الكفار أي احبسوهم " انهم مسؤولون " عما كلفهم الله في الدنيا من عمل الطاعات واجتناب المعاصي هل فعلوا ما أمروا به أم لا؟ على وجه التقرير لهم والتبكييت دون الاستعلام، يقال: وقفت انا ووقفت الدابة بغير الف. وبعض بني تميم يقولون: أوقفت الدابة والدار. وزعم الكسائي انه سمع ما أوقفك ههنا، وانشد الفراء: ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا \* وإن نحن أومأنا إلى الناس أوقفوا بألف. ويقال لهم أيضا على وجه التبكييت " ما لكم " معاشر الكفار

(١) سورة ٥٦ الواقعة آية ٧

(٢) سورة ٣ آل عمران آية ٢١

" لا تناصرون " بمعنى لا تتناصرون، ولذلك شدد بعضهم التاء، ومن لم يشدد حذف إحداهما، والمعنى لم لا يدفع بعضكم عن بعض ان قدرتم عليه. ثم قال تعالى انهم لا يقدرّون على التناصر والتدافع لكن " هم اليوم مستسلمون " ومعنا مسترسلون مستحدثون يقال: استسلم استسلاما إذا القي بيده غير منازع في ما يراد منه. وقيل: معناه مسترسلون لما لا يستطيعون له دفعا ولا منه امتناعا.

وقوله " واقبل بعضهم على بعض يتساءلون " اخبار منه تعالى إن كل واحد من الكفار يقبل على صاحبه الذي أغواه على وجه التأنيب والتضعيف له يسأله لم غررتني؟ ويقول ذاك لم قبلت مني. وقوله " قالوا إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين " حكاية ما يقول الكفار لمن قبلوا منهم إنكم: كنتم تأتوننا من جهة النصيحة واليمن والبركة، فلذلك اغتررنا بكم والعرب تتيمن بما جاء من جهة اليمن. وقال الفراء: معناه إنكم كنتم تأتوننا من قبل اليمين، فتخدعوننا من أقوى الوجوه. واليمين القوة ومنه قوله " فراغ عليهم ضربا باليمين " (١) أي بالقوة ثم حكى ما يقول أولئك لهم في جواب ذلك: ليس الامر على ما قلتم بل لم تكونوا مصدقين بالله ولم يكن لنا عليكم في ترك الحق من سلطان ولا قدرة فلا تسقطوا اللوم عن أنفسكم فإنه لازم لكم ولا حق بكم. وقال قتادة: أقبل الانس على الجن يتساءلون بأن كنتم أنتم معاصر الكفار قوما طاغين أي باغين، تجاوزتم الحد إلى أفحش الظلم، واصله تجاوز الحد في العظم ومنه قوله " إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية " (٢) وطغيانهم كفرهم بالله، لأنهم تجاوزوا في ذلك الحد.

---

(١) آية ٩٣ من هذه السورة

(٢) سورة ٦٩ الحاقة آية ١١

إلى أعظم المعاصي، وقال الزجاج: معنى لا تناصرون ما لكم غير متناصرين فهو نصب بأنه حال. قوله تعالى:

\* (فحق علينا قول ربنا إنا لذائقون (٣١) فأغويناكم إنا كنا غاوين (٣٢) فإنهم يومئذ في العذاب مشتركون (٣٣) إنا كذلك نفعل بالمجرمين (٣٤) إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون (٣٥) ويقولون أثنا لثاركوا آلهتنا لشاعر مجنون (٣٦) بل جاء بالحق وصدق المرسلين (٣٧) إنكم لذائقوا العذاب الأليم (٣٨) وما تجزون إلا ما كنتم تعملون (٣٩) إلا عباد الله المخلصين) \* (٤٠) عشر آيات.

هذا تمام ما حكى الله عن المغاوين للكفار يوم القيامة بأنهم إذا قالوا لهم لم يكن لنا عليكم من سلطان، وإنما أنتم كنتم قوما طاغين، أخبروا أيضا وقالوا "فحق علينا" أي وجب علينا "قول ربنا" بأننا لا نؤمن، ونموت على الكفر أو وجب علينا قول ربنا بالعذاب الذي يستحق على الكفر والاغواء "إنا لذائقون" العذاب يعني إنا ندركه كما ندرك المطعموم بالذوق، ثم يعترفون على أنفسهم بأنهم كانوا غاوين، أي دعوناكم إلى الغي وقيل: معناه خيبتناكم طرق الرشاد فغوينا نحن أيضا وخيبتنا، فالاغواء الدعاء

إلى الغي، والغي نقيض الرشد، وأصله الخيبة من قول الشاعر:  
فمن يلق خيرا يحمد الناس أمره \* ومن يغو لا يعدم على الغي لائما (١)  
ويكون (أغوى) بمعنى خيب، ومنه قوله " رب بما أغويتني " (٢)  
أي خيبتني.

ثم اخبر تعالى انهم في ذلك اليوم مشتركون في العذاب، ومعنى اشتراكهم  
اجتماعهم في العذاب الذي هو يجمعهم.

ثم اخبر تعالى فقال إن مثل فعلنا بهؤلاء نفعل بجميع المجرمين، وبين  
أنه إنما فعل بهم ذلك، لأنهم " كانوا إذا قيل لا إله " معبود يستحق  
العبادة " إلا الله يستكبرون " عن قبول ذلك، وطلبوا التكبر، وهذه لفظة  
ذم من حيث استكبروا عن قول الحق. وحكى ما كانوا يقولون إذا دعوا  
إلى عبادة الله وحده فإنهم كانوا " يقولون إنا لتاركوا آلتهنا " ومعنى ذلك  
إنا نترك عبادة آلتهنا " لشاعر مجنون " يدعونا إلى خلافه، يعنون بذلك  
النبي صلى الله عليه وآله يرمونه بالجنون تارة وبالشعر أخرى - وهو قول الحسن وقتادة -  
لفرط جهلهم حتى قالوا هذا القول الفاحش الذي يفضح قائله، لان المعلوم  
انه صلى الله عليه وآله كان بخلاف هذا الوصف، والجنون آفة تغطي على العقل حتى يظهر  
التخليط في فعله، وأصله تغطية الشيء: جن عليه الليل إذا غطاه، ومنه المجن  
لأنه يستر صاحبه، ومنه الجنان الروح، لأنها مستورة بالبدن، ومنه الجنة  
لأنها تحت الشجر.  
ثم اخبر تعالى تكذيبا لهم بأن قال ليس الامر على ما قالوه " بل "

(١) مر في ٢ / ٣١٢ و ٤ / ٣٩١ و ٥ / ٥٤٨ و ٦ / ٣٣٦ و ٧ / ١٣٦، ٢١٨ و ٨ / ٣٦

(٢) سورة ١٥ الحجر آية ٣٩

النبي صلى الله عليه وآله " جاء بالحق " من عند الله وهو ما يجب العمل به " وصدق " مع ذلك " المرسلين " جميع من أرسله الله قبله، ثم خاطب الكفار، فقال " إنكم لذائقوا العذاب الأليم " يعني المؤلم الموجه جزاء على تكذيبكم بآياتنا وليس " تجزون إلا " على قدر " ما كنتم تعملون " من المعاصي ثم استثنى من جملة المخاطبين " عباد الله المخلصين " وهم الذين أخلصوا العبادة لله وأطاعوه في كل ما أمرهم به، فإنهم لا يذوقون العذاب وإنما ينالون الثواب الجزيل. قوله تعالى:

\* (أولئك لهم رزق معلوم (٤١) فواكه وهم مكرمون (٤٢) في جنات النعيم (٤٣) على سرر متقابلين (٤٤) يطاف عليهم بكأس من معين (٤٥) بيبضاء لذة للشاربين (٤٦) لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون (٤٧) وعندهم قاصرات الطرف عين (٤٨) كأنهن بيض مكنون (٤٩) فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون)\* (٥٠) عشر آيات.

قرأ حمزة والكسائي وخلف " ينزفون " بكسر الزاي على اسناد الفعل إليهم الباكون بفتح الزاي - على ما لم يسم فاعله - ومن فتح فإنه مأخوذ من نزف الرجل، فهو منزوف ونزيف، إذا ذهب عقله بالسكر، وانزف فهو منزف به إذا فنيت خمره، ويقال أنزف أيضا إذا سكر لما استثنى الله تعالى من جملة من يعاقبهم من الكفار المخلصين الذين

أخلصوا عبادتهم لله وحده، بين ما أعد لهم من أنواع الثواب، فقال " أولئك لهم رزق معلوم " يعني عطاء جعل لهم التصرف فيه وحكم لهم به في الأوقات المستأنفة في كل وقت شيئا معلوما مقدرا. ثم فسر ذلك الرزق، فقال ذلك الرزق " فواكه " وهي جمع فاكهة وهي تكون رطبا ويابساً يتفكهون بها وينتفعون بالتصرف فيها " وهم " مع ذلك " مكرمون " أي معظمون مبجلون، وضد الاكرام الإهانة وهي الانتقام وهم مع ذلك " في جنات النعيم " أي بساتين فيها أنواع النعيم التي يتنعمون بها " على سرر " وهو جمع سرير " متقابلين " يستمتع بعضهم بالنظر إلى وجوه بعض " يطاف عليهم بكأس من معين " أي بكأس من خمر جارية في أنهار ظاهرة للعيون - في قول الحسن وقتادة والضحاك والسدي - والكأس اناء فيه شراب. وقيل: لا يسمى كأسا إلا إذا كان فيه شراب وإلا فهو اناء. وقوله " معين " يحتمل أن يكون (فعيلا) من العين، وهو الماء الشديد الجري من أمعن في الأمر إذا اشتد دخوله فيه ويحتمل أن يكون وزله (مفعولا) من عين الماء لأنه يجري ظاهرا للعين. ثم وصف الخمر الذي في الكأس، فقال " بيضاء " ووصفها بالبياض لأنها تجري في أنهار كاشرف الشراب. وهي خمر فيها اللذة والامتناع فترى بيضاء صافية في نهاية الرقة واللطافة مع النورية التي لها والشفافة، لأنها على أحسن منظر. مخبر. وقال قوم: بيضاء صفة للكأس، وهي مؤنثة. واللذة نيل المشتهى بوجود ما يكون به صاحبه ملتذا. والشراب مأخوذ من الشرب. وقوله " لا فيها غول " معناه لا يكون في ذلك الشراب غول أي فساد يلحق العقل خفيا، يقال: اغتاله اغتيالاً إذا أفسد عليه أمره، ومنه الغيلة



وهي القتل سرا. وقال ابن عباس " لا فيها غول " معناه لا يكون فيها صداد ولا أذى، كما يكون في خمر الدنيا، وقال الشاعر:  
وما زالت الكأس تغتالنا \* ونذهب بالأول الأول (١)  
هذا من الغيلة أي نصرع واحد بعد واحد " ولا هم عنها ينزفون " أي لا يسكرون والنزيف السكران، لأنه ينزف عقله، قال الابرذ الرياحي:  
لعمري لئن انزفتم أو ضحوتم \* لبئس التداني كنتم آل ابحرا (٢)  
فالبيت يدل على أن أنزف لغة في نزف إذا سكر، لأنه جعله في مقابلة الصحو. ومن قرأ بالسكر فعلى معنى: إنهم لا ينزفون خمرهم أي لا يفنى عندهم. وقوله " وعندهم قاصرات الطرف عين " معنى قاصرات الطرف تقصر طرفهن على أزواجهن - في قول الحسن وغيره - وقال بعضهم: معنى قاصرات راضيات من قولهم: اقتصرت على كذا، ومعنى " عين " الشديدة كبياض العين الشديدة سوادها - في قول الحسن - والعين النجل وهي الواسعة العين.  
وقوله " كأنهن بيض مكنون " شبههن ببيض النعام يكن بالريش من الريح والغبار - في قول الحسن وابن زيد - وقال سعيد بن جبير والسدي: شبههن ببطن البيض قبل أن يقشر وقبل أن تمسه الأيدي، والمكنون المصون يقال: كنت الشيء إذا صنته، وأكننته إذا سترته من كل شيء قال الشاعر:  
وهي زهراء مثل لؤلؤة \* الغواص ميزت من جوهر مكنون (٣)

(١) مجاز القرآن ٢ / ١٦٩

(٢) اللسان (نزف) وتفسير القرطبي ١٥ / ٧٩ والطبري ٢٣ / ٣١ ومجاز القرآن ٢ / ١٦٩

(٣) مجاز القرآن ٢ / ١٧٠ وتفسير القرطبي ١٥ / ٨١ والطبري ٢٣ / ٣٤

ثم قال " فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون " يعني ان أهل الجنة يقبل بعضهم على بعض يتساءلون عن أحوالهم وما تفضل الله عليهم من أنواع الكرامات قوله تعالى:

\* (قال قائل منهم إني كان لي قرين (٥١) يقول أنك لمن المصدقين (٥٢) إذا متنا وكنا ترابا وعظاما إنا لمدينون (٥٣) قال هل أنتم مطلعون (٥٤) فاطلع فرآه في سواء الجحيم (٥٥) قال تالله إن كدت لتردين (٥٦) ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين (٥٧) أفما نحن بميتين (٥٨) إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين (٥٩) إن هذا لهو الفوز العظيم) \* (٦٠) عشر آيات لما حكى الله تعالى أن أهل الجنة يقبل بعضهم على بعض يتساءلون عن أخبارهم وأحوالهم، ذكر أن قائلا منهم يقول " إني كان لي قرين " في دار الدنيا أي صاحب يختص بي إما من الانس - على ما قال ابن عباس - أو من الجن - على ما قال مجاهد - " يقول " لي على وجه الإنكار علي والتهجين لفعلي " أنك لمن المصدقين " بيوم الدين بان الله يبعث الخلق بعد أن يصيروا ترابا وعظاما وانهم يحشرون بعد ذلك ويحاسبون ويجازون إن هذا لبعيد، فألف الاستفهام دخلت - ههنا - على وجه الإنكار، وإنما دخلت ألف الاستفهام للإنكار من حيث أنه لا جواب لقائله إلا ما يفتضح به، وهؤلاء

الكفار غلطوا في هذه الإنكار وتوهموا أن من يقول في جواب ذلك نعم يأتي بقبیح من القول.

وقوله "أنا لمدينون" معناه لمجزيون مشتق من قولهم: كما تدين تدان. أي كما تجزي تجزي، والدين الجزاء، والدين الحساب، ومنه الدين، لأن جزاءه القضاء، وقال ابن عباس: القرين الذي كان له شريكا من الناس. وقال مجاهد: كان شيطاناً.

ثم حكى أنه يقال لهذا القائل على وجه العرض عليه "هل أنتم مطلعون" أي يؤمرون أن يروا مكان هذا القرين في النار، فيقول: نعم، فيقال له: اطلع في النار، فيطلع في الجحيم فيراه في سوائه أي وسطه - في قول ابن عباس والحسن وقتادة - وإنما قيل للوسط: سواء لاستوائه في مكانه بأن صار بدلاً منه، وقد كثر حتى صار بمعنى غير، وروى حسين عن أبي عمرو "مطلعوني فاطلع" بكسر النون وقطع الألف، وهو شاذ، لأن الاسم إذا أضيف حذفت منه النون، كقولك: مطلععي، وإنما يجوز في الفعل على حذف إحدى النونين، وقد انشد الفراء على شذوذه قول الشاعر:

وما أدري وظني كل ظن \* أسلمني إلى قوم شراح (١)

يريد شراحل، وانشده المبرد (أسلمني) وانشد الزجاج:

هم القائلون الخير والامر دونه \* إذا ما خشوا من محدث الامر معظما (٢)  
وقيل: إن لأهل الجنة في توبيخ أهل النار لذة وسرورا. وقال الحسن: الجنة في السماء والنار في الأرض، فلذلك صح منهم، الاطلاع.  
ثم حكى تعالى ما يقوله المؤمن إذا اطلع عليه ورآه في وسط الجحيم

---

(١) تفسير الطبري ٢٣ / ٣٦

(٢) تفسير القرطبي ١٥ / ٨٣

فإنه يقول " تالله إن كدت لتردين " ومعنى (تالله) القسم على وجه التعجب وإنما كان كذلك، لان التاء بدل من الواو في القسم على وجه النادر، ولذلك اختصت باسم الله ليدل على المعنى النادر.

وقوله " إن كدت لتردين " وهي التي في قوله " إن كل نفس لما عليها حافظ " (١) إلا أنها دخلت في هذا على (فعل) ومعنى " لتردين " لتهلكني كهلاك المتردي من شاهق، ومنه قوله " وما يغني عنه ماله إذا تردى " (٢) في النار، وتقول ردي يردى إذا هلك وأرداه غيره إرداء إذا أهلكه ثم يقول " فلو لا نعمة ربي " علي ورحمته لي بأن لطف لي في ترك متابعتك والقبول منك " لكنت " أنا أيضا " من المحضرين " معك في النار فلاحضار الاتيان بالشئ إلى حضرة غيره، وقال الشاعر:

أفي الطوف خفت علي الردى \* وكم من رد أهله ولم يرم (٣)  
 أي من هالك، وقوله " أفما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين " هذا تقرير لهم وتوبيخ، لان هذا الكافر كان يقول كثيرا ذلك في دار الدنيا، ومثله قول الشاعر:

قالت له ويضيق ضحك \* لا تكثري لومي أخلي عنك  
 ومعناه إنها كانت تلومه على الانفاق، فكان يقول لا تكثري لومي فاطلقك فلما انفق غيرته بذلك ووبخته وحكت ما كان يقول عند توبيخها وعذلها. وقال الجبائي: هذا يقوله المؤمن على وجه الاخبار بأنه لا يموت بعد هذا النعيم لكن المودة الأولى قد مضت، فتلخيص معنى الآية قولان:

(١) سورة ٨٦ الطارق آية ٤

(٢) سورة ٩٢ الليل آية ١١

(٣) الطبري ٢٣ / ٣٦

أحدهما - انه يقوله المؤمن على وجه السرور بنعم الله في أنه لا يموت ولا يعذب.

الثاني - أن المؤمن يقوله على وجه التوبيخ لقرينة بما كان ينكره. وقوله " إن هذا لهو الفوز العظيم " إخبار منه تعالى بأن هذا الثواب الذي حصل له لهو الفلاح العظيم. قوله تعالى:

\* (لمثل هذا فليعمل العاملون (٦١) إذ لك خير نزلا أم شجرة الزقوم (٦٢) إنا جعلناها فتنة للظالمين (٦٣) إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم (٦٤) طلعتها كأنه رؤس الشياطين (٦٥) فإنهم لا ياكلون منها فمالؤن منها البطون (٦٦) ثم إن لهم عليها لشوبا من حميم (٦٧) ثم إن مرجعهم لى الجحيم (٦٨) إنهم ألفوا آباءهم ضالين (٦٩) فهم على آثارهم يهرعون) \* (٧٠) عشر آيات.

يقول الله تعالى في تمام الحكاية عن قول المؤمن للكافر " لمثل هذا " يعني لمثل ثواب الجنة ونعيمها " فليعمل العاملون " في دار التكليف، ويحسن من العامل أن يعمل العمل للثواب إذا أوقعه على الوجه الذي تدعو إليه الحكمة من وجوب أو ندب، قال الرماني: ألا ترى أنه لو عمل القبيح ليثاب على ما تدعو إليه الحكمة لاستحق الثواب إذا خلص من الاحباط. وهذا الذي

ذكره غير صحيح، لان القبيح لا يجوز أن يستحق عليه الثواب على وجه  
وإن عرض في القبيح وجوه كثيرة من وجوه الحسن، فإنه لا يعتد بها، فإن  
علمنا في ما ظاهره القبيح أنه وقع على وجه يستحق فيه الثواب، علمنا أنه خرج  
من كونه قبيحا. ومثال ذلك إظهار كلمة الكفر عند الاكراه عليها أو  
الانكار لكون نبي بحضرته لمن يطلبه ليقتله فإن هذا وإن كان كذبا في  
الظاهر فلا بد أن يوري المظهر بما يخرج عنه كونه كاذبا، ومتى لم يحسن  
التورية منع الله من إكراهه عليه. وفي الناس من يقول: يجب عليه الصبر  
على القتل، ولا يحسن منه الكذب، ومتى كان من يحسن التورية، ولم يور  
كان القول منه كذبا وقبيحا ولا يستحق به الثواب، فاما الاكراه على أخذ  
مال الغير وإدخال ضرر عليه دون القتل، متى كان قد علمنا بالشرع وجوب  
فعل ذلك عند الاكراه أو حسنه علمنا أنه خرج بذلك عن كونه قبيحا  
وإن الله تعالى ضمن من العوض عليه ما يخرج عنه كونه قبيحا، كما تقول:  
في ذبح البهائم، ومتى لم يعلم بالشرع ذلك، فإنه يقبح إدخال الضرر على  
الغير واخذ ماله، فأما إدخال الضرر على الغير ونفسه ببذل مال أو تحمل  
خراج ليدفع بذلك عن نفسه ضررا أعظم منه، فإنه يحسن، لأنه وجه  
يقع على الاثم فيصير حسنا، وهذا باب أحكامنا في كتاب الأصول. لا يحتمل  
هذا الموضوع أكثر من هذا.

وقوله "أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم" إنما جاز ذلك مع أنه لا خير  
في شجرة الزقوم لامرين:

أحدهما - على الحذف بتقدير أسبب هذا الذي أدى إليه خير أم سبب  
أدى. لي النار، كأنهم قالوا هو فيه خير، لما عملوا ما أدى إليه. والنزل

الفضل طعام له نزل، ونزل أي فضل وريع. وقيل: معناه خير نزل من الانزال التي تقيم الأبدان وتبقى عليها الأرواح و (الزقوم) قيل: هو ثمر شجرة منكرة جدا من قولهم يزقم هذا الطعام إذا تناوله على تكره ومشقة شديدة. وقيل: شجرة الزقوم ثمرة مرة خشنة منتنة الرائحة. وقوله " إنا جعلناها فتنة لظالمين " معناه إنا جعلنا شجرة الزقوم محنة لشدة التعب، وقال قتادة: لما نزلت هذه الآية قال المشركون: النار تحرق الشجرة، وكيف تنبت هذه في النار، فكان ذلك تغليظا للمحنة، لأنه يحتاج إلى الاستدلال على أنه قادر لا يمتنع عليه أن يمنع النار من احراقها حتى تنبت الشجرة فيها. وقيل: معناه إنها عذاب للظالمين من قوله " يومهم على النار يفتنون " (١) أي يعذبون، وقيل: هو قول أبي جهل في التمر والزبد انه يتزقمه. روى أنه لما سمع هذه الآية دعا الكفار واحضر التمر والزبد وقال تعالوا نتزقم هذا بخلاف ما يهددنا به محمد. ثم قال تعالى " إنها شجرة " يعني الزقوم " تخرج في أصل الجحيم " أي تنبت في قعر جهنم " طلعتها كأنه رؤس الشياطين " قيل: في تشبيه ذلك برؤس الشياطين مع أن رؤس الشياطين لم ترقط ثلاثة أقوال:

أحدها - ان قبح صورة الشياطين متصور في النفس ولذلك يقولون لشيء يستقبحونه جدا كأنه شيطان. وقال امرؤ القيس:

أيقتلني والمشرقي مضاجعي \* ومسنونة زرق كأنياب اغوال (٢)

فشبه النصول بأنياب الاغوال، وهي لم تر، ويقولون: كأنه رأس شيطان وانقلب علي كأنه شيطان.

---

(١) سورة ٥١ الذاريات آية ١٣

(٢) ديوانه ١٦٢ وتفسير القرطبي ١٥ / ٨٦

الثاني - انه شبه برأس حية يسميها العرب شيطاناً، قال الراجز:  
منجرد يحلف حين أحلف \* كمثل شيطان الحماط أعرف (١)  
الثالث - انه شبه بنبت معروف برؤس الشياطين. وقيل: قد دل الله  
أنه يشوه خلق الشياطين في النار حتى لو رآهم راء من العباد لاستوحش  
منهم غاية الاستيحاش، فلذلك يشبه برؤوسهم.  
ثم أخبر تعالى أن أهل النار ليأكلون من تلك الشجرة ويملئون بطونهم  
منها لشدة ما يلحقهم من ألم الجوع، والملا طرح في الوعاء مالا يحتمل  
الزيادة عليه، فهؤلاء حشيت بطونهم من الزقوم بمالا يحتمل زيادة عليه.  
ثم قال " إن لهم عليها " يعني الزيادة على شجرة الزقوم " لشوبا من  
حميم " فالشوب خلط الشيء بما ليس منه مما هو شر منه، ويقال هذا الطعام  
مشوب، وقد شابه شيء من الفساد، والحميم إذا شاب الزقوم اجتمعت  
المكاره فيه من المرارة والخشونة وبتن الرائحة، والحرارة المحرقة - نعوذ بالله  
منها - والحميم الحار الذي له من الاحراق المهلك أدناه قال الشاعر:  
احم الله ذلك من لقاء \* أحاد أحاد في الشهر الحلال (٢)  
أي أدناه وحمم ريش الفرخ إذا نبت، حتى يدنو من الطيران والمحموم  
المقترّب من حال الاحراق. وقال ابن عباس: يشربون الحميم المشروب من  
الزقوم أي قد شيب مع حرارته بما يشتد تكرهه. والحميم الصديق القريب  
أي الداني من القلب.  
وقوله " ثم إن مرجعهم إلى الجحيم " معناه أنهم يردون بعد ذلك  
إلى النار الموقدة. وفي ذلك دلالة على أنهم في وقت ما يطعمون للزقوم

---

(١) تفسير القرطبي ١٥ / ٨٧

(٢) اللسان (حمم)



بمعزل عنها، كما قال " يطوفون بينها وبين حميم آن " (١) ثم حكى تعالى ان هؤلاء الكفار " ألفوا " يعني صادفوا " آباءهم ضالين " عن الطريق المستقيم الذي هو طريق الحق " فهم على آثارهم يهرعون " في الضلال أي يقلدونهم ويتبعونهم، قال أبو عبيدة: معنى يهرعون يستحثون من خلفهم. وقيل: معناه يزعجون إلى الاسراع، هرع وأهرع لغتان. قوله تعالى:

\* (ولقد ضل قبلهم أكثر الأولين (٧١) ولقد أرسلنا فيهم منذرين (٧٢) فانظر كيف كان عاقبة المنذرين (٧٣) إلا عباد الله المخلصين (٧٤) ولقد نادينا نوح فلنعم المجيبون (٧٥) ونجيناه وأهله من الكرب العظيم (٧٦) وجعلنا ذريته هم الباقين (٧٧) وتركنا عليه في الآخرين (٧٨) سلام على نوح في العالمين (٧٩) إن كذلك نجزي المحسنين) \* (٨٠) عشر آيات. أقسم الله تعالى انه " لقد ضل قبلهم " قبل هؤلاء الكفار الذين هم في عصر النبي صلى الله عليه وآله عن طريق الحق واتباع الهدى " أكثر الأولين " من كان قبلهم لان اللام في (لقد) هي لام القسم وتدخل على الجواب لقولك: والله لقد كان كذا، وقد تدخل للتأكيد. والضلال الذهاب عن الحق إلى طريق الباطل، تقول: ضل عن الحق يضل ضلالا. والاضلال قد يكون

---

(١) سورة ٥٥ الرحمن آية ٤٤

بمعنى الذم بالضلال والحكم عليه به، وقد يكون بمعنى الامر به والاغراء كقوله " وأضلهم السامري " (١). والأكثر هو الأعظم في العدد، والأول الكائن قبل غيره. وأول كل شيء هو الله تعالى، لان كل ما سواه فهو موجود بعده.

ثم أقسم انه أرسل فيهم منذرين من الأنبياء والرسل يخوفونهم بالله ويحذرونهم معاصيه. ثم قال " فانظر " يا محمد " كيف كان عاقبة المنذرين " والتقدير ان الأنبياء المرسلين لما خوفوا قومهم فعصوهم ولم يقبلوا منهم أهلكهم وأنزل عليهم العذاب، فانظر كيف كان عاقبتهم. ثم استثنى من المنذرين في الاهلاك عباده المخلصين الذين قبلوا من الأنبياء، وأخلصوا عبادتهم لله تعالى، فان الله تعالى خلصهم من ذلك العذاب ووعدهم بالثواب.

ثم أخبر ان نوحا نادى الله ودعاه واستنصره على قومه، وأنه تعالى أجابه، وانه - عز وجل نعم المجيب لمن دعاه وتقديره فلنعم المجيبون نحن له ولما أجابه نجاه وخلصه وأهله من الكرب العظيم، فالنجاة هي الرفع من الهلاك واصله الرفع، فمنه النجوة المرتفع من المكان ومنه النجا النجا كقولهم الوحا الوحا. والاستنجااء رفع الحدث. والكرب الحزن الثقيل على القلب، قال الشاعر:  
عسى الكرب الذي أمسيت فيه \* يكون وراءه فرج قريب (٢)  
والكرب تحرير الأرض باصلاحها للزراعة. والكرب هو الذي يحمي قلب النخلة بإحاطته بها وصيانتها لها. والعظيم الذي يصغر مقدار غيره عنه. وقد

---

(١) سورة ٢٠ طه آية ٨٥

(٢) مر في ٦ / ٢٨٣

يكون التعظيم في الخير والعظم في الشر والعظم في النفس. وقال السدي: معناه نجيناه وأهله من الغرق. وقال غيره: بل نجاهم من الأذى والمكروه الذي كان ينزل بهم من قومه، لأنه بذلك دعا ربه فأجابته. وقيل: الذين نجوا مع نوح شيعته.

وقوله \* (وجعلنا ذريته هم الباقيين) \* قال ابن عباس وقتادة: الناس كلهم من ذرية نوح بعد نوح. وقال قوم: العجم والعرب أولاد سام بن نوح والترك والصقالبة والخزر أولاد يافث بن نوح، والسودان أولاد حام ابن نوح.

وقوله \* (وتركنا عليه في الآخرين) \* قيل في معناه قولان: قال ابن عباس ومجاهد وقتادة: \* (وتركنا عليه في الآخرين) \* يعني ذكرا جميلا، وأثنينا عليه في أمة محمد. ومعنى \* (تركنا) \* أبقينا، فحذف، فيكون \* (سلام على نوح في العالمين) \* من قول الله على غير جهة الحكاية. الثاني - قال الفراء: تركنا عليه قولاً هو أن يقال في آخر الأمم: سلام على نوح في العالمين.

ثم قال \* (إنا كذلك نجزي المحسنين) \* كما فعلنا بنوح من الثناء الجميل، مثل ذلك نجزي من أحسن أفعاله وتجنب المعاصي. قوله تعالى:

\* (إنه من عبادنا المؤمنين (٨١) ثم أغرقنا الآخرين (٨٢) وإن من شيعته لإبراهيم (٨٣) إذ جاء ربه بقلب سليم (٨٤))

إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون (٨٥) أثفكا آلهة دون الله  
تريدون (٨٦) فما ظنكم برب العالمين (٨٧) فنظر نظرة في  
النجوم (٨٨) فقال إني سقيم (٨٩) فتولوا عنه مدبرين \* (٩٠)  
عشر آيات.

هذا رجوع من الله تعالى إلى ذكر وصف نوح بأنه كان \* (من عبادنا  
المؤمنين) \* الذين يصدقون بتوحيد الله ووعدده وويعده وجميع أخباره. والعباد  
جمع عبد، وهو الدليل لملكه بالعبودية. والخلق كلهم عباد الله فمنهم عابد  
له ومنهم عابد لغيره تضييعا منهم لحق نعمه وجهلا بما يجب له عليهم. والمؤمن  
هو المصدق بجميع ما أوجب الله عليه العامل بما يؤمنه من العقاب.  
ثم اخبر تعالى انه أغرق الباقين من قوم نوح بعد إخلاصه نوحا وأهله  
المؤمنين. ثم قال \* (وإن من شيعته لإبراهيم) \* فالشيعه الجماعة التابعة  
لرئيس لهم، وصاروا بالعرف عبارة عن شيعه علي عليه السلام الذين معه على أعدائه.  
وقيل من شيعه نوح إبراهيم يعني إنه على منهاجه وسنته في التوحيد والعدل  
واتباع الحق. وقال الفراء: معناه وإن من شيعه محمد صلى الله عليه وآله لإبراهيم، كما  
قال \* (أنا حملنا ذريتهم) \* (١) أي ذرية من هو أب لهم، فجعلهم ذرية لهم  
وقد سبقوهم، وقال الحسن: معناه على دينه وشريعته ومنهاجه، قال الرماني:  
هذا لا يجوز، لأنه لم يجر لمحمد ذكر، فهو ترك الظاهر، وقد روي عن أهل

البيت عليهم السلام إن من شيعته علي لإبراهيم. وهذا جائز إن صح الخبر المروي في هذا الباب، لان الكناية عمن لم يجر له ذكر جائزة إذا اقترن بذلك دليل، كما قال \* (حتى توارث بالحجاب) \* (١) ولم يجر للشمس ذكر ويكون المعنى انه على منهاجه وطريقته في اتباع الحق والعدول عن الباطل، وكان إبراهيم وعلي عليهما السلام بهذه المنزلة.

وقوله \* (إذ جاء ربه بقلب سليم) \* معناه حين جاء إلى الموضع الذي أمره الله بالرجوع إليه بقلب سليم عن الشرك برئ من المعاصي في الوقت الذي قال لأبيه وقومه حين رآهم يعبدون الأصنام من دون الله على وجه التهجين لفعلهم والتقرير لهم \* (ماذا تعبدون) \* أي أي شيء تعبدون من هذه الأصنام التي لا تنفع ولا تضر، وقال لهم \* (أنفكا آلهة دون الله تريدون) \* فالافك هو أشنع الكذب وأفظعه، والافك قلب الشيء عن جهته التي هي له، فلذلك كان الافك كذبا، وإنما جمع الآلهة مع أنه لا إله إلا إله واحد. على اعتقادهم في الإلهية. وإن كان توهمهم فاسدا، لما اعتقدوا أنها تستحق العبادة، وكان المشركون قد أوغروا باتخاذ الآلهة إلى أن جاء دين الاسلام وبين الحق فيه وعظم الزجر.

وقوله \* (دون الله تريدون) \* معناه إنكم أتريدون عبادة آلهة دون عبادة الله، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، كما قال \* (واسأل القرية) \* (٢) أي أهلها، لان الإرادة لا تتعلق إلا بما يصح حدوثه. وهذه الأجسام ليست مما يحدث، فلا يصح إرادتها.

وقوله \* (فما ظنكم برب العالمين) \* قيل: معناه أي شيء ظنكم به أسوء

---

(١) سورة ٣٨ ص آية ٣٢  
(٢) سورة ١٢ يوسف آية ٨٢

ظن؟! وقيل معنى \* (فنظر نظرة في النجوم) \* أي انه استدل بها على وقت حمى كانت تعتاده \* (فقال أني سقيم) \* ومن أشرف على شئ جاز أن يقال إنه فيه، كما قال تعالى \* (إنك ميت وإنهم ميتون) \* (١) ولم يكن نظره في النجوم على حسب المنجمين طلبا للأحكام، لان ذلك فاسد، ومثله قول الشاعر:

اسهري ما سهرت أم حكيم \* واقعدي مرة لذاك وقومي  
وافتحى الباب فانظري في النجوم \* كم علينا من قطع ليل بهيم  
وقال الزجاج نظره في النجوم كنظرهم، لأنهم كانوا يتعاطون علم النجوم فتوهموا هم أنه يقول مثل قولهم، فقال عند ذلك \* (إني سقيم) \* فتركوه ظنا منهم أن نجمه يدل على سقمه. وقال أبو مسلم: معناه إنه نظر فيها نظر مفكر فاستدل بها على أنها ليست آلهة له، كما قال تعالى في سورة الأنعام \* (فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي....) \* تمام الآيات (٢) وكان هذا منه في زمان مهلة النظر. وهذا الذي ذكره يمنع منه سياق الآية، لان الله تعالى حكى عن إبراهيم أنه \* (جاء ربه بقلب سليم) \* يعني سليم من الشرك، وذلك لا يليق بزمان مهلة النظر. ثم أنه قال لقومه على وجه التقبيح لفعلهم \* (ماذا تعبدون أفكأ آلهة دون الله تريدون. فما ظنكم برب العالمين) \* وهذا كلام عارف بالله مستبصر، وكيف يحمل على زمان مهلة النظر. وقيل: في معنى قوله \* (إني سقيم) \* إني سقيم القلب مما أرى من أحوالكم القبيحة من عبادة غير الله وعدو لكم عن عبادته مع وضوح الأدلة الدالة على توحيده واستحقاقه للعبادة منفردا بها. وقيل: إنه كان عرضت له

---

(١) سورة ٣٩ المزملة آية ٣٠

(٢) سورة ٦ الانعام آية ٧٦

علة في الحال، وكان صادقا في ذلك. وقيل: معناه إن عاقبتني الموت، ومن كان عاقبته الموت جاز أن يعبر عن حال حياته بأنه مريض. وقيل: معناه إني سأسقم في المستقبل، وقيل: إنه أراد بقوله: سقيم مطعون، فلذلك تركوه خوفا من أن يتعدى إليهم الطاعون.

فأما من قال: إنه لم يكن سقيما وإنما كذب فيه ليتأخر عن الخروج معهم إلى عيدهم لتكسير أصنامهم وأنه يجوز الكذب في المكيدة والتقية، فقولُه باطل، لان الكذب قبيح لا يحسن على وجه.

فأما ما يروونه من أن النبي صلى الله عليه وآله قال (ما كذب أبي إبراهيم الا ثلاث كذبات يحاجز بها عن ربه: قوله إني سقيم ولم يكن كذلك، وقوله \* (بل فعله كبيرهم هذا) \* وقوله في سارة أنها أختي وكانت زوجته) \*.

فأول ما فيه أنه خبر واحد لا يعول عليه. والنبي صلى الله عليه وآله أعرف بما يجوز على الأنبياء وما لا يجوز من كل واحد، وقد دلت الأدلة العقلية على أن الأنبياء لا يجوز أن يكذبوا في ما يؤدونه عن الله من حيث أنه كان يؤدي إلى أن لا يوثق بشيء من اخبارهم وإلى أن لا ينزاح علة المكلفين، ولا في غير ما يؤدونه عن الله من حيث أن تجويز ذلك ينفر عن قبول قولهم، فإذا يجب ان يقطع على أن الخبر لا أصل له. ولو سلم لجاز أن يكون المعنى مع ظاهره مظاهر للكذب، وإن لم يكن في الحقيقة كذلك، لان قوله \* (إني سقيم) \* قد بينا الوجه فيه. وقوله \* (بل فعله كبيرهم) \* بيناه في موضعه. وقوله في سارة إنها أختي معناه إنها أختي في الدين، وقد قال الله تعالى إنما المؤمنون أخوة، وإن لم يكونوا بني أب واحد.

وقوله \* (فتولوا عنه مدبرين) \* اخبار منه تعالى أنه حين قال لهم إني

سقيم أعرضوا عنه وتركوه وخرجوا إلى عيدهم وهو متخلف عنهم،  
قوله تعالى:

\* (فراغ إلى آلهتهم فقال ألا تأكلون (٩١) مالكم  
لا تنطقون (٩٢) فراغ عليهم ضربا باليمين (٩٣) فأقبلوا إليه  
يزفون (٩٤) قال أتعبدون ما نتحتون (٩٥) والله خلقكم وما  
تعملون (٩٦) قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه في الجحيم (٩٧)  
فأرادوا به كيدا فجعلناهم الأسفلين (٩٨) وقال إني ذاهب  
إلى ربي سيهدين (٩٩) رب هب لي من الصالحين (١٠٠) فبشرناه  
بغلام حلیم) \* (١٠١) إحدى عشر آية.  
قرأ حمزة والمفضل عن عاصم \* (يزفون) \* بضم الياء. الباقيون بفتحها، وهما  
لغتان. وزففت أكثر. ويجوز أن يكون المراد زف الرجل في نفسه وأزف  
غيره، والتقدير فأقبلوا إليه يزفون أنفسهم.  
قوله \* (فراغ إلى آلهتهم) \* معناه مال إليها بحدة، تقول: راغ يروغ  
روغا وروغانا مثل حاد يحيد حيدا وحيدانا، والرواغ الحياض، قال عدي  
ابن زيد:  
حين لا ينفع الرواغ ولا \* ينفع إلا الصادق النحرير (١).

---

(١) تفسير الطبري ٢٣ / ٤١



وإنما مال إليها بحدة غضبا على عابديها، وقوله \* (إلى آلهتهم) \* معناه إلى ما يدعون أنها آلهتهم أي إلى ما اتخذوها آلهة لهم، كما تقول. للمبطل: هات حجتك مع علمك انه لا حجة له.

وقوله \* (فقال ألا تأكلون) \* إنما جاز ان يخاطب الجماد بذلك تهجينا لعابديها وتنبيها على أن من لا يتكلم ولا يقدر على الجواب كيف تصح عبادتها، فاجراها مجرى من يفهم الكلام ويحسن ذكر الجواب استظهارا في الحجة وإيضاحا للبرهان، لكل من سمع ذلك ويبلغه. وقوله \* (ما لكم لا تنطقون) \* معناه تهجينا لعابديها كأنهم حاضرون بها. وقوله \* (فراغ عليهم ضربا باليمين) \* قيل في معناه قولان:

أحدهما - انه مال عليهم بيده اليمنى، لأنها أقوى على العمل من الشمال.  
الثاني - بالقسم ليكسرنها، لأنه كان قال \* (وتالله لأكيذن أصنامكم) \* (١)  
وقال الفراء: اليمين القوة، ومنه قول الشاعر:

[إذ ما راية رفعت لمجد] \* تلقاها عرابة باليمين (٢)

أي بالقوة. وقوله \* (فاقبلوا إليه يزفون) \* قال ابن زيد: معناه يسرعون.  
وقال السدي: يمشون. وقيل: يتسللون بحال بين المشي والعدو، ومنه زفت النعامة، وذلك أول عدوها، وهو بين العدو والمشي، وقال الفرزدق:  
وجاء فزيع الشول قبل أوانها \* تزف وجاءت خلفه وهي زفف (٣)  
ومنه زففت العروس إلى زوجها، ومعنى يزفون يمشون على مهل، قال الفراء: لم أسمع إلا زففت، قال ولعل من قرأ بالضم أراد من قولهم طردت الرجل إذا أخسأته

(١) سورة ٢١ الأنبياء آية ٥٧

(٢) تفسير القرطبي ١٥ / ٧٥

(٣) تفسير الطبري ٢٣ / ٤٢ والقرطبي ١٥ / ٩٥

واطرده جعلته طريدا. وقرأ بعضهم (يزفون) يفتح الياء وتخفيف الفاء من (وزف، يزف) قال الكسائي والفراء: لا اعرف هذه إلا أن يكون أحدهم سمعها. فلما رآهم إبراهيم صلى الله عليه وآله اقبلوا عليه قال لهم على وجه الإنكار عليهم والتبكييت لهم بفعلهم\* (أتعبدون ما تنحتون)\* فالألف ألف الاستفهام ومعناها الإنكار ووجه التوبيخ انه كيف يصح أن يعبد الانسان ما يعمله بيده! فإنهم كانوا ينحتون الأصنام بأيديهم، فكيف تصح عبادة من هذه حاله مضافا إلى كونها جمادا!. ثم نبهم فقال\* (والله)\* تعالى هو الذي\* (خلقكم)\* وخلق الذي\* (تعملون)\* فيه من الأصنام، لأنها أجسام والله تعالى هو المحدث لها، وليس للمجبرة أن تتعلق بقوله\* (والله خلقكم وما تعملون)\* فتقول: ذلك يدل على أن الله خالق لأفعالنا، لأمر:

أحدها - ان موضوع كلام إبراهيم لهم بني على التقرير لهم لعبادتهم الأصنام، ولو كان ذلك من فعله تعالى لما توجه عليهم العيب، بل كان لهم ان يقولوا: لم توبخنا على عبادتنا للأصنام والله الفاعل لذلك، فكانت تكون الحجة لهم لا عليهم.

الثاني - أنه قال لهم\* (أتعبدون ما تنحتون)\* ونحن نعلم أنهم لم يكونوا يعبدون نحتهم الذي هو فعلهم، وإنما كانوا يعبدون الأصنام التي هي الأجسام وهي فعل الله بلا شك. فقال لهم\* (والله خلقكم)\* وخلق هذه الأجسام. ومثله قوله\* (فإذا هي تلقف ما يأفكون)\* (١) ومثله قوله\* (وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا)\* (٢) وعصا موسى لم تكن تلقف افكهم، وإنما

(١) سورة ٧ الأعراف آية ١١٦

(٢) سورة ٢٠ طه آية ٦٩

كانت تتلقف الأجسام التي هي العصا والحبال.  
ومنها ان (ما) في قوله \* (وما تعملون) \* لا يخلو من أن تكون بمعنى  
(الذي) أو تقع مع بعدها بمنزلة المصدر، فان كانت بمعنى (الذي)  
ف (تعملون) صلتها، ولا بد لها من عائد يعود إليها، فليس لهم أن  
يقدرُوا فيها ضميرا لها ليصح ما قالوه، لان لنا أن نقدر ضميرا فيه فيصح  
ما نقوله، ويكون التقدير: وما يعملون فيه، والذي يعملون فيه هي الأجسام  
وإن كانت مصدرية فإنه يكون تقديره: والله خلقكم وعملكم، ونفس العمل  
يعبر به عن المعمول فيه بل لا يفهم في العرف إلا ذلك، يقال فلان يعمل  
الخصوص، وفلان يعمل السروج، وهذا الباب من عمل النجار، والخاتم من  
عمل الصانع، ويريدون بذلك كله ما يعملون فيه، فعلى هذا تكون الأوثان  
عملا لهم بما يحدثون فيها من النحت والنجر، على أنه تعالى أضاف العمل إليهم  
بقوله \* (وما تعملون) \* فكيف يكون ما هو مضاف إليهم مضافا إلى الله تعالى  
وهل يكون ذلك إلا متناقضا.

ومنها أن الخلق في أصل اللغة هو التقدير للشيء وترتيبه، فعلى هذا  
لا يمتنع أن نقول: إن الله خالق أفعالنا بمعنى أنه قدرها للثواب والعقاب،  
فلا تعلق للقوم على حال.

ثم حكى تعالى ما قال قوم إبراهيم بعضهم لبعض فإنهم \* (قالوا إبنوا له  
بنيانا) \* قيل: انهم بنوا له شبه الحظيرة. وقيل مثل التنور وأججوا نارا  
ليلقوه فيها. والبناء وضع الشيء على غيره على وجه مخصوص، ويقال لمن  
رد الفرع إلى الأصل بناء عليه. \* (فالقوه في الجحيم) \* بمعنى اطرحوه في النار  
التي أججوها له. والجحيم عند العرب النار التي تجتمع بعضها على بعض.

ثم اخبر تعالى ان كفار قوم إبراهيم انهم \* (أرادوا به كيدا) \* وحيلة وهو  
وما أرادوا من إحراقه بالنار \* (فجعلناهم الأسفلين) \* بأن أهلكهم الله ونجا إبراهيم  
وقيل منع الله - عز وجل - النار منه بل صرفها في خلاف جهته، فلما أشرفوا  
على ذلك علموا انهم لا طاقة لهم به.

ثم حكى ما قال إبراهيم حين أرادوا كيده، فإنه قال \* (إني ذاهب إلى  
ربي) \* ومعناه إلي مرضات الله ربي بالمصير إلى المكان الذي أمرني ربي  
بالذهاب إليه. وقيل: إلى الأرض المقدسة وقيل إلى أرض الشام. وقال  
قتادة: معناه \* (إني ذاهب إلى ربي) \* أي بعملتي ونيتي، ومعنى \* (سيهدين) \*  
يعني يهديني في ما بعد إلى الطريق الذي أمرني بالمصير إليه أو إلى الجنة  
بطاعتي إياه.

ثم دعا إبراهيم ربه فقال \* (ربي هب لي من الصالحين) \* يعني ولدا  
صالحا من الصالحين، كما تقول: أكلت من الطعام، وحذف لدلالة الكلام  
عليه، فأجابه الله تعالى إلى ذلك وبشره بغلام حليم أي حليما لا يعجل في  
الأمر قبل وقتها، وفي ذلك بشارة له على بقاء الغلام حتى يصير حليما.  
وقال قوم: المبشر به إسحاق وقال آخرون إسماعيل، ونذكر خلافهم في  
ذلك في ما بعد.

قوله تعالى:

\* (فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام إني  
أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت أفعل ما تؤمر ستجدني  
إن شاء الله من الصابرين (١٠٢) فلما أسلما وتله للجبين (١٠٣)

ونادينه أن يا إبراهيم (١٠٤) قد صدقت الرؤيا إنا كذلك  
نجزى المحسنين (١٠٥) إن هذا لهو البلاء المبين (١٠٦) وفديناه  
بذبح عظيم (١٠٧) وتركنا عليه في الآخرين (١٠٨) سلام  
على إبراهيم (١٠٩) كذلك نجزي المحسنين (١١٠) إنه من  
عبادنا المؤمنين\* (١١١) عشر آيات.  
قرأ أهل الكوفة إلا عاصما\* (ماذا ترى)\* بضم التاء وكسر الراء.  
الباقون بفتح التاء. من ضم التاء أراد ماذا تشير، وقال الفراء: يجوز أن يكون  
المراد ماذا ترى من صبرك وجلدك، لأنه لا يستشير في أمر الله.  
واصله ترئي فنقلوا كسرة الهمزة إلى الراء، وحذفت الهمزة لسكونها وسكون  
الياء. ومن فتح جعله من الرأي والرؤية، لا من المشورة.  
لما أخبر الله تعالى أنه أجاب دعوة إبراهيم في طلب الولد وبشره بولد  
حليم أخبر أن من وعده به ولد له وكبر وترعرع، فلما بلغ مع أبيه السعي  
يعني في طاعة الله، قال الحسن سعى للعمل الذي تقوم به الحجة. وقال مجاهد:  
بلغ معه السعي. معناه أطاق أن يسعى معه ويعينه على أموره، وهو قول  
الفراء قال: وكان له ثلاث عشرة سنة، وقال ابن زيد: السعي في العبادة  
\* (قال يا بني اني أرى في المنام اني أذبحك فانظر ماذا ترى)\* وكان الله  
تعالى أوحى إلى إبراهيم في حال اليقظة، وتعبده أن يمضي ما يأمره في  
حال نومه من حيث إن منامات الأنبياء لا تكون إلا صحيحة، ولو لم يأمره

به في اليقظة لما جاز أن يعمل على المنامات، أحب أن يعلم حال ابنه في صبره على أمر الله وعزيمته على طاعته. فلذلك قال له ماذا ترى، وإلا فلا يجوز أن يواصر في الماضي في أمر الله ابنه، لأنه واجب على كل حال. ولا يمتنع أيضا أن يكون فعل ذلك بأمر الله أيضا، فوجده عند ذلك صابرا مسلما لأمر الله. \* (وقال يا أبت افعل ما تؤمر) \* أي ما أمرت به \* (ستجدني انشاء الله من الصابرين) \* ممن يصبر على الشدائد في حب الله ويسلم أمره إليه \* (فلما أسلما) \* يعني إبراهيم وابنه أي استسلما لأمر الله ورضيا به اخذ ابنه \* (وتله للجبين) \* معنى تله صرعه. والجبين ما عن يمين الجبهة أو شمالها وللوجه جبينان الجبهة بينهما. وقال الحسن: معنى وتله اضجعه للجبين. ومنه التل من التراب وجمعه تلول. والتليل العنق، لأنه يتل له، \* (ونادينه أن يا إبراهيم) \* و (نادينه) هو جواب (فلما) قال الفراء: العرب تدخل الواو في جواب (فلما) و (حتى) و (إذا) كما قال \* (حتى إذا جاؤها فتحت أبوابها) \* (١) وفي موضع آخر \* (وفتحت) \* (٢) وفي قراءة عبد الله \* (فلما جهزهم بجهازهم وجعل السقاية) \* (٣) وفي المصاحف (جعل) بلا واو وموضع أن نصب بوقوع النداء عليه وتقديره ونادينه بأن يا إبراهيم أي هذا الضرب من القول فلما حذف الباء نصب. وعند الخليل أنه في موضع الجر \* (قد صدقت الرؤيا) \* ومعناه فعلت ما أمرت به في الرؤيا واختلفوا في الذبيح. فقال ابن عباس وعبد الله بن عمر ومحمد بن كعب القرطبي وسعيد ابن المسيب والحسن في إحدى الروايتين عنه والشعبي: أنه كان إسماعيل وهو الظاهر في روايات أصحابنا ويقويه قوله بعد هذه القصة وتامامها

(١) سورة ٣٩ الزمر آية ٧١، ٧٣

(٢) سورة ٣٩ الزمر آية ٧١، ٧٣

(٣) سورة ١٢ يوسف آية ٧٠

\* (وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين) \* فدل على أن الذبيح كان إسماعيل. ومن قال: إنه بشر بنبوة إسحاق دون مولده، فقد ترك الظاهر لأن الظاهر يقتضي البشارة بإسحاق دون نبوته، ويدل أيضا عليه قوله \* (فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب) \* ولم يذكر إسماعيل، فدل على أنه كان مولودا قبله وأيضاً فإنه بشره بإسحاق وأنه سيولد له يعقوب، فكيف يأمره بذبحه مع ذلك. وأجابوا عن ذلك بأن الله لم يقل إن يعقوب يكون من ولد إسحاق. وقالوا أيضاً يجوز أن يكون أمره بذبحه بعد ولادة يعقوب، والأول هو الأقوى على ما بيناه. وقد روى عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: أنا ابن الذبيحين، ولا خلاف أنه كان من ولد إسماعيل والذبيح الآخر عبد الله أبوه. وروي عن ابن عباس وعلي وابن مسعود وكعب الأحمري أنه كان إسحاق. وروي ذلك أيضاً في أخبارنا.

وفى الناس من استدلل بهذه الآية على جواز النسخ قبل وقت فعله من حيث إن الله تعالى كان قد أمره بذبح ولده ثم نسخ عنه قبل أن يفعله، ولا يمكننا أن نقول إن الوقت كان قد مضى، لأنه لو أخره عن الوقت الذي أمره به فيه لكان عاصياً، ولا خلاف أن إبراهيم لم يعص بذلك. فدل على أنه نسخ عنه قبل وقت فعله.

ومن لم يجز النسخ قبل وقت فعله أجاب عن ذلك بثلاثة أجوبة: أحدها - أن الله تعالى أمر إبراهيم أن يقعد منه مقعد الذابح ويشد يديه ورجليه ويأخذ المديّة ويتركها على حلقه وينتظر الأمر بامضاء الذبيح على ما رأى في منامه وكل ذلك فعله، ولم يكن أمره بالذبح، وإنما سمي مقدمات الذبح بالذبح لقربه منه وغلبة الظن أنه سيؤمر بذلك على ضرب من المجاز.

الثاني - انه إنما أمره بالذبح وذبح، وكل ما فرى جزء من حلقه وصله الله بلا فصل حتى انتهى إلى آخره فاتصل به، وصله الله تعالى، فقد فعل ما أمر به ولم يبين الرأس ولا انتفى الروح.

الثالث - انه امر بالذبح بشرط التخلية والتمكين، فكان كما روي أنه كلما أعمد بالشفرة انقلبت وجعل على حلقه صفحة من نحاس، وهذا الوجه ضعيف، لان الله تعالى لا يجوز ان يأمر بشرط، لأنه عالم بالعواقب، وإنما يأمر الواحد منا بشرط ذلك لأنه لا يعلم العواقب، ولان فيه انه أمر بما منع منه وهذا عيب فاما قول من قال: انه فداه بذبح، فدل ذلك على أنه كان مأمورا بالذبح على الحقيقة، اعتراضا على الوجه الأول، لان من شأن الفداء أن يكون من جنس المفدي، فليس بشيء، لأنه لا يلزم ذلك الا ترى ان من حلق رأسه وهو محرم يلزمه ذلك، وكذلك إذا لبس ثوبا مخيطا أو شم طيبا أو جامع. وإن لم يكن جميع ذلك من جنس المفدي.

وقوله \* (إنا كذلك نجزي المحسنين) \* معناه إنا جازينا إبراهيم على فعله بأحسن الجزاء. ومثل ذلك نجزي كل من فعل طاعة، فانا نجازيه على فعله بأحسن الجزاء.

ثم اخبر تعالى بأن هذا الذي تعبد به إبراهيم هو البلاء المبين أي الاختبار الظاهر وقيل: هو النعمة البينة الظاهرة، وتسمى النعمة بلاء والنقمة أيضا بلاء من حيث إنها سميت بسببها المؤدي إليها، كما يقال لأسباب الموت هو الموت بعينه \* (والمبين) \* هو البين في نفسه الظاهر، ويكون بمعنى الظاهر، ويكون بمعنى المظهر ما في الامر من خير أو شر.

ثم قال تعالى \* (وفديناه) \* يعني ولد إبراهيم \* (بذبح عظيم) \* فالفداء جعل



الشيء مكان غيره لدفع الضرر عنه، ومنه فداء المسلمين بالمشركين لدفع ضرر الأشد عنهم، فكذلك فداء الله ولد إبراهيم بالكبش لدفع ضرر الذبح عنه. والعظيم هو الكبير. وقيل: لان الكبش الذي فدي به يصغر مقدار غيره من الكباش عنه بالإضافة إليه. وقال ابن عباس: فدي بكبش من الغنم. وهو قول مجاهد والضحاك وسعيد بن جبير. وقال الحسن: فدي بوعل أهبط به عليه جبرائيل. وقيل: إنه لا خلاف انه لم يكن من الماشية التي كانت لإبراهيم أو غيره في الدنيا. وقيل: إنه رعى في الجنة أربعين خريفا. وقال مجاهد: وصفه بأنه عظيم، لأنه متقبل. والذبح بكسر الذال المهيأ، لان يذبح. وبفتح الذال المصدر.

وقوله \* (وتركنا عليه في الآخرين) \* يعني على إبراهيم في الآخرين يعني أثبتنا عليه الشاء الحسن في أمة محمد لأنهم آخر الأمم بأن قلنا \* (سلام على إبراهيم) \* وقد بينا ما في ذلك ثم قال مثل ذلك نجزي كل محسن، فاعل لما أمر الله به كما جازينا إبراهيم صلى الله عليه وآله. ثم أخبر تعالى ان إبراهيم كان من جملة عباده الذين يصدقون بتوحيد الله وبجميع ما اواجهه عليهم، ومن جملة المصدقين بوعد الله ووعيده والبعث والنشور والجنة والنار. وإنما قال \* (انه من عبادنا المؤمنين) \* مع أنه أفضل المؤمنين ترغيبا في الايمان بأن مدح مثله في جلالته بأنه من المؤمنين، كما يقال هو من الكرماء وكذلك قوله \* (ونبينا من الصالحين) \* (١) وإذا مدح بأنه يصلح وحده فلانه لا يقوم غيره مقامه ويستغنى به عنه.

---

(١) سورة ٣ آل عمران آية ٣٩

قوله تعالى:

\* (وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين (١١٢) وباركنا عليه وعلى إسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين (١١٣) ولقد مننا على موسى وهارون (١١٤) ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم (١١٥) ونصرناهم فكانوا هم الغالبين (١١٦) وآتيناهما الكتاب المستبين (١١٧) وهديناهما الصراط المستقيم (١١٨) وتركنا عليهما في الآخرين (١١٩) سلام على موسى وهارون (١٢٠) إنا كذلك نجزي المحسنين (١٢١) إنهما من عبادنا المؤمنين (١٢٢) إحدى عشرة آية.

يقول الله تعالى بعد ان ذكر قصة إبراهيم وولده الذي اخبر الله بذبحه على ما فسرناه، بشره بإسحاق ولدا له آخر، نعمة عليه مجددة لما فعل من المسارعة إلى ما أمره الله به وصبره على احتمال المشقة فيه، وبين انه نبيا من الصالحين، وأنه بارك عليه يعني على يعقوب وعلى إسحاق وخلق من ذريتهما الخلق الكثير، فمنهم محسن بفعل الطاعات ومنهم ظالم لنفسه بارتكاب المعاصي بسوء اختياره، مبين أي بين ظاهر. ثم اقسم تعالى بأنه من على موسى وهارون أي أنعم عليهما نعمة قطعت عنهما

كل اذبة، فأصل المن القطع من قوله \* (فلهم أجر غير ممنون) \* (١) أي غير مقطوع، وحل منين متقطع والمنية الموت، لأنها قاطعة عن تصرف الحي والبركة ثبوت الخير النامي على مرور الأوقات فبركته على إبراهيم وإسحاق باللطف في دعائهما إلى الحق، وبالخبر عن أحوال جليلة في التمسك بطاعة الله \* (ونجيناهما وقومهما) \* ومعناه إنا خلصنا موسى وهارون، ومن كان آمن بهما \* (من الكرب العظيم) \* أي الأذى الذي كان يؤذونهم بأن أهلك الله فرعون وقومه وغرقهم \* (ونصرناهم) \* يعني موسى وهارون وقومهما، \* (فكانوا هم الغالبين) \* لأعدائهم بالحجج الظاهرة وبالقدر، من حيث أن الله غرق أعداءهم \* (وآتيناهما) \* يعني موسى وهارون \* (الكتاب المستبين) \* يعني التوراة الداعي إلى ما فيه من البيان بالمحاسن التي تظهر منه في الاستماع، فكل كتاب لله بهذه الصفة من ظهور الحكمة فيه \* (وهديناهما الصراط المستقيم) \* يعني أرسلنا موسى وهارون ودللناهما على الطريق المؤدي إلى الحق الموصل إلى الجنة باخلاص الطاعة لله تعالى. وقال قتادة: الطريق المستقيم الاسلام \* (وتركنا عليهما في الآخرين) \* أي الشاء الجميل. بأن قلنا \* (سلام على موسى وهارون) \* كما قلنا \* (سلام على نوح في العالمين) \* (٢).

ثم اخبر تعالى ان مثل ما فعل لهما يفعل بالمحسنين المطيعين ويجزيهم بمثل ذلك على طاعاتهم، ودل ذلك على أن ما ذكره الله كان على وجه الثواب على الطاعات لموسى وهارون ومن تقدم ذكره، لان لفظ الجزاء يفيد ذلك. ثم اخبر ان موسى من جملة عباده المصدقين بجميع ما أوجبه الله عليهم العالمين بذلك.

(١) سورة ٩٥ التين آية ٦  
(٢) آية ٧٩ من هذه السورة

قوله تعالى:

\* (وإن إلياس لمن المرسلين (١٢٣) إذ قال لقومه ألا تتقون (١٢٤) أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين (١٢٥) الله ربكم ورب آبائكم الأولين (١٢٦) فكذبوه فإنهم لمحضرون (١٢٧) إلا عباد الله المخلصين (١٢٨) وتركنا عليه في الآخرين (١٢٩) سلام على آل ياسين (١٣٠) إنا كذلك نجزي المحسنين (١٣١) إنه من عبادنا المؤمنين) \* (١٣٢) عشر آيات. قرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر \* (الله ربكم ورب آبائكم) \* نصبا. الباقر بالرفع. من نصب جعله بدلا من قوله \* (أحسن الخالقين) \* ومن رفع استأنف الكلام، وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب \* (سلام على آل ياسين) \* على إضافة (آل) إلى (ياسين). الباقر \* (على الياسين) \* موصولة. من أضاف أراد به على آل محمد صلى الله عليه وآله لان (يس) اسم من أسماء محمد على ما حكيناه. وقال

بعضهم: أراد آل الياس عليه السلام. وقال الجبائي أراد أهل القرآن، ومن لم يصف أراد الياس. وقال: الياسين، لان العرب تغير الأسماء العجمية بالزيادة كما يقولون: ميكائيل وميكائين، وميكال وميكائل، وفي إسماعيل اسماعين قال الشاعر:

يقول أهل السوق لما جينا \* هذا ورب البيت اسرائينا (١)

وفي قراءة عبد الله \* (وإن إدريس لمن المرسلين سلام على إدراسين) \*  
وقيل أيضا إنه جمع، لأنه أراد الياس ومن آمن معه من قومه، وقال الشاعر:  
قدني من نصر الخبيبين قدي (١)

فجعل ابن الزبير أبا خبيبا ومن كان على رأيه عددا ولم يضيفهم بالياء  
فيقول: خبيبين، فخفف في الشعر مثل الاشعرين، وكما قالوا: سيرة العمرين  
وخير الزهديمين، وإنما أحدهما زهدم والآخر كردم. وقال قوم: تقديره  
على \* (آل ياسين) \* فخفف، لأنه أراد الياسا وقومه، كما قالوا: الاشعرون  
والمهليون. قال الشاعر:

انا ابن سعد أكرم السعدينا.  
وكلهم قرأ \* (وإن الياس) \* بقطع الهمزة إلا أن أبا عامر، فإنه فصل  
الهمزة وأسقطها في الدرج، فإذا ابتدأ فتحها، قال أبو علي النحوي: يجوز  
أن يكون حذف الهمزة حذفا، كما حذفها أبو جعفر في قوله \* (إنها لإحدى  
الكبر) \* (٢) ويحتمل أن تكون الهمزة التي تصحب لام التعريف، وهي تسقط  
في الدرج، وأصله (ياس).

اخبر الله تعالى أن الياس من جملة من أرسله الله إلى خلقه نبيا داعيا  
إلى توحيده وطاعته حين \* (قال لقومه ألا تتقون) \* الله بترك معاصيه  
وفعل طاعاته، فاللفظ لفظ الاستفهام والمراد به الإنكار، كما يقول القائل ألا  
تتقي الله يا فلان في أن تظلم أو تزني، وما أشبه ذلك، وإنما يريد بذلك  
الإنكار. ثم قال لهم \* (أتدعون بعلا) \* قال الحسن والضحاك وابن زيد:  
المراد بالبعل - ههنا - صنم كانوا يعبدونه، والبعل في لغة أهل اليمن هو

---

(١) تفسير القرطبي ١٥ / ١١٨

(٢) سورة ٧٤ المدثر آية ٣٥

الرب، يقولون من بعل هذا الثوب أي من ربه - وهو قول عكرمة ومجاهد وقتادة والسدي - ويقولون: هو بعل هذه الدابة أي ربها، كما يقولون: رب الدار ورب الفرس، وزوج المرأة بعلها، والنخل والزرع إذا استقى بماء السماء فهو بعل، وهو العذي، خلاف السقي. والأصل في الرب المالك فالزوج رب البضع، لأنه مالكة.

ومعنى الآية أتدعون بالإلهية صنما عادلين عن أحسن الخالقين، وهذا إنكار عليهم أن يعتقدوا أن غير الله إله أو يقولون لغيره يا إلهي. وقال قتادة: الياس وهو إدريس، وقال ابن إسحاق: هو من ولد هارون، وهو اسم نبي وهو أعجمي، فلذلك لم ينصرف، ولو جعل (أفعالا) من الاليس وهو الشجاع الجري لجاز.

ثم بين لهم الذي هو أحسن الخالقين، فقال \* (الله ربكم الذي خلقكم ورب آبائكم) \* أي الذي دبركم وخلقكم، وخلق آباءكم \* (الأولين) \* يعني من مضى من آبائكم وأجدادكم.

ثم حكى أن قومه كذبوه ولم يصدقوه، وأن الله أهلكهم وأنهم لمحضرون عذاب النار. ثم استثنى من جملتهم عباده الذين أخلصوا عبادتهم لله وبين أنه أثنى عليهم في آخر الأمم بأن قال \* (سلام على آلياسين) \* وآل محمد صلى الله عليه وآله

هم كل من آل إليه بحسب أو بقرابة، وقال قوم: آل محمد كل من كان على دينه، ولا خلاف بين النحويين أن أصل (آل) أهل فغلبوا الهاء همزة وجعلوها مدة لئلا يجتمع ساكنان، ألا ترى أنك إذا صغرت قلت أهيل ولا يجوز أويل، لأنه رد إلى الأصل لا إلى اللفظ.

وقوله \* (أفلا تعقلون) \* معناه تتدبرون وتتفكرون في ما نزل بهؤلاء

القوم وتعتبرون به لتجنبوا ما كانوا يفعلونه من الكفر والضلال. وفي قوله \* (لمحضرون) \* حذف، لان تقديره فإنهم لمحضرون العقاب واليم العذاب لتكذيبهم والجزاء بما تقتضيه الحكمة فيهم. وهذا الابهام تغليظ في الوعيد بالعذاب، لأنه لعظمه معلوم لا يخفى أمره، ووجه الحجة عليهم في قوله \* (ورب آبائكم الأولين) \* انه إذا كان الرب واحدا وجب اخلاص العبادة لواحد، لأنه الذي يملك الضر والنفع في جميع الأمور، وذلك يبطل عبادة الأوثان.

ثم قال كما جازينا هؤلاء بهذا الجزاء وهو ان أثينا عليهم في آخر الأمم مثل ذلك نجزي من فعل الطاعات واجتنب المعاصي. ثم اخبر ان الياس كان جملة عباده المصدقين بجميع ما اخبر الله به من وعد ووعيد وغير ذلك، العاملين بما أوجب الله عليهم. قوله تعالى:

\* (وإن لوطا لمن المرسلين (١٣٣) إذ نجيناه وأهله أجمعين (١٣٤) إلا عجوزا في الغابرين (١٣٥) ثم دمرنا الآخرين (١٣٦) وإنكم لتمرون عليهم مصبحين (١٣٧) وبالليل أفلا تعقلون (١٣٨) وإن يونس لمن المرسلين (١٣٩) إذ أبق إلى الفلك المشحون (١٤٠) فساهم فكان من المدحضين (١٤١) فالتقمه الحوت وهو مليم (١٤٢) فلولا أنه كان من المسبحين (١٤٣)

للبث في بطنه إلى يوم يبعثون (١٤٤) فنبذناه بالعراء وهو  
سقيم (١٤٥) وأنبثنا عليه شجرة من يقطين (١٤٦) وأرسلناه  
إلى مائة ألف أو يزيدون (١٤٧) فآمنوا فمتعناهم إلى حين) \* (١٤٨)  
ست عشرة آية.

أخبر الله تعالى أن لوطا كان من جملة من أرسله الله نبيا إلى خلقه  
داعيا لهم إلى طاعة الله ومنبها لهم على وجه وحدانيته، وإن قومه كذبوه  
وجحدوا نبوته فأهلكهم الله ونجا لوطا وأهله أجمعين، واستثنى من جملة  
أهله الناجين (عجوزا) أهلكها الله، لكونها على مثل ما كان قومه عليه  
\* (في الغابرين) \* أي في الباقيين الذين أهلكوا، فالغابر الباقي قليلا بعد  
ما مضى، ومنه الغبار، لأنه يبقى بعد ذهاب التراب قليلا. والتغبير التلحين  
لأنه يبقى الصوت فيه بالترديد قليلا، ومنه قول الشاعر:

به غبر من دأبه وهو صالح

ثم إنه لما نجى لوطا وأهله وخلصهم، دمر الآخرين من قومه.  
والتدمير الإهلاك على وجه التنكيل دمر عليهم إذا غير حالهم إلى حال  
التشويه، فالله تعالى أهلك قوم لوط بما أرسل عليهم من الحجارة، وبما  
فعل بهم من انقلاب قراهم.

وقوله \* (وإنكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون) \* توبيخ  
من الله للكفار الذين عاصروا النبي صلى الله عليه وآله وتعنيف لهم على ترك اعتبارهم  
وإيقاظهم بمواضع هؤلاء الذين أهلكهم الله ودمر عليهم مع كثرة مرورهم



عليها صباحا ومساء وليلا ونهارا. وفي كل وقت. ومن كثر مرورهم بمواضع العبرة فلم يعتبر كان الوم ممن قل ذلك منه. وقوله \* (أفلا تعقلون) \* معناه أفلا تتدبرون فتتفكرون في ما نزل بهؤلاء القوم من الكفر والضلال. وقيل: وجه القصص وتكريرها، كتشويق إلى مثل ما كانوا عليه من مكارم الأخلاق ومحاسن الأفعال وصرف الناس عن مساوي الأخلاق وقبائح الأفعال قال الشاعر:

تلك المكارم لأقعبان من لبن \* شييا بماء فعادا بعد أبو الا

ثم قال تعالى مخبرا عن يونس عليه السلام انه كان من جملة من أرسل الله إلى خلقه وجعله نبيا يدعو إلى توحيدده وخلع الأنداد دونه.

وقوله \* (إذ أبق إلى الفلك المشحون) \* معناه حين هرب إلى السفن المملوءة، فالأباق الفرار، فالأبق الفار إلى حيث لا يهتدي إليه طالبه يقال: أبق العبد يأبق أباقا فهو آبق إذا فر من مولاه. والآبق والهارب والفار واحد. قال الحسن: فر من قومه \* (إلى الفلك المشحون) \* أي المحمل الموقر. وقوله \* (فساهم) \* قال ابن عباس معناه قارع، وهو قول السدي \* (فكان من المدحضين) \* قال مجاهد: يعني من المسهومين، والمساهمة المقارعة، فلما ساهم يونس قومه وقع السهم عليه، فالقي في البحر، فالتقمه الحوت، فكان من المدحضين، قال الحسن كان من المقروعين. وقيل: معناه فكان من الملقين في البحر، والدحض الزلق لأنه يسقط عنه المار فيه. ومنه قوله \* (حجتهم داحضة) \* (١) أي ساقطة، ودحض يدحض دحضا فهو داحض، وأدحضته ادحاضا، وقيل: كان يونس عليه السلام قد توعدهم بالعذاب

---

(١) سورة ٤٢ الشورى آية ١٦

ان أقاموا على ما هم عليه، فلما رأوا مخايل العذاب واماراته دعوا الله أن يكشف عنهم وتابوا إليه، فكشفه. وكان يونس قد خرج قبل ان يأمره الله - عز وجل - بالخروج من بين قومه استظهارا، فلما كشف الله عنهم لام نفسه على الخروج ومضى على وجهه إلى أن ركب البحر. وقيل: إنما تساهموا لأنهم أشرفوا على الغرق فرأوا ان طرح واحد أيسر من غرق الجميع. وقيل: لا بل لما رأوا الحوت قد تعرضت لهم، قالوا فينا مذنب مطلوب فتقارعوا فلما خرج على يونس رموا به في البحر فالتقمه الحوت. ومعناه ابتلعه يقال التقمه التقاما ولقم يلقم لقمًا وتلقم تلقما.

وقوله \* (وهو ملیم؟ معناه أتى بما يلام عليه، وإن وقع مكفرا عند من قال بتجويز الصغائر على الأنبياء، وعندنا قد يلام على ترك النذب، يقال ألام الرجل إلامه فهو ملیم، وقال مجاهد وابن زيد: الملیم المذنب قال لبيد:

سفها عدلت ولمت غير ملیم \* وهداك قبل اليوم غير حكيم (١)  
ثم قال \* (فلولا أنه كان من المسبحين) \* قال قتادة: كان من المصلين في حال الرخاء فنجاه الله من البلاء. وقال سعيد بن جبیر: كان يقول لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، والتسبيح التنزيه عما لا يليق ولا يجوز في صفته، ويقال: سبح الله يسبح تسبيحا إذا قال: سبحان الله معظما له بما هو عليه من صفات التعظيم نافيا عنه مالا يليق به ولا يجوز عليه من صفات المخلوقين والمحتاجين.

---

(١) مجاز القرآن ٢ / ١٧٤ واللسان (لوم)

وقوله \* (اللبث في بطنه إلى يوم يبعثون) \* إخبار منه تعالى انه لولا تسبيح  
يونس لتركه إليه أي كان يبقى في بطنه إلى يوم القيامة الذي يحشر الله فيه  
الخلائق، وقوله \* (فنبذناه بالعراء وهو سقيم) \* إخبار منه تعالى انه لما أراد  
تخليصه طرحه بالعراء وهو الفضاء الذي لا يواريه شجر ولا غيره. قال الشاعر:  
فرفعت رجلا لا أخاف عثارها \* ونبذت بالبلد العراء ثيابي (١)  
وقال السدي: لبث في بطن الحوت أربعين يوما \* (وهو سقيم) \* أي هو  
مريض حين ألقاه الحوت.

ثم اخبر تعالى انه انبت عليه شجرة من يقطين تكنه من حر الشمس.  
اليقطين كل شجرة ليس لها ساق يبقى من الشتاء إلى الصيف، فهي يقطين  
وقال ابن عباس وقتادة: هو القرع. وقال مجاهد وسعيد بن جبير كل  
شجر لا يقوم على ساق كالبطيخ والدبا والقرع فهو يقطين. وهو تفعيل من  
قطن بالمكان إذا أقام إقامة زائل لا إقامة راسخ كالنخل والزيتون ونحوه  
والقطاني من الحبوب التي تقيم في البيت، قال أمية بن أبي الصلت.  
فانبت يقطينا عليه برحمة \* من الله لولا الله القى ضاحيا (٢)  
وروي عن ابن عباس ان اليقطين كل شجرة لها ورق عريض. وقوله  
\* (وأرسلناه إلى مئة ألف أو يزيدون) \* قيل: أرسل الله يونس إلى أهل  
نينوى من أرض الموصل - في قول قتادة - وقال ابن عباس: كانت رسالته  
بعدها نبذه الحوت، فيجوز على هذا انه أرسل إلى قوم بعد قوم ويجوز  
أن يكون أرسل إلى الأولين بشريعة فآمنوا بها. وقيل: إن قوم يونس لما  
رأوا إمارات العذاب ولم يكونوا قد بلغوا حد الاجبار واليأس من البقاء

---

(١) مجاز القرآن ٢ / ١٧٥ واللسان (عمرا)

(٢) تفسير الطبري ٢٣ / ٥٩

آمنوا، وقبل الله إيمانهم، لأنهم لو كانوا حصلوا في العذاب لكانوا ملجئين ولما صح إيمانهم على وجه يستحق به الثواب.

وقوله \* (أو يزيدون) \* قيل في معنى \* (أو) \* ثلاثة أقوال:

أحدها - أن تكون بمعنى الواو، وتقديره إلى مئة ألف وزيادة عليهم.

الثاني - أن تكون بمعنى (بل) على ما قال ابن عباس.

الثالث - أن تكون بمعنى الإبهام على المخاطبين، كأنه قال أرسلناه إلى إحدى العديتين. ثم حكى تعالى عنهم أنهم آمنوا بالله وأقروا له بالوحدانية وراجعوا التوبة، وكشف الله عنهم العذاب ومتعهم إلى وقت فناء آجالهم، فالتمتع والامتناع هو التعريض للمنافع الحاصلة كالامتناع بالبساتين والرياض وشهي الطعام والشراب.

قوله تعالى:

\* (فاستفتهم أربك البنات ولهم البنون (١٤٩) أم خلقنا

الملائكة إناثا وهم شاهدون (١٥٠) ألا إنهم من إفكهم ليقولون (١٥١)

ولد الله وإنهم لكاذبون (١٥٢) أصطفى البنات على البنين (١٥٣)

مالككم كيف تحكمون (١٥٤) أفلا تذكرون (١٥٥) أم لكم

سلطان مبين (١٥٦) فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين (١٥٧) وجعلوا

بينه وبين الجنة نسبا ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون (١٥٨)

سبحان الله عما يصفون (١٥٩) إلا عباد الله المخلصين \* (١٦٠)

اثنتا عشرة آية.

كلهم قرأ \* (أصطفى) \* بفتح الهمزة إلا ورشا وإسماعيل عن نافع،  
فإنهما وصلاه على الخبر. وبه قرأ أبو جعفر قال أبو علي الفارسي: يجوز أن  
يكون على تقدير لكاذبون في قولهم قالوا: اصطفى، ويجوز أن يكون اصطفى  
النبات على ما يقولونه، والوجه قطع الهمزة، لأنه على وجه التقريع، ويقويه  
قوله \* (أم اتخذ مما يخلق نبات) \* قال قتادة والسدي: ان قريشا كانت  
تقول: الملائكة نبات الله تعالى، فأمر الله نبيه صلى الله عليه وآله أن يستفتهم بمعنى  
ان يطلب الحكم منهم في هذه القضية على وجه التقريع لهم والتوبيخ على  
قولهم بأن يقول لهم أربكم النبات؟! يعني كيف يقولوا لربك النبات يا محمد  
ولهم البنون؟ ومن أين علموا ان الملائكة إناثا اشاهدوا خلق الله لهم؟!  
فأروهم إناثا؟ فإنهم لا يمكنهم ادعاء ذلك.  
ثم اخبر تعالى فقال \* (ألا انهم من إفكهم) \* أي من كذبهم - في  
قول قتادة والسدي - هذا القول.، وهو ان يقولوا \* (ولد الله. وإنهم  
لكاذبون) \* في هذا القول. ثم قال \* (اصطفى النبات على البنين) \* من قطع  
الهمزة أراد الانكار بلفظ الاستفهام، والمعنى كيف يكون هذا، وكيف يختار  
النبات على البنين، ومن وصل الهمزة أراد الاخبار بذلك، فالاصطفاء  
إخراج الصفوة من الشيء، وهي خالصة. وإنما يصطفى الله تعالى أفضل  
الأشياء، ومن اصطفى الأدون على الأفضل مع القدرة على الاعلى كان  
ناقصا. والله تعالى لا يليق بصفات النقص في اصطفاء النبات على البنين  
مع استحالة اتخاذ الولد عليه، لما في ذلك من معنى التشبيه، لأنه إنما يتخذ

الولد من يجوز أن يكون مثل ذلك ولد له، ولذلك لا يجوز أن يتخذ الشاب شيخا ولدا، ولا أن يتخذ الانسان بعض البهائم ولدا، لما لم يكن ذلك ممكنا، فإذا استحال الولد عليه تعالى، فما هو مشبه به أولى بأن يستحيل عليه. وأصل (اصطفى) (اصطفى) فقلبت التاء طاء لتعدل الحروف في الاطباق والاستعلاء بما هو من مخرج التاء، فالطاء وسط بين الحرفين لمناسبتها التاء بالمخرج، والصاد بالاستعلاء والاطباق.

قوله \* (مالككم كيف تحكمون) \* تهجين لهم بوضعهم الشئ في غير موضعه لأنهم وضعوه موضع الحكمة، وليس الامر كذلك إذ أنتم على فاحش الخطأ الذي يدعو إليه الجهل. وقوله \* (أم لكم سلطان مبين) \* معناه هل لكم حجة ظاهرة وبرهان بين في ما تدعونه وتحكمون به. وسمي البرهان سلطانا، لأنه يتسلط به على الإنكار لمخالفة الحق والصواب. والبيان إظهار المعنى للنفس. ثم قال على وجه الإنكار عليهم \* (فأتوا بكتابكم) \* إن كان معكم حجة من كتاب أنزله الله إليكم فهاتوه \* (إن كنتم صادقين) \* في هذا القول، فإنهم لا يقدرُونَ على ذلك أبدا.

ثم اخبر تعالى عن هؤلاء الكفار أنهم \* (جعلوا بينه وبين الجنة نسبا) \* قال الحسن: أشركوا الشيطان في عبادة الله، فهو النسب الذي جعلوه. وقال قوم: بل لأنهم قالوا: إنه تعالى تزوج من الجن - تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا - وقيل: سميت الملائكة جنة لاستتارهم عن العيون. ومعنى الآية أن هؤلاء الكفار بجعلهم الملائكة بنات الله جعلوا بينه وبينهم نسبا، وهو قول مجاهد وقتادة.

ثم قال تعالى على وجه الرد عليهم \* (ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون) \*

وقال مجاهد وقتادة: قال ذلك لأنهم علموا أنهم يحضرون الحساب. وقال السدي: علموا أن قائل هذا القول يحضر الحساب والعذاب. ثم نزه تعالى نفسه عن قولهم وصفتهم، فقال \* (سبحان الله عما يصفون إلا عباد الله المخلصين) \* استثنى عباده الذين أخلصوا نفوسهم فوجهوا العبادة إليه تعالى ووصفوه بما يليق به من جملة الكفار القائلين بما لا يليق به. قوله تعالى:

\* (فإنكم وما تعبدون (١٦١) ما أنتم عليه بفاتنين (١٦٢) إلا من هو صال الجحيم (١٦٣) وما منا إلا له مقام معلوم (١٦٤) وإنا لنحن الصافون (١٦٥) وإنا لنحن المسبحون (١٦٦) وإن كانوا ليقولون (١٦٧) لو أن عندنا ذكرا من الأولين (١٦٨) لكننا عباد الله المخلصين (١٦٩) فكفروا به فسوف يعلمون) \* (١٧٠) عشر آيات.

قرأ الحسن \* (صائل الجحيم) \* بالرفع وهي تحتل شيئين: أحدهما. الجمع. والثاني - القلب، كقولهم: شاك، وشائك في السلاح، وهار وهائر. الباقيون \* (صال) \* بكسر اللام على وزن (فاعل). هذا خطاب من الله تعالى للكفار الذين كانوا يعبدون الأصنام بأن قال لهم \* (فإنكم وما تعبدون) \* فموضع (ما) نصب عطفا على الكاف والميم، وهو في موضع نصب ب (أن) والتقدير إنكم يا معشر الكفار والذين تعبدونه

\* (ما أنتم عليه بفاتنين) \* وقال الفراء: تقديره، وإنكم وآلهتكم ما أنتم عليه بفاتنين أي بمفتنين \* (وما أنتم عليه) \* أي وما أنتم على ذلك الدين بمصلين عليه وبه وله سواء في المعنى. وأهل نجد يقولون: أفتنت، وأهل الحجاز فتنت أي لستم عليه بفاتنين، والفاتن الداعي إلى الضلالة بتزيينه له، فكل من دعا إلى عبادة غير الله بالاغواء والتزيين فاتن، لأنه يخرج به إلى الهلاك، وأصل الفتنة من قولهم: فتنت الذهب بالنار إذا أخرجه إلى حال الخلاص \* (وفتناك فتونا) \* (١) أي أخرجناك بالأمر الحق إلى حال الخلاص. وقوله \* (إلا من هو صال الجحيم) \* أي لستم تفتنون إلا من يصلي الجحيم، ومعناه إلا من يلزم النار ويحترق بها، ومنه المصطلح، وهو المستدفي بالنار، ومنه الصلاة للزوم الدعاء فيها، والمصلي الذي يجيء بعد السابق للزومه أثره. والمعنى ان من يقبل من هذا الفاتن وينقاد له، فهو يصلي الجحيم وقوله \* (وما منا إلا له مقام معلوم) \* معناه ما منا ملك إلا له مقام، فحذف ومعناه لا يتجاوز ما أمر به ورتب له، كما لا يتجاوز صاحب المقام مقامه الذي حد له، فكيف يجوز ان يعبد من هو بهذه الصفة، وهو عبد مربوب ووصف المقام بأنه معلوم، لأنه معلوم لله على ما تقتضيه الحكمة، وهو محدود لا يتجاوز ما علم منه ولا يخرج منه. وقوله \* (وإننا لنحن الصافون) \* قيل: صافون حول العرش ينتظرون الأمر والنهي من الله تعالى، وقيل: الصافون في الصلاة: وقوله \* (وإننا لنحن المسبحون) \* معناه المصلون من قولهم: فرغت من سبحتي أي من

(١) سورة ٢٠ طه آية ٤٠



صلاتي، وسميت الصلاة تسبيحا لما فيها من تسبيح الله وتعظيم عبادته. و (المسبحون) القائلون سبحان الله على وجه التعظيم له تعظيم العبادة، وقوله \* (وإن كانوا يقولون) \* ف (إن) هذه المخففة من الثقيلة بدلالة دخول اللام في خبرها، كما قال \* (وإن ربك ليحكم بينهم) \* (١) ويلزمها هذه اللام ليفرق بين (إن) الثقيلة والخفيفة التي للجحد في مثل قوله \* (إن الكافرون إلا في غرور) \* (٢) والمعنى إن هؤلاء الكفار كانوا يقولون \* (لو أن عندنا ذكرا) \* أي كتابا فيه ذكر من كتب الأولين الذي أنزله على أنبيائه. وقيل: يعني علما يسمى العلم ذكرا، لأن الذكر من أسبابه، فسمى باسمه \* (من الأولين) \* الذين تقدمونا وما فعل الله بهم \* (لكننا) \* نحن أيضا من \* (عباد الله المخلصين) \* الذين أخلصوا العبادة له، فجعلوا العذر في امتناعهم من الإيمان أنهم لا يعرفون أخبار من تقدمهم، وهل حصلوا في جنة أو نار، فقال الله تعالى \* (فكفروا به) \* يعني بالذكر، لأنهم طلبوا كتابا كما للأولين التوراة دالا على توحيد الله، فلما جاءهم القرآن كفروا به، وبمن جاء بالقرآن - في قول ابن عباس والسدي - فهددهم الله على هذا، الكفر فقال \* (فسوف يعلمون) \* في ما بعد إذا عاقبناهم بعقاب النيران. قوله تعالى:

\* (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين (١٧١) إنهم لهم المنصورون (١٧٢) وإن جندنا لهم الغالبون (١٧٣) فتول عنهم

(١) سورة ١٦ النحل آية ١٢٤

(٢) سورة ٦٧ الملك آية ٢٠

حتى حين (١٧٤) وأبصرهم فسوف يبصرون (١٧٥) أفبعذابنا  
يستعجلون (١٧٦) فإذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين (١٧٧)  
وتول عنهم حتى حين (١٧٨) وأبصر فسوف يبصرون (١٧٩) سبحان  
ربك رب العزة عما يصفون (١٨٠) وسلام على المرسلين (١٨١)  
والحمد لله رب العالمين) \* (١٨٢) اثنتا عشرة آية بلا خلاف.  
اقسم الله تعالى، لأن هذه اللام لام القسم بأنه \* (سبقت كلمتنا  
لعبادنا المرسلين) \* الذين بعثهم الله إلى خلقه \* (أنهم هم المنصرون) \* سينصرون  
بنصرهم على أقوامهم بالحجج وإنما قدم الله تعالى الكلمة للمرسلين بأنهم  
سينصرون، لما في ذلك من اللطائف للملائكة والسامعين لها، وسميت جملة  
من الكلام بأنها كلمة لانعقاد بعض معانيه ببعض حتى صار يلحقه صفة التوحيد  
كخبر واحد وقضية واحدة. وقال السدي: النصر للمرسلين بالحجة لان  
منهم من قتل. وقال الحسن: ما غلب نبي في حرب، ولا قتل قط.  
ثم اخبر تعالى أن جنود الله للكفار لغالبون أي يقهرونهم تارة بالحجة  
وأخرى بالقتل. ثم قال لنبيه صلى الله عليه وآله \* (فتول عنهم) \* يعني اعرض عن هؤلاء  
الكفار \* (حتى حين) \* إلى أن أمرك بقتالهم، يعني يوم بدر - في قول السدي -  
وقال قتادة: إلى الموت. وقال قوم: إلى يوم القيامة. وقال قوم: إلى انقضاء  
مدة الامهال.

وقوله \* (وأبصرهم فسوف يبصرون) معناه انظرهم فسوف يرون العذاب - في قول ابن زيد - وقال غيره أبصر حالهم بقليل. وقيل: ابصرهم في وقت البصر، وفي الآية دلالة على المعجز، لأنه تعالى وعد نبيه بالنصر، فكان الامر على ما قال.

وقوله \* (أفبعذابنا يستعجلون) \* معناه الانكار عليهم بأنهم يطلبون العذاب عاجلاً قبل وقته. ثم قال \* (فإذا نزل) \* يعني العذاب \* (بساحتهم) \* أي بفنائهم فساء صباح المنذرين أي بئس الصباح صباح من خوف وحذر، فلم يحذر، ولم يخف، فالساحة ناحية الدار، وهو فناؤها، وهو الفناء الواسع فلذلك وصف بأنه نازل به العذاب لعظمه ولا يسعه إلا الساحة ذات الفناء الواسع. وقال السدي: نزل بساحتهم أي بدارهم وساء إذا كانت بمعنى بئس لا تتصرف مثل هذه. ومثل قوله \* (ساء مثلاً القوم الذين كذبوا بآياتنا) \* (١) ولو كان بمعنى الاخبار المحض لجاز أن يقال: ساءه يسوءه سوءاً أي أوقع به ما يسوءه.

ثم قال لنبيه صلى الله عليه وآله \* (فتول عنهم حتى حين) \* أي اعرض عنهم إلى حين وقد فسرناه. و \* (أبصر فسوف يبصرون) \* وقد مضى معناه، وإنما كرر لأنهما عذابان الدنيا وعذاب الآخرة، فكأنه قال وأبصرهم في عذاب الآخرة وأبصرهم في عذاب الدنيا.

ثم قال " سبحان ربك رب العزة عما يصفون " أي التنزيه لربك عما لا يليق به من الصفات، ربك الذي خلقك ويملك التصرف فيك رب العزة يعني العزة التي يعز الله بها الأنبياء والمرسلين، وهي صفة القادر الذي

---

(١) سورة ٧ الأعراف آية ١٧٦

لا يضام ولا يرام، فالعزة لله - جل عز - وهو ربها، لأنه القادر الذي لا يعجزه  
شئ منها، ولا من غيرها جل وعلا " عما يصفون " يعني ما يصفه به الكفار  
من اتخاذ الأولاد واتخاذ الشريك " وسلام على المرسلين " الذين أرسلهم  
الله إلى عباده " والحمد لله رب العالمين " أي والشكر والحمد لله الذي خلق  
جميع العالم وملك التصرف فيهم.

(٥٣٩)

### ٣٨ - سورة ص

هي مكية في قول مجاهد وقتادة والحسن ليس فيها ناسخ ولا منسوخ وهي ثمان وثمانون آية في الكوفي وخمس وثمانون في البصري وست في المدني.

بسم الله الرحمن الرحيم

\* (ص والقرآن ذي الذكر (١) بل الذين كفروا في عزة

وشقاق (٢) كم أهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين

مناص (٣) وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا

ساحر كذاب (٤) أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء

عجاب) \* (٥) خمس آيات.

قرأ الحسن (صاد) بكسر الدال. وقال عيسى بن عمر بفتحها. الباقيون

بالوقف، وهو الصحيح، لان حروف الهجاء يوقف عليها. ومن كسر

(٥٤٠)

فلاجتمع الساكنين. وقيل: إنه جعل من المصاداة وهي المعارضة. ومن فتح فلان الفتحة أخف من الكسرة، ولم يعدوا (صاد) آية، لأنه يشبه الاسم المفرد في أنه على ثلاثة أحرف في هجاء حروف المعجم، نحو (باب، وذات، وناب) وإنما يعد آية ما يشبه الجملة وشاكل آخره رؤس الآي التي بعده بالردف ومخرج الحروف. وليس - ههنا - شئ من ذلك. واختلفوا في معنى (صاد) فقال قوم: هو اسم السورة على ما أخبرناه في ما مضى. وقال ابن عباس: هو اسم من أسماء الله أقسم به. وقال السدي: هو من حروف المعجم. وقال الضحاك: معناه صدق، وقال قتادة: هو اسم من أسماء القرآن أقسم الله تعالى به. وقال الحسن: هو من المصاداة وهو (صاد) بالكسر أمر للنبي صلى الله عليه وآله أي عارض القرآن بعملك (والقرآن) قسم. فلذلك جر " ذي الذكر " قال ابن عباس: ذي الشرف، وقال الضحاك وقتادة: ذي التذكر. وقيل: معناه ذي الذكر للبيان والبرهان، المؤدي إلى الحق الهادي إلى الرشيد الرادع عن الغي، وفيه ذكر الأدلة التي من تمسك بها سعد. ومن عدل عنها شقي. ومن عمل بها نجا. ومن ترك العمل بها هلك.

واختلفوا في جواب القسم، فقال قوم: هو محذوف وتقديره لجاء الحق وظهر، لان حذف الجواب في مثل هذا أبلغ، لان الذكر يقصر المعنى على وجه. والحذف يصرف إلى كل وجه فيعم. وقال قوم: جوابه ما دل عليه قوله " بل الذين كفروا " كأنه قال: والقرآن ذي الذكر ما الامر على ما قالوا - ذكر ذلك قتادة - وقال الفراء والزجاج: الجواب (كم) وتقديره لكم أهلكناه، فلما طال الكلام حذفت اللام وصارت (كم) جوابا للقسم

واليمين. ومثله قوله " ونفس وما سواها فألهمها " (١) فصارت " قد أفلح " تابعة لقوله " فألهمها " وكفى عن جواب القسم، وكأنه قال: والشمس وضحاها. لقد أفلح، وقال قوم: الجواب قوله " إن ذلك لحق تخاصم أهل النار " إلا أنه قد بعد عن أول الكلام.

وقوله " بل الذين كفروا في عزة وشقاق " اخبار منه تعالى أن هؤلاء الكفار قد مكنتهم وأعطاهم القوة ليقووا بها على الطاعات، فتقووا - بسوء اختيارهم - بها على المعاصي وعلى دفع الحق الذي اتاهم وصاروا في شق غير شق رسولهم الذي من قبل ربهم. ثم اخبر تعالى انه أهلك أمما كثيرة قبل هؤلاء الكفار حين عصاه الذين كفروا، فلما نزل بهم العذاب نادوا واستغاثوا " ولات حين مناص " معناه لات حين فرار من العذاب. وقيل: المناص المنجاة يقال: ناص ينوص نوصا إذا تأخر وباص ييوص بوصا إذا تقدم قال امرؤ القيس:

أمن ذكر ليلي ان نأتك تنوص \* فتقصر عنها خطوة وتبوص (٢)

ونصب (لات حين) لأنها مشبهة ب (ليس) من جهة أنها نفي ولا تعمل إلا في (الحين) خاصة لضعف الشبه عن منزلة (ما) إذ كانت (ما) تشبه (ليس) من جهة النفي والحال قال الشاعر:

تذكر حب ليلي لات حيناً \* وأضحى الشيب قد قطع القرينا (٣)

والوقوف على (لات) بالتاء على قياس نظيرها من (ثمت، وربت) لان ما قبلها ساكن - وهو قول الفراء - والكسائي يقف بالهاء (لاه) يجعل الألف

(١) سورة ٩١ الشمس آية ٧

(٢) تفسير القرطبي ١٥ / ١٤٦

(٣) تفسير القرطبي ١٥ / ١٤٧

في نية الحركة. ومن زعم أنه (لا تحين) موصوله، فقد غلط، لأنها في المصحف وتأويل العلماء مفصولة. وقيل: ان (مناص) جرب (لات) وانشدوا لأبي زيد.

طلبوا صلحنا ولات أوان \* فاجبنا أن ليس حين بقاء (١)  
وقال الزجاج: انشده أبو العباس بالرفع، وقد روي بالكسر. وقال  
الزجاج: من كسر رأى أن يجعله مبنيا بمنزلة نداء ذلك الأقوام وبناءه،  
فحذف المضاف إليه وكسر دون ان يضم، لأنه نونه، فأجراه على نظائره  
من المنون المبني وأراد ولات أوانا.  
ثم اخبر تعالى ان الكفار عجبوا " حين جاءهم منذر " أي مخوف من  
جهة الله يحذرهم معاصيه ويدعوهم إلى طاعته، وقالوا: هذا شيء عجاب،  
وعجيب وعجاب وعجاب بمعنى واحد، مثل كريم وكرام، فعجب هؤلاء الكفار  
من أن الله بعث نبيهم وهو منهم، وقالوا: كيف خص بذلك، وليس  
باشرفنا ولا اغنانا. وقيل: إن أبا جهل وجماعة من أشراف قريش مشوا  
إلى أبي طالب وشكوا إليه النبي صلى الله عليه وآله وقالوا له: قد سفه أحلامنا وشتتم  
الآلهة، فدعاه أبو طالب وقال له: ما لا هلك يشكونك، فقال النبي صلى الله عليه وآله  
أدعوهم إلى كلمتين حقيقتين يسودون على العرب بها، ويؤدى الخراج إليهم  
بها العجم، فقال أبو جهل وغيره: ما هما فقال صلى الله عليه وآله: تشهدون أن لا إله  
إلا الله وأني رسول الله: فقال أبو جهل: أتجعل الآلهة إلها واحدا؟! فأنزل  
الله الآية.

---

(١) تفسير القرطبي ١٥ / ١٤٧



قوله تعالى:

\* (وانطلق الملا منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد (٦) ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق (٧) أنزل عليه الذكر من بيننا بل هم في شك من ذكرى بل لما يذوقوا عذاب (٨) أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب (٩) أم لهم ملك السماوات والأرض وما بينهما فليرققوا في الأسباب) \* (١٠)

خمس آيات في الكوفي وأربع في الباقي.

أخبر الله تعالى عن هؤلاء الكفار الذين ذكرهم أنهم انطلقوا أي ذهبوا فالانطلاق ذهاب بسهولة، ومنه طلاقة الوجه وهي سهولة وبشر خلاف العبوس وقوله " أن امشوا " قال الزجاج: أي بهذا القول، وتقديره بأن امشوا وقال قوم: معنى (أن) أي التي للتفسير لأنه صار انطلاقهم لدلالته على هذا المعنى بمنزلة الناطق به، كما يقولون: قام يصلي أي أنا رجل صالح. وقال بعضهم: معناه الدعاء لهم بأن يكثروا ماشيتكم، وهذا باطل لفظاً ومعنى فاللفظ لأنه لو كان كما قالوه لكانت الهمزة من (أن امشوا) إذا أمر منها مفتوحة، لأنه من امشي يمشي إذا كثرت ماشيته والامر منه امشوا بقطع الهمزة، والقراءة بكسرهما، قال الشاعر:

وكل فتى وإن أثرى وامشي \* ستسلخه من الدنيا المنون (١)  
واما المعنى، فلانه لا يشاكل ما قبله ولا ما بعده.  
وقوله " واصبروا على آلهتكم " أمر منهم بعضهم لبعض أن يصبروا على عبادة  
آلهتهم وتحمل المشاق لأجلها. وقال مجاهد: القائل لذلك عقبة بن أبي معيط  
فالصبر محمود إذا كان في حبس النفس عن المحارم، فهؤلاء الجهال اعتقدوا  
أن الحق في الصبر على آلهتهم، ولم يعلموا ان ذلك كفر. وفي ذلك دلالة  
على فساد قول من يقول: إن المعارف ضرورة، قال الحسن: إن هذا يكون  
في آخر الزمان.  
وقوله " إن هذا لشيء يراد " معناه هذا الذي يدعيه محمد ويدعوهم إليه  
لشيء يراد به أمر ما من الاستعلاء علينا والرياسة فينا والقهر لنا.  
ثم حكى ما قالوه فإنهم قالوا " ما سمعنا بهذا " يعنون ما يدعوهم إليه  
النبي صلى الله عليه وآله من التوحيد وخلع الأنداد من دون الله " في الملة الآخرة " قال  
ابن عباس يعنون في النصرانية، لأنها آخر الملل. وقال مجاهد: يعنون في  
مكة وقريش. ثم قالوا " إن هذا إلا اختلاق " قال ابن عباس ومجاهد:  
معناه ليس هذا إلا تخرص وكذب. ثم تعجبوا فقالوا " أنزل عليه الذكر  
من بيننا " يعنون كيف خص محمد بانزال القرآن دوننا؟! فقال الله تعالى  
" بل هم في شك من ذكري " معناه ليس يحملهم على هذا القول إلا الشك  
في الذكر الذي أنزلت على رسولي " بل لما يذوقوا عذاب " ثم قال " أم  
عندهم خزائن رحمة ربك "؟ قال الفراء: الاستفهام إذا توسط الكلام

(١) قائله النابغة الذبياني. اللسان (مشى)

ابتدئ بألف وب (أم)، وإذا لم يسبق كلام لم يكن إلا بألف أو ب (هل).  
ووجه اتصال هذا القول بما تقدم هو اتصال الإنكار لما قالوا فيه، أي  
ذلك ليس إليهم، وإنما هو إلى من يملك هذه الأمور. و (خزائن رحمة  
ربك) معناه مقدوراته التي يقدر بها على أن ينعم بها عليهم. وقوله " العزيز "  
يعني القادر الذي لا يغالب ولا يقهر " الوهاب " لضروب النعم " أم لهم  
ملك السماوات والأرض وما بينهما " فإن كان لهم ذلك " فليرتقوا في  
الأسباب " وهي جمع سبب وكل ما يتوصل به إلى المطلوب - من حبل أو  
سلم أو وسيلة أو رحم أو قرابة أو طريق أو جهة - فهو سبب، ومنه قيل:  
تسببت بكذا إلى كذا أي توصلت به إليه.  
قوله تعالى:

\* (جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب (١١) كذبت قبلهم  
قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد (١٢) وشمود وقوم لوط وأصحاب  
الأيكة أولئك الأحزاب (١٣) إن كل إلا كذب الرسل فحق  
عقاب (١٤) وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة مالها من فواق (١٥)  
خمس آيات.

قرأ حمزة والكسائي " فواق " بضم الفاء. الباقيون بفتحها. فالفواق بفتح  
الفاء معناه مالها من راحة، وإذا ضمنت الفاء، فالمعنى مالها من فواق ناقة  
وهو قدر ما بين الحبلتين. وقيل: هو ما بين الرضعتين. وقيل: هما لغتان

مثل قصاص الشعر وقصاصه، و حمام الماء و حمامه، وهو الآفة، وهو الإبانة بعد الفترة و (ما) في قوله " جند ما " صلة، وتقديره: جند هنالك، و (هنالك) للمكان البعيد و (هناك) للمتوسط بين القرب والبعد و (هنا) للقريب ونظيره (ذا) و (ذاك) و (ذلك) ومثل (ما) في كونها صلة قولهم: لامر ما جدع قصير أنفه. وعندى طعام ما، قال الأعشى:

فاذهبي ما إليك أدركني \* الحلم عداني عن ذكر كم اشغالي (١)

وقيل: إنها تقوية للنكرة المبتدأة في (ما) والجند جمع معد للحرب جمعه أجناد و جنود، وجند الأجناد أي جيش الجيوش. ومنه قوله صلى الله عليه وآله (الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف)، وقوله " مهزوم "

يعني مغلوب عن أن يصعدوا إلى السماء، والمهزوم من وقعت بهم الهزيمة، وهي الفرار من الحرب، ولو فر انسان من ضرب لم يكن ذلك هزيمة، وكذلك من فر من الحبس. وقوله " من الأحزاب " معناه من حزب إبليس واتباعه.

ثم اخبر تعالى انه كذب مثل هؤلاء الكفار، فأنت لأنه أراد العشيرة " قوم نوح " فأغرقهم الله، وقوم " عاد " فأهلكهم الله " وفرعون " وقوم فرعون " ذا الأوتاد " وقيل: في معناه أقوال:

منها - انه كانت له ملاعب من أوتاد يلعب له عليها، وهو قول ابن عباس وقتادة. وقال السدى والربيع بن أنس: انه كانت له أوتاد يعذب الناس بها. وقال الضحاك: معناه ذو البنيان، والبنيان أوتاد، ثم قال " وثمرود وقوم لوط وأصحاب الأيكة " أيضا هم الأحزاب يعني

احزاب إبليس: و (الأيكة) الغيضة. وقال أبو عمرو بن العلاء: هي الملتفت من النبع والسدر. وقال السدي: هي الحرجة، قال الشاعر:  
أفمن بكاء حمامة في أيكة \* يرفض دمعك فوق ظهر المحمل  
يعني محمل السيف. وقوله " إن كل الا كذب الرسل " معناه ليس كلهم إلا كذبوا أنبياء الله ووجدوا نبوتهم فاستحقوا عقابي. ثم قال " وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة " أي ليس ينظر هؤلاء إلا صيحة عذاب لا يكون لتلك الصيحة " من فواق " أي مالها من إفاقة بالرجوع إلى الدنيا وهو قول قتادة، والسدي وقال ابن زيد " مالها من فواق " أي من فتور كما يفيق المريض.

قوله تعالى:

\* (وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب (١٦)  
اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب (١٧)  
إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق (١٨) والطير  
محشورة كل له أواب (١٩) وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة  
وفصل الخطاب) \* (٢٠) خمس آيات.  
يقول الله مخبرا عن هؤلاء الكفار الذين وصفهم بأنهم يقولون على وجه الاستهزاء بعذاب الله يا " ربنا عجل لنا قطنا " أي قدم لنا نصيبنا من العذاب، قال ابن عباس ومجاهد وقتادة:، طلبوا حظهم من العذاب تهزأ

بخبر الله وشكا فيه. وقال السدي: إنما سألوا أن يريهم حظهم من النعيم في الجنة حتى يؤمنوا. وقيل: إنما سألوا أن يعجل كتبهم التي يقرؤونها في الآخرة استهزاء منهم بهذا الوعيد. والقط الكتاب قال الأعشى:  
ولا الملك النعمان يوم لقيته \* بأمته يعطي القطوط ويأفق (١)  
أي كتب الجوائز، لأنها قطع نصيب لكل واحد بما كتب. والتعجيل فعل الشيء قبل وقته الذي ينبغي أن يفعل فيه. والقط النصيب وأصله القطع من قولك قطه يقطه قطا مثل قده يقده قدا، ومنه قولهم: ما رأيته قط أي قطع الدهر الذي مضى " قبل يوم الحساب " أي قبل اليوم الذي يحاسب فيه الخلق ويجازون فيه على أعمالهم على ما يقولونه فقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله " اصبر على ما يقولون " أي احبس نفسك على أذاهم وصبرها على أقوالهم " واذكر عبدنا داود ذا الأيد " ترغيبا له في الصبر بالمأمور به وإن لك يا محمد فيه من إحسان الله إليك على نحو إحسانه إلى داود قبلك، وأنه لو شاء لأعطاك في الدنيا مثل ما أعطى داود ولكنه دبر لك ما هو أعودلك. وقوله " ذا الأيد " قال ابن عباس ومجاهد وقتادة: معناه ذا القوة، ومنه قوله " والسماء بينها بأيد " (٢) أي بقوة، وقوله " إنه أواب " قال ابن زيد: معناه تواب وبه قال مجاهد، وهو من آب يؤب أي رجع إلى الله فلذلك مدحه.

ثم اخبر تعالى عن نعمه التي أنعم بها على داود، فقال " إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق " ومعناه إنها كانت تسير بأمر الله معه حيث سار بالغداة والعشي فسمى الله ذلك تسبيحا لما في ذلك من

---

(١) ديوانه ١١٧ \* (دار بيروت) \*

(٢) سورة ٥١ الذاريات آية ٤٧

دلالتة على قدرته وغناء من خلقه وصفاته التي لا يشاركه فيها غيره، والاشراق وقت طلوع الشمس يقال: شرقت الشمس إذا طلعت وأشرقت إذا أضاءت " والطير محشورة " وتقديره وسخرنا الطير محشورة أي مجموعة من كل ناحية إليه يعني الطير والجبال " له أبواب " أي رجاء إلى ما يريد. وقيل: مسخرة - ذكره قتادة - وقال الجبائي لا يمتنع أن يكون الله خلق في الطيور من المعارف ما تفهم به مراده وأمره من نهيه فتطيعه في ما يريد منها. وإن لم تكن كاملة العقل، ولا مكلفة.

ثم قال " وشددنا ملكه " يعني قوينا ملكه بالجنود والهيبة " وآتيناه الحكمة " أي علمناه الحكمة " وفصل الخطاب " ومثله قول البينة على المدعي واليمين على المدعى عليه أي إصابة الحكم بالحق. وقال البلخي: يجوز أن يكون المراد بتسبيح الجبال معه هو ما أعطى الله تعالى داود من حسن الصوت بقراءة الزبور، فكان إذا قرأ الزبور أو ذكر ما هو تسبيح لله ورفع صوته بين الجبال رد الجبال عليه مثله كما يرد الصدى، فسمى الله ذلك تسبيحا لما تضمنه من الدلالة والأول أحسن. قوله تعالى:

\* (وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب (٢١)  
إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا  
على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلى سواء  
الصراط (٢٢) إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة  
واحدة فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب (٢٣) قال لقد ظلمك

بسؤال نعتجتك إلى نعاجه وإن كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب (٢٤) فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب) \* (٢٥) خمس آيات. هذا خطاب من الله تعالى لنبيه وصورته صورة الاستفهام والمراد اخباره بما كان من قصة داود من الحكم بين الخصمين وتنبيهه على موضع إخلاله ببعض ما كان ينبغي أن يفعله فقال " وهل أذاك نبأ الخصم " يعني خبره فالنبا الخبر بما يعظم حاله " إذ تسوروا المحراب " يعني حين صعدوا إليه. والخصم هو المدعي على غيره حقا من الحقوق المنازع له فيه، ويعبر به عن الواحد والاثنين والجماعة بلفظ واحد، لان أصله المصدر، فتقول: رجل خصم، ورجلان خصم، ورجال خصم، ولذلك قال " إذ تسوروا المحراب " لأنه أراد المدعي والمدعى عليه ومن أتبعهما، فلا يمكن أن يتعلق به في أن أقل الجمع اثنان، لما قال " خصمان بغى بعضنا على بعض " لأنه أراد بذلك الفريقين، والخصم من خصمته اخصمه خصما. والتسور الايتان من جهة السور، يقال تسور فلان الدار إذا أتاها من قبل سورها، وكانوا أتوه من أعلى المحراب، فلذلك فزع منهم، والمحراب مجلس الاشراف الذي يحارب دونه لشرف صاحبه، ومنه سمى المصلي محرابا وموضع القبلة أيضا محراب وقوله " إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض " معناه إن هؤلاء حين دخلوا على داود من غير الجهة التي اعتاد



الدخول عليه منها فزع منهم، لأنه ظنهم أعداء يريدون به سوء فقالوا له (خصمان) ولم يقولوا: نحن خصمان يعني فريقان لأنهما كانا ملكين ولم يكونا خصمين ولا بغى أحدهما على الآخر، وإنما هو على المثل " فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط " معناه ولا تجاوز الحق ولا تجر ولا تسرف في حكمك بالميل مع أحدهما - على الآخر، يقال أشط في حكمه إذا جار يشط فهو مشط وشططت علي في السوم تشط شططا قال الشاعر:

ألا يا لقومي قد اشطت عواذلي \* ويزعمن أن اودى بحقي باطلاي (١)

وقال آخر:

يشط غدا دار جيراننا \* وللدار بعد غد بعد

وقوله " وأهدنا إلى سواء الصراط " معناه أرشدنا إلى قصد الطريق الذي هو طريق الحق ووسطه، كما قال " فاطلع فراآه في سوء الجحيم " (٢) ثم حكى تعالى ما مكان أحد الخصمين لصاحبه، فقال " إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة " قال وهب بن منية: يعني أخي في ديني وقال أكثر المفسرين انه كنى بالنعاج عن تسع وتسعين امرأة كانت له وإن الآخر له نعجة واحدة يعني امرأة واحدة. وقال الحسن: لم يكن له تسع وتسعون امرأة وإنما هو على وجه المثل. وقال أبو مسلم محمد بن بحر الاصفهاني: أراد النعاج بأعيانها، وهو الظاهر غير أنه خالف أقوال المفسرين. وقال هما من ولد آدم، ولم يكونا ملكين وإنما فزع منهما لأنهما دخلا عليه في غير الوقت المعتاد، وهو الظاهر غير أنه خلاف أقوال المفسرين على ما قلناه. وقوله " فقال اكفلنيها " معناه اجعلني كفيلا بها أي ضامنا لأمرها.

---

(١) مر في ٧ / ١٥

(٢) سورة ٣٧ الصافات آية ٥٥

ومنه قوله " وكفلها زكريا " (١) وقال أبو عبيدة معناه ضمها إليها، وقال ابن عباس وابن مسعود معنى اكفلنيها انزل لي عنها " وعزني في الخطاب " أي غلبني في المخاطبة من قولهم: من عز بز أي من غلب سلب. وقال ابن زيد: معناه قهرني. وقال أبو عبيدة: معناه صار أعز مني، فقال له داود " لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه. وإن كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض " ومعناه إن كان الأمر على ما تدعيه لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه، فأضاف السؤال إلى المفعول به وهي النعجة وإن أضيف إليها. ثم أخبر أن كثيرا من الشركاء والخلطاء ليبغي بعضهم على بعض فيظلمه. وقال أصحابنا: كان موضع الخطيئة أنه قال للخصم لقد ظلمك من غير أن يسأل خصمه عن دعواه وفي آداب القضاء ألا يحكم بشئ ولا يقول حتى يسأل خصمه عن دعوى خصمه، فما أجاب به حكم به. وهذا ترك النذب في ذلك، وفي ذلك قول آخر، وهو إن في الناس من قال: إن ذلك كان صغيرة منه وقعت مكفرة، والشرط الذي ذكرناه لا بد فيه، لأنه لا يجوز أن يخبر النبي أن الخصم ظلم صاحبه قبل العلم بذلك على وجه القطع، وإنما يجوز مع تقرير الشرط الذي ذكرناه. ثم استثنى من جملة الخلطاء الذين بعضهم يبغي على بعض الذين آمنوا بالله وعملوا بما يوجب عليهم، فإنهم لا يفعلون ذلك. ثم قال وقليل الذين كذلك، فروي أن الملكين غابا من بين يديه فظن عند ذلك أن الله اختبره بهذه الحكومة وابتلاه. وقرئ (فتناه) بالتخفيف بمعنى أن الملكين فتناه بها. وقال قوم الظن العلم كأنه قال: وعلم داود ذلك

---

(١) سورة ٣ آل عمران آية ٣٧

وقال آخرون: إنما ظن ظنا قويا وهو الظاهر. وقوله " فاستغفر ربه " معناه  
سأل الله المغفرة والستر عليه " وخر راكعا وأتاب إليه " أي رجع  
إليه بالتوبة.

ثم أخبر تعالى انه أجاب دعوته وغفر له ذلك، وأخبر ان له مع المغفرة  
عند الله لزلفى، والزلفى القربة من رحمة الله، وثوابه في جنته " وحسن مآب "   
فالمآب والمرجع والمصير والمال واحد. ومن قال إن ذلك كان صغيرة وقعت  
مكفرة يقول: معنى قوله " فغفرنا له " بعد الإنابة، وإن كانت الخطيئة  
غفرت في الدنيا. وقيل: انه خطب امرأة كان أوريا ابن حيان قد خطبها  
فدخل في سومه، فاخترأوه عليه فعاتبه الله على ذلك، لان الأنبياء يتنزهون  
عن ذلك، وإن كان مباحا لأنه مما ينفر على بعض الوجوه. وقيل: بل انفذ به  
إلى غزوة، وكان يحب ان يستشهد ليتزوج امرأته لأنهما كانا تحاكما إليه  
فوقعت امرأته في قلبه واشتهاها شهوة الطباع من غير أن يحدث أمرا  
قبيحا. وأولى الوجوه ما قدمناه انه ترك الندب في ما يتعلق بأدب القضاء.  
لان باقي الوجوه ينبغي ان ينزه الأنبياء عنها لأنها تنفر في العادة عن قبول  
أقوالهم، فأما ما يقول بعض الجهال من القصاص أن داود عشق امرأة  
أوريا، وأنه امره بأن يخرج إلى الغزو، وأن يتقدم امام التابوت وكان  
من يتقدم التابوت من شرطه ألا يرجع إلى أن يغلب أو يقتل، فخير باطل  
موضوع، وهو مع ذلك خبر واحد لا أصل له ولا يجوز أن تقبل اخبار  
الآحاد في ما يتضمن في الأنبياء ما لا يجوز على أدون الناس، فان الله نزههم  
عن هذه المنزلة وأعلى قدرهم عنها. وقد قال الله تعالى " الله يصطفي من

الملائكة رسلا ومن الناس " (١) وقال " ولقد اخترناهم على علم على العالمين " (٢) فكيف يختار تعالى من يتعشق نساء أصحابه ويعرضهم للقتل من غير استحقاق ولا يجوز مثل هذا على الأنبياء إلا من لا يعرف مقدارهم ولا يعتقد منزلتهم التي خصهم الله فيها نعوذ بالله من سوء التوفيق.

وقد روي عن علي عليه السلام أنه قال: لا أوتي برجل يقول إن داود ارتكب فاحشة إلا ضربته حدين أحدهما للقدف والآخر لأجل النبوة. وقرأ ابن مسعود " تسع وتسعون نعجة " أنثى، قال النحويون: هذا تأكيد، كما قال النبي: ابن لبون ذكر، وكما قال " طائر يطير بجناحيه " وقال ابن جرير: معناه تسع وتسعون نعجة أنثى أي حسناء، قال ابن خالويه هذا حسن جدا. قوله تعالى:

\* (يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب (٢٦) وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار (٢٧) أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل

(١) سورة ٢٢ الحج آية ٧٥

(٢) سورة ٤٤ الدخان آية ٣٢

المتقين كالفجار (٢٨) كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب) \* (٢٩) أربع آيات. قرأ يحيى عن أبي بكر " لتدبروا " بالتاء وتقديره لتدبروا من التدبر فحذف تاء الفعل وبقي تاء المضارعة، وتقديره: لتدبر أنت يا محمد والمسلمون ومن قرأ بالياء، فعلى ليتدبر المسلمون فيقرر عندهم صحتها وتسكن أنفسهم إلى العلم بها.

لما أخبر الله تعالى عن داود أنه رجع إليه وتاب واستغفر ربه عن التقصير الذي وقع منه في الحكم، وأنه تعالى غفر له ذلك وأجاب دعوته، ووعدته بالزلفى عنده والقربة من ثوابه ناداه أيضا فقال له " يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض " والخليفة هو المدير للأمور من قبل غيره بدلا من تدبيره، فداود لما جعل الله إليه تدبير الخلق فكان بذلك خليفة، ولذلك يقال: فلان خليفة الله في أرضه إذا جعل إليه تدبير عباده بأمره. وقيل: معناه جعلناك خليفة لمن كان قبلك من رسلنا. ثم أمره فقال " فاحكم بين الناس " ومعناه افصل بين المختلفين من الناس والمتنازعين " بالحق " بوضع الأشياء مواضعها على ما أمرك الله " ولا تتبع الهوى " أي ما يميل طبعك إليه ويدعوك هواك إليه إذا كان مخالفا للحق، فلا تمل إليه " فيضلك عن سبيل الله " ومعناه أنك متى اتبعت الهوى في ذلك عدل بك الهوى عن سبيل الله الذي هو سبيل الحق. ثم أخبر تعالى " أن الذين يضلون عن سبيل الله " يعني يعدلون عن العمل بما أمرهم الله به " لهم عذاب شديد " يعني شديد ألمه " بما نسوا يوم الحساب "

وقيل في معناه قولان:

أحدهما - لهم عذاب شديد يوم الحساب بما تركوا طاعاته في الدنيا، فعلى هذا يكون يوم الحساب متعلقا ب (عذاب شديد) وهو قول عكرمة والسدي: الثاني - قال الحسن " لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب " أي بما اعرضوا عنه، صاروا بمنزلة الناسي، فيكون على هذا العامل في (يوم) قوله " نسوا " .

ثم اخبر تعالى انه لم يخلق السماء والأرض وما بينهما باطلا، بل خلقهما وما بينهما بالحق لغرض حكمي، وهو ما في ذلك من إظهار الحكمة وتعريض أنواع الحيوان للمنافع الجليلة وتعويض العقلاء لمنافع الثواب، وذلك يفسد قول المجبرة الذين قالوا: إن كل باطل وضلال من فعل الله. وقوله " ذلك ظن الذين كفروا " معناه إن خلق السماء والأرض وما بينهما باطلا ظن من يكفر بالله ويجحد وحدانيته وحكمته، ثم توعدهم من هذه صفته فقال " فويل للذين كفروا من النار " ثم قال على وجه التوبيخ والتقريع للكفار بلفظ الاستفهام " أم نجعل الذين آمنوا... " معناه هل نجعل الذين صدقوا بالله وأقروا برسله وعملوا الصالحات مثل الذين أفسدوا في الأرض وعملوا بالمعاصي؟! أم هل نجعل الذين اتقوا معاصي الله خوفا من عقابه كالفجار الذين عملوا بمعاصيه وتركوا طاعته؟! فهذا لا يكون أبدا. وكيف يكون كذلك وهؤلاء يستحقون الثواب بطاعتهم وأولئك يستحقون العقاب بمعاصيهم. وقال أبو عبيدة: ليس لها جواب استفهام فخرجت مخرج الوعيد. وقال الزجاج: تقديره، أنجعل الذين آمنوا وعموا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار، فهو استفهام بمعنى التقرير.

ثم خاطب نبيه صلى الله عليه وآله فقال " كتاب أنزلناه إليك مبارك " أي هذا كتاب أنزلناه، يعني القرآن الذي أنزله الله عليه، ووصفه بأنه مبارك، لأن به يستديم الناس ما أنعم الله عليهم به، وبين أن غرضه تعالى بانزال هذا القرآن " ليدبروا آياته " بأن يتفكروا في أدلته " وليتذكر أولو الألباب " يعني أولو العقول.

وفي الآية دلالة على بطلان مذهب المجبرة في خلق القبائح من حيث بين الله انه يعاقبهم جزاء بما نسوا طاعاته في الدنيا. وقوله " ذلك ظن الذين كفروا " يدل على فساد قول من يقول: ان المعارف ضرورة، لأنهم لو كانوا عارفين ضرورة لما كانوا ظانين. قوله تعالى:

\* (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب (٣٠) إذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد (٣١) فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب (٣٢) ردوها علي فطفق مسحا بالسوق والأعناق (٣٣) ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب (٣٤) قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب (٣٥) فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب (٣٦) والشياطين كل

بناء وغواص (٣٧) وآخرين مقرنين في الأصفاد (٣٨) هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب (٣٩) وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب) \* (٤٠) احدى عشرة آية.

قرأ ابن كثير وحده " بالسوق " مهموزة. وقال ابن مجاهد: الرواية الصحيحة عنه " بالسوق " على فعول، ولما ضمنت الواو همزها، مثل وفيت وأفيت، فهذه رواية قبل. وقرأ البزي " بالسوق " مثل أبي عمرو، جمع ساق مثل باح وبوح. والباحة والصرح والعروة والفناء واحد. ومثله قارة وقور للخيال الصغير. ومن همز سوق فعلى لغة من قال: (أحب المؤفدين إلى موسى)، فهمز انشده أبو الحسن لأبي حبة النميري، ولأنه لما لم يكن بينها وبين الضمة حاجز صار كأن الضمة عليه فهمز.

أخبر الله تعالى انه وهب لداود سليمان. فقال " نعم العبد " كان سليمان " انه أواب " أي رجاع إلى طاعة الله وطلب ثوابه. وقوله " إذ غرض " يجوز أن يتعلق بقوله " نعم العبد " أي نعم العبد حين عرض عليه، ويجوز أن يكون العامل فيه واذكر يا محمد إذ عرض على سليمان " بالعشي " يعني آخر النهار \* (الصفان الجياد) \* والصفان جمع صافنة، قال ابن زيد: صفن الخيل قيامها على ثلاث مع رفع رجل واحدة. يكون طرف الحافر على الأرض وقال مجاهد: صفون الفرس رفع احدى يديه حتى يكون على طرف الحافر صفنت الخيل تصفن صفونا إذا وقفت كذلك قال الشاعر:  
الف الصفون فما يزال كأنه \* مما يقوم على الثلاث كسيرا (١)



وقال الزجاج والفراء وغيرهما: كل قائم على ثلاث صافن. والجياد السراع من الخيل فرس جواد كأنه يجود بالركض، كأنه جمع جود كما يقال: مطر جود إذا كان مدرارا ونظيره سوط وسياط. والعرض إظهار الشيء بحيث يرى ليميز من غيره، ومنه قوله \* (وعرضوا على ربك صفا) \* وأصله الاظهار قال عمرو بن كلثوم: وأعرضت اليمامة واشمخرت \* كأسياف بأيدي مصلتنا (١) أي ظهرت وأعرض عني معناه أظهر جفوة بتولييه عني، وعرض الشيء إذا صار عريضا. وقوله تعالى \* (إني أحببت حب الخير) \* قال قتادة والسدي المراد بالخير - ههنا - الخيل والعرب تسمي الخيل الخير، وبذلك سمي (زيد الخيل) أي زيد الخير، وقيل في ذلك وجهان: أحدهما - انه أراد أحببت الخير، ثم أضاف الحب إلى الخير. والثاني - انه أراد أحببت اتخاذ الخير، لان ذوات الخير لا تتراد ولا تحب فلا بد من شيء يتعلق بها، والمعنى آثرت حب الخيل على ذكر ربي ويوضع الاستحباب موضع الايثار. كما قال تعالى \* (الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة) \* (٢) أي يؤثرون، وقوله \* (عن ذكر ربي) \* معناه إن هذا الخيل شغلني عن صلاة العصر حتى فات وقتها، وهو قول علي عليه السلام وقتادة والسدي، وروي أصحابنا انه فاته الوقت الأول، وقال الجبائي: انه لم يفته الفرض، وإنما فاته نفل كان يفعله آخر النهار ففاته لاشتغاله بالخيل. وقوله \* (حتى توارت بالحجاب) \* معناه توارت الشمس بالحجاب يعني بالغيوبة

(١) مرفي ٧ / ٩٦

(٢) سورة ١٤ إبراهيم آية ٣

وجاز الاضمار قبل الذكر، لأنه معلوم قال لييد:  
حتى إذا القت يدا في كافر \* وأجن عورات الثغور ظلامها (١)  
وقال أبو مسلم محمد بن بحر وغيره: وذكر الرماني أن الكناية عن الخيل  
وتقديره حتى توارت الخيل بالحجاب بمعنى أنها شغلت فكره إلى تلك الحال.  
ثم قال لأصحابه \* (ردوها علي) \* يعني الخيل فلما ردت عليه \* (طفق  
مسحا بالسوق والأعناق) \* وقيل: ان الخيل هذه حربها من غنيمة جيش  
فتشاغل باعتراضها حتى غابت الشمس وفاتته العصر، قال الحسن: كشف  
عراقيها وضرب أعناقها، وقال لا تشغلني عن عبادة ربي مرة أخرى. وقيل:  
انه إنما فعل ذلك على وجه القربة إلى الله تعالى بأن ذبحها ليتصدق  
بلحومها لا لعقوبتها بذلك. وإنما فعل ذلك لأنها كانت أعز ماله فأراد بذلك  
ما قال الله تعالى \* (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) \* (٢) وقال أبو عبيدة:  
يقولون: مسح علاقته أي ضربها. وقال ابن عباس: جعل يمسح أعراف  
الخيول وعراقيها حبا لها. وقال أبو مسلم محمد بن بحر: غسل أعرافها وعراقيها  
إكراما لها، قال: لان المسح يعبر به عن الغسل من قولهم: تمسحت للصلاة.  
ثم قال تعالى على وجه القسم \* (ولقد فتننا سليمان) \* ومعناه اختبرناه  
وابتليناه وشددنا المحنة عليه \* (وألقينا على كرسيه جسدا) \* قال ابن عباس:  
القي شيطانا اسمه صخر على كرسيه. وقال مجاهد: كان اسمه أصف. وقال  
السدي: كان اسمه خنفيق وكان ملكه في خاتمه يخدمه الجن والشياطين ما دام  
في يده، فلما أذنب سليمان نزع الله منه الخاتم، وجعل مع الجني فاجتمعت

---

(١) اللسان (كفر)

(٢) سورة ٣ آل عمران آية ٩٢

عليه الجن والشياطين. وقيل: انه كان ذنبه انه وطئ في ليلة عدة كثيرة من جواريه حرصا على كثرة الولد. وقيل: كان ذنبه انه وطئ امرأته في الحيض.

وقوله \* (ثم أناب) \* يعني تاب إلى الله من خطيئته، فرد الله عليه الملك لان الجنى لما اخذ خاتمه رمى به في البحر فرده عليه من بطن سمكة - ذكر ما قلناه المفسرون - والذي قاله المفسرون من أهل الحق ومن نزه الأنبياء عن القبائح ونزه الله تعالى عن مثل ذلك هو انه لا يجوز أن يمكن الله تعالى جنيا ليمثل في صورة نبي لما في ذلك من الاستبعاد. وإن النبوة لا تكون في الخاتم وانه تعالى لا يسلب النبي نبوته، وليس في الآية شئ من ذلك، وإنما قال فيها انه ألقى على كرسيه جسدا. وقيل في معنى ذلك الجسد أقوال: منها - إن سليمان قال يوما في مجلسه وفيه جمع كثير لأطوفن الليلة على مئة امرأة تلد كل امرأة منهن غلاما يضرب بالسيف في سبيل الله، وكان له في ما يروى عدد كثير من السراري، فاخرج الكلام على سبيل المحبة لهذا الحال، فنزهه الله عما ظاهره الحرص على الدنيا، لئلا يقتدى به في ذلك، فلم يحمل من نسائه إلا امرأة واحدة ولدا ميتا، فحمل حتى وضع على كرسيه جسدا بلا روح، تنبيها له على أنه ما كان يجب ان يظهر منه ما ظهر، فاستغفر الله وفزع إلى الصلاة والدعاء على وجه الانقطاع، لا على أن ذلك كان صغيرة، ومن قال من حيث إنه لم يستثن مشيئة الله في ذلك، فقله فاسد، لأنه وإن لم يذكر مشيئة الله لفظا فلا بد من تقديرها في المعنى وإلا لم يأمن أن يكون خبره كذبا، وذلك لا يجوز على الأنبياء عند من جوز الصغائر عليهم. قال الحسن وغيره لا يجوز على الأنبياء.

ومنها - انه روي أن الجن لما ولد لسليمان ولد قالوا: لنلقين منه ما لقينا من سليمان، فلما ولد له ولد أشفق منهم، فاسترضعه في المزن، فلم يشعر إلا وقد وضع على كرسیه ميتا تنبئها على أن الحذر لا ينفع مع القدر. ومنها - انه ذكر انه ولد لسليمان ولد ابتلاه بصبره في إماتة ولده على كرسیه. وقيل: انه أماته في حجره، وهو على كرسیه، فوضعه من حجره. ومنها - ما ذكره أبو مسلم فإنه قال: يجوز أن يكون الجسد جسد سليمان وأن يكون ذلك لمرض امتحنه الله به، وتقديره وألقينا منه على كرسیه جسدا لشدة المرض، كما يقولون: فلان لحم على وضم إذا كان ضعيفا، وجسد بلا روح تغليظا للعلة، وقوة الضعف. ثم حكى ما قاله سليمان حين أناب إلى الله، فإنه سأل الله تعالى وقال \* (رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي) \* أي لا تسلبه كما سلبته في الدفعة الأولى، وقال أبو عبيدة معنى (لا ينبغي) لا يكون، وانشد لابن احمر:

ما أم غفر على دعجاء ذي علق \* تنفي القراميد عنها الأعصم الوقل  
في رأس خلقاء من عنقاء مشرفة \* لا ينبغي دونها سهل ولا جبل (١)  
وقال أبو عبيدة: أي لا يكون فوقها سهل ولا جبل أحصن منها.  
فان قيل: أليس ظاهر هذه الآية يقتضي الشح والضمن لأنه لم يرض بأن  
سأل الملك، حتى أضاف إلى ذلك ألا يكون لاحد بعده مثله؟! قلنا قد ثبت  
أن الأنبياء لا يجوز أن يسألوا بحضرة قومهم ما لم يأذن الله لهم في ذلك،  
فعلى هذا لم لا يجوز أن يكون الله تعالى أعلم سليمان أنه إن سأل ملكا لا يكون

---

(١) مر في ٧ / ١٥٣

لغيره كان لطفا له في الدين، وأعلمه أن غيره لو سأل ذلك لم يجب إليه، لأنه يكون مفسدة لغيره ولا صلاح له فيه، ولو أن أحدنا صرح بمسألة بهذا الشرط بأن يقول: اللهم اجعلني أيسر أهل زماني وارزقني مالا يساويني فيه أحد إذا كانت المصلحة لي في ذلك لكان هذا جائزا حسنا، ولم يكن منسوبا إلى بخل، فلا يمتنع أن يسأل النبي أيضا مثل ذلك. وقيل: انه لا يمتنع أن يسأل النبي مثل هذه المسألة من غير إذن إذا لم يكن بمحضر من قومه بعد أن يكون الشرط فيه مقدرا. وقيل فيه وجه آخر، وهو انه عليه السلام إنما سأل أن يكون ملكه معجزة لنبوته يبين بها من غيره ممن ليس بنبي. وقوله \* (لا ينبغي لاحد من بعدي) \* معناه لا ينبغي لاحد غيري ممن أنا مبعوث إليه، ولم يرد من بعدي إلى يوم القيامة من النبيين. وقيل: انه لا يمتنع أن يكون المراد انه سأل ملك الآخرة وثواب الجنة الذي لا يناله المستحق إلا بعد انقطاع التكليف. ومعنى \* (لا ينبغي لاحد من بعدي) \* لا يستحقه بعد وصولي إليه أحد من حيث لا يصح أن يعمل ما يستحق به الثواب لانقطاع التكليف. ثم بين بعد ذلك أنه أعطاه ما سأل فقل \* (فسخرنا له الريح) \* أي ذللناها له، والتسخير التذليل \* (تجري بأمره) \* يعني الريح تتوجه إلى حيث شاء \* (رخاء) \* قال قتادة معناه طيبة سريعة، وقال ابن زيد: لينة. وقال ابن عباس: مطيعة، وبه قال الضحاك والسدي والرخاء الريح: اللينة وهو رخاوة المرور سهولته ووصفت باللين، لأنها إذا عصفت لم يتمكن منها، وإذا لانت أمكنت.

وقوله \* (حيث أصاب) \* قال ابن عباس ومجاهد والضحاك والسدي: معناه حيث أراح، يقول القائل: أصاب الله بك الرشاد أي أراح الله، والمعنى انها تنطاع له كيف أراد، وقال الحسن: كان يغدو من أبله، ويقل بغزوين ويبيت بكابل. والإصابة لحاق البغية، يقال أصاب الهدف بالسهم يصيبه إصابة. ومنه الصواب إدراك الحق بالميل إليه، وقوله \* (والشياطين) \* نصبه بالعطف على مفعول \* (فسخرنا) \* وتقديره وسخرنا له الشياطين كل بناء وغواص ونصب (كل) على البدل من الشياطين وهو بعضه فالغواص هو الذي يغوص في الماء أي ينزل فيه تقول: غاص يغوص غوصا فهو غائص وغوصه تغويصا وكل الشياطين يغوصون له في البحار وغيرها من الأنهار بحسب ما يريد منهم ويبنون له الأبنية العجيبة التي يعجز الناس عن مثلها. وقال قتادة: كانوا يغوصون في البحار يستخرجون له الحلي منها، وغير ذلك \* (وآخرين مقرنين في الأصفاد) \* الأصفاد واحدا صفا، وهو الغل وجمعه اغلال. وقال السدي: السلاسل تجمع اليدين إلى العنق والصفد الغل. والصفد العطاء، وبعضهم يقول: اصفدني قال الأعشى:

[تضيفته يوما فقرب مقعدي] \* واصفدني على الزمانة قائدا (١)

وذلك أنه ارتبط من شكره بمثل الغل، و \* (مقرنين) \* هم الذين قرن بعضهم إلى بعض بالسلاسل.

ثم قال تعالى \* (هذا عطاؤنا فامنن أو امسك بغير حساب) \* قال الحسن: معناه هذا الملك الذي أعطيناك، فاعط ما شئت وامنع ما شئت. وقال قتادة والضحاك: معناه لا تحاسب على ما تعطي وتمنع منه يوم القيامة ليكون اهنا لك

(١) ديوانه ٤٤ وقد مر في ٦ / ٣١٠

ومعناه ليس عليك تبعة. وقيل: معناه بغير مقدار يجب عليك إخراجه من يدك، ويكون بغير حساب، فامنن أو أمسك وقال الزجاج: المعنى سخرنا لك الشياطين عطاء لك منا فأطلق منهم من شئت واحبس من شئت فلا حساب عليك منه.

ثم قال تعالى \* (وإن له) \* يعني سليمان \* (عندنا لزلفى) \* أي لقربي زيادة على ما أعطيناه في الدنيا \* (وحسن مآب) \* أي وحسن مآل في العاقبة. قوله تعالى:

\* (واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب (٤١) أركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب (٤٢) ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولي الألباب (٤٣) وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب) \* (٤٤) أربع آيات. قرأ أبو جعفر \* (بنصب) \* بضم النون والصاد. وقراءة يعقوب بفتحهما. الباقون بضم النون وإسكان الصاد، وهي لغات أربع. وقراءة هبيرة بفتح النون وإسكان الصاد.

يقول الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وآله \* (واذكر) \* يا محمد \* (عبدنا أيوب إذ نادى ربه) \* فقال يا رب، لان النداء هو الدعاء بطريقة يا فلان ومتى قال اللهم افعل بي وارزقني وعافني كان داعيا ولا يكون مناديا \* (اني مسني

الشيطان) \* (اني) في موضع نصب لان تقديره، انه نادى بهذا القول، وتقديره  
بأنني مسني فلما حذف الياء نصب (أني) و \* (مسنى الشيطان) \* أي وسوسني  
وذكرني ما كنت فبه من نعم الله في الأهل والولد والمال، وكيف زال ذلك  
كله وما حصل فيه من البلية طمعا فيه ليزله بذلك ويجد طريقا إلى اضلاله  
وتضجره وتبرمه، فوجده صابرا عند ذلك مسلما لامر الله تعالى. وقيل:  
انه كان وسوس إلى قومه أن يستقذروه ويخرجوه من بيتهم ولا يتركوا  
امراته التي تخدمه أن تدخل عليهم، لان فيه برصا وجذاما ربما عدا إليهم  
وكان أيوب ينادى بذلك ويألم به. والنصب والوصب والتعب نظائر، وفيه  
لغات اربع على ما حكيناها نصب ونصب مثل حزن وحزن ورشد ورشد وارشاد،  
وعدم وعدم، ثم تسكن الصاد مع فتح النون تخفيفا وتضم النون والصاد اتباعا لما  
قبله. ونقيض النصب الراحة وأصله ألا نصاب يقال انصبي أي عذبي، وبرح  
بي، ومنهم من يقول: نصبني قال بشر بن أبي حازم:  
تعاك نصب من أميمة منصب  
وقال النابغة:

كليني لهم يا أميمة ناصب \* وليل أقاسية بطئ الكواكب (١)  
و \* (عذاب) \* أراد به ما كان يدخل عليه من ألم الوسوسة، فأجاب الله تعالى  
دعاه وقال \* (اركض برجلك) \* أي ادفع برجلك الأرض، فالركض الدفع  
بالرجل على جهة الاسراع، ومنه ركض الفرس لاسراعه ذا دفعه برجله.  
يقال: ركضت الدابة وركضتها أنا مثل جبر العظم وجبرته أنا، وحزن وحزنته  
انا، وفي الكلام حذف وتقديره فركض برجله وظهر عين ماء، فقال الله

---

(١) مر في ٥ / ٣٦٨ و ٦ / ٩٥، ٣٢٩



له \* (هذا مغتسل) \* أي ماء مغتسل \* (بارد وشراب) \* وقال الحسن وقتادة: نبعت له عيان، فاغتسل من إحداهما وشرب من الأخرى، فالمغتسل موضع الاغتسال. وقيل: كل ماء يغتسل فيه فهو مغتسل وغسول - ذكره أبو عبيدة - وفي الكلام حذف، وتقديره إن أيوب اغتسل من تلك العين، فأزال الله تعالى عنه جميع ما كان فيه من الأمراض.

ثم اخبر بما من عليه زيادة على صلاح جسمه، وزوال ألمه فقال \* (ووهبنا له أهله) \* لأنه لما رد عليه أهله كان ذلك هبة منه مجددة \* (ومثلهم معهم) \* وتقديره ووهبنا له مثل أهله دفعة أخرى. وقد ذكرنا اختلاف المفسرين في ذلك - في سورة الأنبياء - ون فيهم من قال أعطاه بكل امرأة امرأتين وبكل ولد ولدين في دار الدنيا. ومنهم من قال ذلك اخبار عما يهبه الله له في الآخرة. وقيل: إن الله تعالى أمطر عليه جرادا من ذهب وقوله \* (رحمة منا) \* معناه فعلنا ذلك لرحمتنا إياه، فهو نصب على أنه مفعول له، ويجوز أن يكون نصبا على المصدر \* (وذكرى لأولي الألباب) \* أي وليتذكر به ويعتبر ذووا العقول فيصبروا كما صبر.

ثم حكى ما قال له فإنه قال له \* (خذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث) \* فالضغث ملء الكف من الحشيش أو الشماريخ وما أشبه ذلك قال عوف بن الجزع: وأسفل مني فهدة قدر بطنها \* وألقيت ضغثا من حلا متطيب أي تطيب لها. وقيل إنه كان حلف على امرأته لا أمر أنكره من قولها لئن عوفي ليضربنها مئة، فقيل له \* (خذ ضغثا) \* بعدد ما حلفت، فاضرب به دفعة واحدة، فإنك إذا فعلت ذلك، فقد بررت قسمك، ولم تحنث، وهو قول قتادة والضحاك.

وقوله \* (ولا تحنث) نهى له عن الحنث.  
ثم اخبر تعالى عن حال أيوب وعظم منزلته، فقال \* (انا وجدناه صابرا) \*  
لبلائنا مسلما لامرنا. ثم أثنى عليه فقال \* (نعم العبد انه أواب) \* أي رجاء  
إلى الله منقطع إليه، وعندنا ان من حلف ان يضرب غيره مئة فضربه  
بشمراخ فيه مئة طاقة، فقد بر في يمينه، وفيه خلاف بين الفقهاء.  
قوله تعالى:

\* (واذكر عبادنا إبراهيم وإسحق ويعقوب أولي الأيدي  
والابصار (٤٥) إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار (٤٦) وإنهم  
عندنا لمن المصطفين الأخيار (٤٧) واذكر إسماعيل واليسع  
وذا الكفل وكل من الأخيار (٤٨) هذا ذكر وإن للمتقين  
لحسن مآب (٤٩) جنات عدن مفتحة لهم الأبواب (٥٠) متكئين  
فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب (٥١) وعندهم قاصرات  
الطرف أتراب (٥٢) هذا ما توعدون ليوم الحساب (٥٣) إن  
هذا لرزقنا ماله من نفاد) \* (٥٤) عشر آيات.  
قرأ ابن كثير \* (واذكر عبادنا إبراهيم) \* على التوحيد. والباقون على  
الجمع. وقرأ نافع \* (بخالصة ذكرى الدار) \* مضافا. الباقون بالتنوين. من

نون جعل \* (ذكرى) \* بدلا من (خالصة) وموضعه جر، ويجوز أن يكون نصبا باضمار (أعني) أو يكون معمول خالصة - في قول أبي عبيدة - ويجوز أن يكون رفعا باضمار هي ذكرى، كما قال \* (قل أفأنبئكم بشر من ذلكم النار) \* (١) اي هي النار، قال أبو علي: (الدار) يحتمل أن يكون الدنيا ويحتمل أن يكون الآخرة اي باخلاصهم ذكرى في الدنيا، فإذا حملت على دار الآخرة، فعلى تقدير إخلاصهم ذكرى الدار. ويكون ذكرهم لها وجل قلوبهم منها ومن حسابها، كما قال \* (وهم من الساعة مشفقون) \* (٢) فالدار عندهم على هذا مفعول به، وليست كالوجه المتقدم. فأما من أضاف فإنه يكون قد أضاف إلى المفعول، كأنهم باخلاصهم ذكرى الدار والخوف منها أخلصوا ذكرها والخوف منها لله تعالى، ويكون على إضافة المصدر إلى الفاعل وتقديره بأن خلصت لهم ذكرى الدار. وقرأ أهل الكوفة إلا عاصما \* (والليسع) \* بلامين. الباقون بلام واحدة من قرأ بلامين ادخل على اللام الألف واللام، ثم ادغم إحداهما في الأخرى كما قال الشاعر:

وجدنا الوليد بن يزيد مبارك \* شديدا بأعباء الخلافة كاهله (٣)  
لأنه قدره تقدير النكرة، وقرأ \* (هذا ما يوعدون) \* بالياء ابن كثير وأبو عمرو، وفي سورة ق ابن كثير وحده. الباقون بالتاء. من قرأ بالياء فللغيبة، ومن قرأ بالتاء فعلى الخطاب، ومن قرأ (عبدنا) على التوحيد يجوز أن يكون خص به إبراهيم بكونه عبدا له كما خصه بالخلعة، ويجوز أن يكون

(١) سورة ٢٣ الحج آية ٧٢

(٢) سورة ٢١ الأنبياء آية ٤٩

(٣) مرفي ٤ / ٢٠٨ و ٧ / ٣٥

لان لفظه يدل على القليل والكثير. ومن جمع فلانه ذكر جماعة.  
يقول الله تعالى مخاطبا لنبيه \* (واذكر) \* يا محمد \* (عبادنا إبراهيم وإسحاق  
ويعقوب) \* فمن قرأ بالجمع فلانه ذكر جماعة. ومن قرأ بالتوحيد فلان لفظة  
(عبد) لفظ جنس يقع على القليل والكثير، ثم وصفهم فقال \* (اولي الأيدي) \*  
يعني اولي القوة على العبادة \* (والابصار) \* الفقه في الدين - في قول ابن عباس  
ومجاهد وقتادة - وقيل: \* (اولي الأيدي) \* معناه اولي الأعمال الصالحة، وقيل  
معناه اولي النعم في الدين، قال الشاعر:

فاعمل لما يعلو فمالك بال \* ذي لا تستطيع من الأمور تدان  
ثم اخبر تعالى عن حال هؤلاء الذين وصفهم، فقال \* (انا أخلصناهم) \*  
فالإخلاص إخراج كل شائب من الشيء ليس من شكله، فهؤلاء الأبرار قد  
أخلصهم الله لنعيم الجنان بلطفه في ما لازموه من الاحسان. وقوله \* (بخالصة  
ذكرى الدار) \* معناه إنا أخلصنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب بخلة خلصت  
لهم. ثم قال \* (ذكرى الدار) \* بدلا من \* (خالصة) \* اي يذكرون بدار الآخرة  
ويزهدون في الدنيا، ويجوز أن يكون المعنى إنهم يكثرون ذكر الآخرة  
والرجوع إلى الله، ومعنى \* (أخلصناهم) \* أصفيناهم، قال الطبري: معناه  
أخلصناهم بأفضل ما في الآخرة، هذا على قول من أضاف، وهو قول ابن  
زيد. ومن نون فالمعنى الخالصة التي أخلصناهم بها هي ذكرى الدار للعمل لها  
فناهيك بها من خالصة أدت إليها وهي الجنة.

ثم قال \* (وانهم عندنا لمن المصطفين الأخيار) \* والاصطفاء إخراج الصفوة  
من كل شئ فهم صفوة وغيرهم كدر، فالله تعالى اصطفى هؤلاء الأنبياء  
بأن اختارهم لنبوته بحسب ما سبق في علمه أنه يكون منهم من القيام بأعباء

النبوة والمصارعة إلى الخير والتبرز في الفضل. والذكر الذي يحتاج إليه على وجهين: ذكر ما يجب بالرغبة فيه والدعاء إليه وذكر ما يتقى بالرهبة منه والتحذير منه. وفي ذلك تمام الداعي والصارف للذين تقتضيهما الحكمة. و\* (الأخيار) \* جمع خير على وزن (أموات) جمع (ميت) وهو من يفعل الأفعال الكثيرة الحسنة. وقيل هو جمع (خير) ومثله (الأبرار) جمع (بر) وصفوا بالمصدر. وقال مجاهد وقتادة: \* (ذكرى الدار) \* دار الآخرة وقال ابن زيد: هي دار الجنة. كما قال تعالى \* (ولنعم دار المتقين) \* (١) قيل: إنهم كانوا يذكرونها للعمل لها ودعاء الناس إليها. وقيل: ذكرى الدار بالشاء الذي ليس لغيرهم من أجل قيامهم بالنبوة. وقيل: الاصطفاء الاختصاص بمدحهم بأنهم هم الصفوة. وقيل: إنما خاطب الله النبي صلى الله عليه وآله أن يذكرهم بصبرهم وفضلهم ليسلك طريقهم

ثم قال له صلى الله عليه وآله \* (واذكر) \* أيضا \* (إسماعيل واليسع وذا الكفل) \* \* بمثل ذلك. ثم أخبر عنهم بأنهم كلهم من الأخيار. وقيل ذو الكفل ذو الضعف من الثواب. وقيل كان اسمه ذلك. وقيل: سمي بذلك لأنه تكفل بأمر أنبياء خلصهم الله من القتل به. وقيل تكفل بعمل صالح فسمي به.

ثم قال تعالى \* (هذا ذكر) \* ومعناه إن ما أخبرنا عنهم ذكر أي شرف لهم وذكر جميل وثناء حسن يذكرون به في الدنيا \* (وإن للمتقين لحسن مآب) \* يعني حسن المرجع في الآخرة، لأنهم يرجعون إلى الجنة. ثم بين ذلك المآب، فقال \* (جنات عدن) \* وهو في موضع جر على البدل من (مآب) والجنات جمع جنة وهي البستان التي يجنّها الشجر \* (عدن) \* يعني موضع إقامة وخلود \* (مفتحة لهم الأبواب) \* قيل تنفتح من غير كلفة، قال الحسن تكلم: انفتحي

انغلقي، ورفعت (الأبواب) لان تقديره مفتحة لهم أبوابها، فدخلت الألف واللام بدلا من الإضافة، كما يقولون: مررت برجل حسنة عينه قبيح أنفه يريدون قبيح الانف - ذكره الفراء - وقال الزجاج: تقديره مفتحة لهم الأبواب منها، ولو نصب (الأبواب) لجاز، كقول الشاعر:  
فما قومي بتغلبة بن سعد \* ولا بفزارة الشعث الرقابا  
هذا على شبه المفعول. ثم وصف تعالى الذين يحصلون في الجنة فقال \* (متكئين فيها على الأرائك) \* فالاتكاء الاستناد إلى المساند، ومنه الوكاء لأنه يستمسك به ما في الوعاء \* (يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب) \* أي يستدعون الفواكه للأكل والشراب للشرب \* (وعندهم قاصرات الطرف اتراب) \* يعني قصرن على أزواجهن فمالهن في غيرهم بغية، فالقاصر نقيض الماد، يقال هو قاصر طرفه عن فلان وماد عينه إلى فلان قال امرؤ القيس:  
من القاصرات الطرف لودب محول \* من الذر فوق الاتب منها لاثرا (٢)  
والأتراب الاقران على سن واحد ليس فيهن هرمة ولا عجوز. قال الفراء: لا يقال الأتراب إلا في الإناث، ولا يقال في الذكران قال ابن أبي ربيعة:

ابرزوها مثل المهابة تهادى \* بين عشر كواعب اتراب (١)  
والترب اللذة وهو مأخوذ من اللعب بالتراب. وقيل: اتراب على مقدار سن الأزواج من غير زيادة ولا نقصان. ثم قال تعالى \* (هذا ما توعدون) \* فمن قرأ بالتاء فعلى انه يقال لهم ويخاطبون بهذا القول. ومن قرأ بالياء فعلى الخبر عن حالهم \* (ليوم الحساب) \* يعني يوم الجزاء. ثم قال تعالى \* (إن

(١) ديوانه ٩١ \* (شرح السندوسي) \*

(٢) ديوانه ٥٩ \* (دار بيروت) \*

هذا) \* يعني الذي وصفته من الجنة وما فيها من نواع اللذات \* (لرزقنا ماله من نفاد) \* يعني من انقطاع لأنه على سبيل الدوام، وهو قول قتادة. قوله تعالى:

\* (هذا وإن للطاغين لشر مآب (٥٥) جهنم يصلونها فبئس المهاد (٥٦) هذا فليذوقوه حميم وغساق (٥٧) وآخر من شكله أزواج (٥٨) هذا فوج مقتحم معكم لا مرحبا بهم إنهم صالوا النار (٥٩) قالوا بل أنتم لا مرحبا بكم أنتم قدمتموه لنا فبئس القرار) \* (٦٠) ست آيات بلا خلاف.

لما وصف الله تعالى أهل الجنة وما أعده لهم من أنواع النعيم فيها وصف ما أعده لأهل النار والعصاة من أنواع العقاب، فقال \* (هذا) \* يعني هذا ما ذكرنا لأهل الجنة. ثم ابتدأ فقال \* (وإن للطاغين) \* وهم الذين طغوا في معاصي الله \* (لشر مآب) \* يعني شر مرجع. ثم بين ذلك المرجع فقال \* (جهنم يصلونها فبئس المهاد) \* وإنما وصف جهنم بأنها مهاد لما كانت عوضا لهم عن المهاد، فسميت باسمه، كما قال \* (فبشرهم بعذاب اليم) \* (١) وقال قوم: هو على تقدير بئس موضع المهاد، والمهاد الفراش الموطأة تقول: مهدت له تمهيدا كقولك وطأت له توطئة، ومه مهد الصبي، لأنه يوطأ له. ثم قال \* (هذا فليذوقوه حميم وغساق) \* وتقديره هذا عذاب جهنم

---

(١) سورة آل عمران آية ٢١

فليذوقوه حميم وغساق. ويجوز أن تجعله مستأنفا كأنك قلت هذا فليذوقوه.  
ثم قلت منه حميم وغساق.

أمرهم الله بذواق الحميم، لأن الذواق ابتداء إدراك الطعم على طلبه بالفم، ولذلك يقال: ذقته فلم أجد له طعما لما فيه من طلب ادراك الطعم بالفم. ومن طلب إدراك الشيء كان أشد احساسا به. والحميم الحار الشديد الحرارة، ومنه الحمى لشدة حرارتها وحم الشيء إذا دنا وأحمه لهذا أي أدناه قال الشاعر: احم الله ذلك من لقاء \* آحاد آحاد في الشهر الحلال (١)

والغساق ما يسيل من صديد أهل النار. وقال ابن عمر: هو القيح الذي يسيل منهم يجمع فيسقونه، وقال كعب الأحبار: الغساق عين في جهنم يسيل إليها سم كل ذات حمة من عقرب وحية. وقيل: هو قيح شديد التن، يقال: غسقت القرحة تغسق غسوقا. والتشديد والتخفيف لغتان. وقيل: الغساق الزمهرير - في قول ابن مسعود - فليبرده يحرق كما تحرق النار.

ثم قال \* (وآخر من شكله أزواج) \* معناه أنواع آخر من شكل العذاب أزواج أي أمثال. وقال الحسن: ذكر السلاسل والاغلال ونحوه، ثم قال \* (وآخر من شكله) \* مما لم ير في الدنيا. والشكل - بفتح الشين - الضرب المشابه. والشكل - بكسر الشين - النظير في الحسن، ومن قرأ \* (وآخر) \* أراد الواحد. ومن قرأ \* (وآخر) \* أراد الجمع \* (أزواج) \* معناه أشكال. ثم قال \* (هذا فوج مقتحم معكم) \* قال الحسن يعني به بني إبليس، والآخر بنو آدم يقتحمون معكم النار وعذابها \* (لا مرحبا بهم) \* أي لا اتسعت لهم أماكنهم \* (إنهم صالوا النار) \* أي لازموها. قال الفراء:

---

(١) اللسان \* (حمم) \*



هي الأمة بعد الأمة تدخل النار. وقوله \* (لا مرحبا بهم) \* من قول أهل النار، كما قال \* (كلما دخلت أمة لعنت أختها) \* (١) وقيل هم اتباع الرؤساء في الضلالة قيل لهم لا مرحبا بهم، وهو نصب على المصدر \* (قالوا بل أنتم لا مرحبا بكم أنتم قدمتموه لنا فبئس القرار) \* حكاية ما يردون عليهم من الجواب فإنهم يقولون: بل أنتم لا اتسعت عليكم أما كنكم قدمتموه لنا فبئس القرار الذي استقررنا عليه، وهو مثل قوله " ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا " (٢) وقرأ حمزة والكسائي وخلف (غساق) - بالتشديد - الباقون بالتخفيف وهما لغتان. وقرأ أبو عمرو وابن كثير \* (واخر) \* مضمومة الألف على الجمع. الباقون \* (وآخر) \* بفتح الألف ممدودة على التوحيد. ومن قرأ على الجمع، فلقوله \* (أزواج) \* وهما لا ينصرفان، لان (آخر) وزنه افعل واما آخر فلأنه معدول عن الألف واللام، لأنه لا يستعمل في الجارية الكبرى والمرأة الأخرى إلا بالألف واللام، فلما عدلوه وعرفوه تركوا صرفه مثل (سحر) إذا أردت سحر يوم بعينه تركت صرفه لأنه معدول عن الألف واللام في السحر. قوله تعالى:

\* (قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار (٦١))  
وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار (٦٢) اتخذناهم

(١) سورة ٧ الأعراف آية ٣٧

(٢) سورة ٣٣ الأحزاب آية ٦٨

سخريا أم زاغت عنهم الابصار (٦٣) إن ذلك لحق تخاصم  
أهل النار (٦٤) قل إنما أنا منذر وما من إله إلا الله الواحد  
القهار \* (٦٥) خمس آيات.

قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي اتخذناهم موصولة على وجه الاخبار. الباكون  
بقطع الهمزة على الاستفهام. وقرأ نافع وحمزة والكسائي \* (سخريا) \* بضم السين.  
الباكون بكسرهما.

حكى الله تعالى عن الكفار الذين اتبعوا غيرهم في الضلال وانقادوا  
لرؤسائهم فيه انهم يقولون يوم القيامة إذا حصلوا في عذاب جهنم يا \* (ربنا من  
قدم لنا هذا) \* أي من سبب لنا هذا العذاب ودعانا إلى ما قد استوجبنا به  
ذلك " فزده عذابا ضعفا " أي مثلا مضاعفا إلى مثل ما يستحقه " في النار "  
أحد الضعفين لكفرهم بالله تعالى والضعف الآخر لدعائهم إيانا إلى الكفر،  
ثم حكى عنهم أيضا انهم يقولون " مالنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من  
الأشرار " قال مجاهد نزلت في أبي جهل والوليد بن المغيرة وذويهما انهم  
يقولون مع قرنائهم: ما لنا لا نرى عمارا وخبابا وصهيبا وبلاالا الذين كنا  
نعدهم في الدنيا من جملة الأشرار الذين يفعلون الشر والقبيح ولا يفعلون  
الخير. وفي تفسير أهل البيت إن هذا حكاية عما يقوله أعداء أهل الحق،  
فإنهم لا يرون أهل الحق يوم القيامة لكونهم في الجنة وكون أعدائهم في النار  
وكانوا يعدونهم في الدنيا من الأشرار.  
ثم حكى انهم يقولون أيضا " اتخذناهم سخريا " فمن قطع الهمزة أراد

الاستفهام الذي معناه التعجب والتوبيخ، ومن وصل أراد الاخبار، يعنون الذين كنا نعدهم من الأشرار " اتخذناهم سخريا " فمن كسر السين جعله من الهزء أي كنا نسخرهم ونستذلهم " أم زاغت عنهم الابصار " ومن قطع الهمزة جعل (أم) معادلة ومن وصلها جعل (أم) بمعنى بل، قال مجاهد والضحاك " أم زاغت عنهم الابصار " أي ابصارنا، فلا ندري أين هم. وقال الحسن: كل ذلك قد مثلوا بهم اتخذوها سخريا وزاغت عنهم أبصارهم محقرة لهم. ثم اقسم تعالى ان الذي حكاه من تخاصم أهل النار ومجادلة بعضهم لبعض " لحق " أي كائن لا محالة.

ثم أمر نبيه صلى الله عليه وآله فقال " قل " يا محمد " إنما أنا منذر " أي مخوف من معاصي الله ومحذر من عقابه " وما من إله " أي وليس من يحق له العبادة " إلا الله الواحد " الفرد " القهار " لجميع خلقه المستعلي عليهم بسعة مقدوره لا يقدر أحد على الخلاص من عقوبته إذا أراد عقابه، ومن اختار وصل الهمزة في قوله " اتخذناهم " قال لأنهم علموا انهم اتخذوهم سخريا في دار الدنيا وإنما اعترفوا بذلك يوم القيامة، يقولون اتخذناهم سخريا بل زاغت عنهم ابصارنا محقرة لهم. ومن قطع الهمزة قال: هذا على وجه التوبيخ لنفوسهم والتبكيك لها. ثم قال ذلك أي ثم يقولون بل زاغت عنهم ابصارنا فلا نراهم. قوله تعالى:

\* (رب السماوات والأرض وما بينهما العزيز الغفار (٦٦)  
قل هو نأ عظيم (٦٧) أنتم عنه معرضون (٦٨) ما كان لي من

علم بالملأ الاعلى إذ يختصمون (٦٩) إن يوحى إلي إلا أنما أنا نذير مبين) \* (٧٠) أربع آيات.

قرأ أبو جعفر " إنما أنا نذير مبين " بكسر الهمزة. الباقون بفتحها.

لما وصف الله تعالى نفسه بأنه الواحد القهار وصفها أيضا بأنه " رب السماوات والأرض " أي مالكهما ومدبرهما ومدبر ما بينهما " العزيز " الذي لا يغالب لسعة مقدوراته " الغفار " لذنوب عباده إذا تابوا.

ثم قال قل لهم يا محمد " هو نبأ عظيم " قال مجاهد والسدي يعني القرآن " هو نبأ عظيم " أي الخبر العظيم وقال الحسن: هو يوم القيامة.

ثم خاطب الكفار فقال " أنتم " معاشر الكفار " عنه معرضون " عن هذا النبأ العظيم لا تعلمون بما يوجب مثله من اجتناب المعاصي وفعل الطاعات.

ثم أمر نبيه صلى الله عليه وآله ان يقول أيضا " ما كان لي من علم بالملأ الاعلى إذ يختصمون " يعني بالملأ الاعلى الملائكة اختصموا في آدم حين قيل: لهم " إني جاعل في الأرض خليفة " في قول ابن عباس وقتادة والسدي، فما علمت ما كانوا فيه إلا بوحى من الله تعالى. وقيل: كان اختصام الملائكة في ما كان طريقه الاجتهاد. وقيل: بل طريقه استخراج الفائدة، ولا يجوز ان يختصموا في دفع الحق.

وقوله " إن يوحى إلي إلا أنما أنا نذير مبين " قيل في معناه قولان: أحدهما - ليس يوحى إلي إلا لأني أنا نذير مبين أي مخوف من المعاصي مظهر للحق.

الثاني - ليس يوحى إلي إلا الانذار البين الواضح.

قوله تعالى:

\* (إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين (٧١)  
فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين (٧٢)  
فسجد الملائكة كلهم أجمعون (٧٣) إلا إبليس استكبر وكان  
من الكافرين (٧٤) قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت  
بيدي استكبرت أم كنت من العالين) \* (٧٥) خمس آيات.  
يقول الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وآله قل يا محمد " ما كان لي من علم بالملأ  
الاعلى " من الملائكة " إذ يختصمون.... إذ قال ربك للملائكة إني خالق  
بشرا من طين " يعني آدم عليه السلام، لان الله تعالى خلقه من طين، فالخلق  
فعل الشئ على تقدير وترتيب وكان جعل آدم على مقدار ما تقتضيه الحكمة  
واصل الخلق التقدير. والبشر مأخوذ من البشرة، وهي الجلد الظاهرة،  
والانسان مأخوذ من الانس، لأنه يأنس بمثله في ما يؤنس به، فجرى عليه  
الاسم، لان هذا من شأنه " فإذا سويته " أي سويت خلق هذا البشر  
وتممت أعضاه وصورته " فقعوا له ساجدين " أي اسجدوا له. وقد بينا  
في ما مضى أن السجود كان لله تعالى وعبادة له وفيه تفضيلا لآدم على الملائكة  
وقوله " ونفخت فيه من روحي " فالروح جسم رقيق هوائي بها يتم كون  
الحي حيا لتخرقه في مخارق الانسان وهو مشتق من الريح، ومنه الراحة  
والاستراحة من الكد للخفة على النفس كالريح، ومنه الا ريحة، والراحة كف

الانسان لما يتراوح الناس إليها في العمل، ومنه الرواح إلى المنزل للاستراحة ومعنى " ونفخت فيه من روحي " أي توليت خلقها من غير سبب كالولادة التي تؤدي إليها، لان الله تعالى شرف آدم بهذه الحال وكرمه. وفي الكلام حذف وتقديره إن الله خلق آدم الذي وعدهم بخلقه ثم إن الملائكة سجدت بأجمعها له إلا إبليس الذي أمتنع، وقد بينا اختلاف الناس في أن إبليس هل كان من جملة الملائكة، ومن قبلهم أو كان في جملتهم يتناول الامر له بالسجود فلا نطول بإعادته فمن قال لم يكن منهم، قال (إلا) بمعنى (لكن) وتقديره: لكن إبليس استكبر وتجبر وامتنع من السجود له، وكان بذلك الإباء والمخالفة من جملة الكافرين.

ثم حكى ما خاطب الله تعالى إبليس به حين امتنع من السجود لآدم " ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي " على وجه التقرير له والتهجين لفعله، وإنما قال " بيدي " على وجه تحقيق الإضافة لخلقة الله تعالى، لا انه أمر به أو كان على سبب أدى إليه تعالى، والثنائية أشد مبالغة، كما قال الشاعر: دعوت لما نابني مسورا \* فليبي فليبي يدي مسور (١) لتحقيق إضافة المبالغة إلى مسور، ومثله قولهم: هذا ما كسبت يداك أي ما كسبته أنت قال الشاعر:

أيها المبتغي فناء قریش \* بيد الله عمرها والفناء  
فوحده لتحقيق الإضافة. ثم قال له بلفظ الاستفهام والمراد به الإنكار " استكبرت " يا إبليس أي طلبت التكبر بامتناعك من السجود له " أم كنت من العالين " الذين يعلنون على الخلق تجبرا وتكبيرا. وقرئ في الشواذ " بيدي

---

(١) اللسان (سور، لب)

استكبرت " على وصل الهمزة. وروي ذلك عن مجاهد عن شبل ابن كثير  
اجتزاء ب (أم) عن الف الاستفهام. ويحتمل أن يكون على اليمين، كأنه  
اقسم فقال بنعمتي الدينية والدنياوية تكبرت بل كنت من العالين بهذا الفعل  
فتكون على هذا (أم) منقطعة وعلى الأول وهو المعروف تكون معادلة  
لهمزة الاستفهام:

قوله تعالى:

\* (قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين (٧٦)

قال فاخرج منها فإنك رجيم (٧٧) وإن عليك لعنتي إلى  
يوم الدين (٧٨) قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون (٧٩) قال  
فإنك من المنظرين (٨٠) إلى يوم الوقت المعلوم (٨١) فبعزتك  
لأغوينهم أجمعين (٨٢) إلا عبادك منهم المخلصين (٨٣) قال  
فالحق والحق أقول (٨٤) لأملأن جهنم منك وممن تبعك  
منهم أجمعين (٨٥) قل ما أسئلكم عليه من أجر وما أنا من  
المتكلفين إن هو إلا ذكر للعالمين (٨٧) ولتعلمن نبأه  
بعد حين) \* (٨٨).

ثلاث عشرة آية في الكوفي واثننا عشرة آية في ما عداه عد الكوفي  
" فالحق أقول " ولم يعده الباكون.

قرأ عاصم إلا هيرة وخلف وحمزة " قال فالحق " بالرفع " والحق " بالنصب.  
 الباقون بالنصب فيهما، من رفع تقديره فأنا الحق، ويجوز على تقدير فالحق لأملأن  
 كما تقول: عزيمة صادقة لآتينك، ويجوز على تقدير حذف الخبر، وتقديره:  
 فالحق مني لأملأن. ومن نصب فعلى فالحق لأملأن على القسم، كما تقول: والله  
 لأفعلن، ويجوز في مثله حقا لأملأن، ويكون (والحق أقول) اعتراضا  
 بين الكلامين، ويجوز أن يكون النصب على تقدير اتبعوا الحق، أو أقول  
 الحق. وقال أبو علي: من نصب (الحق) الأول فعلى اضمار (فعل) نحو ما  
 ظهر في قوله " ليحق الحق " (١) وفي قوله " ويحق الله الحق " (٢).  
 لما حكى تعالى ما قال لإبليس على وجه الإنكار عليه " استكبرت أم  
 كنت من العالين " حكى ما أجاب به إبليس، فإنه قال " انا خير منه خلقتني  
 من نار وخلقته من طين " وقيل إن الله تعالى خلق الملائكة من الريح فسموا  
 بذلك روحانيين، وخلق آدم من الطين وخلق إبليس من النار، فظن  
 إبليس إن النار أشرف من الطين لما فيها من النور، ولما يكون بها من  
 الانضاح لأكثر ما يحتاج إليه ومن الاحراق الذي يقع به الزجر من العقاب  
 فدخلت عليه الشبهة بهذا، وظن أنه أفضل منه من حيث كان أصله أفضل  
 من أصل آدم، وكيف يجوز أن يفضل آدم عليه السلام عليه. وهذا يدل على أن  
 السجود لآدم كان على وجه التفضيل له على جميع من أمر بالسجود له، وإلا  
 لم يكن يمتنع من ذلك، ولم يعلم إبليس أن الله تعالى إنما أمرهم بالسجود  
 لآدم عبادة له، وإن كان تفضيلا لآدم وإن لهم في ذلك لطفا في تكليفهم  
 فلذلك أمرهم الله بالسجود له، ولو أنعم النظر في ذلك لزال شبهته. فقال

(١) سورة ٨ الأنفال آية ٨  
 (٢) سورة ١٠ يونس آية ٨٢



الله تعالى له " فاحرج منها " قال الحسن: يعني من السماء. وقال غيره:  
من الجنة " فإنك رجيم " أي مرجوم إن رجعت إليها بمثل الشهب التي ترحم  
به الشياطين. وأصل الرجيم المرجوم، وهو المرمي بالحجر " وإن عليك لعنتي "  
يا إبليس ابعادي لك من رحمتي " إلى يوم الدين " يعني يوم القيامة الذي  
هو يوم الجزاء. فقال إبليس عند ذلك يا " رب فانظرني " أي أخرني " إلى  
يوم يبعثون " أي يوم يحشرون للحساب، وهو يوم القيامة فقال الله تعالى له  
" فإنك من المنظرين " أي من المؤخرين " إلى يوم الوقت المعلوم " أي اليوم  
الذي قدر الله فيه إمامتك، فعلى هذا لا يلزم أن يكون إبليس مغرى بالقبائح  
لعلمه بأنه يبقى، لأنه لا وقت إلا وهو يجوز أن يخترم فيه، ولا يقدر على التوبة  
فالزجر حاصل له. ومن قال إنه اجابه إلى يوم القيامة يقول: كما أعلمه انه  
يبقيه إلى يوم يبعثون، أعلمه أيضا انه من أهل النار لا محالة، وانه لا يتوب  
وصح مع ذلك تكليفه، لأنه يلزمه بحكم العقل أن لا يفعل القبيح من حيث إنه  
متى فعله زاد عقابه، ويضاعف على ما يستحق له وتخفيف العقاب عن  
النفس واجب بحكم العقل، كما يجب اسقاط العقاب جملة.  
ثم حكى تعالى ما قال إبليس فإنه اقسم وقال " فبعزتك " يا الهي  
" لأغوينهم أجمعين " فالعزة القدرة التي يقهر بها غيره من القادرين،  
و (الاغواء) التخييب، وإبليس يغوي الخلق بأن يزين لهم القبيح ويرغبهم  
فيه. والغى خلاف الرشد، وهو الخيبة، يقال: أغواه يغويه إغواء، فهو  
مغوي إذا دعاه إلى ما فيه الخيبة.  
ثم استثنى من جملة من يغويهم " عباد الله المخلصين " مع حرصه على  
اغواء الجميع من حيث أنه يئس منهم من حيث علم أنهم لا يقبلون منه ولا

ينقادون لاغوائه، وانه ليس له عليهم سلطان إلا بالاغواء، فإذا علم أن منهم من لا يقبل منه عرف ذلك عنه ليأسه منه. ومن فتح اللام من "المخلصين" أراد إن الله تعالى أخلصهم بما فعل لهم من اللطف الذي امتنعوا عنده من القبائح، ومن كسر اللام أراد انهم أخلصوا عبادتهم لله، لم يشركوا معه غيره.

ثم حكى تعالى ما أجاب به - عز وجل - لإبليس، فإنه قال له "فالحق والحق أقول لأملأن" فمن رفع الأول أراد، فأنا الحق أو فالحق لأملأن وأقول الحق. ومن نصب فعلى تقدير. فالحق لأملأن، كما تقول حقاً لأملأن، ويكون "والحق أقول" اعتراض بين الكلامين ويكون العامل في (الحق) الثاني قوله "أقول" لأملأن جهنم منك "يا إبليس" وممن تبعك منهم أجمعين "أي من تابعك على دعائك إلى المعاصي. ثم خاطب النبي صلى الله عليه وآله فقال "قل" يا محمد "ما أسألكم عليه من اجر" أي ليس أسألكم أجراً على دعائكم إلى الله "وما أنا من المتكلفين" أي ولست ممن يتعسف في طلب الامر الذي لا يقتضيه العقل، وصفة (متكلف) صفة تجري مجرى الذم، فلذلك قال "وما أنا من المتكلفين"، لأنه لا يدعو إلا إلى الامر الجميل الذي يقتضيه الحق.

ثم قال "إن هو الا ذكر للعالمين" أي ليس هذا القرآن إلا شرف للعالمين "ولتعلمن نبأه بعد حين" قال الفراء: معناه ولتعلمن خبر القرآن وانه حق أو خبر محمد أنه صادق بعد حين، قال الحسن: عند الموت يأتيك الخبر

ألقين. وقال ابن زيد: يوم القيامة، والحين الوقت، وقال عكرمة: هو كقوله  
"تؤتي أكلها كل حين باذن ربها" (١) وذلك حين تصرم النخلة إلى حين تطلع  
سنة أشهر وهو مثل ما رواه أصحابنا سواء.

تم المجلد الثامن من التبيان

ويليه المجلد التاسع وأوله

أول سورة الزمر

طبع في مطابع النعمان

في النجف الأشرف

في شعبان سنة ١٣٨٢ هـ

وفي كانون الثاني سنة ١٩٦٣ م

---

(١) سورة ١٤ إبراهيم ٢٥ آية